



محمد مظلوم

ديوان ريشاء الروحجات

من الشعر السومري إلى قصيدة النثر

مشورات الجمل

محمّد مظلوم، ديوان رثاء الزوجات

محمّد مظلوم

ديوان رثاء الزّوجات

من الشعر السُّومري إلى قصيدة النثر

منشورات الجمل

وُلِدَ مُحَمَّدٌ مَظْلُومٌ فِي بَغْدَادِ / مَنطَقَةِ الكُرَّادَةِ ١٩٦٣. تَخَرَّجَ مِنْ قِسمِ الدِّرَاساتِ
الإِسلامِيَّةِ فِي كَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ - جَامِعَةِ بَغْدَادِ ١٩٨٧. سَيِّقَ مَجْنَدًا لِلخِدْمَةِ
العِسكرِيَّةِ بَعْدَ تَخَرُّجِهِ مِنَ الجَامِعَةِ مِباشَرَةً. عَمِلَ بَعْدَ انْتِهاءِ حَرْبِ الخَلِيجِ
الأوَّلَى مَدْرَسًا لِللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي مَحافِظَةِ أربيل بِكُردِستانِ العِراقِ. غادرَ إِلَى
دِمَشقَ عَبرَ نَهْرِ الخابُورِ خَريفَ عامِ ١٩٩١، ولا يَزالُ مَقِيمًا فِيها. مِنْ مَؤَلِّفاتِهِ
الشَّعْرِيَّةِ: غَيرِ مَنصوصٍ عَلَيهِ - ارْتِكاِباتِ (١٩٩٢)؛ المَتاخُزُ - عابِرًا بَينَ
مَرايا الشَّبِهاةِ (١٩٩٤)؛ مُحَمَّدٌ وَالَّذينَ مَعَهُ (١٩٩٦)؛ النَّاثِمُ وَسِيرَتُهُ
مِعارِكِ (١٩٩٨)؛ أُنْدَلَسُ لِبَغْدادِ (٢٠٠٢)؛ اسكَنْدُرُ البَرابِرَةِ (٢٠٠٤)؛ بَازِي
النَّسْوانِ (٢٠٠٨)؛ كِتابُ فَاطِمَةَ (٢٠١٠).

ولَهُ فِي النِّثْرِ وَالدِّرَاساتِ: عَبدُ الوِهابِ البِياتِي - كِتابُ المَخْتاراتِ (١٩٩٨)؛
رَبِيعُ الجَنرالاتِ وَنِيرُوزِ الحَلاجينِ (٢٠٠٣)؛ عِراقُ الكولونِياليَّةِ الجَدِيدَةِ
(٢٠٠٥)؛ الفَتْنُ البَغْدادِيَّةُ - فُقهاءُ المَارينِزِ وَأَهْلُ الشَّقاقِ (٢٠٠٦)؛ حَطَبُ
إِبْراهِيمِ أَوِ الجِيلِ البَدويِّ - شَعْرُ الثُّمانيناتِ وَأَجيالِ الدَوْلَةِ العِراقِيَّةِ
(٢٠٠٧)؛ أَصْحابُ الواحِدَةِ - اليَتيماتِ وَالْمَشهوراتِ وَالْمَنسِياتِ مِنَ الشَّعْرِ
العَرَبِيِّ (٢٠١٢).

مُحَمَّدُ مَظْلُومٌ: دِيوانُ رِثاءِ الزَّوجاتِ، الطَبْعَةُ الأوَّلَى
كَافَةُ حَقوقِ النِّشْرِ وَالإِقتِباسِ وَالتَّرْجِمَةِ
مَحفوظَةٌ لِمَنشوراتِ الجَمَلِ، بَيرُوتَ - بَغْدادَ ٢٠١٣
تَلفونٌ وَفاكسٌ: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ - بَيرُوتَ - لِبْنانَ

© Al-Kamel Verlag 2013
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

المحتوى

١٥	إلى «فاطمة» في ذكرائها ..
١٧	في الرثاء ومشكلة «الجندر» في الثقافة العربية ..
٥٩	لودنغيرا «شاعر سومري» ..
٦٢	إمراة سومرية تربي نفسها بعد موتها ..
٦٤	عمرو بن قيس بن مسعود المرادي يربي امرأته ..
٦٥	أعرابي يربي امرأته ..
٦٦	بسيل بن محكان ..
٦٧	أعرابي يربي زوجته ..
٦٨	أعرابي يربي امرأته ..
٦٩	الغطمش الضبي ..
٧٠	الأشعث بن عابس في رثاء زوجته جلالة ..
٧١	رجل من الأنصار ..
٧٢	النمر بن تولب ..
٧٤	الإمام علي بن أبي طالب ..

٧٩	يَعْلَى بْنُ مُنِيَّة
٨٢	أَبُو دَهْبَل
٨٤	رَجُلٌ مِنْ «رَبِيعَةَ» يَرْتِي امْرَأَتَهُ
٨٦	قَيْسُ بْنُ ذُرَيْح
٨٨	مُويلك المزموم «شاعرٌ من الخوارج»
٩٠	أَبُو الْمُقْدَامِ الْجَرْمِي «يَهَسُ بْنُ صُهَيْب»
٩٤	الْعَوَّامُ بْنُ كَعْبِ الْمُزْنِي
٩٥	الْأَعْيَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
٩٦	جَزِير
١٠٠	الْفَرَزْدَق
١٠٥	مُنْقِذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
١٠٦	مَعْقَلُ بْنُ عَيْسَى الْعِجْلِي
١٠٧	الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيد
١١٠	الْمَهْدِي الْعَبَّاسِي يَبْكِي عَلَى «رَخِيم»
١١٢	هَارُونُ الرَّشِيدُ يَرْتِي «هَيْلَانَةَ»
١١٥	يَعْقُوبُ بْنُ الرَّبِيعِ وَمَرَاتِي «مُلْك»
١٢٣	ابْنُ كُنَاسَةَ
١٢٤	مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ «صَرِيحُ الْغَوَانِي»
١٢٦	الْمَأْمُون
١٢٩	مَحْمُودُ الْوَرَّاق

١٣١ الْمُعَلَّى الطَّائِي
١٣٥ أَبُو تَمَّام
١٣٩ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّات
١٤٣ مُدْرِكُ بْنُ وَاصِلِ بْنِ حَنْظَلَةَ
١٤٤ دِيْنُكَ الْجَنْنُ الْحِمَصِي
١٤٩ ابْنُ الرُّومِي
١٥٢ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ
١٥٤ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِر
١٥٨ الرَّاضِي بِاللَّهِ
١٦٠ تَمِيمُ الْفَاطِمِي
١٦٢ الْوَأَوَاءُ الدَّمَشَقِي
١٦٦ ابْنُ عَبْدِوْنِ الْوَرَّاقِ
١٦٨ الشَّرِيفُ الرَّضِي
١٧١ الْأَمِيرُ الْمُسَبِّحِي
١٧٣ الشَّرِيفُ الْمُرتَضَى
١٨٠ أَبُو جَعْفَرِ الرَّامِي
١٨١ أَبُو إِسْحَاقِ الْإِلِيرِي
١٨٤ السَّرَاجُ الْبَغْدَادِي «صَاحِبُ مَصَارِعِ الْعِشَاقِ»
١٨٥ الطُّغْرَانِي
١٩٥ ابْنُ سَارَةَ الْإِسْبِيلِي

١٩٧	أَبُو بَكْرُ بْنُ الْقَبْطَرَنَةِ
٢٠٠	أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ طُفَيْلٍ
٢٠١	الْأَعْمَى التُّطَيْلِيُّ
٢٠٨	ابْنُ الْحِمَارَةِ الْغُرْنَاطِيّ
٢٠٩	ابْنُ حَمْدِيسٍ
٢١٨	ابْنُ الزُّقَاقِ الْبَلَنْسِيِّ
٢٢٢	عُمَارَةُ الْيَمَنِيِّ
٢٢٥	أَبُو الرَّبِيعِ الْمُوَحِّدُ
٢٣١	ابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ
٢٤٤	وَجْهُ الدُّوَيْبَةِ الْحَلِيِّ
٢٤٥	إِبْنُ جُبَيْرٍ
٢٤٧	النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ
٢٤٩	ابْنُ النَّرْسِيِّ
٢٥٠	الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ
٢٥٢	أَبُو بَكْرٍ السَّتَالِيّ
٢٥٦	الْقَاسِمُ بْنُ هُتَيْمِلٍ
٢٦٤	أَبُو حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ
٢٦٩	الْكِرْبَانِيّ
٢٧١	أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَزْنَانِيّ
٢٧٢	الْقَاضِي عَلَمُ الدِّينِ

٢٧٤	ابْنُ هُذَيْلِ التُّجَيْبِيِّ
٢٧٦	صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفْدِيِّ
٢٨٠	لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ
٢٨٣	ابْنُ نَبَاتَةِ الْمِصْرِيِّ
٢٩١	شَرَفُ الدِّينِ الْمُتَوَكِّلِ
٢٩٣	جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ
٢٩٥	الَّلَّوَّاحُ الْخَرْوُصِيُّ
٣٠١	مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الزُّبَيْدِيِّ «صاحب تاج العروس»
٣٠٨	بَيْرُمُ الثَّانِي
٣١١	عَلِيٌّ نَقِيُّ الْإِحْسَائِيِّ
٣١٣	مُحَمَّدُ الْبُخَارِيِّ عُثْمَانُ
٣١٥	صَالِحُ الصَّائِفِيِّ
٣١٧	صَالِحُ مَجْدِيِّ
٣٢٥	حَنَّا الْأَسْعَدُ
٣٣٤	حَسَنُ الطُّوَيْرَانِيِّ
٣٤٦	مَحْمُودُ سَامِي الْبَارُودِيِّ
٣٥٥	مَاجِدُ بْنُ صَالِحِ الْخَلِيفِيِّ
٣٥٧	أَمِينُ يُونُسَ الْخُورِيِّ
٣٥٩	ابْنُ شِهَابِ الْعَلَوِيِّ
٣٦٢	مُحَمَّدُ كَمَالِ الدِّينِ الْأَذْهَمِيِّ

٣٦٥ مُحَمَّدُ الْأَزْهَرِي
٣٦٦ مُحَمَّدُ النَّخْلِي
٣٦٩ إِبْرَاهِيمُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمَازِنِي
٣٧٤ إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي « أَبُو أُمَيْمَةَ »
٣٧٧ خَلِيلُ السَّكَاكِينِي
٣٨١ عَبْدُ الْحَقِّ رِفَاقَتْ
٣٨٤ أَحْمَدُ زَكِي أَبُو شَادِي
٣٩٧ مَاءُ الْعَيْنَيْنِ بْنُ الْعَتِيقِ
٤٠٠ عَبْدُ اللَّهِ نَوْفَل
٤٠٢ مُحَمَّدُ الْخَضِرِ حُسَيْن
٤٠٦ زَكِي الطَّوِيل
٤١١ عَلِي الشَّرْقِي
٤١٥ صَالِحُ الْحَامِد
٤١٩ عَلِي أَحْمَدُ بَاكْشِير
٤٢٧ عَزِيزُ أَبَاظَةَ
٤٤١ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صِدْقِي
٤٥٤ عَبْدُ الْعَظِيمِ قَنَاوِي
٤٥٨ كَمَالُ خَلِيل
٤٦٠ عُبَيْدُ مَدْنِي
٤٦٢ أَنَسُ الْمَقْدِسِي

٤٦٦ نَدِيمُ الْجِسْرِ
٤٦٨ مُحَمَّدُ زَكِي مُجَاهِد
٤٧٠ عَلِي صَالِحُ إِبْرَاهِيم
٤٧٢ عَبْدُ الْجَبَّارِ الْعَبْدَلِي
٤٧٥ جَعْفَرُ الْخَلِيلِي
٤٧٧ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْعَشْمَاوِي
٤٧٩ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْخَمَيْسِي
٤٨٧ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْإِزْيَانِي
٤٩١ طَاهِرُ أَبُو فَاشَا
٤٩٥ عَبْدُ الْهَادِي الطَّوِيل
٥٠٠ مُحَمَّدُ آلُ حَيْدَر
٥٠٦ إِبْرَاهِيمُ عَبْدُ اللَّطِيفِ شَرِيف
٥٠٨ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ عَاج
٥١٠ وَجِيهُ الْبَارُودِي
٥١٤ الْجَوَاهِرِيُّ
٥٢٣ نِزَارُ قَبَّانِي
٥٣٣ مُصْطَفَى الزَّرْقَا
٥٣٩ حَامِدُ حَسَن
٥٥١ مَزِيدُ الْخَطِيب
٥٥٤ يَغْقُوبُ جَوَاد

٥٥٦ أَحْمَدُ الْوَائِلِي
٥٦١ رُوكْسُ الْعَزِيزِي
٥٦٣ أَحْمَدُ مُحَمَّدُ الشَّامِي
٥٦٦ يُوسُفُ الصَّائِغ
٥٧٦ عَبْدُ الْمُعِينِ الْمَلُوحِي
٥٩٥ مُحَمَّدُ الْمَاغُوط
٦٠٣ مُحَمَّدُ رَجَبُ الْيُومِي
٦١٢ خَلِيفَةُ الْغَزَوَانِي
٦١٣ عِصَامُ الْعَطَّار
٦١٧ عَبْدُ الْكَرِيمِ گَاوِد
٦٢٥ يَاسِينَ رِفَاعِيَّة
٦٣٥ جَمَالُ عَبْدُ الْجَبَّارِ عَلُوش
٦٤٠ حَسَنُ الزَّهْرَانِي
٦٤٤ سَامِرُ الْبَارُودِي
٦٤٨ فَرِيدُ عَبْدُ الْخَالِق
٦٥١ مُحَمَّدُ مَظْلُوم

ملحق نماذج من رثاء الحبيبات

٦٦٥ قُبُورُ الْعُشَّاق
٦٦٦ فَتَى أَمْوِيٍّ مِنْ شُهَدَاءِ الْهَوَى

٦٦٨ مَجْنُونٌ لَيْلَى
٦٧٠ الْعَوَّامُ بْنُ عُقْبَةَ
٦٧٢ صَخْرُ بْنُ الْجَعْدِ الْمُحَارِبِيِّ
٦٧٣ كَثِيرُ عَزَّةَ
٦٧٧ أَغْرَابِيُّ مُشْتَحِرٌ بَعْدَ مَقْتَلِ حَبِيبَتِهِ
٦٨٠ مُرَّةُ النَّهْدِيِّ
٦٨٣ أَبْنُ مِيَّادَةَ يَرِثِي حَبِيبَتَهُ
٦٨٦ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ يَرِثِي حَبِيبَتَهُ «حَمْدَةَ»
٦٩٠ أَبُو نُوَّاسَ
٦٩١ شَاعِرٌ مِنَ الْيَمَامَةِ «مَاتَ عَلَى قَبْرِ حَبِيبَتِهِ»
٦٩٣ مَجْهُولٌ وَحَبِيبَتُهُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
٦٩٥ ابْنُ الرَّؤْمِيِّ يَرِثِي «بِسْتَانَ» الْمُغْنِيَةَ
٦٩٩ عَاشِقٌ مَسِيحِيٌّ يَرِثِي تِمَّالَ حَبِيبَتِهِ
٧٠٢ مَجْهُولٌ يَرِثِي وَعُشَّاقٌ يُشْطَرُّونَ!
٧٠٧ الشَّرِيفُ الْبَيَّاضِيُّ يَرِثِي حَبِيبَتَهُ
٧١٠ عُمَرُ أَبُو رَيْشَةَ
٧١٥ المصادر والمراجع

إِلَى فَاطِمَةَ فِي ذِكْرَاهَا

مَسَاءَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ١٧/١١/٢٠٠٨ كَانَتْ زَوْجَتِي «فَاطِمَةُ» الْحَامِلُ
بِتَوَامِينِ ذَكَرَيْنِ، فِي شَهْرِهَا التَّاسِعِ عِنْدَمَا دَهَمَتْهَا، فَجْأَةً، أَغْرَاضُ
مُخْتَلِطَةٌ بَيْنَ تَفَاعُلَاتِ أَلَمِ الْمَخَاضِ وَبَيْنَ ارْتِعَاشَاتِ جَسَدِيَّةٍ غَرِيبَةٍ،
فَنَقَلْتُهَا قَوْرًا إِلَى مُسْتَشْفَى «الشَّرْقِ» لِلْوِلَادَةِ فِي دِمَشْقٍ حَيْثُ انْتَصَرَ
الْمَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ، فِي مَعْرَكَةٍ سَرِيعَةٍ وَخَاطِفَةٍ، وَاخْتَطَفَ مِنِّي ثَلَاثَ
أَرْوَاحٍ حَبِيبَةٍ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَتْ تَجْرِبَةٌ فَائِضَةٌ بِالْقِسْوَةِ الْمُفْرِطَةِ،
زَادَ مِنْ قَسَوَتِهَا مَا وَاجَهْتُهُ مِنْ انْكِشَافِ الْأَقْبَعَةِ الَّتِي نَزَفَتْ بِشَرِيبَتِهَا لِتُسْفِرَ
عَنْ وُجُوهِ وَخُوشٍ مِنْ حَوْلِي. ضَاقَتْ عَلَيَّ دِمَشْقُ وَالْعَالَمُ وَلَمْ أَجِدْ
إِزَاءَهَا مِنْ عُلَاقَةٍ أَوْ عَزَاءٍ فِي الْمَنْفَى الَّذِي أَضْحَى مُرَكَّبًا مُنْذُ تِلْكَ
اللَّحْظَةِ، سِوَى الْعُزْلَةِ وَالْاِعْتِكَافِ فِي يَوْمِيَّاتِ ذَلِكَ الْمُنَاحِ التَّرَاجِيدِي
كِتَابَةً وَقَرَاءَةً، كِتَابَةً مَرِيئِيَّةٍ الشَّخْصِيَّةَ لَهَا، صَدَرَتْ لَاحِقًا فِي «كِتَابِ
فَاطِمَةَ» وَكَذَلِكَ الْقَرَاءَةُ الْمُوَازِيَّةَ لِتِلْكَ التَّجْرِبَةِ التَّرَاجِيدِيَّةِ، فَكَانَ هُنَاكَ
كِتَابَانِ كُنْتُ قَرَأْتُهُمَا فِي وَقْتِ سَابِقٍ، لَمَعَا فِي ذِهْنِي الذَّاهِلِ فَجْأَةً
وَكَأَنَّهُمَا تَغْوِيذَةُ التَّصَبُّرِ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ مِنَ الْأَلَمِ الرُّوحِيِّ، وَمِمَّا
كِتَابُ «التَّعَازِي وَالْمَرَاثِي» لِلْمُبَرِّدِ، وَكِتَابُ «الْمَرثَاةِ الْغَزَلِيَّةِ فِي الشُّعْرِ
الْعَرَبِيِّ» لِلدُّكْتُورِ عِنَادِ غَزْوَانَ، وَمِنْ لَمَعَانِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، قَرَرْتُ أَنْ

أَمْضِي فِي بَحْثٍ طَوِيلٍ وَشَامِلٍ لاسْتِقْصَاءِ الْمَرثِيَّاتِ الَّتِي كَتَبَهَا الْأَزْوَاجُ
الشُّعْرَاءُ لِزَوْجَاتِهِمُ الرَّاحِلَاتِ فِي مُخْتَلَفِ عَصُورِ الشُّعْرِ.
وَطِيْلَةٌ أَرْبَعُ سِنَوَاتٍ مِنَ الْعَمَلِ جَمَعْتُ الْعَشْرَاتِ مِنَ النُّصُوصِ مِنْ
مَصَادِرِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بِمُخْتَلَفِ مَرَاكِزِهِ، وَمِنْ دَوَائِرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ شَتَّى
العُصُورِ.

وَلَأَنَّ رَجِيْلَ «فَاطِمَةَ» كَانَ الْحَافِزَ الْأَسَاسِيَّ لِهَذَا السَّفَرِ الصَّغْبِ...
فَالْنِ رُوحَهَا وَرُوحَ مَلَائِكَتِهَا هَذَا الْكِتَابِ،
حُشُودٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْعُصُورِ يُؤَبِّنُونَ نِسَاءَهُمْ،
وَكَانَتْهُمْ هَبُوا مِنْ أَبْدِيَّتِهِمُ الْبَعِيدَةِ لِيُؤَبِّنُوا «فَاطِمَةَ» مَعِي.

مُحَمَّدٌ مَظْلُومٌ

دِمَشْقُ صَيْفِ ٢٠١٢

مُقَدِّمَةٌ

فِي الرِّثَاءِ وَمُشْكِلَةِ «الْجَنْدَر» فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ

يحدّد ابنُ منظور في «لسان العرب» ثلاث «لغات» للرثاء في الجذر اللغوي للفعل الذي يقوم عليه اسم الرثاء، الأولى «رثى» بآلف مقصورة، والثانية: «رثا» بآلف ممدودة والثالثة: «رثأ» مهموزة: رثى فلانُ فلاناً يَرِثِيهِ رِثْيًا وَمَرِثِيَّةٌ إِذَا بَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنْ مَدَحَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ قِيلَ: رِثَّاهُ يُرِثِيهِ تَرِثِيَّةٌ. وَرَثِيْتُ الْمَيِّتَ رِثْيًا وَرِثَاءً وَمَرِثَاءً وَمَرِثِيَّةً وَرِثِيَّتَهُ: مَدَحَتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِكَيْتِهِ. وَرَثَوْتُ الْمَيِّتَ أَيْضاً إِذَا بَكَيْتَهُ وَعَدَّدْتُ مُحَاسِنَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَظَّمْتَ فِيهِ شِعْراً^(١).

ومن اللافت أنَّ ابنَ منظور وهو يتحدّثُ عن «رثأ» المهموزة، وإن كان في هذه الصيغة اختلاف بين النحويين، يردُّ أصل المعنى إلى دلالة أخرى مُضمرة، أو ربما مستعارة، لمعنى الرثاء «رَثَأْتُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ رِثْأً: مَدَحْتُهُ. وَرَثَأْتُ الْمَرْأَةَ زَوْجَهَا، كَذَلِكَ، وَهِيَ الْمَرِثِيَّةُ، وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: رَثَأْتُ زَوْجِي بِأَيَّامٍ، وَهَمَزْتُ، وَهُوَ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ النَّحَاةُ، وَرَثَأَ الْقَوْمَ وَرِثْأً لَهُمْ: عَمِلَ لَهُمْ رِثِيَّةً. وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: الرِّثِيَّةُ

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م) طبعة دار المعارف القاهرة د - ت جزء ١٨ ص ١٨٥٠ «رثى».

تَفْشاً الغَضَبَ أي تَكْسِرُهُ وتُذْهِبُهُ، والرَّثِيئَةُ: اللبنُ الحامضُ يُحَلَبُ عليه فيخثر... وزعموا أَنَّ رجلاً نزل بقوم وكان ساخطاً عليهم، وكان جائعاً، فسَقَوْه الرَّثِيئَةَ، فسكن غضبه، فَضْرِبَ مثلاً. ورثاً مهموزٌ لغةٌ في رَثَى. (١)

ومن هذه الصيغ البنائية الثلاث لفعل الرثاء، يجري اشتقاق أكثر من معنى مجازي يحاكي أغراضاً أخرى اشتقاقية، ذلك أَنَّ الغرض العام «للرثاء» يخرج كذلك إلى ثلاثة أغراض فرعية استطرادية: الأول: «البُكَاءُ أو الندبُ والنواحُ» بكاء بعد موته، والثاني: «التأبين» المَذْحُ أو الغَزْلُ «تعداد المحاسن» أما الثالث فهو: «التَّعْزِيَةُ» سواء كانت ذاتيةً للنفس أو موضوعيةً للآخر، وبهذا المعنى الأخير المضممر لمعنى الرثاء في «الرَّثِيئَةُ التي تسكنُ الغَضَبَ» فإنَّ الرثاءَ، بما يحمله من «عزاء ذاتي» ينعكس بنوع من التطهير الأرسطي الـ «catharsis». وينعكس كذلك بنوع من الاستشفاء الداخلي لمن وقع عليه فعل الفقد «والمراثي إنما جُعِلَتْ تسليّةً لمن عَضَّتْه النوائبُ بأنيابها، وفرَّقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وتأسيةً لمن سبق إلى هذا المصراع، ونهلَ من هذا المَشْرَع، ووثوقاً باللاحق بالماضي، وعلماً أن حادثة الموت من الدُّيون التي لا بدَّ لها من التقاضي، وأَنَّهُ لا سبيل إلى الخلود والبقاء، ولا بدَّ لكلِّ نفسٍ من الذَّهاب ولكلِّ جَسَدٍ من الفناء» (٢)

وتعدُّ المراثيات «أشرف الأشعار» في الذاكرة الشعرية العربية،

(١) لسان العرب «رثا» جزء ١٨ ص ١٨٥٠.

(٢) «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى ٧٣٣ هـ تحقيق: يحيى الشامي/ دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٤ الجزء الخامس ص ١٦٠.

وأكثرها تأثيراً في وجدان المتلقي، لأنها تتسم بحرارة التجربة وقوة الأداء الشعوري «قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة»^(١)

وقال ابن رشيقي في العمد «الشعر كله نوعان: مدح، وهجاء، فالمدح يَرْجَعُ الرِّثَاءَ، والافتخار، والتشبيب، وما تعلقَ بذلك من محمود الوصف: كصفات الطُّلول والآثار، والتشبيهات الحِسان، وكذلك تحسين الأخلاق: كالأمثال، والحكم، والمواعظ، والزهد في الدنيا، والقناعة، والهجاء ضدُّ ذلك كله»^(٢)

ويكتف «عبد الصمد بن المعذل» أغراض الشعر في ثلاث كلمات تعبّر كل واحدة منها عن الغرض الذي تؤدّيه، وتشتط مقدرة خاصة لتجسيدها في قصيدة: «الشعر كله في ثلاث لفظات، وليس كل إنسان يحسن تأليفها: فإذا مدحت قلت: أنت، وإذا هجوت قلت: لست، وإذا رثيت قلت: كنت»^(٣)

وهذا الفهم يتوافق كما هو واضح مع فكرة «أرسطو» عن مفهوم الشعر في كتابه «فن الشعر» بتقسيمه للجنس الشعري على أساس المحاكاة وتركيزه على ثنائية التراجيديا متمثلة في شعر: المدح أو الرثاء، والكوميديا مُتضمّنة في غرض: الهجاء، بوصفها نوعاً من المحاكاة لسير رديئة، بيد أن التراجيديا لا تتحقّق في غرض المدح وحده وإنما تستوجب شحنة من الرثاء.

(١) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ص ١٦١.

(٢) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيقي القيرواني محمد بن سعيد بن أحمد ٣٩٠-٤٥٦ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الجيل / الطبعة الخامسة ١٩٨١ / الجزء الأول ص ١٢١.

(٣) «العمدة» الجزء الأول ١٢٣.

ومن هذا الفهم أنس أبو حيان التوحيدي لقول المبرد عن الرثاء:
«أحسن المراثي ما خلطَ مَدْحاً بتَفْجُّعٍ، واشتكاء بفضيلة، لأنَّه يجمع إلى
التشكي المَوْجِعَ مَدْحاً، والمدح الباذخ اعتباراً، فإذا وقع نظمُ ذلك
بكلام صحيح ولهجةٍ معربة ونظمٍ غير متفاوت، فهو الغاية من كلام
المخلوقين»^(١)

ومما يجعل قصيدة الرثاء خلاصة لتجربة عميقة تجمع بين الذاتي
والموضوعي، أنها لا تقف، مضمونياً، عند الضفاف الشخصية لفجعة
الفقدان، والانشغال بالتأمل في جهة الخسران، وإنما تتفاعل داخلياً
لتغدو سؤالاً قاسياً وصعباً يحاور الأبدية ويُقلقها داخل الإنسان على
نحو مستمر. ولعلَّ هذا ما جعل شعر الرثاء غرضاً بذاته بلا «غرضية»
شخصية، فبينما نرى أن شعر الغزل المحض يتَّجه نحو معشوق حيٍّ
ومتعٍ في محاولة لجذبه إلى الخطاب المنمَّق، أو يتأنَّق لاستدراجه
نحو الغاية بأعذب الكلمات وربما أكذبها، أو نواجهه في المديح وهو
يتطلَّع إلى السلطان أو ذوي النفوذ، بقصد نيل العطايا أو الانضمام إلى
البلاط المزدهم أكثر مما يتأمل في حقيقة شخصيات الممدوحين
وسيرهم، أو حين يغدو في شعر الهجاء تراشُقاً بسهام قاسية من
العبارات يطلقها الشاعر ليؤذي بها خصمه، فإنَّ شعر الرثاء، إزاء هذا
كلِّه، سيبدو لنا الغرض الوحيد الذي ينأى عن تلك الغايات، لأنَّه أقرب
إلى الصدور عن عزلة داخلية عميقة تتكشف في أناشيد حزن متماسكة،
تماماً كتلك العزلة الزاهدة التي تصدر عنها، فيغدو تعبيراً عن حوار
داخلي متصل مع الوجدان والعواطف والذكريات ولا ينحو نحو

(١) «البصائر والدخائر» لأبي حيان التوحيدي علي بن محمَّد بن العبَّاس توفي
٤١٤ هـ تحقيق الدكتورة وداد القاضي/ دار صادر بيروت ١٩٨٨ الجزء
السادس ص ٥١.

مخاطب مباشر، وإنما يغيب في ظلاله البعيدة والعديدة في آن، إنه شعرٌ
 بمجدُ الغياب متحرراً من الغاية، وهو، من هنا، يعبرُ عن خروج وتنزُّه
 من الغرضية النفعية نحو محض غرضية فنية، وبمعنى آخر يتجه نحو
 تغليب الفن على التفنن. وهو غرض لعلَّه الأقدم في الشعر العربي وهو
 كذلك فعلاً في تاريخ الأدب العربي، حيث يصرُّ نقاد الأدب العربي
 القدامى على أنَّ أول الشعر مرثاة، وأولى قصائد الشعراء هي لأبي
 البشر: آدم، قالها في رثاء ولده القتل «هابيل» وقد جاءت تلك القصيدة
 متناثرة في مصادر متفرقة في التراث العربي وإزاءها قصيدة أخرى
 منسوبة إلى إبليس! فمما يروى لآدم في رثاء هابيل:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا	فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبِرٌ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي رِيحٍ وَطَعْمٍ	وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحُ
أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ عَلَيَّ غَمًّا	فَهَلْ أَنَا مِنْ حَيَاتِي مُسْتَرِيحُ
وَجَاوَرْنَا عَدُوَّ لَيْسَ يَفْنَى	لَعَيْنٌ لَا يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ
عَلَى هَابِيلَ لَمَّا أَنْ تَوَلَّى	وَوَلَّتْ بِهِمُهُ هَملاً تَسِيحُ
أَهَابِلُ! إِنْ قُتِلْتَ فَإِنَّ قَلْبِي	عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُكْتَتِبٌ قَرِيحُ

وجاء في تلك المصادر كذلك أن القاتل «قابيل» لما مات بعد
 ذلك، ردَّد إبليس على مسامع الأب الشاكل «آدم» قصيدة في الروي
 والوزن نفسه! فقال:

دَعِ الشُّكُورَى فَقَدْ هَلَكَا جَمِيعاً	بِهَلِكِ لَيْسَ بِالْبَيْعِ الرَّيِيحِ
فَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْبَوَاكِي	إِذَا مَا الْمَرْءُ غَوْدَرَ فِي الضَّرِيحِ
فَبِكَ النَّفْسَ مِنْكَ وَدَعِ سِوَاهَا	فَلَسْتَ مُخَلِّداً بَعْدَ الذَّبِيحِ
تَنَحَّ عَنِ الْجَنَانِ وَسَاكِنِيهَا	فَفِي الْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ

وَكُنْتُ بِهَا وَزَوْجَكَ فِي رَحَاءٍ وَقَلْبُكَ مِنْ أَدَى الدُّنْيَا مُرِيحُ
فَمَا بَرِحْتُ مُكَايِدَتِي وَمَكْرِي إِلَيَّ أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّيْحُ
وَلَوْلَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ أَمْسَى بِكَفِّكَ مِنْ جَنَانِ الْخُلْدِ رِيحُ^(١)

وعلى الرغم من صعوبة بل استحالة التسليم، بأن ما تقدم من قصيدتين هما من شعر «آدم» أو من براعة «إبليس» في معارضة المراثاة بقصيدة موعظة لا تخلو من نبرة الهجاء وزناً وقافية، إلا أننا جمعنا كل ما تنائر في مصادر متعددة من أبيات من هذه «الرثائية الآدمية» المزعومة أو بالأحرى المنحولة، وكذلك قرينتها «الهجائية الإبلسية» لنستشف منها أن النقد العربي القديم ظل يسعى وراء فكرة أن الرثاء أقدم الأغراض الشعرية في الذاكرة العربية، وفي الوجدان معاً. وإن انساق إلى الوهم، أو التأليف البين، لتعزيز فكرته عن أولية الرثاء في الشعر.

وإذا كانت هذه النصوص منحولة، كما هو واضح، فإن أقدم النصوص المتواترة في مصادر الشعر العربي قبل الإسلام، تشير كذلك

(١) «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» للقرشي أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي/ تحقيق: د. محمد علي الهاشمي/ جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٩٨١م) الجزء الأول ص ١٤٠ أربعة أبيات من الأولى والأربعة الأخيرة من الثانية و«نور القبس» للمرزباني ص ٢٧٥ اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ البيهقوري - تحقيق رودلف زلهام - دار «فرانتس شتاينر بيفسبادن» ١٩٦٤م (النشرات الإسلامية - ٢٣). ثلاث أبيات من الأولى وثلاثة من الثانية و«الحماسة البصرية» للبصري صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ تحقيق عادل سليمان جمال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث القاهرة ١٩٨٧ الجزء الثاني ص ٢٨.

إلى أنَّ الرثاء هو الغرض الذي انطلقت منه .

ومن بينها ما ينقله كلُّ من المبرد وابن قتيبة عن مرثية «دويد النّهدي» لنفسه لما حضرته الوفاة بوصفها من أقدم ما ورد من مقطوعات في المرويات الشفاهية المتناقلة من الشُّعر العربي^(١) :

الْيَوْمَ يُبْنَى لِذُوَيْدٍ بَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ يَا رَبِّ نَهَبَ صَالِحَ حَوَيْتُهُ
وَرُبَّ عَيْلٍ خَشِنَ لَوَيْتُهُ

كما تبرز مرثيات «المهلhel» لأخيه «كليب» بين تلك النصوص القديمة، وهي مرثيات قيلت قبل زمن المعلقات، وقبل اكتمال القصيدة العربية على يد امرئ القيس .

وإذا عدنا إلى زمن أبعد في التاريخ الثقافي للمنطقة وتحديدًا إلى الأدب في بلاد الرافدين، سنجد أنَّ فنَّ الرثاء هو الخطابُ الأكثرُ حضوراً في تلك الثقافة، وإن تجسّد في بُكاءٍ وجوديٍّ أعمق من نذب الأشخاص وتأبينهم، ذلك أنَّ «النذب» و«التَّواح» لا يتجلى بصورة الأوضح في رثاء الأشخاص في نماذج الشُّعر السومري والبابلي، وإنما يتمركز بشكل أساسي في أشعار نذب المدن المنكوبة والأمم المهزومة، والديار المفقودة، عادةً وليس نماذج رثاء البشر الراحلين .

ولعلَّ أشهر المراثي التي تنحو منحى النذب والتَّواح في الأدب الرافدينيّ القديم هي مراثي الآلهة ومراثي المدن، ثم تأتي المراثي

(١) «التعازي والمراثي» للمبرد أبي العباس محمّد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٦ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص ١٥٥ و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم تحقيق احمد محمد شاكر / دار المعارف مصر/ ١٩٨٢ الجزء الأول ص ١٠٤ .

الشخصية تالياً من حيث الكم، ولأنَّ المدن المدمرة سواء بالغزوات الخارجية المتعاقبة والحروب الداخلية المتكررة، أو بالطوفانات والأوبئة وسائر الكوارث الطبيعية، تقوض معها ذكريات وعهوداً جماعية، ولأنَّ المسافة بين الآلهة والبشر وقوى الطبيعة لا تبدو كبيرة أو بعيدة في العقل الأسطوري الرافديني فإن تلك المراثي على تعدُّدها وتنوعها كانت، في محتوى خطابها، حواراً مع الأبدية طرفاء: الإنسان والآلهة.

أمّا فنياً فقد ابتكرت تلك المراثي شكلاً محدّداً لها يميزها عن الأغراض الشعرية الأخرى، فلم تتموضع المراثاة في الأدب الرافديني القديم داخل حدود المضامين، في كونها غرضاً شعرياً مستقلاً يتخذ مستوى تعبيرياً معيناً، وإنما تحركت كلفة لتشكيل خصائص نوعية وشكلاً فنياً محدّداً يقوم على مقطعية متسلسلة حيث تتكون المراثاة في الأدب الرافديني القديم من سلسلة مقاطع يتضمّن كلُّ مقطع منها نصّاً مُستقلاً.

وتفردنا هذه الخصائص الفنية، والهوية الشكلية للمراثاة الرافدينية القديمة، إلى قضية مهمة وملتبسة في تداخل «الرثاء» من حيث كونه غرضاً «المراثية» بوصفها شكلاً فنياً في الشُّعر العالمي، ويتكرّس هذا الالتباس بين مفهوم «الرثاء» غرضاً ومضموناً داخلياً، وبين الشكل الفني لقصيدة «المراثية» في الشُّعر الأوربي، عندما تجري مقارنة المراثية الإغريقية أو الرومانية بالشعر العربي، ذلك أن ثمة من يتوهم أنّ «المراثية» و«الرثاء» هما سواء في الشُّعر الأوربي قياساً على ثقافتنا العربية، وهما ليسا كذلك على الإطلاق.

فمنذ نماذج الشُّعر الإغريقي وكذلك الروماني، تعدُّ المراثية شكلاً فنياً يُقربها من الملحمة، ولكنها أدنى منها مرتبة، إذ تقوم على الوزن

الخماسي الناشئ عن الوزن السداسي «البطولي» الذي تختص به الملحمة^(١).

فأشعار أوفيد الإيروتكية، أخذت الشكل الرثائي الإغريقي، الذي انتقل إلى الشُّعر الروماني، وبهذا المعنى الإغريقي، ومن بعده الروماني، وصولاً إلى الثقافة الإنكلوسكسونية، بمراثي «جون دون» وتحديدًا، المراثية التاسعة والعشرين «السيدة التي تذهب إلى النوم» ذات الجو الإيروتكي - الأوفيدي أيضاً، فإنَّ المراثية هي شكل فنيّ أو معيار موسيقي لبناء القصيدة ولا يعني بالضرورة إن كلَّ قصيدة إيلجية «elegy» في البناء الفني والأوزان هي مراثية تحتوي بمضمونها: النذب، أو التَّواح الجنائزي، أو القداس الجنائزي «lamentation» أو «dirge» أو «threnody» أو «requiem».

والمراثية «الإيلجية» هنا من حيث مضمونها العام هي قصيدة التأمل والعزلة والحزن العميق، ومحاوره المقدس عبر الذات، قد يكون الرثاء بمعنى النذب أو التَّابين جزءاً من ذلك المضمون، ولكنها ليست بالضرورة قصيدة تتَّجهُ إلى شخص ميت، أو تنطلق من موته^(٢)!

(١) «فنُّ الشعر» أرسطوطاليس ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ لذلك يتجنَّب بدوي ترجمة كلمة «إيلجية» إلى «مراثية» فيتركها على لفظها ويقترح لترجمة كلمة «elegy» «أغنية الناي» كي لا يلتبس المصطلح مع مفهوم قصيدة الرثاء في الثقافة العربية.

(٢) من بين قلة من النقاد العرب ممن فرَّق بين «الرثاء» و«المراثية» الدكتور عناد غزوان في بحثه «المراثية الغزلية في الشُّعر العربي» وكذلك كاظم جهاد في ترجمته للأعمال الكاملة لريلكه، «منشورات الجمل/ الكلمة ٢٠٠٩» حيث اقترح كلمة «جناز» لوصف القصائد التي تؤن أو تندب أشخاصاً بعد موتهم، تمييزاً لها عن «مراثي دوينو» الشهيرة التي تقوم على البناء الإيقاعي والشكلي الخاص الذي أشرنا إليه.

وعلى الرغم من أهمية شعر الرثاء في التراث الإنساني، إلا أنه يغدو أمراً مشوّشاً حين يتعلّق بتنوّع الثقافات واختلافها من حيث توجهه إلى الشخص المرثي، وفي حال ثقافتنا العربية يتكرّس هذا التشويش عندما يتصل بالمرأة التي يتوجه نحوها الرثاء فيضيق هذا الباب الواسع، وتصبح آفاقه أقلّ حرية وتغدو محكومة بأصول ونزعات تلك الثقافة.

إذ يرى أغلب النقاد العرب القدامى، أنّ باب الرثاء هو أوسع أبواب الشعر وهو أضيقها في الوقت نفسه! «فمما نذكره في ذلك أمر التعازي والمرثي، فإنه باب جامع، وقد قيل إنه لم يُقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب، لأنّ الناس لا ينفكّون من المصيبات»^(١)

لكن هذا الباب الجامع يصبح ضيقاً حين يتعلّق الأمر برثاء الأنثى «ومن أشدّ الرثاء صعوبة على الشاعر وأضيقه مجالاً أن يرثي امرأة أو طفلاً»^(٢)

ويزعم ابن رشيق القيرواني أنّ «أصغر الشعر الرثاء لأنّه لا يعمل «رغبة» ولا «رهبة»»^(٣)

وإذا كان الاختبار الحقيقي للشاعر في النقد العربي القديم، يتجلى في ثلاث صور معيارية تختزلها ثلاثة أفعال دالة على الغرض الشعري: هي: إذا «رَغِبَ» أو «رَهَبَ» أو «طَرَبَ» فإننا سنتيقّن من أن فرضية ابن رشيق «بتصغير شعر الرثاء» لن تصمد كثيراً أمام النماذج الرثائية للمرأة في هذا الكتاب، إذ أن تلك النماذج من الأشعار تحمل الجانبين الذين

(١) «الكامل في اللغة والأدب» للمبرّد محمد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ تحقيق محمد أحمد الدالي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٩٢ الجزء الثالث ص ١٣٧٦.

(٢) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ٢١٩.

(٣) «العمدة» الجزء الأول ١٢٣.

أشار إلى انحسارهما في شعر الرثاء، بل أنها ستغدو ثلاثة بحسب تلك المعايير التقليدية أيضاً، الرغبة: وتتجسّد في تأبين الجمال بالتغرُّل بمحاسن الفقيدة، والرّهبة: وتكمن في صور الخوف من الموت الذي يدهم مضجع الزوج وسريره مباشرة. وكذلك «الطرب» متمثلاً بكثافة التغني بذلك الجمال الذي اختطفه الموت.

والواقع أن شعر رثاء المرأة في الأدب العربي، يقع في إشكالية تأويل حقيقية، ليس في النقد العربي القديم وحده، وإنما كذلك في الدراسات الأكاديمية للأدب العربي في عصر النهضة وما بعده، وتحديدًا في ما يتعلق بإحالاته إلى مثلث الأغراض المجازية التي يخرج إليها الغرض الأساسي للرثاء، فبينما يرى الدكتور شوقي ضيف أن «التأبين» و«الندب» و«العزاء» من أقسام الرثاء، إلا أنه سرعان ما يقع في فخّ هذا الاتساع الداخلي الأفقي لغرض الرثاء عندما يحيل بعض قصائد رثاء الزوجات كمرثاة الوزير ابن الزيات وكذلك مرثاة البارودي ودواوين عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي إلى باب الندب^(١)

وهي في حقيقتها مرثيات تنحو نحو التأبين، كذلك، إذ تشفّ عن صور غزلية، وتكتظّ بعبارات الحب واستذكار العيش المشترك، ولا تفتقر في الوقت نفسه لخصلة العزاء. فهي في هذه الحال إذن ليست ندباً خالصاً وإنما تُكثّف غرض الرثاء بأبعاده الثلاثة معاً.

وفي القراءة النقدية العميقة لنماذج من شعر رثاء المرأة بشكل عام، سنكتشف أن هذا الشُّعر لا يستجيب تماماً لقطب واحد من تلك الأقطاب الثلاثة، وإنما ستبدو «المرثاة» هي المثلث الجامع لتلك

(١) «الرثاء» الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة/ الطبعة الرابعة ١٩٨٧

الأقطاب معاً، فهي تتضمن «التأبين» من حيث أنها تقوم بإظهار «المناقب» الأخلاقية والجمالية للمرأة المراثية في حياتها وموتها، وكذلك محاسنها الجسدية، خاصة إذا ماتت وهي شابة، وتتضمن في الوقت نفسه «الندب» لما تنطوي عليه من تفجّع قاسٍ بسبب مرارة الفقد، وفي الوقت ذاته لا تخلو من جرعات «العزاء» للنفس، لأنها تقوم بنوع من التطهير الروحي والاستشفاء الذاتي من هول الكارثة.

من هنا يمكن القول أن رثاء المرأة في الشّعر العربي أوجد باباً آخر للقصيدة، ومساراً جديداً في الأغراض الشعرية الموروثة، وأقلق الثوابت القارّة في التصور النقدي المتمثلة في شروط تحدّد المسار القديم لشّعر الرّثاء العربي، إذ أوجد هذا النوع المختلف من الرّثاء غرضاً خلاصياً مُبتكراً في الشّعر العربي، فإزاء ما زعمه الدكتور شوقي ضيف «ندباً» مجرداً، رأى الدكتور عناد غزوان في قصيدة رثاء المرأة «تأبيناً» ولهذا سمّى بحثه لدراسة نماذج من ذلك الصنف من الشّعر «المراثاة الغزلية»

وقد تنبّه الدكتور عناد غزوان في هذا البحث المهمّ رغم وجازته، إلى نماذج من الشّعر العربي، تخلطُ التفجّع بالتغزل. وتوصّل من خلال دراسة منهجية لتلك النماذج إلى تركيب مصطلح جديد للقصيدة الرّثائية التي تتّجه نحو المرأة أياً كانت صفتها، أو تتّجه بها المرأة إلى الرجل المفقود زوجاً أو حبيباً، أو حتى قريباً فسمى بحثه «المراثاة الغزلية في الشّعر العربي»^(١) وقرأ فيه نماذج من رثاء النساء لأزواجهنّ، وأحبائهنّ

(١) «المراثاة الغزلية في الشّعر العربي» الدكتور عناد غزوان اسماعيل / بغداد مطبعة الزهراء ١٩٧٤. وصدر لاحقاً في التسعينيات كتاب للدكتور عمر الأسعد في الموضوع نفسه «مراثي الأزواج» لم أطلع عليه وإنما نبهني له أحد الأصدقاء بينما كنت على وشك الفراغ من هذا الكتاب.

كمراثي ليلي الأخيلية لتوبة بن الحمير، ومراثي الخنساء لأخيها صخر، ونماذج من «العقد الفريد» و«التعازي والمراثي» إضافة إلى نماذج شائعة لمرثيات جرير والفرزدق ورثاء المتنبي لأخت سيف الدولة وغيرها. ورغم أن البحث لا يتجاوز في صفحاته الثمانين صفحة، إلا أنه يعدُّ مؤسساً لهذا النمط من الدراسات والتجارب في محاولتها مزج نبذة الغزل بالغرض الرئيسي للقصيدة وهو الرثاء. وعلى وجه الخصوص إذا ما جاء ذلك الرثاء من التَّغَايُر الجنسي بين الرائي والمرثي.

وقد كان سائداً في النقد العربي القديم، أن اجتماع الرثاء والغزل هو من الشواذ والنادر في الشَّعر العربي «وليس من عادة الشعراء أن يقدِّموا قبل الرثاء نَسِيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال «ابن الكلبي» وكان علامة: لا أعلم مرثية أولها نسيبٌ إلا قصيدة «دريد بن الصَّمَّة»:

أَرَتْ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بَعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ^(١)

ويأتي حازم القرطاجني «أحد أهم نقاد الأدب في الأندلس في القرن الهجري السابع» ليرسِّخ هذا الرأي الذي يُعَيِّبُ جمع المُتناقضات «الغزل والرثاء في قصيدة واحدة» لكنه يضيف، في الوقت نفسه استهلاالات غزلية أخرى لقصائد الرثاء في الشَّعر العربي «وأما الرثاء فيجب أن يكون شاجي الأقاويل مُبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكونَ بالفاظ مألوفة سهلة في وزنٍ مُتناسبٍ ملذوذ، وإن يُستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدر بنسيب لأنه مناقض لغرض الرثاء، وإن كان هذا قد وقع للقدمات نحو قصيدة «دريد» يرثي أخاه التي أولها:

(١) «العمدة» الجزء الثاني ص ١٥١.

أَرَتْ جَدِيدُ الْوَضْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ

وقصيدة «النابعة» يرثي بعض آل جفنة:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ

وقصيدة «عدي بن زيد» يرثي ولده علقمة:

تَعْرِفُ أَمْسٍ مِنْ لَمِيسٍ الظَّلَلُ^(١)

وحتى عصر النهضة في الثقافة العربية وما بعده، كان ثمة من ظل يرى أن رثاء المرأة يعدُّ خروجاً على نمط الشعر القديم، أو في أحسن الأحوال لا يجد فيه أكثر من تعزية ومواساة تدرج في نسق شعر المناسبات والإخوانيات وليس كما سيتضح، من خلال نماذج هذا الكتاب، بأنها تجربة مغايرة لا تنقصها النزعة الوجدية بأسئلتها العميقة، لتنحو بالشعر العربي نحو ضفاف أخرى وتضاريس جديدة. ففي تصديره لديوان «أناث حائرة» لعزیز أباطة يستهلُّ الدكتور طه حسين مقدمته بيت من شعر جرير في رثاء زوجته خالدة:

(١) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لأبي الحسن حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة / دار الغرب الإسلامي / بيروت ١٩٨٦ ص ٣٥١، وقد اكتفى بإيراد صدر البيت لأول من مستهل كل قصيدة، والأبيات كاملة هي:

أَرَتْ جَدِيدُ الْوَضْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ
بَعَاقِبَةٍ؟ أَمْ أَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ؟

و:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ
وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ؟

و:

تَعْرِفُ أَمْسٍ مِنْ لَمِيسٍ الظَّلَلُ
مِثْلَ الْكِتَابِ الدَّارِسِ الْأَخْوَلُ.

لَا يُلْبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ^(١)

واصفاً شعر رثاء المرأة «نوعاً من الضعف الإنساني» الذي يستدعي الشفقة والرحمة! لذلك جاءت مقدّمته لأنثاء أباطة الحائرة، بمثابة مواساة ورسالة تعزية متأخرة أكثر من كونها دراسة نقدية لهذا الموضوع الحيوي والنادر في الشعر العربي.

وفي السياق نفسه ذهب العقاد في تقديمه لقصائد ديوان «من وحي المرأة» لعبد الرحمن صدقي إلى أنه لم يسبق قط في آداب الأمم القديمة أن ديواناً نظم في رثاء زوجة، بل ندر في الشعر كلّ نظم القصيدة الواحدة في هذا الموضوع «من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمه الشعراء في رثاء النساء، ولا سيما الزوجات فعلى كثرة الغزل في المرأة نرجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم، فلا نرى في لغة من اللغات إلا قصائد معدودات في رثاء النساء والزوجات منهنّ على الخصوص فليس أكثر مما نظمه الشعراء في التغزل بالمرأة، ولا أقلّ مما نظموا في الحزن عليها ولم يظهر المعنى الإنساني في رثاء المرأة - حليّة كانت أو غير حليّة - قبل عهد ابن الرومي الذي قال في بستان المغنية:

«بُسْتَانُ» وَاحْشَرْتَا عَلَيَّ زَهْرٍ فَيْكِ مِنَ اللَّهْرِ بَلْ عَلَيَّ ثَمَرٌ^(٢)

لكنّ العقاد في رأيه هذا نحى جانباً كلّ تلك المراثي العريضة، ليعقوب بن الربيع الذي سبق ابن الرومي بقرنين من الزمن، والذي لم

(١) «أنثاء حائرة» عزيز أباطة تقديم الدكتور طه حسين مطبعة مكتبة المعارف بمصر ص ٥٠.

(٢) «مجلة الرسالة» لأحمد حسن الزيات العدد ٦٣٥. مقالة نشرها العقاد عن كتاب «من وحي المرأة» لعبد الرحمن صدقي وظهرت لاحقاً كمقدمة للديوان.

يصلنا له شعر سوى قصائد الرثاء المتعددة لزوجته «ملك» وتجاهل كذلك مراثيات لشعراء آخرين سبقوا أو عاصروا ابن الرومي وهي تحمل من المعاني الإنسانية ما يضاهي ذلك الأثر الذي قرأه لدى شاعره المفضل.

ولعلّ هذه التوصيفات من بقايا التلقينات الاستشراقية في نقد التراث العربي، حيث كان «جولدزهر» يذهب إلى أن الرثاء هو من المناحة والندابة التي تليق بالنساء في الثقافة العربية، وأنكر على أساسه وجود مراثيات لنساء في الشعر العربي القديم.. الجاهلي تحديداً.^(١)

لكنّ ما نحاول إثباته هنا أنّ رثاء المرأة في ثقافتنا قديمٌ قدّم الشعر نفسه، فقصائد هذا الكتاب تبدأ بمرثاة من الشعر السومري، لشاعر، يرثي زوجته في قصيدة تنطوي على الأسى الممهور بالحب والتغزل بزوجه الميته، إضافة إلى قصيدة أخرى من الشعر السومري أيضاً لامرأة ماتت أثناء الولادة، ومن اللافت في هذه المرثاة، أنها استعارت صوت المرأة الميته، لتحكي لنا قصة موتها، وتروي جانباً من حياتها، مع زوجها، وقصة حبّها، قبل أن تعبر نحو العالم الذي لا عودة منه.

وفي التوغّل في عمق الأساطير الإغريقية القديمة، نجد أنّ ثقافة رثاء المرأة، والزوجة تحديداً، تشكّل حضوراً مهماً في تلك الأساطير، وتعبّر في جانب من ذلك الحضور بفنّ الموسيقى، تحديداً، فأورفيوس في الأساطير اليونانية، وهو شاعر وموسيقي من تراقيا «إقليم البلقان» رثى زوجته في الموسيقى وفي الشعر الذي كتبه على لسانه الشاعر الإغريقي أوفيد في «مسخ الكائنات»، وبحسب تلك الأساطير أن

(١) «أسس الشعر العربي الكلاسيكي» أيفالد فاجنر ترجمة د سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٨ ص ١٨٩ وقد عدّ «فاجنر» جريراً أوّل شاعر عربي يرثي امرأته بأبيات ص ٢١٤.

«أورفيوس» ابن الإله «أبولون» وهو الذي أهدها قيثارته التي كان يسحر بعزفه عليها كل شيء من حوله، من بشر وحجر وأشجار وحتى آلهة. وتقول الأسطورة أن أورفيوس عشق الحورية «يوريديس» فتزوجها، ولكنه سرعان ما فجع بفقدانها وهي عروس، عندما ماتت ببلدغة أفعى، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قيثارته، تعوي بالشجن، وأمام هذا الحزن العارم، الذي أبكى الجميع، أشفت الآلهة على حزنه وحققت له رغبته في الاجتماع مع زوجته وعبروا عالم هاديس، العالم السفلي للالتقاء بزوجه في ذلك العالم، وبينما كانت موسيقاه الشجية، تُبكي الشجر والحجر والآلهة، وحرّاس العالم السفلي، وتُحرّك أرواح الموتى في عالم الأبدية، فقد سمحت له الآلهة أن يستعيد عروسه «يوريديس» من عالم الأموات ويمضي بها عائداً إلى عالم الحياة والنور من جديد، لكنها اشترطت عليه أن يمشي أمامها بثبات ولا يلتفت مطلقاً، أو يدير عينيه نحوها وهي تتبعه، وما أن وصل «أورفيوس» وخلفه عروسه، آخر نقطة بين عالم الظلام وعالم النور، أخذته اللهفة إلى عروسه، فحاول أن يتأكد أنها لا تزال تتبعه، فالتفت نحوها، فانزلقت إلى عالم الظلام، واختفت مرة أخرى وإلى الأبد.^(١)

وفي التحول من عصر الأساطير إلى عصر الديانات، نقرأ في السير القديمة، وكذلك في الكتاب المقدس أن النبي «إبراهيم» رثى زوجته «سارة» دون أن نعرف بالتحديد كيف كانت تلك المرثاة هل هي بكاء مجرد، أم كانت رثاء بالنثر أم بالشعر؟

(١) «مسح الكائنات» أوفيد ترجمة ثروت عكاشة/ الهيئة المصرية للكتاب/ الطبعة الثالثة/ ١٩٩٢ ص ٢١٥، وكذلك «الأساطير اليونانية والرومانية» أمين سلامة ص ١١٢، و«أساطير إغريقية» أحمد عبد المعطي حجازي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢ الجزء الأول «أساطير البشر» ص ٢١٦.

يبد أن هناك من يخبرنا بأن إبراهيم أوصى بأن يُدفن بعد موته إلى جانب زوجته سارة، فدفن إلى جانبها، ووُجِدَ على قبره أبيات «بالعربية» من ضمنها هذا البيت:

وَكَيْفَ يَبْقَى آخِراً مَنْ كَانَ قَدْ مَاتَ أَوَّلُهُ^(١)

وجاء في تاريخ ابن كثير أن النبي محمد كان حزنه على زوجته الأولى خديجة شديداً، وسمي عام موتها «عام الحزن» وكانت لا تخرج عن لسانه مدة حياته، حتى غارت زوجته الحبة «عائشة» من ذلك، فقالت له يوماً: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، هلكت في غابر الدهر، وأبدلك الله خيراً منها؟ قال: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وآستني بمالهها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٢)

ومن هنا أن نعرف أن الأنبياء في الديانات المختلفة قد رثوا زوجاتهم، وحزنوا عليهن، وخصوصاً بذكرى خالدة.

ولم يقف الرثاء من حيث كونه تأبيناً وتعزية ذاتية، وحتى ندباً وبكاء، على الشُّعر والموسيقى، فثمة واحدة من أبهى صور الفن المعماري، وأكثرها خلوداً في تاريخ الإنسانية، ولدت من لحظة موت امرأة، زوجة تحديداً، فكان أفخم ضريح في العالم هو ضريح لسيدة،

(١) «قصص الأنبياء» لابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ٧٠١ - ٧٧٤ هـ تحقيق عبد الحي الفرماوي دار الطباعة والنشر الإسلامية/ القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٩٧ ص ٢٣٩. وتنسب للإمام عليّ. و«التوراة» سفر التكوين الإصحاح الثالث والعشرون «وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في ارض كنعان فأتى إبراهيم ليندب سارة وبيكي عليها»

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة ١٩٩٧ الجزء الرابع ص ٣٢٠.

لم يكن زوجها شاعراً، ليرثيها بالكلمات فاختر أن يرثيها تأييداً وتعزية ونوحاً على طريقته، فصرّيح «تاج محلّ» في الهند والذي أنشئ في القرن السابع عشر، استنفر له الزوج الحزين، الإمبراطور المغولي «شاه جيهان» عشرات الفنانين من مختلف الثقافات والأعراق، وآلاف العمال، ليخلّد ذكرى زوجته وحبيبته «ممتاز محلّ» التي ماتت أثناء الولادة وهي تضع الابن الرابع عشر للإمبراطور، فكان الصرّيح أجمل كتابة بالحجر، حينما استعصت الكلمات على الزوج المحارب، لكنها كانت كتابة موحية لقصائد لاحقة لم يتوقف عن روايتها الزمان، فأمام هذا الصرح الشاخص من الحزن، وقف شعراء الهند وزعماءها ليستوحوا من بهائه وفخامته المعمارية، أشعاراً وعبارات غدت نوعاً من المراثيات المتأخّرة، لكنّها متراكمة ومستمرة لتلك المرأة، فقد قال عنه الزعيم نهرو: هذا ليس قبراً... إنه أغنية من رخام، بينما وصفه شاعر الهند الخالد «طاغور» بإحدى قصائده بـ«الدمعة التي تتلأأ صافية على خدّ الزمان»

ومن هنا فإنّ رثاء المرأة نوحاً بالقيثارات أو بكاءً بالمرمر، من موسيقى «أورفيوس» إلى صرّيح «تاج محلّ» كلّها محاولات لجعل الحبيب المفقود قريباً للخلود، محاولات لتحويل الأحزان المستبدّة إلى جماليات خالدة لتأبّد لحظة لا تتاح لها الديمومة، لحظة كتب عليها الفناء لكن الإرادة الحزينة تأتي من ذلك الضعف الطبيعي لتحاول إحداث انحراف مجازي في مسار تلك الأبدية وتكثيفها في لحظة كالخلود. وهو أمر تزخر به الآداب الأجنبية المعاصرة، ولدينا في هذا السياق نماذج كثيرة معروفة في الشّعور الإنساني تجسد مفهوم رثاء الزوجة بمعناه المثلث: البكاء والتأبين والعزاء، ليس لنماذجها مجال في هذا الكتاب لكننا نشير هنا إلى أشهرها، فمن بين تلك الرثائيات،

رثاء الشاعر الفرنسي «لامارتين» الاستباقية المبكرة لحبيته «جولي» التي رثاها في قصيدته المشهورة «البحيرة» بينما كانت تنازع بين أحضان الموت في باريس، ومرثاة الشاعر الإيطالي «أوجينو مونتالي» الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٧٥ لزوجته «دروسيلا تينزي» ورثاء الشاعر البولندي «جيسواف ميوش» الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٨٠ لزوجته «كارول»

كما أن هناك نموذجاً معروفاً في الثقافة العربية وقد أثر في الشُّعر العربي في عصر النهضة وهي قصيدة «مقبر: الضريح أو المقبرة» للشاعر التركي «عبد الحق حامد ١٨٥٢ - ١٩٣٧» في رثاء زوجته «فاطمة» وهي مرثية تتخذ شكل الملحمة الشعرية، وتصل أبياتها إلى أكثر من ألف ومائتي بيت، وقد ترجم أجزاءً من هذه القصيدة ودرسها إسماعيل أدهم في كتابه «شعراء معاصرون»^(١)، كما أصدر عبد الحق حامد إضافة إلى هذا الديوان، ديوانين آخرين في رثاء زوجته هما «أولو: الميت» و«بالادن برس: صوت من الخفاء»

وفي العودة للشعر العربي فإن كتاب «التعازي والمراثي» لأبي العباس المبرّد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) يعدُّ من أقدم المصادر التي تناولت رثاء الأهل بشكل عام، وخصصت فصلاً لرثاء الزوجة.

وبينما لم يحفظ لنا الشُّعرُ العربي قبل الإسلام إلا أبياتاً ومنتفاً ومقطوعات قصيرة في رثاء المرأة، زوجة تحديداً، إلا أن هذا لا يكفي وحده للمسارعة في تبني الاستنتاج بانحسار رثاء الزوجة في هذا الشعر، كما دأب دارسو هذا الشُّعر على ترديده، ذلك أن الشُّعر

(١) «شعراء معاصرون» إسماعيل أدهم / دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥ / الجزء الثاني ص ٤٨٠ و«أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث» لمير بصري دار الرزاق لندن ١٩٩٧ ص ١٠٥.

الجاهلي، بما يمثل من تداولٍ ناقصٍ في ثقافة شفاهية، سيفتقد بالتأكيد، إلى التواتر في الرواية لهكذا نمط من الأشعار، ويؤدي إلى انقطاع في تداولها، خاصة عندما لا تكون النصوص من المأثورات الشفاهية الأساسية في تلك الثقافة، بفعل الانشغال برواية نصوص «الوقائع الكبرى» من جهة، وبسبب من ثقافة الإنكار ومشكلة العار الذكوري المرتبطة بالعلاقة مع المرأة بشكل عام، ولعلّ هذه المشكلات بالذات هي ما يفسر لنا في المقابل تواتراً واضحاً في رواية أشعار هجاء الزوجة في الشعر العربي، ومن الواضح أنه كان من الأغراض الشائعة في شعر الصعاليك قبل الإسلام مثلاً، وأن كان في ثنايا العتاب والعتبى، ليأخذ شكل الهجاء الصريح والمقذع أحياناً خلال العصرين الإسلامي والأموي فـ«أنيف بن قرة» شاعرٌ إسلاميٌّ كان يكره زوجته فلما انتشر في دمشق وباء الطاعون في إحدى السنين قال:

دِمَشْقُ خُذِيهَا وَاعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةً
تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
شَرِبْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرْغُكِ بِضُرَّةٍ
بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
يُجَرِّعُكَ السَّمُّ الزُّعَافَ لِقَاؤَهَا
فَتُغْضِئِينَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى لَهَبِ الْجَمْرِ
تَقُولُ لَكَ الْجَارَاتُ صَبْرًا وَإِنَّمَا
يُجَرِّعُكَ الْجَارَاتُ كَأَسَاءَ مِنَ الصَّبْرِ

وهناك هجائيات كثيرة أخرى للزوجة لشعراء آخرين يوردها الخالديان في «الأشباه والنظائر» بينها لعاصم بن خروعة النهشلي في هجاء زوجته:

هِيَ الْغُولُ وَالشَّيْطَانُ لَا غَوْلَ غَيْرُهَا
وَمَنْ يَضْحَبِ الشَّيْطَانُ وَالْغَوْلُ يَكْمَدِ
تَعَرَّذُ مِنْهَا الْجِنَّ حِينَ يَرَوْنَهَا
وَيُطْرَقُ مِنْهَا كُلُّ أَفْعَى وَأَسْوَدِ

ولعميس بن كثير البكائي:

مُنِيتَ بَدَاءٍ أَوْ رُمِيتَ بِضَرَّةٍ
أَبِيتُ أَنْادِيَهَا نِدَاءَ مَشُوقٍ
أَغْصَصْتَنِي بِالرِّيقِ مِنْ غَيْرِ فَاقَّةٍ؟
أَغْصَصَكِ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِرِيقِ

وأخرى لبلال بن جرير:

أَيَا رَبِّ بَغْضَهَا إِلَيَّ فَإِنِّي
إِلَيْهَا قَدْ اسْتَيْقَنْتُ ذَاكَ بَغِيضُ

ومثلها لأوس بن ثعلبة التيمي:

وَطَلَّقْتُهَا إِنِّي رَأَيْتُ طَلَّاقَهَا
أَعَفْتُ وَفِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مَذْهَبُ

ومرضت امرأة بعض الأعراب وكان لها مُبَغْضًا فسمعتها تقول:

«الموت» فقال:

إِذَا مِتُّ فَالْجَزْعَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ وَلِي فِي قَصِيِّ الْعَانِيَاتِ مَعَادُ

وكذلك لسماك بن فرق:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَرَهَاءِ عَاضِيهِ
كَأَنَّهَا حِينَ تَأْتِي بَيْتَهَا غُولٌ^(١)

(١) العاضية: النمامة. وقيل هي: الساحرة المستسحرة التي تتعاطى السحر.

لَا يُعْجِبُ الْمَرْءَ مِنْهَا حِينَ يَجْعَلُهَا
 مِنْ دُونِ أَثْوَابِهِ عَرْضٌ وَلَا طَوْلُ
 كَانَهَا مِشْجَبٌ سَكَّتْ مَاسِرُهُ
 أَوْ طَائِرٌ مِنْ طُيُورِ الْمَاءِ مَهْزُولُ
 وَهناك جِرَانُ الْعُودِ الثُّمِيرِيِّ الَّذِي هَجَا زَوْجَتِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ قَصِيدَةٍ.
 يَقُولُونَ فِي الْبَيْتِ لِي نَعْجَةٌ
 وَفِي الْبَيْتِ لَوْ يَعْلَمُونَ النَّيْمُ
 أَحَبُّ لِي الْخَيْرِ أَوْ أَبْغَضِي
 كِلَانَا بِصَاحِبِهِ يَنْتَظِرُ
 وله أيضاً:

فَبِتِلْكَ الَّتِي أَرْضَيْتُ بِالْمَالِ أَهْلَهَا
 وَمَا كُلُّ ذِي بَيْعٍ مِنَ النَّاسِ يَرْبَحُ
 جَرَتْ يَوْمَ سِرْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِهَا
 عُقَابٌ وَشَحَاجٌ مِنَ الطَّيْرِ مِثْبَحُ
 فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهِيَ مِنْهَا عُقُوبَةٌ
 وَأَمَّا الْغُرَابُ فَالْغَرِيبُ الْمُطْرَحُ
 أَلَا قِي الْأَذَى وَالْبَرَحُ مِنْ «أُمِّ حَازِمٍ»
 وَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْ «رَزِينَةَ» أَبْرَحُ

وهي قصيدة طويلة .

وأيضاً لحُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ فِي الْمَوْضُوعِ ذَاتِهِ :

لَقَدْ ظَلَمْتُ مِرْآئَهَا «أُمَّ مَالِكٍ»
 بِمَا لَامَتِ الْمِرْآةَ بَانَ مُحَرِّدًا

أَرْتَهَا بِخَدَّيْهَا غُضُونًا كَأَنَّهَا
مَجَرُّ غُضُونِ الطَّلَحِ مَا دُقْنَ فَذَفَدَا

ولمسكين الدارمي:

تُلْفَى عُرُوبُهُنَّ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
فِي الْبَيْتِ تَحْسَبُ بَغْلَهَا مَضْفُودًا
وَتَظَلُّ خَاشِعَةً تُضَائِلُ طَرْفَهَا
لِلْمَكْرِ وَهِيَ تُفَلِّقُ الْجُلْمُودَا

ويؤكد الخالديان أن «نظائر من برم بامراته فتمنى - موتها - أو
هددها بالطلاق أو روعها بالضرة كثير متسع؛ ولو أردنا استغراقه لكان
كتاباً مفرداً»^(١)

وهناك أيضاً قصيدة «الرحال بن مجدوح» في هجاء زوجته وهي
طويلة ومعروفة^(٢):

إِذَا نَهَضْتُ مِنْ بَيْتِهَا كَانَ عُقْبَةً
لَهَا غَوْلٌ مَا بَيْنَ الرَّوَاقِينِ وَالسَّثْرِ
فَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي عَوْدِ أَهْلِهَا
عَشِيَّةَ زُقُومَهَا وَلَا فِيكَ مِنْ بِكْرِ

(١) «الأنباء والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» للخالديين:

أبي بكر محمد توفي ٣٨٠ وأبي عثمان سعيد توفي ٣٩٠ ابني هاشم. حَقَّقَهُ
وعلق عليه السيد محمد يوسف / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥
الجزء الثاني ص ٢٨٩ وكذلك في شرح المرزوقي للحماسة باب مذمة النساء.

(٢) «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون محمد بن مبارك بن ميمون توفي

٥٨٩ هـ. تحقيق الدكتور محمد نبيل الطريفي / دار صادر بيروت ١٩٩٩ الجزء

الثاني ص ٤٥. و«الشعر والشعراء» الجزء الثاني ص ٧١٩.

وكذلك قول صاحب جيداء^(١)

جَزَاكِ اللّهُ يَا جَيْدَاءُ شَرًّا لِبَذْلَةِ أَهْلِ بَيْتِ أَوْ لِيَصَوْنِ
تُعِينُ عَلَيَّ دَهْرِي مَا اسْتَطَاعَتْ وَلَيْسَتْ لِي عَلَيَّ دَهْرِي بِعَوْنِ

وفي مقابل هذه الأناشيد المتعددة في هجائها بقيت النثف والمقطوعات هي ما يرد من شعر رثاء الزوجة في الشعر العربي حتى صدر الإسلام، لتجد تلك الإرهاصات المفترضة، أو القصائد الضائعة، طريقها في قصيدة هي رثاء جرير لزوجته «خالدة» في أواخر القرن الأول الهجري، والتي عدّها النقد العربي، بنوع من الغلو، علامة فارقة في التحوّل النفسي لدى الشاعر العربي، وسبب الغلو برأبي يعود إلى أمرين، تاريخي وفني، فتاريخياً: هناك شاعران سبقا جريراً في «كتابة» قصيدة رثاء خالصة في زوجتيهما، بل أكثر من قصيدة، إذا نحّينا جانباً فرضية القصائد الضائعة، وهي فرضية تظلّ قائمة برأبي، والشاعران هما: عليّ بن أبي طالب ومراثيه المتعدّدة في زوجته فاطمة، وشاعر آخر مغمور، على الرغم مما ينطوي عليه شعره رغم قلته، من بناء معماري متماسك، وصور فنية وشعرية لافتة، وهو أبو المقدم الجرمي «بيّس بن ضُهيّب»، وله مرثيتان في رثاء زوجته «صفراء» مثبتتان في متن هذا الكتاب، أما فنياً: فإن قصيدة جرير ليست، في الواقع، مرثاة خالصة، لكنّها قصيدة خلاسية الأغراض حدّ التناقض تجمع الرثاء الذي تبتدئ به بنقيضه: الهجاء الذي تصل إليه، كما أنها

(١) «رسالة الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤ ص ٣٢٤. وصاحب جيداء، ابن أخ الصحابي «عبد الله بن أم أوفى الأسلمي» وكذلك «الممتع في صنعة الشعر» لعبد الكريم النهشلي القيرواني تحقيق د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية ص ١٥٣.

في مستهلها لم تنج من سطوة التقاليد فبقيت أسيرة الحياء الموروث :
لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي إِسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
وتمضي القصيدة في معظمها نحو غرض آخر هو الهجاء . لتتفع
بالقوة في مواجهة الخصم ، إزاء الضعف في بكاء الحبيب ، وتخرج من
حيز التراجيديا : الرثاء ، نحو الكوميديا : الهجاء .
بل أن هذا المستهل الخجول أصبح خاصرة رخوة استثمارها
الفرزدق الخصم اللدود لجريز ، ليسدد منها طعنة إلى غريمه ويؤنبه على
زيارته لقبرها ، وعلى رثائها كذلك :

إِنَّ الزِّيَارَةَ فِي الْحَيَاةِ وَلَا أَرَى مَيِّتًا إِذَا دَخَلَ الْقُبُورَ يُزَارُ
لَمَّا جَنَنْتَ الْيَوْمَ مِنْهَا أَعْظَمًا يَبْرُقَنَّ بَيْنَ فُصُوصِهِنَّ فِقَارُ
وَرَثَيْتَهَا وَفَضَّخْتُهَا فِي قَبْرِهَا مَا مِثْلَ ذَلِكَ تَفْعَلُ الْأَخْيَارُ

واللافت أن الفرزدق نفسه سندهمه كارثة الفقد ذاته بعد قليل ،
ليرثي زوجته «حدراء» بقصيدة هجينة الأغراض كذلك ، لكنه ينشغل في
ثنائها في التعبير عن حياء من نوع آخر ، كي لا يبدو متناقضاً داخلياً
وليُبقى على التناقض المعلن مع خصمه جريز لتمضي القصيدة في غالبها
هي الأخرى نحو هجاء الخصم دون أن تستقر على غرضها المفترض :
الرثاء .

إذن فقد بقي رثاء المرأة ، حتى هذا الوقت ، نوعاً من الضعف
البشري غير المستساغ في بيئة ثقافية ذكورية ، وظلّ يدور قلقاً في حيز
الندرة ، وتشكل مرآتي الإمام علي بن أبي طالب في زوجته فاطمة ،
إستثناء واضحاً في هذا السياق ، ولعلّ المكانة الاجتماعية الدينية
لفاطمة ، كونها ابنة النبي ، قد جنبّت رثاءها النقد ، وبمقدرونا هنا أن
نسجل أن هذه المرثيات تؤسس لما يمكن أن نسميه «رثاء الأئمة

والخلفاء والملوك لزوجاتهم» دون أن ينالهم أو ينالهنَّ النقد الأخلاقي أو التأنيب الاجتماعي، أو يجدوا من يُعيرهم بالبكاء على امرأة، فشاعت تلك المراثي وبكائيات الملوك والخلفاء، وسنجد أن بعض الخلفاء الأمويين والكثير من الخلفاء العبَّاسيين رثوا زوجاتهم وجوارهم بلا تردُّد أو خشية من نقد اجتماعيٍّ مع ما يتمتعون به من قوَّة الشكيمة.

وكان الخليفة الأموي التاسع «يزيد بن عبد الملك» الذي يعرف بيزيد الماجن، يعبر عن سلوكه «نكروفيلي» في تعشقه لشريكته الجنسية بعد موتها ويعلن، أمام جميع من حوله، عن نزوعه وهوسه الطاغوي بجسدها الخامد المدفون، فقد كان يزيد يعشق جاريتته «حَبَّابة» ولما ماتت تركها أيَّاماً لم يدفنها، وعوتب في ذلك فدفنها، وقيل أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال: لا بدَّ من أن تنبش. فنبشت وكُشِفَ له عن وجهها وقد تغيَّرَ تغيُّراً قبيحاً. فقبل له: يا أمير المؤمنين اتقِ الله ألا ترى كيف قد صارت؟ فقال ما رأيته قطَّ أحسن منها اليوم أخرجوها، فجاء وجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها وانصرف فكمدَ كمداً شديداً حتى مات فدفنَ إلى جانبها^(١).

(١) «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / طبعة دار صادر/ تحقيق الدكتور إحسان عباس وإبراهيم سعافين وبكر عباس / الطبعة الثالثة / بيروت ٢٠٠٨ الجزء ١٥ ص ١٠٠. وقال يرثيها:

فَإِنْ تَسَلُّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَّعِ الصُّبَا
فَبِالْيَاسِ تَسَلُّ عَنْكَ لَا بِالتَّجَلْدِ
وَكُلُّ حَلِيلٍ رَأَيْتَنِي فَهُوَ قَائِلٌ:

مِنْ أَجْلِكَ هَذَا مَآئَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

والبيتان من شعر «كثير عزة» وقد تمثَّل بهما «يزيد بن عبد الملك» عند قبر «حَبَّابة» ولم يتسع له الزمن ليرثيها بشعره رغم أنه كان قد كتب فيها غزلاً في حياتها.

وفي العصر العباسي نقرأ مراثي للوليد بن يزيد والمهدي العباسي
وهارون الرشيد وابنه المأمون وسواهم، تتحرَّقُ أسي وتسكب العبرات
على الزوجات.

ويمثِّلُ يعقوب بن الربيع، وهو شاعر من النبلاء وكان قريباً من
البلاط العباسي، ظاهرة في شعر رثاء الزوجة، بمراثيه في حبيبته
وزوجته «مُلك» وهي أشعار تفيض رقة وتتفصَّدُ عذوبة، وشحنات من
ألم، ولم يعرف له شعر غير تلك العذابات الداخلية التي تصدر من
فداحة الفقد.

ومع ذلك وحتى تلك الفترة، بقي موضوع رثاء المرأة، نوعاً من
الخرق الثقافي في الشعر العربي، لأنَّه خطاب يتقاطع مع النزعة
المعهودة بإظهار البأس وقوَّة الشكيمة عند فقد الأعبة، وخاصة الزوجة
فهي «أهون مفقود» بين هؤلاء الأعبة كما في مراثاة الفرزدق، ولعل
الثقافة الشرقية عموماً وليس العربية وحدها كانت تنظر إلى موت المرأة
نظرة أقلَّ فداحة من موت الرجل، وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: لو
عزَّاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها، وضربت عنقه على
قبرها^(١).

ويروى أن رجلاً قال لعبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت
الوالد؟ قال: مُلكٌ حادث. قال: فموتُ الزوج؟ قال: عرسٌ جديد.
قال: فموت الأخ؟ قال: قصَّ الجناح. قال: فموت الولد؟ قال: صدعٌ
في الفؤاد لا يجبر^(٢).

(١) «هينة الدهر في محاسن أهل مصر» للثعالبي أبي منصور عبد الملك الثعالبي
النيسابوري المتوفى ٤٢٩ شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية
١٩٨٣م الجزء الأول ص ٢٠٩.

(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية/ دار الكتب =

وماتت لبعض ملوك كندة بنت فوضع «بدرة» بين يديه وقال: من أبلغ في التعزية فهي له، فدخل أعرابي فقال: عَظَّمَ اللهُ أَجَرَ الْمَلِكِ، كَفَيْتِ الْمُؤُونَةَ وَسَتَرْتَ الْعُورَةَ، وَنَعِمَ الْخَتَنُ «الصَّهْر» الْقَبْرُ، فَقَالَ: أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ؛ وَأَعْطَا الْبَدْرَةَ ^(١).

ومن الواضح أن هذا الهوان لفقدان المرأة، يتأسس من جذور بدويّة دينية مزدوجة، فحصلتها من الإرث الشرعي منقوصة عن الذّكر «وللذكر مثل حظّ الأنثيين» قد انسحبت هنا على حصتها من الرّثاء الشعري فكانت حصّتها مغبونة كذلك.

وفي هذا النسق الأخلاقي لفكرة هوان فقد الأنثى، وتجميل ذلك الفقدان بعزاء غريب، يقول أبو الفتح كشاجم مُعْزِياً أحد النبلاء بابتة له ماتت:

تَأْسَّ يَا أَبَا بَكْرٍ	لِمَوْتِ الْحُرَّةِ الْبَكْرِ
فَقَدْ زَوَّجَتْهَا الْقَبْرَ	وَمَا كَالْقَبْرِ مِنْ صَهْرٍ
وَعُوْضَتْ بِهَا الْأَجَرَ	وَمَا كَالْأَجْرِ مِنْ مَهْرٍ
زَفَافٌ أَهْدَيْتَ فِيهِ	مِنْ الْخِذْرِ إِلَى الْقَبْرِ ^(٢)

= المصرية الطبعة الثانية ١٩٩٦، الجزء الثالث ص ٩٢، وعبيد الله بن أبي بكرة تابعي من أبناء الصحابة تولى «سجستان» أيام الأمويين، وعمل قاضياً للبصرة في ولاية الحجاج بن يوسف.

(١) «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون / محمد بن الحسن بن محمد بن علي ٤٩٥ - ٥٦٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس دار صادر الطبعة الأولى ١٩٩٠ الجزء الرابع ص ٢٨٤ و«العقد الفريد» الجزء الثالث ص ١٤٦ و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري / تحقيق عبد الأمير منها مؤسسة العلمي / بيروت ١٩٩٢ / الجزء الخامس ١٤٠. والبدرة صرة تحوي عشرة آلاف درهم.

(٢) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ص ٢٢١.

وقال آخر:

وَلَمْ أَرِ نِعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيماً كِنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سَتِرَتْ بِقَبْرِ^(١)
ومع التحول من البداوة إلى المدنية سلاحظ أن الخرق الثقافي
لتلك الأنساق الأخلاقية يتجلى بنوع من السخرية المريرة من تلك
المقولة التي تتذرّع بنعمة «العورة» التي سَتِرَتْ بالقبر، أو التعزّي بـ
«مُصَاهِرَةِ القبر» في هذا البيت لابن الوردي وهو يرثي ابنته:

قَالَ: هَذِي عَوْرَةٌ قَدْ سَتِرَتْ قُلْتُ: لَا، بَلْ ذَاكَ بَعْضِي قُبْرًا
وكان المتنبي قبل ذلك قد حاول خرقَ هذا الموروث الأخلاقي عن
المرأة في شعر الرثاء، بتصعيده لنبرة «التأين» إزاء «النواح» و«التعزية»
وملء النقص الجنساني في شخصية المرأة بفائض من البلاغة،
والتسامي الفني وتكثيف الخطاب التأيني في رثائته لأمّ سيف الدولة
وهو خرقٌ لم يسلم من تشنّعات النقد العربي القديم على المتنبي:

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرُّجَالِ
فَمَا التَّأْنِيثُ لَاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

وفي السياق نفسه تأتي مرثيته في أخت سيف الدولة:

أَجَلٌ قَدَرَكْ أَنْ تُدْعَى مُؤَنَّثَةً
وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

ومضى المتنبي بعيداً في خرق الموروث الأخلاقي لفكرة الرثاء
وحدودها، بمزيد من الانفراد الفني، فكتب قصائد كبيرة في موضوعات
كان النقاد العرب يرونها صغيرة كمقولة ابن رشيق «أشدُّ الرثاء صعوبةً

(١) «عيون الأخبار» الجزء الثالث ص ٥٣.

على الشاعر وأضيقه مجالاً أن يرثي امرأة أو طفلاً، فرثي إضافة إلى المرأة، طفلاً لسيف الدولة ووسّع المجال كثيراً بشاعرية مغايرة وعبارات رفيعة في تأيين مختلف:

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي
فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ

وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَضْلِ

ومن هنا بدأ يترسّخ هذا النمط الشعري بوضوح لافت في الشّعر العربيّ، وستقرأ في هذه المرحلة، قصائد «تأيينية باكية» لشعراء كبار في تاريخ الشّعر العربيّ في توديع زوجاتهم كأبي تمام وابن الرومي والشريف الرضي وديك الجنّ ومسلم بن الوليد وسواهم.

ويعدّ الطغرائي أكثر شاعر عربي، حتى نهاية العصر العبّاسي، رثي زوجته، إذ يحتوي ديوانه على عشر مرثيات بين قصيدة ومقطوعة.

ولم يعد رثاء المرأة، أو الرثاء بشكل عام، بما يحمله من نواح، ومن ضعف إنساني طبيعي، عاراً على الشاعر، أكثر من ذلك صار هذا النّواح معياراً فنياً جديداً لمدى الرقة وكثافتها في تجربة الشاعر العربي، ولهذا سنلاحظ أنّ شاعراً نوعياً في تاريخ الشّعر العربيّ هو الشريف الرضي يطلق عليه أدباء عصره لقب «النائحة الشكلي»^(١) لما يتصف به

(١) «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين بن خليل بن أبيك الصفدي ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ الطبعة الثانية باعتناء س. ديدرينغ: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية

شعره من رقة في اللغة وحرارة في التجربة.

وفي هذا العصر بالذات أصبحت قصيدة رثاء الزوجة، أو حتى الزوج، بما تمثله من انهدام البيت، وتيتيم للأطفال، وعناء إجتماعي، حادثة تستجر التعاطف والتماهي معها شعورياً، وهذا ما تفسره تلك الرواية التي أوردها أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» عن مرثاة مزدوجة كاذبة لأبي دلامة في زوجته: «دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أم دلامة، وأنشده لنفسه فيها:

وَكُنَّا كَزَوْجٍ مِنْ قَطَا فِي مَفَازَةٍ
لَدَى خَفْضِ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَبُّ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ
وَلَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فأمر له بثياب وطيب ودنانير، وخرج. فدخلت «أم دلامة» على الخيزران، زوجة المهدي، فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت. فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلوا يضحكان لذلك ويعجبان منه^(١)»

وبالتوازي الزمني مع هذا العصر، كانت الأندلس تمثل «العالم الجديد» للجماعات العربية والإسلامية، في بداية القرن الثامن الميلادي، خاصة بعد فتحها على يد مولى أمازيغي «طارق بين زياد» وأصبحت مَهْجَراً جديداً تنصهر فيه الثقافات المهاجرة من عراقية وشامية وحجازية، مع ثقافة مغاربية محلية، ومن تقاليد اجتماعية إثنية وقومية كالبربرية والعربية والإيبيرية. وكان لهذا المصهر الكوزموبولتي الساخن، تأثير واضح على مجمل الحياة الاجتماعية وبشكل خاص

(١) «الأغاني» الجزء العاشر ص ٢٠٣.

على حياة المرأة في تلك البيئة وتلك الحقبة الزمنية، ومن هنا فقد مثلت الحياة الاجتماعية في الأندلس، صورة مختلفة للتعبير عن الحياة الجديد للمرأة، فقد برزت في هذه الفترة المرأة المثقفة، المتعلمة، ولم تعد مجرد «جارية» أو «أمة» ولم تنشأ في بيئة الحريم السلطاني، وإنما انفتحت على الحياة الاجتماعية مثل انفتاحها على حقول ثقافية كانت تعدّ «ذكورية» وتفاعلها مع تلك الحدود الجنسانية للثقافة، فبرعت في مجال تعليم التلاميذ وتأديبهم في حلقات التدريس، وظهرت نماذج لمثقفات في مجال النقد الأدبي، وكان بينهنّ من تجاوزت ذلك لتجتهد في علمي العروض والنحو، وحتى في حقول الفقه وعلوم الحديث، ولعل مرثاة أبو حيّان الأندلسي لزوجته «زُمرّد» وكذلك لابنته «نُصار» تُقارب تلك القضية عندما تؤبّن المرأة وتعبّر عن فداحة «الفقد الثقافي» الذي كان وقفاً على الرجال من العلماء والنبلاء في العصور السابقة.

ومن هنا كذلك فلا غرابة أن نعرف أن أوّل كتاب مستقلّ ومعروف في رثاء المرأة، يعود إلى أحد أبناء تلك الثقافة. فلابن جبير أول كتاب مخصص لرثاء الزوجة في الشّعر العربيّ عنوانه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» وينقل لسان الدين بن الخطيب عن ابن عبد الملك قوله «وقفتُ منه على مجلّد متوسط يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، ومنه جزء سمّاه: نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح في مرثي زوجه أم المجد، ومنه جزء سمّاه: نظمُ الجمّان في التشكّي من إخوان الزّمان»^(١) بيد أن هذا الديوان التي وصلتنا أخباره لم تصلنا نصوصه للأسف، فضاعت تلك المرثي، إلا أن المقرئ

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» لسان الدين بن الخطيب محمّد بن عبد الله بن سعد السلماني ٧١٣ - ٧٧٦هـ حقّقه محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي مصر/ الطبعة الأولى ١٩٧٤ الجزء الثاني ص ٢٣٤.

التلمساني أوردَ في «نفع الطيب» بيتين لابن جبير في رثاء زوجته لعلهما من تلك المراثي في كتابه الضائع.

وتمتاز مراثي المرأة في البيئة الأندلسية بالثراء الفني، والوفرة الكمية، حيث نقرأ في هذا العصر المزدهر بمرثيات النساء مطولات متعدّدة لأبرز شعراء هذا العصر ومنهم الأعمى التطيلي الذي امتازت تجربته بحضور مكثف لغرض رثاء المرأة بشكل عام، فضمّ ديوانه عدداً من تلك المراثي الطوال الجيدة. وكذلك لابن حمديس ولسان الدين بن الخطيب وابن الزقاق البلنسي وأبو حيان الأندلسي وسواهم.

وتشير مراثي المرأة في هذا الكتاب، إشكالية ما يسمى في الدراسات الحديثة، «مشكلة الجندر» أو «النوع الثقافي» التي دأبت طروحات ما بعد الحداثة، التي تهتم بقضايا النسوية الحديثة، على مقاربتها من خلال فكرة التعايش المتكافئ في بيئات اجتماعية معقدة تنطوي على معايير طبقية واضحة.

ولا تقتصر حدود تلك المشكلة في تصادم «الهوية الجنسية» بين الرجل والمرأة، وإنما تتفاعل كذلك داخل الجنس نفسه، أي في الحدود الداخلية للهوية الجنسية للمرأة، وعلاقتها مع الهوية النسوية بشكل عام. فجرى تصنيع هويات إحلالية بديلة للمرأة، في العصور المختلفة، كانت تنغربُ فيها المرأة داخلياً في توصيفات اجتماعية تمييزية.

فمنذ العصر العباسي ظهر نوع من الطبقية الاجتماعية في عالم المرأة، يمكن أن نطلق عليه بالبنية المضمرة لمفهوم «الجندر» في الثقافة العربية، والتي تحوّلت تحولاً لافتاً مع تحول معطيات الحضارة إلى قيم مدنية في الحياة اليومية، لكن هذا التحول لم يشهد تحولاً جذرياً في النظرة إلى المرأة نظرة مساواة ثقافية واجتماعية، وإنما جرى التمييز الاجتماعي والثقافي، بين نساء الجنس نفسه، فتكرست المصطلحات

والتوصيفات النوعية في التمييز داخل نطاق الجنس الأنثوي ذاته، كـ«الحرّة» و«الأمّة» و«القينة» و«الجارية» و«أم الولد» في ذورة صعود النزعات الدينية والعرقية، وتداخلها مع تحول الدولة الإسلامية المحلية، إلى إمبراطورية عالمية، وصولاً إلى «الخاتون» وهي «تأنيث الخان» في الثقافة المغولية التي انعكست بظلالها هي الأخرى على الممارسات الاجتماعية العربية في حقبة محددة بعد سقوط الإمبراطورية العربية الإسلامية، وهنا حدث خلطٌ ولبسٌ كثيران بين هذه الحدود الاجتماعية للجنس الأنثوي للمرأة، وسواها من الأسماء التي يراد بها توصيف امرأة ليست حرّة أو غير عربية أو ليست من ذوات الحسب والنسب، وانسحب بالتالي على التدوين والأخبار التي تتصل بتراجم النساء، وتلك المصادر التي وردت فيها مراثٍ للنساء بصفتهنّ حليلات أو غير حليلات. ومن أجل فكّ الالتباس عن هذا المفهوم، ينبغي مراجعة تلك المفاهيم المتعددة لهذا «الجندر النسوي» المصنوع في الثقافة العربية. فهناك أنوثة وظيفية للمرأة، وهناك أنوثة جنسية، وإلى جانبهما ثمة أنوثة اجتماعية يجري تنميطها أحياناً في الثقافة المحلية من خلال جذور ذلك الإرث الاجتماعي والديني معاً.

فالحرائر لفظة تطلق في الغالب على النساء اللاتي عادة ما يكنّ من بنات العمومة أو القبيلة أو الجوار الحليف على أبعد تقدير، وهي على الأغلب تطلق على الزوجة.

أما الأمّة فهي المرأة المملوكة «العبدّة» مع أنّ العرب كانوا ينادون المرأة المجهولة الاسم «أمّة الله» دون النظر إلى كونها «مملوكة» مثلما يُنادون بـ«عبد الله» على الرجل الذي يجهلون اسمه أو كنيته، وأما «القينة» فهي العبدّة المملوكة التي تمتلك موهبة الغناء أي المرأة «المغنية»

أما الجارية فهي أكثر الصفات أو الأنواع الاجتماعية للمرأة، التي تنماهى وتفرق مع مفهوم الزوجة في الثقافة العربية، وتشير هذه المفردة في التراث العربي، إلى أنها لا ترتبط بالضرورة بمفهوم الحریم السلطاني، أو تختزل في «الخادمة» أو الوصيفة، ففي المعاجم العربية نقرأ في معنى الجارية: بأنها اسم فاعل من الفعل جرى، ولذلك فهي ترتبط بالحركة والنشاط، فالسفينة جارية والشمس جارية كما جاء في المعاجم والجارية: الفتية من النساء بينة الجراية والجراى والجرى وقولهم: كان ذلك في أيام جرائها، أي صباها، ومن معاني الجواري: الكواكب السيّارة، أو هي النجوم كلّها جاء في القرآن «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ»^(١)

وفي حديث الأفك تصف بريرة السيدة عائشة زوجة النبي محمد بأنها «جارية» وتشرح ذلك بأنها: حديثة السن، وجاء في حديث الأفك: «قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ»^(٢)

وإذا راجعنا التاريخ الأسري للخلفاء المسلمين منذ العهد الأموي إلى العبّاسي، سنجد أن كثيراً من أمهات الخلفاء هنّ إمّا من الجواري المملوكات، أو أمهات الأولاد «الأجنبيات» أو المُتسرّي بهنّ و«التسرّي هو: اتخاذ الجارية المملوكة حليّة»

(١) سورة التكويد الآيتين ١٥ و ١٦.

(٢) «صحيح مسلم» أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي

٢٦١ هـ مجموعة من المحققين دار الجيل - بيروت / مصورة من الطبعة التركية

المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ الجزء الثامن باب في حديث الأفك وقبول

توبة القاذف. الجزء الثامن ص ١١٥.

فعدد لا يستهان به من خلفاء بني أمية وأمراءهم، في الطور الشامي، وُلِدوا من «أمّهات الأولاد» البربريات والفارسيات تحديداً، أمّا أمّهات خلفاء بني أمية في الطور الأندلس فجميعهنّ من إثنيات وأعراق أخرى، وبينهنّ جوارٍ مملوكات، وهو أمرٌ طبيعي تماماً في ظلّ التعايش الكوزموبوليتي الذي تحدّثنا عنه، كما أن أكثر من ثلاثين خليفة من خلفاء بني العبّاس، تنوّسُ أصولُ أمهاتهم بين كونهنّ جوارٍ مملوكات من أعراق أخرى كالتركية والرّوميّة، والبربرية والحبشية والفارسية والأرمنية وغيرها، ممّن يُطلق عليهنّ «أمّهات الأولاد» أمّا الأئمة الإثنا عشر لدى الشّيعة الإماميّة فسبعةٌ منهم وُلِدوا من أمّهاتٍ إمّا جوارٍ مملوكات، أو «أمّهات أولاد» من أعراق أخرى كذلك.

ومن المتفق عليه في كتب السيرة، أنّ «مارية القبطية» زوجة النّبيّ محمّد، كانت «جارية» أهديت له من المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، وهي التي أنجبت له ولداً ذكراً «إبراهيم» لكنه توفّي وهو صغير. والثابت أنها نالت حرّيّتها بعد ولادتها لإبراهيم مباشرة، لكنّ ثمة اختلافٌ يتمحور حول ما إذا نالت «مارية» لقب «أم المؤمنين» بعد زواجها بالرسول، أم لا؟ وهو لقب دارت حول صحّته سجلات كبيرة، وذلك بسبب الاختلاف حول ما إذا أتخذها النبيّ زوجةً له، أم تسرّى بها؟

وتفرّق الثقافة العربية بين الجارية المتحدّرة من أصول أخرى وتنشئة اجتماعية مختلفة، وبين تلك التي نشأت بينهم، فتبتكر لها توصيفين تمييزين، هما «الجارية المولّدة» و«الجارية التليدة» فالمولّدة: هي الجارية المولّودة بين العرب، والتي تنشأ مع أولادهم، ويُعلّمونها من الآداب مثل ما يُعلّمون أولادهم، أما التليدة: فهي تلك التي وُلدت ببلاد العجم وحُولت فنشأت ببلاد العرب.

ولهذا فإنَّ مفهوم الجارية كما وضعنا تدخل فيه الزوجة إذا كانت شابة حديثة السنَّ، وكذلك المرأة المسيئة في الحروب، أو التي جرى امتلاكها بالمال «ملك اليمين» ومن هنا فهي تلد الخلفاء الذين يرثون المُلْك عن آبائهم دون أن يمنعهم عن ذلك لا أعجمية النسب ولا كلالته، ولا عبوديَّته أو مملوكيَّته من جانب الأم. إذن فالزوجة قد تكون سيِّدة حرَّة، أو شابة جارية أو امرأة أجنبية «أم ولد» أما المقياس الأساسي لهذا كله هنا فهو: المساكنة والمعاشرة المعلنة بين الرجل والمرأة في الحدود التي أقرَّتها تلك الثقافة. أنها بعبارة أخرى «الحليلة» على اختلاف مسمياتها وتراثيَّتها الاجتماعية.

وفي هذا الكتاب مراثيات لجوارٍ بهذه الصبغ المتعدِّدة التي قدَّمناها للجارية، وهي بلا شكَّ زوجة لا تقلُّ شأنًا لدى الشريك نفسه، عن المرأة الحرة، ذات الحسب والنسب العربي الصريح، بل أننا سنقع في نماذج من رثاء الأزواج لـ«جوارِيهم» على شحنة فنية ونفسية فائضة وأكثر جرأة وتحراً في إظهار مشاعر الحب والتغزل الممزوج بالتفجُّع، مما عليه الحال في رثاء الزوجة الحرة، ولعل مراثيات ابن حمديس التي تتنوع بين النموذجين، وكذلك الحال مع مراثيات الشريف الرضي، وابن سناء الملك، وابن نباتة المصري ومراثيات ابن الرومي، والفرزدق في مراثيته لزوجته الثانية وجاريته، أمثلة ملموسة على ذلك.

وكلما تقدَّمت العصور اكتسبت قصيدة رثاء الزوجة، نكهة جديدة من روح العصر الذي عاشت فيه ورحلت عنه، ففي عصر النهضة ومع قصيدة محمود سامي البارودي في رثاء زوجته التي ماتت وهو في المنفى بعيد عنها، يبرز بعدُ آخر لهذا النوع من الرثاء، وسيتخذ هذا البعد، مستويات وصوراً أخرى أكثر تعقيداً في التفاعلات الاجتماعية والسياسية في القرن العشرين، فتبرز مراثيات لنساء تم اغتيالهنَّ،

وآخرى قُتِلْنَ في حوادث مختلفة وترُكْنَ صُورَهُنَّ وآثارَهُنَّ المدنية
ذكرى من نوع آخر في القصيدة وفي عالم الوحشة لدى الشاعر.

وإضافة إلى ذلك ألحقْتُ في آخر هذا الكتاب فصلاً في مراثيات
الشعراء من مختلف العصور لنساء لم يثبت أنهنَّ زوجاتهم، فهنَّ إما كنَّ
حبيباتهم أو خطيباتهم على وشك الزَّواج، قبل أن يختارهنَّ القبر
زوجاتٍ له، فيبقى الشاعر غريماً لذلك القبر في قصائده الباكية وحياته
الموحشة. وفي هذا الملحق قصائد لأشهر العشاق في تاريخ الشعر
العربي كالمجنون وكثير عزة والعوام بن عقبة، ومرة النهدي وابن ميادة،
إضافة إلى قصيدة لبشار بن برد، وأخرى منسوبة لأبي نواس وُجِدَتْ
على قبر جارية دُفِنَ إلى جانبه، وكذلك نماذج أخرى متفرقة لعشاق
مجهولين، وشعراء مغمورين، واختتمتها بنموذجين حديثين لعمر أبي
ريشة. وقد سردتُ في هذا السياق القصص الغريبة المتصلة بهذه
التراجمات الصغيرة كما وردت في مصادرها.

في هذا الكتاب مراثيات لشعراء كبار وأعلام في تاريخ الشعر العربي
في القرن العشرين، كالجواهري ونزار قباني ومحمد الماغوط، وأحمد
زكي أبو شادي، وعزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي والمازني، وعلي
الشرقي، ومحمد رضا الشبيبي، ويوسف الصائغ، وأخرى لشعراء
مغمورين، وهناك أيضاً قصائد ومقطعات لأدباء نادراً ما كتبوا شعراً،
لكنَّ تلك الصدمة التي صدَّعت بيوتهم وهَدَّمت أحلامهم، أنشأت بتلك
المراثي، عالماً لا بدَّ منه ولا غنى عنه لتعزية النفس عالماً يصفه
المعري بيت بليغ:

أَقَامَتْ بُيُوتُ الشُّعْرِ تُحَكِّمُ بَعْدَهُ

بِنَاءَ المَرَاثِي وَهِيَ صُورٌ إِلَى الهَدْمِ

وفي الواقع لقد تجمَّعت عندي مراثٍ أخرى لشعراء آخرين، لكنني

أثرت هنا أن أمثلها بنماذج من كل فترة ومن كل بلد عربي، ليجمع هذا العمل بين الموسوعية والاستقصاء العام، وبين روح الانتقاء، ولي أن أدعي أنني لا أعرف عملاً تصدى لهذا الموضوع، أو سواء في الغرض نفسه، وفي الكشف عن تلك المراثي وجمعها في كتاب بهذا الحجم، مع أن ثمة تباينات واضحة في المستوى التعبيري للنماذج الواردة في هذا الكتاب، وهي تمثل إلى حد بعيد مراحل صعود الشُّعر العربي، وهبوطه، وإحيائه، وقلقه عبر العصور المتعاقبة، كما تعكس في الوقت نفسه مناخات وبيئات متعددة لمكانة المرأة على المستويين الشخصي الداخلي، أي صورتها في وجدان شريكها الذي يرثيها، وعلى الصعيد الاجتماعي الخارجي، بما تنقله القصائد من مواجهات الشاعر مع أصداء الآخرين ممن حوله تريباً وعذلاً للبكاء على فقدان امرأة وهي «أهون مفقودا».

مراثي النساء في «ديوان رثاء الزوجات من الشُّعر السُّومريّ إلى قصيدة التُّرّ» مدائح حزينة في غياب الممدوح، وغزل بلا غايات تحضر فيه جماليات الغائب بكثافة دون حضوره الجسدي، فهو بهذا المعنى شعر - في كلتا الحالتين - أو الغرضين تحرّراً من غرضيته وغائيته النفعية فهو لا يتوجّه إلى شخص موجود يطمح أن يحظى منه بجائزة ما أو يستحقّ عنه مطعماً ما أو يتقرّب منه بتوسل، انتفاء الغاية العابرة والغرضية المباشرة بجعل من هذا النوع الشعر، مستودعاً شعورياً هائلاً لكثافة صوفية تنبثق من بواطن العزلة وطبقات الوحشة المتعدّدة. لتشيّد نشيداً عالياً في تأيين الجمال.

وبالمقابل فإنّ كون الحبّ بين الرجل والمرأة سلوكاً طبيعياً لدى النفس البشرية، في مقابل تحريم العلاقات الحرة في الحياة الاجتماعية العربية أو العمل على جعله غير متاح في أحسن الأحوال، جعلت من

شعر الغزل، بشكل عام، منذ بداياته إلى العصر الحديث نوعاً من المراثيات المتكدّسة لحبّ ميّت منذ ولادته ومدفون في أعماق الروح العاشقة. ولهذا سنكتشف في قصائد هذا الكتاب، أن مياه الغزل المتأخّر، أو المكبوت والمسكوت عنه، تتدفّق في لحظة شعورية أمام حقيقة الموت لتشقّ نهراً آخر من الحبّ في تضاريس القصيدة العربية، نهراً مختلف المجرى وطويلاً كأحزان العشاق المفجوعين.

أيضاً تنطوي هذه المراثي على تصوير اللحظات الأخيرة بين شخصين عاشا معنا زمناً، ومن هنا فإنها تنطوي كذلك على رثاء للنفس، للروح التي بقيت مفردة بعد شريك يومياتها، ومن هنا كذلك، تكثر نبرة الزهد في مغريات العالم، والرغبة في أن يكون الشاعر شريكاً للراحلة في رحلتها، وهذه نبرة تكاد تشكّل واحدة من العناصر المشتركة واللافتة في معظم القصائد هنا.

يخلو السرير من الشريك الميت فيغدو العالم كلّهُ مهجوراً، ويبقى الشريك الحيّ منفرداً بانتظار اللحظة التي يتحوّل فيها النّعش إلى سرير جديد، أو مهداً تُولّد فيه حياةً أخرى متخيّلة ومنشودة بالتأكيد، لكنّها ليست واقعية بكلّ تأكيد.

من الشُّعر السومري لُودنغيرا «شاعرُ سُومريِّ»

اكتُشفت هذه المِراثية على لوحٍ مسماريٍّ في مدينة نُفَر «نيبور» -
العاصمة الدينية للسومريين» يعود زمن تدوينه إلى حدود سنة ١٧٠٠ ق.م، ويضمُّ اللوح مِراثيتين شعريتين مكتوبتين باللغة السومرية، لشاعر
سومريٍّ يدعى لودنغيرا ومعناه «رجل الإله» الأولى في رثاء أبيه، أما
المِراثية الثانية، فيرثي بها زوجته ناويرتوم «Nawirtum» وهذه المِراثية
مما نشره «صموئيل نوح كريم» في كتابه «السومريون»^(١).

هَذِهِ مِراثِيَّةٌ مَرِيرَةٌ لِأَجْلِكَ.
مِراثِيَّةٌ نَاوِيرْتَم^(٢)

لَقَدْ حَلَّ يَوْمُ الشُّؤْمِ عَلَى الزَّوْجَةِ
وَقَعَتِ الْعَيْنُ الشَّرِيرَةُ عَلَى السَّيِّدَةِ الْجَمِيلَةِ، الزَّوْجَةُ الْعَطُوفِ
«نَاوِيرْتَم» الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ الْمُخْصَبَةُ
سَقَطَتْ مُحْطَمَةً
وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَقُلْ أَبَدًا: إِنِّي مَرِيضَةٌ

(١) «السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم» صموئيل نوح كريم ترجمة:

د. فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣ / ص ٣٠٠-٣١٠.

(٢) «أدب الرثاء في بلاد الرافدين» حكمت بشير الأسود / دار الزمان للطباعة

والنشر والتوزيع / دمشق ٢٠٠٨. ص ١٨٨.

لَقَدْ غَمَرَتْ «نُفْر» الْعَتَمَةُ
وَفِي الْمَدِينَةِ
أُطْلِقَ كُلُّ النَّاسِ صَرْخَةَ الْحُزَنِ
وَعَمَرَتْهُمْ الشَّفَقَةُ عَلَى نِهَايَةِ حَيَاتِهَا الْقَاهِرَةِ
وَتَأَلَّمُوا لِتَمَدُّدِهَا كَتِمَتَالِ ذَهَبِي
إِنَّ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا كَيْفَ لَا يَحْزَنُ
النِّسَاءُ الْبَاكِياتُ رَدَّدْنَ أَرْوَاعَ تَرَائِمِ الشُّعْرَاءِ ذَاتِ الْكَلِمَاتِ الْعَذْبَةِ
تَحَوَّلَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَى عَوِيلٍ وَأَنَاتٍ
لَأَنَّ أَيَّامَهَا فِي حُضْنِ زَوْجِهَا لَمْ تَكُنْ طَوِيلَةً، لَمْ يَنْقَطِعِ الْبُكَاءُ
إِنَّهُ يَنْهَضُ بِعَظْمَةٍ، وَعَظْفٍ وَيُلْقِي مَرِيئَةً لِأَجْلِهَا
فِي مَدِينَتِهِ «نُفْر»
«لُودَنْغِيرَا» زَوْجُهَا الْحَبِيبُ وَحِيدٌ
دَنَا مِنْهَا يُقَلِّبُ فِي مَوْضِعِ السَّكَنِ الْعَظِيمِ
قَطَعَ الْغِذَاءَ وَنَفْسُهُ مَكْظُومَةٌ
وَأُطْلِقَ الْعَوِيلُ كَالْبَقَرَةِ، وَلَمْ يَرْتَدِ ثِيَابًا
إِنَّهُ يَتَأَلَّمُ وَيَتَذُبُّهَا:
أَوِ أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ؟
إِنِّي أَنْعَاكِ
أَيْنَ الْقَمُ الْجَمِيلُ الْآنَ؟
الْقَمُ السَّاجِرُ، الْقَمُ الْمُهْدَبُ
أُرِيدُ أَنْ أَصْرُخَ لَكَ
أَيْنَ سِلَاحِي الْجَدَابُ؟

الْكِنَانَةُ الرَّاهِيَةُ؟
إِنِّي أَنْعَاكَ
أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ؟
إِسْرَاقَتِي الْبَهِيَّةُ، إِنِّي أَنْعَاكَ
أَيْنَ الْأَغَانِي الْعَذْبَةُ الَّتِي تُبْهِجُ الْقَلْبَ الْآنَ؟
أُرِيدُ أَنْ أَضْرُخَ لَكَ
أَيْنَ رَقْصِي؟
رَقْصُ رَفْعِ الْيَدِ وَالْمَرْحِ؟
إِنِّي أَنْعَاكَ
وَلَأَنَّكَ الزَّوْجَةُ الْعُطُوفُ، قَدْ تَمَدَّدْتَ مُشْرِقَةً كَالنُّورِ
فَهَذِهِ مَرْثِيَّةٌ مَرِيرَةٌ لِأَجْلِكَ.

إِمْرَأَةٌ سُومَرِيَّةٌ تَرِثُنِي نَفْسَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا!

هذه المريثة كُتِبَتْ على لسان امرأةٍ سومريَّةٍ ماتت أثناء الولادة، ومن المؤكد أن المرأة الميِّتة لا تكتب الأشعارا وإنما كان هناك من كَتَبَ هذه المريثة على لسانها، ومن المرجَّح من خلال سياق المريثة أن من كتب هذه المريثة هو زوجُ المرأة السُّومريَّة الميِّتة.

بِاتِّجَاهِ الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ أَرْجِعَ مِنْهَا
مَرِثَةُ امْرَأَةٍ مَاتَتْ أَثْنَاءَ الْوِلَادَةِ.^(١)

لِمَاذَا أَنْتِ مُلْقَاةٌ عَائِمَةٌ
مِثْلُ قَارِبٍ وَسَطِ الْجَدْوَلِ؟
الْوَا حُكِ الْخَشْيَةُ نُقِيتْ،
حَبْلُ مَرَسَاتِكَ قُطِعَ
بَوَجْهِ مُعْطَى عَبْرَتِ الْمَدِينَةِ...

كَيْفَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ مُلْقَاةٌ عَائِمَةٌ؟
كَيْفَ لَا يَكُونُ مَقْطُوعًا حَبْلُ مَرَسَاتِي؟
فِي الْيَوْمِ الَّذِي حَمَلْتُ الْفَاكِهَةَ،
كَمْ كُنْتُ سَعِيدَةً

(١) «أدب الرثاء» ص ١٨٩.

سَيِّدَةً كُنْتُ أَنَا،
سَعِيداً كَانَ زَوْجِي
فِي الْيَوْمِ الَّذِي ذَهَبْتُ لِأَلِدَ فِيهِ، وَجْهِي كَانَ كَثِيباً
فِي يَوْمٍ وَلَادَتْنِي أَضْبَحْتُ عَيْنَايَ دَائِمَتَيْنِ
صَلَّيْتُ إِلَى سَيِّدَةِ الْإِلَهِ بِأَيْدٍ مَرْقُوعَةٍ
أَنْتِ أُمُّ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَلِدْنَ، أَنْقِذِي حَيَاتِي.
عِنْدَمَا سَمِعْتُ سَيِّدَةَ الْإِلَهِ ذَلِكَ، غَطَّتْ وَجْهَهَا:
أَنْتِ لِمَاذَا تُقَدِّمِينَ الصَّلَاةَ لِي؟
زَوْجِي الَّذِي كَانَ يُحِبُّنِي أَطْلَقَ صَرْخَةً.
أَنَا الزَّوْجَةُ الَّتِي أَخَيَّتْ
كُلُّ تِلْكَ الْأَيَّامِ أَنَا كُنْتُ مَعَ زَوْجِي.
عِنْدَمَا عِشْتُ مَعَهُ الَّذِي كَانَ مَحْبُوبِي.
تَسَلَّلَ الْمَوْتُ خَلْسَةً إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِي.
انْتَرَعَنِي عَنُودٌ مِنْ بَيْتِي.
فَصَلَّنِي عَنْ حَيَاتِي.
وَوَضَعَ قَدَمَيَّ بِاتِّجَاهِ الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ أَرْجِعَ مِنْهَا.

عَمْرُو بْنُ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ الْمُرَادِيِّ

«جاهلي» قَالَ يَزِيهِ امْرَأَتُهُ^(١):

قَوْمِي فَبَكَّيْنَهَا
سُعَيْدَ قَوْمِي عَلَى سُغْدَى فَبَكَّيْنَهَا
فَلَسْتُ مُخَصِّصَةً كُلَّ الَّذِي فِيهَا
فِي مَائِمِ كَظَبَاءِ الرُّوضِ قَدْ قَرِحَتْ
مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى سُغْدَى مَا قَيْنَهَا

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ٢٩٧ - ٣٨٤ هـ دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٢ تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي ص ٢٣٦.

وقال أعرابي يَرثِي امرأته^(١)

أينا؟

قوالله ما أدري إذا الليلُ جَنَّنِي
وَدَغَّرَنِيهَا أَيْنَا هُوَ أَوْجَعُ؟
أُتَفَصِّلُ عَنْ نَذِيٍّ أَمْ كَرِيْمَةٍ
أَمْ الْعَاشِقُ النَّابِيُّ بِهِ كُلُّ مَضْجَعٍ؟^(٢)

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٢٤٦ - ٣٢٨ / تحقيق عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٣ الجزء الثالث ص ٢٣٦.

(٢) رأى الدكتور شوقي ضيف أن حركة الروي في البيت الثاني تخالف حركته في البيت الأول بقراءته لقافية البيت الأول مضمومة والثانية مكسورة، راجع «الرثاء في الشعر العربي» الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨٧ ص ٢٦.. أقول: ربما حَدَثَ التباسٌ في استنتاج الدكتور شوقي ضيف هنا، فلم أجد لدى «ابن عبد ربه» ما يأخذه على الشاعر «الأعرابي» في بيتيه، وربما كان الصحيح أن تقرأ حركة الروي في البيتين ساكنةً، وبهذا لا ينكسر الوزن لأنَّ «مفاعيلن» هنا، أصبحت «فعولن» وليس «مفاعيلن» كما انصرف إليه ذهنُ الدكتور شوقي ضيف كما أرجح.

ومن المَسْوَغ في تفعيلة الطويل «مفاعيلن» أن يحذف السبب الأخير منها فتصبح «فعولن» جاء في «القسطاس في علم العروض» للزمخشري في شرح عروض وضروب الطويل: ومنه مقبوض العروض محذوف الضرب:

أَقِيمُوا، بَنِي الثُّعْمَانِ، عَنَّا صُدُورُكُمْ وَلَا تُقِيمُوا، صَاغِرِينَ، الرُّؤُوسَا
«القسطاس في علم العروض» للزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله الزمخشري ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / تحقيق فخر الدين قباوة / مكتبة المعارف / بيروت ١٩٨٩ ص ٧١.

بَسِيلُ بْنُ مَحْكَانَ

شاعرٌ لَمْ يَرَدْ ذكرُهُ بكتب الأدب العربي، وقد انفرد الوزير المغربي بذكره في «الإيناس»^(١)، وأرود له بضعة أبيات، لكنه لم يذكر العصر الذي عاش فيه، وهو: بَسِيلُ بْنُ مَحْكَانَ بْنِ جَرُوةَ بْنِ قَبِيصةَ بْنِ مَجْدِ بْنِ أَبِي بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَنْجُودٍ مِنْ تَمِيمٍ وَلَهُ، بحسب الوزير المغربي، ابْنٌ شاعرٌ أيضاً اسمه «طَيْسَلَةُ» ومن أبياته التي يروها المغربي هذان البيتان في رثاء زوجته «رَبْخَلَةُ بنت جميل بن جروة»^(٢)، وهي ابنة عمِّه كما يظهر من النسب.

وَكُنْتُ بِهَا ضَيْنًا
لَقَدْ نَزَعْتُ «رَبْخَلَةَ» مِنْ حِبَالِي
بِأَسْبَابٍ وَكُنْتُ بِهَا ضَيْنًا
وَكَاثَتْ لَا يَهَالُ الْجَارُ مِنْهَا
وَلَا تَلْحَى عَلَى الْعَدَمِ الْقَرِينَا

(١) «الإيناس في علم الأنساب، ومختلف القبائل ومؤلفها» للوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين ٣٧٠ - ٤١٨، ومحمد بن حبيب البغدادي (٣٤٥) تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة / الرياض / الطبعة الأولى / ١٩٨٠ ص ٨٤.

(٢) معنى اسم رَبْخَلَةُ: ضَخْمَةٌ، وقيل: جَيِّدَةُ الْخَلْقِ طَوِيلَةٌ.

أَعْرَابِيٌّ يَزِيحُ زَوْجَتَهُ^(١)

مَا لِلأَرْضِ أَسْتَسْقِي

سَقَى جَدًّا تَضْمَنَ «أُمَّ عَمْرُو»

بِنَخْلَةٍ مَا اسْتَهَلَ مِنَ الْغَمَامِ

وَمَا لِلأَرْضِ أَسْتَسْقِي وَلَكِنْ

لِأَضْدَاءِ أَقْمَنَ بِهِ وَهَام^(٢)

(١) «كتاب التشبيهات» لابن أبي عون إبراهيم بن محمد «ابن المنجم» توفي ٣٢٢

هـ عني بتصحيحه: محمد عبد المعين خان/ طبعة كمبودج ١٩٥٠ ص ١٦٩.

باب في الطلل. وكذلك «الممتع في صنعة الشعر» ص ١٥٣.

(٢) الهام: من الهامة، والعرب تسمي كل جثمان ميت هامة.

أَعْرَابِيٌّ يَرِثُنِي امْرَأَتُهُ

وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَعْرَابِيٍّ يَرِثُنِي امْرَأَتُهُ^(١):

مَا يُغْنِي الرَّبِيعُ؟

يَقُولُونَ: الرَّبِيعُ عَلَيْكَ غَادٍ فَأُبَشِّرُ بِالتَّنَقُّلِ وَالْحُلُولِ
وَمَا يُغْنِي الرَّبِيعُ وَأُمُّ سَلَمَى تَنَازَعُ جَاثِ مُظْلِمَةٍ دَحُولِ

(١) «تعليق من أمالي ابن دريد» أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي
«المتوفى: ٣٢١هـ» تحقيق السيد مصطفى السنوسي / المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب بالكويت / ١٩٨٤ م الجزء الأول ص ١٩١.

الْغَطْمَشُ الضُّبِّيُّ

شاعرٌ مغمورٌ كلُّ ما تُورده المصادرُ عنه أنَّه أعرابيٌّ من سَكَّانِ الرِّيِّ ومن الشعراء اللصوص، وهو من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبٍّ، والغَطْمَشُ: الظالمُ الجائر. وقيل الغَطْمَشَةُ: أخذُ الشيء قهراً ومنه اشتقَّ الغَطْمَشُ في اسم رجلٍ فهو على هذا اسم مُرتجل وقالوا: الغَطْمَشُ الرجل الكليل البصر، فهو على هذا منقول من الصفة^(١).

جَمِيلٌ فِي مِثْلِكَ الْبُكَاءِ^(٢)

سَقَى اللَّهَ قَبْرًا كُنْتَ رَوْضَةَ عَيْشِهِ
وَجَنَّتُهُ، كَيْفَ اسْتَبَدَّ بِكَ الدَّهْرُ؟
لَقَدْ كُنْتَ عَنْ لَحْظِ الْعُيُونِ رَقِيقَةً
يُؤَثِّرُ فِيكَ اللَّحْظُ وَالنَّظَرُ الشَّرُّ
جَمِيلٌ وَحَقُّ اللَّهِ فِي مِثْلِكَ الْبُكَاءِ
وَأَجْمَلُ لِي مِنْهُ التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
فَإِنْ صَبَرْتَ نَفْسِي فَذَلِكَ شَيْمَتِي
وَإِنْ جَزَعْتَ يَوْمًا فَأَنْتِ لَهَا عُذْرُ

(١) «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» لابن جني «أبي الفتح عثمان بن جني توفي ٣٩٢» تقديم وتحقيق الدكتور حسن الهنداوي دار القلم دمشق / دار المنارة/ بيروت ١٩٨٧ ص ٢٥.

(٢) «الحماسة البصرية» الجزء الثاني ص ١٥١.

الْأَشْعَثُ بْنُ عَبَسٍ فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ جُلَّالَةَ

جاء في «المؤتلف والمختلف»^(١): الأشعث بن عابس بن ثعلبة بن طفيل بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلابي. وكان عنده «جُلَّالَةُ بنت ربيعة» فماتت عنده فقال:

لَنْ أَلَايَ مِثْلَهَا
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ «جُلَّالَةُ» أَضْبَحَتْ
ضَنْيَ فِي الْفِرَاشِ مَا تَصَرَّفُ حَالَا
بِمَا قَدْ أَرَاهَا وَهِيَ مُعْجِبَةٌ لَنَا
وَلِلنَّاطِرِينَ بِهَجَةٍ وَجَمَالَا
وَكَانَتْ لَنَا سِتْرًا إِذَا الرِّيحُ أَغْصَفَتْ
وَجَادَتْ بِشَفَانٍ يَكُونُ شَمَالَا^(٢)
أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ لَنْ أَلَايَ مِثْلَهَا
وَلَكِنْ أَبَدًا لَا يَكُونُ عِيَالَا

(١) «المؤتلف والمختلف» في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعريهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى توفي ٣٧٠ هـ صححه وعلق عليه: الدكتور «ف كرنكو» دار الجيل/ بيروت ١٩٩١ ص ٥٤.

(٢) الشفان: الريح الباردة.

رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

قال رجلٌ من الأنصار يذكر امرأة كانت له، وكانت به برّة، وله حافظةٌ إذا غاب، وسارةٌ إذا حضر، فأصيبَ بها^(١):

لَوْ أَنَّي

أَلَا مَا لِهَذَا الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي أَهْلِ
تَنَكَّرْتُ مَا قَدْ كُنْتُ تَأَلَّفُ مِنْ قَبْلِي
أَيَا جَارَتَا لَا تَبْعُدِي خَيْرَ جَارَةٍ
لِبَغْلِ وَأَخْنَاهُ عَلَى وَلَدِ طِفْلِ
فَلَوْ أَنَّي كُنْتُ الْعَلِيلَ لَا يُقْظَتْ
بَيْنَهَا وَمَا نَامَتْ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلِي

(١) «التعازي والمراثي» ص ١٠٢.

النَّمْرُ بْنُ تَوَلَبَ

(١٤ هـ = ٦٣٥ م)

النَّمْرُ بْنُ تَوَلَبَ بن زهير بن أقيش العكليّ: شاعرٌ مخضرمٌ. عاش عُمرًا طويلًا في الجاهلية، وكان فيها شاعرَ قبيلة «الرّباب» ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النّعمة والوجاهة، جواداً وهاباً لماله. يُشَبَّه شعرُه بشعر «حاتم الطائي» أدرك الإسلام وهو كبيرُ السنّ، ووفدَ على النبيّ ورَوَى عنه حديثاً. وعاش إلى أن خَرِفَ فكانَ هَجِيرَاه: «أقروا الضيفَ، أنيخوا الرّاكب، انحروا له!». وعَدَّه السجستاني في المعمرين. وذكره «عمر» يوماً فترخّم عليه^(١)، فكانتْ مات في أيّام «أبي بكر» أو بعده بقليل. وفي المؤرخين من يذكر أنه نزل البصرة^(٢).

كان للنَّمْرِ بنِ تولب أخٌ يقال له الحارث أغار على «بني أسد» فسبى امرأةً منهم، يقال لها «جمرة» فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته^(٣)،

(١) «خرفت امرأة من حمّ كرام عظيم خطرهم وخطرها فيهم فكان هجيراهما: «زوّجوني قولوا لزوجي يدخل مهّداً لي إلى جانب زوجي» فقال عمر بن الخطاب وقد بلغه خبرها: ما لهجّ به أخو عكل النمر بن تولب في خرفه أفخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبكم ثم ترخّم عليه» «الأغاني» جزء ٢٢ ص ١٩٦.

(٢) «الأعلام» للزركلي «خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس» الزركلي الدمشقي المتوفى ١٣٩٦ هـ دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ الجزء الثامن ص ٤٨.

(٣) فركته: أي كرهته وبغضته.

فحبسها، حتى استقرت، وولدت له أولاداً، ثم قالت له يوماً: أزرني أهلي فلاني قد اشتقت إليهم، فقال لها: إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغليبي على نفسك، فوائتته لترجعن إليه. فخرج بها، حتى أقدمها بلاد «بني أسد» فلما أطل على الحي تركته واقفاً، وانصرفت إلى منزل بعلمها الأول، ولم ترجع إليه، فعرف أنها خدعته، وقال فيها شعراً كثيراً ولم ينسها حتى جاءه خبر موتها.

أَيُّ حَدِيثٍ جَاءَ مِنْهَا؟

لما بَلَغَ «النُّمَرُ بْنُ تَوْلَبٍ» أَنَّ امْرَأَتَهُ «جَمْرَةَ» تَوُفِّيَتْ، نَعَاهَا لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ «حِزَامٌ» أَوْ «حِرَامٌ» فَقَالَ^(١):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ «جَمْرَةَ» جَاءَ مِنْهَا	بَيَّانُ الْحَقِّ أَنَّ صَدَقَ الْكَلَامُ
نَعَاهَا بِالْبَدِيعِ لَنَا «حِزَامٌ»	حَدِيثٌ مَا تُحَدِّثُ يَا «حِزَامُ»
فَلَا تَبْعُدْ وَقَدْ بَعُدْتَ وَأَجْرِي	عَلَى جَدِّ تَضَمَّنَهَا الْغَمَامُ

(١) «الأغانى» الجزء ٢٢ ص ١٩٥.

الإمام علي بن أبي طالب

(٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م)

وترجمته أكبر من أن تُدوّن هنا . .

وفي ما يتصل برثائه لزوجته «فاطمة» وقصة زواجهما، وما جاء في المرويات الصحيحة عن ذلك:

فقد روي أن علياً خطب «فاطمة» فقال له النبي: «ما تُصدّقها؟» قال: ما عندي ما أصدّقها. قال: «فأين درعك الحطميّة؟» قال: عندي. قال: «أصدّقها إيّاها وتزوّجها». ودخل عليها الرسول، فقال لها: «أي بُنيّة! إن ابن عمك علياً قد خطّبك فماذا تقولين؟ فبكّت ثمّ قالت: كأنك يا أبت إنما ادّخرتني لفقير قريش؟ فقال: والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات. فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله ورسوله.»

وروي عن عليّ قوله: لقد تزوّجت «فاطمة» ومالي ولها فراشٌ غيرُ جلدٍ كَبَشٍ، ننامُ عليه بالليل، ونعلفُ عليه الناضحَ بالنهار، ومالي ولها خادمٌ غيرها.

وروي أنّه تزوّجها في رجب بعد مقدّم الرسول المدينة بخمسة أشهر. وكانت «فاطمة» يوم بنى بها بنت ثمان عشرة سنة، وأهديت في بُردين وعليها دُمْلُوجان من فضّة، وكان معها حَمِيلَةٌ ومرفقة من آدم حَشَوها ليفً، ومنخل، وقدح، ورحى، وجرتان.

وانجبت له «الحسن» و«الحسين» و«زينب» و«أم كلثوم» وقيل

«المحسن» وقد مات صغيراً، ولم يتزوج عليّ غيرها حتى ماتت.
وماتت «فاطمة» ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان، سنة
إحدى عشرة للهجرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، صلّى عليها عليّ،
وهو الذي غسلها مع «أسماء بنت عُمَيْس» ودُفنت ليلاً حسب وصيّتها.
وهي أوّل مَنْ غُطّي نعشها من النساء في الإسلام. إذ حكّت لها «أسماء
بنت عُمَيْس» ما يُصنع للمرأة إذا ماتت بأرض الحبشة، فأمرتها أن تصنع
ذلك لها. وكذلك صنع بعدها «بزينب بنت جحش» زوج النبي. ^(١)

قَبْرُ الْحَبِيبِ ^(٢)

مَالِي وَقَفْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّماً قَبْرَ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي؟
أَحَبِّبْ مَالِكَ لَا تَرُدَّ جَوَابَنَا أَنْسَيْتَ بَعْدِي خُلَّةَ الْأَخْبَابِ
قَالَ الْحَبِيبُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهِيْنُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ؟

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن
عبد البر ٣٦٨ - ٤٦٣. تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل/بيروت
١٩٩٢م الجزء الرابع ص ١٨٩٣ و«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة»
للبرّي محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني
المعروف بالبرّي المتوفى بعد ٦٤٥هـ نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي،
دار الرفاعي الرياض ١٩٨٣ م الجزء الثاني ص ١٩٩. و«المنتظم في تاريخ
الملوك والأمم» لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
الجوزي ٥٠٨ - ٥٩٧هـ.

تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية/
بيروت ١٩٩٢ الجزء الثالث ص ٨٤.

(٢) «... ووقف على قبر الزهراء بعد دفنها وقال: ...» «ديوانه ص ١٨» عبد
العزيز الكرم ١٩٨٨ وص ٣٢ من ديوانه: اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي
طبعة دار المعرفة ٢٠٠٥.

أَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِي فَتَسِيْتُكُمْ وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَتْرَابِي
فَعَلَيْكُمْ مِنِّي السَّلَامُ تَقَطَّعَتْ مِنِّي وَمِنْكُمْ خِلَّةُ الْأَخْبَابِ

وفي «التعازي والمراثي» لما دَفَنَ «علي بن أبي طالب» «فاطمة» تمثّل
عند قبرها^(١)

لَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً
وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلُ
ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنِّي
بَرَدُّ الْهُمُومِ الْمَاضِيَاتِ وَكِيلُ

(١) «التعازي والمراثي» ص ١٢٢ ، وهذه القصيدة يُخْتَلَفُ في نسبتها للإمام علي ، هل هي من شعره ؟ أم مما تمثّل به ؟ أم اختلطت أبياتها بأبيات لشاعر آخر ؟ فقد وردت في «ديوانه» بعناية عبد الرحمن المصطاوي ص ١٢٢ «ثلاثة أبيات - الأول والخامس والسادس» و«ديوانه» جمع : عبد العزيز الكرم «ثمانية أبيات ص ١٤٩» و«زهر الآداب وثمر الألباب» للقيرواني أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري شرحه الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل الطبعة الرابعة الجزء الأول ص ٨٢ ثلاثة أبيات» ويروى أنه «قال» بعد وفاة فاطمة .. وفي «التذكرة الفخرية» للصاحب بهاء الدين المنشي الإربلي «توفي ٦٩٢» دار البشائر دمشق ٢٠٠٤ تحقيق حاتم الضامن .. ص ٢٨ «بيتان» أنشد «متمثلاً» والأبيات «الشقران السلاماني» كما جاء في «بهجة المجالس الجزء ٢ ص ٣٥٩» وفي «تاريخ دمشق» لشقران السلاماني/ الجزء ٢٣ ص ١٢٣ وكذلك ص ١٢٦ في رثاء أخيه . وللإمام علي/ الجزء ٤٢ ص ٥٢٧ ، فأنشأ يقول : «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من جلّه امن الأمثال أو اجناز بنواحبها من ورادبها وأهلها» لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ٤٩٩ - ٥٧١ هـ تحقيق محب الدين العمروي/ دارالفكر/ ١٩٩٥ .

يُرِيدُ الْفَتَى أَنْ لَا يَمُوتَ حَبِيبُهُ
وَلَيْسَ إِلَى مَا يَبْتَغِيهِ سَبِيلُ
فَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ وَلَا بُدَّ مِنْ بَلَى
وَإِنَّ بَقَائِي بَعْدَكُمْ لَقَلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٌ
وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ إِفْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدِ
دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ^(١)
وَكَيْفَ هُنَاكَ الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
لَعَمْرِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي
إِذَا غِبْتُ يَرْضَاهُ سِوَايَ بَدِيلُ
وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالُهُ
وَيَحْفِظُ سِرِّي قَلْبُهُ وَدَخِيلُ
وَلَيْسَ جَلِيلًا رُزْءَ مَالٍ وَفَقْدُهُ
وَلَكِنْ رُزْءَ الْأَكْرَمِينَ جَلِيلُ

(١) ورد صدر البيت في «زهر الآداب» و«التذكرة الفخرية» «وَإِنَّ إِفْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدِ» كذلك «بحار الأنوار» المجلد ٤٣، ص ١٨٠ «بحار الأنوار» محمد باقر المجلسي توفي ١١١١ هـ / مؤسسة الوفاء / بيروت ١٩٨٣ طبعة ثانية. وفي بقية الروايات «وَإِنَّ إِفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ».

لِذَلِكَ جُنِبِي لَا يُؤَاتِيهِ مَضْجَعُ
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ غَلِيلُ
إِذَا انْقَطَعَتْ يَوْمًا عَنِ الْعَيْشِ مُدَّتِي
فَإِنَّ بُكَاءَ الْبَاكِياتِ قَلِيلُ
سَبُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي
وَيَظْهَرُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ

حَبِيبِي لَا يَغِيبُ^(١)

حَبِيبُ لَيْسَ لِي بَعْدُ حَبِيبُ وَمَا لِسِوَاهُ فِي قَلْبِي نَصِيبُ
حَبِيبُ غَابَ عَنْ عَيْنِي وَجِسْمِي وَعَنْ قَلْبِي حَبِيبِي لَا يَغِيبُ

(١) «ديوانه» جمع: عبد العزيز كرم ص ٢٤، و«ديوانه» بعناية المصطاوي ص ٤٢.

يَعْلَى بْنُ مُنْيَةَ^(١)

(٣٧ هـ - ٦٥٧ م)

يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ، المعروف بِيَعْلَى بْنِ مُنْيَةَ وهي أمُّهُ: أَوَّلُ مَنْ أَرَّخَ الْكُتُبَ. وَهُوَ صَحَابِيٌّ، مِنَ الْوَلَاةِ. وَمِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْأَسْخِيَاءِ مِنْ سَكَّانِ مَكَّةَ، كَانَ حَلِيفًا لِقُرَيْشٍ.

أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ. وَشَهِدَ «الطَائِفَ وَحُنَيْنًا وَتَبُوكَ» مَعَ النَّبِيِّ وَاسْتَعْمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى «حُلُوانَ» فِي الرَّدَّةِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى «نَجْرَانَ» وَاسْتَعْمَلَهُ «عُثْمَانُ» عَلَى الْيَمَنِ فَأَقَامَ بِصَنْعَاءَ.

وَلَمَّا قُتِلَ «عُثْمَانُ» انْضَمَّ «يَعْلَى» إِلَى «الزُّبَيْرِ» وَعَائِشَةَ وَيُقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ «عَائِشَةَ» عَلَى «الْجَمَلِ» الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ، فِي «وَقْعَةِ الْجَمَلِ» وَيُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ: أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَى فِتْنَةِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ! وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَيْضًا: حَارَبْتَ أَطْوَعَ النَّاسِ، وَأَشَجَعَ النَّاسِ، وَأَعْبَدَ النَّاسِ، وَأَعْطَى النَّاسِ، فَأَمَّا أَطْوَعَ النَّاسِ فَعَائِشَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ، وَأَمَّا أَشَجَعَ النَّاسِ فَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، لَمْ يَرُدَّ وَجْهُهُ شَيْءَ قَطُّ، وَأَمَّا أَعْبَدُ النَّاسِ فَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ عَمُودًا رَاتِبًا فَاسْتَزَلَّهُ أَبُوهُ، وَأَمَّا أَعْطَى النَّاسِ فَيَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ، كَانَ يُعْطِي الرَّجُلَ، الْفَرَسَ وَالسَّلَاحَ وَالثَّلَاثِينَ الدِّينَارَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ فَيَقَاتِلَنِي. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: ثُمَّ صَارَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَقُتِلَ، وَهُوَ مَعَهُ فِي «صَفِّينَ».

(١) ترجمته في «الأعلام» للزركلي الجزء الثامن ص ٢٠٤.

رثى يعلَى زوجته «زنب» حين توفيت بثهامة: ^(١)
 يَا رَبَّ رَبِّ النَّاسِ لَمَّا نَحَبُوا
 وَحِينَ أَفْضُوا مِنْ مِنَى وَحَصَّبُوا ^(٢)
 لَا يُسْقَيْنَ مَلَحٌ وَعُغْلِبُ
 وَالْمُسْتَرَادُّ لَا سَقَاءُ الْكَوْكَبُ ^(٣)
 مِنْ أَجْلِ حُمَاهِنَ مَاتَتْ زَيْنَبُ

تَنَكَّرَتِ الْأَبْوَابُ لَمَّا دَخَلْتُهَا ^(٤)
 «أَبَا الْفُرْع» ^(٥) لَمْ تَطْعَنْ مَعَ الْحَيِّ زَيْنَبُ
 بِنَفْسِي عَنِ النَّأْيِ الْحَبِيبُ الْمُغَيَّبُ

-
- (١) كان يعلَى بن منية ويكنى «أبا نفيس» تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها «زنب» ولهم حلف في بني غفار، وهي من بنات طارق اللاتي يقطن:
 نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى الشَّمَارِقِ
 فتوفيت بثهامة فقال يرثيها . . «الأغاني» جزء ١٢ ص ٢٤٦.
- (٢) نَحَبُوا: ساروا سيراً سريعاً. و«رَبِّ» الأولى منادى مرثم لذلك جاءت بالكسرة أصلها «يا رَبِّي» و«رَبِّ» الثانية منصوبة على الاختصاص.
- (٣) مَلَحٌ: موضع باليمامة، وَعُغْلِبُ: موضع بين الكوفة والبصرة، والمستراد: موضع في سواد العراق، والكوكب: الماء.
- (٤) البيتان الأول والثاني في «الأغاني» الجزء الأول ص ٢٠٥ وهو مما غناه ابن سريج أمام فتية من بني مروان. والأبيات: الثاني والثالث والرابع وردت في كتاب «المعارف» لابن قتيبة. تحقيق: د. ثروة عكاشة. الطبعة الرابعة دار المعارف القاهرة ص ٢٧٦.
- (٥) الْفُرْع. قرية من نواحي الرملة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة.

بِوَجْهِكَ عَنْ مَسِّ الثُّرَابِ مَضْنَةً
فَلَا تُبْعِدْنِي كُلُّ حَيٍّ سَيَذْهَبُ^(١)
تَنَكَّرَتِ الْأَبْوَابُ لَمَّا دَخَلْتُهَا
وَقَالُوا: أَلَا بَانَتِ الْيَوْمَ زَيْنَبُ
أَأَذْهَبُ قَدْ خَلَيْتُ «زَيْنَبَ» طَائِعاً
وَنَفْسِي مَعِي لَمْ أَلْقَهَا حَيْثُ أَذْهَبُ

(١) «في الأغاني» كُلُّ حَيٍّ سَيَغْطِبُ.

أَبُو دَهْبَل

(٢٢٢ - ٦٣ هـ = ٢٢٢ - ٦٨٢ م)

اسمُه «وَهْب بن زَمْعَة وهو من بني لُؤي» وكان أبو دَهْبَل رَجُلًا جَمِيلًا شَاعِرًا وكانت له جُمَّةٌ^(١) يُرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفًا، وقال الشُّعْر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب.

وَكَانَ عاشقًا تحبُّه النساء فقد عشق امرأةً من قومه يُقال لها «عَمْرَة» وله فيها أشعارٌ، كما عشقته «عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان» بعد أن رآته في موسمٍ للحجّ وله معها قصّة مشهورة، وأشعارٌ شائعة، وفي أحد أسفاره إلى دمشق أعجبت به امرأة شاميّة فاستدرجته لبيتها ليكون عشيقها فلمّا رفض سجنته، ثم وافق على معاشرتها بالزّواج فبقي عندها مدّة، وكان متزوّجًا فاستأذنها بالعودة لأهله على أن يعود لها بعد عام، فعاد إلى زوجته الأولى وعياله، فوجد أهله قد اقتسموا ماله وورثوه حيًّا إلا زوجته التي عميت لفراقه ومرضت، ولما رآته كانت نظرة الوداع، فقرأها في بضعة أبيات، وأراد العودة إلى زوجته الشاميّة بعد انقضاء العام، فجاءه خبر موتها هي الأخرى فظلّ مُقيمًا حتى توفي^(٢) فدُفِنَ إلى جانب زوجته الأولى بـ «عُليب»^(٣)

(١) الجُمّة: شَعْرُ الرَّأس الطويل الذي يصل المنكبين.

(٢) أخبّاره ونسبه في الجزء السابع من كتاب «الأغاني».

(٣) عُليب: اسمٌ واو على طريق اليمن.

لَا تَخَالِي أَنِّي نَسِيتُكَ^(١)

إِسْلَمِي «أُمَّ دَقْبَلٍ» بَعْدَ هَجْرٍ
وَتَقْضُ مِنَ الزَّمَانِ وَعُمْرٍ
وَأَذْكَرِي كَرِّيَ الْمَطِيِّ إِلَيْكُمْ
بَعْدَمَا قَدْ تَوَجَّهْتَ نَحْوَ مِصْرٍ
لَا تَخَالِي أَنِّي نَسِيتُكَ لَمَّا
حَالَ «بِشْ» وَمَنْ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي^(٢)
إِنْ تَكُونِي أَنْتِ الْمُقَدَّمُ قَبْلِي
وَأَطِغْ، يَثْرُ عِنْدَ قَبْرِكَ قَبْرِي

(١) «الأغاني» الجزء السابع ص ١١٠.

(٢) بِشْ: من بلاد اليمن قرب ذهلِكَ. جاء في «معجم البلدان» «وهذا الشَّعر يدلُّ على أن بِشاً موضعٌ بين مكة ومصر أو تكون صاحبه المذكورة كانت باليمن».

رَجُلٌ مِنْ «رَبِيعَةَ» يَرِثُنِي امْرَأَتُهُ

البيت الأول من هذه القصيدة، أو بالأحرى صدره، من شواهد «الكتاب» لسيبويه، وموطنُ الشَّاهد فيه تقديم الإسم على الفعل بعد «إن»^(١)، دون الإشارة إلى غرض البيت أو بقية الأبيات من القصيدة، لكنَّ صاحبَ «تاج العروس»^(٢) يورد بقيةَ الأبيات ويقول: إنها «لرجلٍ من ربيعة يرثي زوجته»، وذلك بعد الفتنة التي وقعت بين «تميم» و«ربيعة» خلال فتح عبد الله بن خازم لهرأة سنة ٦٦، ويبدو أنَّ زوجة ذلك الرجل قتلت في تلك الفتنة.

عَاوِذُ هَرَاءَ

عَاوِذُ هَرَاءَ، وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبَا
وَأَسْعِدِ الْيَوْمَ مَشْغُوفًا إِذَا طَرِبَا
وَارْجِعْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ الْخَنْدَقَيْنِ تَرَى
رُزْءًا جَلِيلًا، وَأَمْرًا مُفْظِعًا عَجَبًا:

(١) «الكتاب» لسيبويه «أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ١٤٨ - ١٨٠ هـ» شرح وتحقيق عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ المجلد الثالث ص ١١٢.

(٢) «تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف محمد خطيب/ مجلة التراث العربي - الكويت ٢٠٠١ الجزء ٤٩ ص ٣٠١.

هَامَأَ تَزَقَّى وَأَوْصَالاً مُفَرَّقَةً
وَمَنْزِلًا مُقْفِرًا مِنْ أَهْلِهِ خَرِبًا
لَا تَأْمَنُ حَدَثًا «قَيْسُ» وَقَدْ ظَلَمْتُ
إِنْ أَحَدْتُ الدَّهْرُ فِي تَضَرُّفِهِ عُقْبًا

قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ

(٢٢٢ - ٦٨ هـ = ٢٢٢ - ٦٨٧ م)

قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني. شاعرٌ من العُشَّاق المتيمِّمين، اشتهرَ بحبِّ «لبنى بنت الحباب الكعبية» وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكاك المدينة. كان رضيعاً للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعتها «أم قيس» وأخبارُهُ مع «لبنى» كثيرة جداً، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين.

وملخص قصته مع «لبنى» كما جاء في الأغاني:

كان منزلُ «قيس» بظاهر المدينة فمرَّ لبعض حاجته بخيام «بني كعب بن خزاعة» فوقفَ على خيمة «لبنى» فاستسقى ماءً، فسقته، وكانت امرأةً مديدةً القامة، شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وانصرفَ «قيس» وفي قلبه من لبني حرٌّ لا يُطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورؤي. فانصرفَ إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهنَّ أحقُّ بك. وكان والده كثيرَ المال مُوسراً، فأحبَّ ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرفَ قيسٌ وقد ساءَ ما خاطبه أبوه به. وذهب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانا أخوين في الرضاعة كما تقدَّم، فشكا إليه ما به وما ردَّ عليه أبوه. فأتى «الحسين» «ذريحاً» وقومه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له. فقال لذريح: أقسمتُ عليك إلا خطبت «لبنى» لابنك «قيس» قال: السمع والطاعة لأمرِك. فخرج معه في وجوه من

قومه حتى أتوا «لبنى» فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها،
فاقامت معه مدة لا يُنكر أحد من صاحبه شيئاً. وأراد أهله تزويجه
بامرأة أخرى لأن «لبنى» لم تلد له ابناً فرفض، حتى ألحوا عليه فطلقها
وندم.

وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا
على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً
عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات أسفاً عليها: ماتت لبنى،
فخرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها وقال مرثيته لها
وهي بيتان لا غير كان آخر شعر قاله. ^(١)

مَوْتُهَا مَوْتِي ^(٢)

مَاتَ «لَبْنَى» فَمَوْتُهَا مَوْتِي هَلْ تَنْفَعُنْ حَسْرَةً عَلَى الْفَوْتِ
وَسَوْفَ أَبْكِي بُكَاءَ مُكْتَتِبٍ قَضَى حَيَاةً وَجَدّاً عَلَى مَيِّتِ
ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَرَفَعَهُ أَهْلُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ
وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيلاً لَا يَفِيْقُ وَلَا يَجِيْبُ مُكَلِّماً ثَلَاثاً حَتَّى
مَاتَ، فَدُفِنَ إِلَى جَنْبِهَا.

(١) «الأغاني» الجزء التاسع ص ١٦١. و«الوافي بالوفيات» المجلد ٢٤ ص ٢٩٧
باعتناء محمد عدنان البخيت ومصطفى الحياوي.

(٢) «ديوانه» ص ٦٢ اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة /
بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٤.

مُؤْيَلِكُ الْمَزْمُومِ «شَاعِرٌ مِنَ الْخَوَارِجِ»

(٢٢٢٢ - ٢٢٢٢)

مالك المزموم ويُعرف كذلك بمُؤْيَلِكِ المزموم. شاعرٌ من الخوارج، يقال إنه كان أحسن الناس قراءة للقرآن حتى أن فتاة سمعته فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه إعجاباً بصوته، كما يشير صاحب «الأغاني» طلبه الحجاجُ فهرب إلى اليمامة منفياً لا يجد من يخاطبه سوى ناقته:

طَيَّرُونِي مِنَ الْبِلَادِ وَقَالُوا مَالِكُ النُّصْفِ مِنْ بَنِي حَكَّامٍ
نَاقُ سِيرِي قَدْ جَدَّ حَقًّا بِنَا السَّيْرِ وَكُونِي جَوَّالَةً فِي الزَّمَامِ
نَاقُ إِنِّي أَرَى الْمَقَامَ عَلَى الضَّيْمِ عَظِيمًا فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ

كُنْتُ جَدَّ فَرُوقَةٍ^(١)

إِمْرُزُ عَلَى الْجَدِّ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَنَادِيهَا لَوْ تَسْمَعُ
أَنِّي حَلَلْتُ وَكُنْتُ جَدَّ فَرُوقَةٍ بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ

(١) فروقة: خائفة، والقطعة في «ديوان الحماسة» اختاره: أبو تمام حبيب بن أوس توفي ٢٣١ هـ بشرح أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون دار الجيل/ بيروت ١٩٩١ المجلد الثاني ص ٩٠٣ باب المراثي. و«معجم الشعراء» ص ٣٦٣. و«خزانة الأدب ولب =

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يُلَايِمُكَ الْمَكَانُ الْبَلَقُ
 فَلَقَدْ تَرَكْتَ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَذِرْ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ
 فَقَدْتُ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكَ حُلُوةً فَتَبَيْتُ نَسْهَرُ لَيْلِهَا وَتَفَجَّعُ
 فَإِذَا سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا طَفَقْتُ عَلَيْكَ شُؤُونَ عَيْنِي تَذْمُعُ

= لهاب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠-١٠٩٣ هـ، تحقيق
 عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ٢٠٠٠ الجزء الثامن
 ص ٥٣٥.

أَبُو الْمُقْدَامِ الْجَزْمِي «بَيْهَسُ بْنُ صُهَيْبٍ»

(٢٢٢٢ - ٢٢٢٢)

بَيْهَسُ بْنُ صُهَيْبِ بْنِ قِضَاعَةَ. وَيَكْنَى أَبَا الْمُقْدَامِ: شَاعِرٌ فَارِسٌ شَجَاعٌ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، وَكَانَ مَعَ «الْمَهْلُبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ» فِي حُرُوبِهِ لِلْأَزَارِقَةِ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ وَبِلَاءٌ حَسَنٌ. وَكَانَتْ «صَفْرَاءُ» فِي أَغْلَبِ الرِّوَايَاتِ، زَوْجَتُهُ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ. وَقَدْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا زَوْجُهَا الْأَسَدِيُّ.^(١)

مَنْ الَّذِي بَعْدَكُمْ أَرْضَى بِهِ بَدَلًا؟

هَلْ بِالْدِّيَارِ الَّتِي بِالقَّاعِ مِنْ أَحَدٍ

بَاقٍ فَيَسْمَعُ صَوْتَ الْمُذْلِجِ السَّارِي؟

تِلْكَ الْمَنَازِلُ مِنْ «صَفْرَاءَ» لَيْسَ بِهَا

نَارٌ تَضِيءُ وَلَا أَصْوَاتُ سُمَارٍ

عَفَّتْ مَعَارِفُهَا هُوجٌ مُغْبِرَةٌ

تَسْفِي عَلَيْهَا تُرَابَ الْأَبْطَحِ الْهَارِي^(٢)

(١) «الأغانى» دار صادر جزء ٢٢ ص ٩٧.

(٢) الهاري: المنهري.

حَتَّى تَنْكَرْتُ مِنْهَا كُلَّ مَعْرِفَةٍ
 إِلَّا الرَّمَادَ نَخِيلاً بَيْنَ أَحْجَارِ
 طَالِ الْوُقُوفِ بِهَا وَالْعَيْنُ تَسْبِقُنِي
 فَوْقَ الرِّدَاءِ بَوَادِي دَمْعِهَا الْجَارِي^(١)
 إِنَّ أَضْيَحَ الْيَوْمَ لَا أَهْلَ ذُوو لُطْفٍ
 أَلْهُوا لَدَيْهِمْ وَلَا «صَفْرَاءُ» فِي الدَّارِ
 أَرْعَى بَعَيْنِي نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَقِباً
 يَا طُولَ ذَلِكَ مِنْ هَمٍّ وَإِسْهَارِ
 فَقَدْ يَكُونُ لِي الْأَهْلُ الْكِرَامُ وَقَدْ
 أَلْهُو «بِصَفْرَاءَ» ذَاتِ الْمَنْظَرِ الْوَارِي
 مِنَ الْمَوَاجِدِ أَغْرَاقاً إِذَا نُسِبَتْ
 لَا تَحْرِمُ الْمَالَ عَنْ ضَيْفٍ وَعَنْ جَارِ
 لَمْ تَلَقَ بُؤْساً وَلَمْ يَضُرْ بِهَا عَوَزٌ
 وَلَمْ تُزَخِّفْ مَعَ الصَّالِي إِلَى النَّارِ^(٢)
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرِ
 عَلَى الْأَنَامِ وَذُو نَقْصٍ وَإِمْرَارِ^(٣)
 قَدْ كَادَ يَعْتَادُنِي مِنْ ذِكْرِهَا جَزَعٌ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا رَهْبَةُ الْعَارِ

(١) بَوَادِي دَمْعِهَا : طَوَاهِرُهُ .

(٢) زَخَفَتِ الْمَرَأَةُ الْعَجِينَ : إِذَا أَكْثَرَتْ مَاءَهُ .

(٣) النَقْصُ : فَكُ الْحَبْلِ ، وَالْإِمْرَارُ : فَتْلُهُ .

سَقَى الْإِلَهُ قُبُورًا فِي بَنِي أَسَدٍ
 حَوْلَ «الرَّبِيعَةِ» غَيْثًا صَوْبَ مِذْرَارٍ^(١)
 مِنَ الَّذِي بَعْدَكُمْ أَرْضَى بِهِ بَدَلًا
 أَوْ مَنْ أَحَدْتُ حَاجَاتِي وَأَسْرَارِي؟

واجتاز «بيهس» في بلاد بني أسد، فمرَّ بقبر «صَفْرَاءَ» وهو في موضع يقال له الأحص، ومعه ركبٌ من قومه، فنزل «بيهس» على القبر، فقال له أصحابه: ألا ترحل؟ فقال: أما والله، حتى أظلَّ نهاري كلُّه عنده، وأقضي وطراً، فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، وهو يبكي^(٢):

يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ قَلِيلٌ «لِصَفْرَاءَ»
 أَلِمَّا عَلَى قَبْرِ «لِصَفْرَاءَ» فَافْرَا الـ
 سَلَامَ وَقُولًا: حَيْنَا أَيُّهَا الْقَبْرُ
 وَمَا كَانَ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَسْتُ صَابِرًا
 دُعَاءَكَ قَبْرًا دُونَهُ حَجَجَ عَشْرُ
 بِرَابِيَةٍ فِيهَا كِرَامٌ أَحِبَّةٌ
 عَلَى أَنَّهَا إِلَّا مَضَاجِعُهُمْ قَفْرُ
 عَشِيَّةٍ قَالَ الرُّكْبُ مِنْ غَرَضٍ بِنَا:
 تَرَوْحَ «أَبَا الْمُقْدَامِ» قَدْ جَنَحَ الْعَصْرُ

(١) الربيعه: مكان قبر صفراء، ومذرار: مطر هاطل.

(٢) «الأغاني» دار صادر جزء ٢٢ ص ٩٨.

فَقُلْتُ لَهُمْ: يَوْمٌ قَلِيلٌ وَلَيْلَةٌ
«لِصَفَرَاءَ» قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ
وَبِتُّ وَبَاتَ النَّاسُ حَوْلِي مُجَّدًا
كَأَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلَ مِنْ طَوِيلِهِ شَهْرُ
إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَفْجَعُ سَاعَةً
تَطَاوَلَ بَيْنِي لَيْلٌ كَوَاكِبُهُ زُهْرُ
أَقُولُ إِذَا مَا الْجَنْبُ مَلَّ مَكَانَهُ:
أَشَوْكَ يُجَافِي الْجَنْبَ أَمْ تَحْتَهُ جَمْرُ؟
فَلَوْ أَنَّ صَخْرًا مِنْ عَمَايَةِ رَاسِيَا
يُقَاسِي الَّذِي أَلْقَى لَقَدْ مَلَّهُ الصَّخْرُ

العَوَّامُ بْنُ كَعْبِ الْمُزْنِي

(٢٢ - ٢٢)

العَوَّامُ بْنُ كَعْبِ الْمُزْنِي شاعر بدويٌّ جَارُ بني كُليب. كانت له امرأةٌ يقال لها «أم كامل» فنشزت عليه، وماتت له امرأةٌ أخرى فرثاها بقوله^(١):

أَسْوَأُ الْعَبْرَاتِ

فَقُلْتُ لِقَلْبِي: لَا تُبَكِّ فَإِنَّهُ كَذَاكَ اللَّيَالِي طُولُهَا وَقَصِيرُهَا
فَإِنِّي لَبَاكِ مَا بَقِيتُ وَإِنَّهُ لَأَسْوَأُ عَبْرَاتِ الرِّجَالِ كَثِيرُهَا

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٠١.

الأَعْيُنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(٢٢ - ٢٢)

الأَعْيُنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو يَرِثِي امْرَأَتَهُ:

كَذُوبُ الصَّفَاءِ^(١)

لَعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ زَيْلٍ بِنَعْشِهَا وَنَفْسِي مَعِيَ لَمْ أَلْقَهَا لَصَبُورُ
كَذُوبُ الصَّفَاءِ يَوْمَ ذَاكَ مُوَكَّلُ بِبَاقِي الْحَيَاةِ وَالْحَيَاةِ غُرُورُ

(١) البيتان وردا في «التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ص ٢٨١، والبيت الأول

ورد بهذه الصيغة:

لَعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ زَيْلٍ بِنَعْشِهَا وَلَمْ تَتَّبِعْهَا مُهْجَتِي لَصَبُورُ
وأورد الزمخشري في «ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٣١، البيت الأول فقط، بالصياغة التي اعتمدها هنا، بينما أبقينا على الثاني كما جاء في «التذكرة الحمدونية»

جَزِير

(٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٨ - ٧٢٨ م)

جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو
حزرة، من تميم.

وجاء في «المنتظم» انه وَلِدَ ولادة مبكرة «في الشهر السابع من
الحمل» وعَمَّر على ما يزيد على الثمانين عاماً، كان عفيفاً، وتوفي في
اليمامة وهو من أغزل الناس شعراً. وهو والفرزدق والأخطل المقدمون
على شعراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً. ومختلف في
أَيُّهُمُ الْمُتَقَدِّم، ولم يبق أحدٌ من شعراء عصرهم إلا تعرَّضَ لهم فانتضح
وسقط وبقوا يتصاولون.

ومات الفرزدق قبل جرير فلما بلغ جريراً موته قال:

هَلَكَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَدَّعْتُهُ لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ عَاشٍ قَلِيلاً

ثم أطرق طويلاً وبكى، فقبل له: يا «أبا حزرة» ما أبكاك؟ قال:
بكيْتُ لنفسي، إِنَّهُ وَاللَّهِ قَلٌّ مَا كَانَ اثْنَانِ مِثْلَنَا أَوْ مِصْطَحِبَانِ أَوْ زَوْجَانِ
إِلَّا كَانَ أَمْدُ مَا بَيْنَهُمَا قَرِيباً، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ مَرثِياً لَهُ:

فُجِعْنَا بِحَمَالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ

وَحَامِي تَمِيمٍ عَرَضَهَا وَالْبَرَاجِمِ

بَكَيْنَاكَ حِذْثَانَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا

بَكَيْنَاكَ إِذْ نَابَتْ أُمُورُ الْعَظَامِ

فَلَا حَمَلْتُ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً

وَلَا شُدَّ أَنْسَاعُ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ^(١)

وروى الأصفهاني: ما شهدتُ مشهداً قطُّ ذُكِرَ فيه جرير والفرزدق
فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما. وقيل: الفرزدقُ أشعرُ عامةً وجريرُ
أشعرُ خاصةً. وكانوا يُشَبِّهُونَ جريراً بالأعشى، والفرزدقُ بزهير،
والأخطلُ بالنابغة، ويحتجُّ من قدَّمَ جريراً بأنه كان أكثرهم فنونَ شعرٍ،
وَأَسْهَلَهُمُ الْفَاطَا، وَأَقْلَهُمُ تَكْلُفًا، وَأَرْقَهُمُ نَسِيًّا، وكان دِينًا عَفِيفًا.

كانت «خالدة» التي يرثيها جرير هنا، أَوَّلَ امرأةٍ تزوّجها، وهي من
بني كليب، وتكنى «أم حُزرة»

وقصيدته في رثائها تسمى «الجوساء» لانتشارها في البلاد وقيل
الحوساء «بالحاء»

ولما ماتت «خالدة» دفنها جريرُ أسفلَ هضبةٍ «بُلْيَّة» في اليمامة،
ويومَ ماتت «النَّوار» زوجة الفرزدق وطليقته لاحقاً لم يرَئِها الفرزدق،
فكان الناس ينوحون عليها بأبيات جرير في رثاء زوجته «خالدة».

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا^(٢)

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي إِسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَمَا تَمَتُّعُ نَظَرٍ فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمُخْفَارُ

(١) المهيرة: الحرة.

(٢) القصيدة تتكوّن من ٨٢ بيتاً، اخترنا منها ما يخصُّ رثاء زوجته، واستثنينا ما
يتصلُّ بهجاء غريمه الفرزدق «ديوان جرير» ثلاثة مجلدات، بشرح محمد ابن
حبيب تحقيق نعمان محمد أمين طه/ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٦
ص ٨٦٢.

فَجَزَاكِ رَبُّكَ فِي عَشِيرِكَ نَظْرَةً
وَلَهْتَ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ
أَرعى النُّجُومَ وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةٌ
نِعمَ الْقَرِينُ وَكُنْتُ عِلْقَ مَضِنَّةٍ
عَمِرتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ
نَسَقِي صَدَى جَدَثٍ «بِرَّةٍ ضَاكِ»
مَزِمُ أَجَشُّ إِذَا اسْتَحَارَ بِبِلْدَةٍ
مُتْرَاكِبٌ زَجَلٌ يُضِيءُ وَمِیْضُهُ
كَانَتْ مُكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ
وَسَقَى صَدَاكِ مُجَلِّجِلٌ مِذْرَارُ
وَذَرُو الثَّمَانِيمَ مِنْ بَيْنِكَ صِغَارُ
عُصْبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صَوَارُ^(١)
وَارَى يَنْعَفِ بُلَيَّةُ الْأَخْجَارُ^(٢)
مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِقْتَارُ^(٣)
مَزِمُ أَجَشُّ وَدَيْمَةُ مِذْرَارُ^(٤)
فَكَأَنَّمَا بِجَوَائِهَا الْأَنْهَارُ^(٥)
كَالْبُلْقِ تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَمْهَارُ^(٦)
يُخْشَى غَوَائِلَ «أُمِّ حَزْرَةَ» جَارُ^(٧)
وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةُ وَوَقَارُ

(١) مضت غورية: أي ذهبت منحدره، وربما قصد ذهبت نحو تهامة وما يلي اليمن، لأن العرب كانت تسمي تهامة: الغور، وعُصْبُ النُّجُومِ: مجموعة النجوم، والصَّوَارُ: قطع الماشية.

(٢) عِلْقُ مَضِنَّةٍ: النَّفِيسُ مِمَّا يُضْنُ بِهِ، والنَّعْفُ: منحدر الجبل. وبليّة: الهضبة التي دفنت فيها خالدة.

(٣) المساك: التمسك، وَصَلَفَتِ الْمَرْأَةُ: إذا لم تحفظ عند زوجها وأبغضها. والإقْتَارُ: البخل وضيق العيش.

(٤) برقة ضاحك: ناحية في اليمامة، حيث كان جرير يعيش، ودفنَ زوجته هناك. والهزم: المطر الذي لا يتوقف، والديمّة: المطر الذي لا يكون له رعد أو برق.

(٥) اسْتَحَارَ الْمَاءُ: إِذَا تَجَمَّعَ وَامْتَلَأَ.

(٦) زجل: يقال: سحابٌ زَجَلٌ، أي ذو رَعْدٍ.

(٧) أُمُّ حَزْرَةَ: كنية خالدة زوجة جرير.

وَالرَّيْحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا
وَإِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوَّرَتْ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيِّرُوا
وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلَّمَا
يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ
تُخَيِّرِي الرِّوَامِيسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ
وَكَأَنَّ مَنَزِلَةً لَهَا بِجُلَاجِلِ
لَا تُكْثِرَنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلَوْمِي
كَانَ الْخَلِيطُ هُمُ الْخَلِيطُ فَأَضْبَحُوا
لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا

وَالْعِرْضُ لَا دَنَسٌ وَلَا خَوَّارُ
وَجْهًا أَغْرَّ يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ
وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ
نَصَبَ الْحَجِيجِ مُلَبِّدِينَ وَغَارُوا^(١)
مِنْ «أُمِّ حَزْرَةَ» بِالنَّمِيرَةِ دَارُ
بَعْدَ الْبَلَى وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ
وَحَيُّ الزُّبُورِ تُجِدُّهُ الْأَخْبَارُ
لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الْإِكْثَارُ
مُتَبَدِّلِينَ وَبِالدِّيَارِ دِيَارُ
لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

(١) نصب الحجيج: قصدوا، والتليد: أن يجعل المخرج في رأسه شيئاً من صنغ
أو عسل ليتلبّد شعره بقياً عليه لئلا يسقط في الإحرام، ويلبّد من يطول مكثه
في الإحرام.

الْفَرَزْدَق

(٣٨ - ١١٠ هـ = ٦٥٨ - ٧٢٨ م)

هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ بْنُ صَعْصَعَةَ التَّمِيمِيِّ الدَّارِمِيِّ، أَبُو فَرَّاسٍ، شَاعِرٌ مِنْ النُّبَلَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، عَظِيمُ الْأَثَرِ فِي اللُّغَةِ. وَلَقَّبَ بِالْفَرَزْدَقِ لَجَهَامَةِ وَجْهِهِ وَغُلْظِهِ.

وَهُوَ صَاحِبُ الْأَخْبَارِ مَعَ جَرِيرٍ وَالْأَخْطَلِ، وَمَهَاجَاتِهِ لِهَمَّا أَشْهُرُ مَنْ أَنْ تَذَكَّرَ، كَانَ شَرِيفاً فِي قَوْمِهِ، عَزِيزَ الْجَانِبِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لِقَبْرِ أَبِيهِ، فَمَا جَاءَهُ أَحَدٌ وَاسْتَجَارَ بِهِ إِلَّا نَهَضَ مَعَهُ وَسَاعَدَهُ عَلَى بُلُوغِ غَرَضِهِ. وَأُمًّا جَدُّهُ «صَعْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ» فَإِنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَاشْتَرَى ثَلَاثِينَ مَوْءُودَةً، فَأَنْقَذَهُنَّ مِنَ الْمَوْتِ.

تُوفِيَ الْفَرَزْدَقُ فِي بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ قَارَبَ الْمِائَةَ.

وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ قَدْ تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ «النَّوَّارَ» وَقَبِلَتْ بِهِ مُضْطَرَةً، فَلَمْ تَحْسُنْ عَشْرَتَهُ فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا «حَدْرَاءَ» بِمَهْرٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَمَدَحَهَا وَذَمَّ «النَّوَّارَ» فَغَضِبَتْ وَأَلْبَثَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ لِيَهْجُوهُ وَيَهْجُو «حَدْرَاءَ» ثُمَّ طَلَّقَهَا لَاحِقاً، وَنَدِمَ^(١).

(١) وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَشْعَاراً وَلِهَمَّا قَصَصَ مَعاً، وَجَاءَ فِي «الْأَغَانِي» الْجُزْءُ ٢١ ص ٢٧٤ : أَنَّ «النَّوَّارَ» لَمَّا حَضَرَهَا الْمَوْتُ أَوْصَتْ الْفَرَزْدَقَ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا - أَنْ يَصْلِيَ عَلَيْهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، فَأَخْبَرَهُ الْفَرَزْدَقُ، فَقَالَ : إِذَا فَرَّغْتُمْ مِنْهَا فَأَعْلَمْنِي، وَأُخْرِجْتِ، وَجَاءَهَا الْحَسَنُ، وَسَبَقَهُمَا النَّاسُ، فَانْتَظَرُوهُمَا، فَأَقْبَلَا، وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ، فَقَالَ الْحَسَنُ : مَا لِلنَّاسِ ؟ فَقَالَ : يَنْتَظِرُونَ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ =

أما «حَدْرَاء» فقد ماتت بعد قليل من زواجهما، وكان الفرزدق عائداً من رحلة إلى بيت «حَدْرَاء» فرأى في الطريق كبشاً مذبحاً فتشام بموتها فقال: هلك والله «حدراء» ولما وصل قال له أهلها: هذا البيت فانزل أما «حدراء» فقد هلك، ثم عرضوا عليه أن يرثها بعد موتها، وكانت مسيحية، وقالوا له: قد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أرزا منه قطميراً^(١) وهذه صدقتها فاقبضوها.

= الناس، فقال: إني لست بخيرهم، ولست بشرهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن، وقال:

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَزْوَاجِ «دَارِمٍ» مَنْ مَشَى
إِلَى النَّارِ مَشْدُودَ الْخَنَاقَةِ أَرْزَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ
عَزِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي
أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ إِلْتِهَاباً وَأَضْيَقَا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصُّدَيْدَ رَأَيْتَهُمْ
يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصُّدَيْدِ تَمَرُّقَا

(١) القَطْمِيرُ: شَقُّ النَوَاة، وفي الصحاح: القَطْمِيرُ: القِشْرَةُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي عَلَى النَوَاة بين النواة والنمر.

لَسْتُ بِزَائِرٍ تُرَابًا^(١)
عَجِبْتُ لِحَادِيْنَا الْمُقَحَّمِ سَيْرُهُ
بِنَا مُزْجِفَاتٍ مِنْ كِلَالٍ وَظُلْمَا^(٢)
لِيُذْنِيْنَا مِمَّنْ إِلَيْنَا لِقَاؤُهُ
حَبِيبٌ وَمِنْ دَارٍ أَرَدْنَا لِتَجْمَعَا
وَلَوْ نَعْلَمُ الْعِلْمَ الَّذِي مِنْ أَمَامِنَا
لَكَرَّ بِنَا الْحَادِي الرُّكَّابِ فَأَسْرَعَا
لَقُلْتُ: إِرْجِعْنَهَا إِنَّ لِي مِنْ وَرَائِهَا
خَذُولِي صَوَارٍ بَيْنَ قُفٍّ وَأَجْرَعَا^(٣)
مِنَ الْعُوجِ أَغْنَاكَ عِقَالُ أَبْوْهُمَا
تَكُونَانِ لِلْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبِ مَقْنَعَا
«نَوَارُ» لَهَا يَوْمَانِ يَوْمٌ غَرِيرَةٌ
وَيَوْمٌ كَغَرَّتِي جِرْوُهَا قَدْ تَيْفَعَا^(٤)
يَقُولُونَ زُرْ «حَذَرَاءَ» وَالتَّرْبُ دُونَهَا
وَكَيْفَ بِشْيٍ وَضَلُّهُ قَدْ تَقَطَّعَا

(١) «ديوان الفرزدق» شرح ايليا الحاوي / دار الكتاب اللبناني / بيروت ١٩٨٣ / الجزء الثاني ص ٧٦ .

(٢) الكلال: الإغْيَاء، وظلمت الناقة في مشيها: إذا كان في سيرها غمز وعرج.

(٣) الخَذُولُ: التي تَخَلَّفَتْ عَنِ الْقَطِيعِ، وَالصُّوَارُ: الْقَطِيعُ، وَالْقُفُّ: الْأَرْضُ الْمَرْتَفَعَةُ، وَالْأَجْرَعُ: الْكُتَيْبُ وَقِيلَ: هِيَ الرَّمْلَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ.

(٤) الغرثى: الجائعة.

وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بِزَائِرٍ
 تُرَابًا عَلَى مَرُؤْمَةٍ قَدْ تَضَعَضَعَا
 وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ
 عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّنَا
 يَقُولُ «ابْنُ خِنْزِيرٍ»: بَكَيْتَ وَلَمْ تَكُنْ
 عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي، إِخَالٌ، لِتَذَمَّعَا^(١)
 وَأَهْوَنُ رُزْءٍ لَامِرِيٍّ غَيْرِ عَاجِزٍ
 رَزِيَّةٌ مُرْتَجٍ الرِّوَادِفِ أَفْرَعَا
 وَمَا مَاتَ عِنْدَ «ابْنِ الْمَرَاغَةِ» مِثْلُهَا
 وَلَا تَبِعَتْهُ ظَاعِنًا حَيْثُ دَغْدَعَا^(٢)

وتزوّج الفرزدق جارية من «بني نهشل» فحملت منه ثم ماتت وهي
 حامل فقال يرثيها ويرثي جنيها:

(١) إخال بالكسر وهي الأفصح: أظنّ، جاء في الحديث: «ما أخالك سرقت» أي
 ما أظنك سرقت.

(٢) ابن المراغة: يقصد به خصمه الشعري اللدود جرير، والمراغة: الأتان التي لا
 تَمْتَنِعُ من الفحول، وبذلك لُقِبَ الأخطلُ أمَّ جرير فسماه «ابن المَراغة» أي
 يَتَمَرَّغُ عليها الرجال، وقيل: لأن كليباً قبيلة جرير كانت أصحاب حُمُرٍ فأراد
 أن يعيرَهُ. ودَغْدَعَ الرجل: عدا عَدُوًّا فيه بطءٌ والتواءٌ وتعثرٌ، قال الشاعر:

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَمْ يَقُولُوا لِعَائِرٍ
 وَلَا لَابْنِ عَمٍّ نَالَهُ الدُّفْرُ: دَغْدَعَا

وفي المعنى ذاته قول رؤبة بن العجاج:

وَإِنْ هَوَى الْعَائِرُ قُلْنَا: دَغْدَعَا

لَهُ وَعَالَيْنَا بِتَنْمِيشٍ لَمَّا

لَوْ أَنَّ الْمَنَآيَا أَنْسَأَتْهُ لَبَالِيَا^(١)

وَعَمْدٍ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنْخِ
عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ «دَارِمٍ» ذُو حَفِيطَةٍ
لَوْ أَنَّ الْمَنَآيَا أَنْسَأَتْهُ لَبَالِيَا^(٢)
وَلَكِنَّ رَبَّ الدَّهْرِ يَغْفِرُ بِالْفَتَنِ
فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَدًّا لِمَا كَانَ جَائِيَا
وَكَمْ مِثْلِهِ فِي مِثْلِهَا قَدْ وَضَعْتُهُ
وَمَا زِلْتُ وَثَابًا أَجْرُ الْمَخَازِيَا

(١) «الأغاني» الجزء ٢١ ص ٢٢٣ وهذه القطعة لا توجد في ديوانه. لكنها وردت في مصادر أخرى إضافة إلى الأغاني، ومن بينها «التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ص ٢٨٠ «بيتان» و«التعازي والمرائي» ص ٥٣ «بيتان» وفي «المعاني الكبير» في أبيات المعاني «لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٨٤ المجلد الثالث ص ١٢١٠ «بيتان» و«المشور والمنظوم» القصائد المفردات التي لا مثل لها» لطيفور أحمد بن أبي طاهر / ٢٠٤ - ٢٨٠ هـ تحقيق: الدكتور محسن غياض/ دار تراث عويدات/ بيروت/ باريس ١٩٧٧ ص ٩٢. بيتان.

(٢) دارم: قبيلة الفرزدق.

مُنْقِذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(٩٩٩ - ٩٩٩)

جاء في مُعْجَم الشعراء للمرزباني : منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالي بصريّ خَلِيعٌ ماجنٌ مُتَّهَمٌ في دينه ، رمي بالزندقة ، كان في صدر الدولة العباسية^(١) ، وفي «الحماسة البصرية» هو شاعر من مخضرمي الدولتين .

كُنْتُ الضَّيْنِ فَسَلَوْتُ^(٢)

الدَّهْرُ لَاءَمَ بَيْنَ أَلْفَتِنَا	وَكَذَاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
وَكَذَاكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ	وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَثَرُ
كُنْتُ الضَّيْنِ بِمَنْ أُصِبتُ بِهِ	فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَمْرُ
وَلَخَيْرُ حَظِّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ	يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزُولِهَا الصَّبْرُ

(١) «مُعْجَم الشعراء» للمرزباني ص ٤٠٤ .

(٢) «الأسباه والنظائر» الجزء الثاني ص ٣٢٧ .

مَعْقَلُ بْنُ عَيْسَى الْعَجَلِي

(٢٢٢ - ٢٢٢)

قال معقل بن عيسى العجلي «أخو أبي دلف العجلي» في جارية
توفيت له^(١).

سَبَبُ لِلْبُكَاءِ

مَا غَاضَ دَمْعِي عِنْدَ نَازِلَةٍ إِلَّا جَعَلْتُكَ لِلْبُكَاءِ سَبَبًا^(٢)
فَإِذَا ذَكَرْتُكَ سَامَحْتُكَ بِهِ مِنِّي الْجُفُونُ فَفَاضَ وَانْسَكَبَا
إِنِّي أَجِلُّ ثَرَى حَلَلْتِ بِهِ مِنْ أَنْ أَرَى بِسِوَاهُ مُكْتَتِبَا

(١) «ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٤٠ تنسب للإمام علي ورويت لمعقل بن عيسى العجلي أخو أبي دلف في جارية توفيت له. وفي «حماسة القرشي» عباس بن محمد القرشي النجفي ١٢٩٩ هـ تحقيق خير الدين محمود قبلاني وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٥ باب الرثاء «قال آخر» ص ٢٤٧. وفي «معجم الشعراء» ص ٤٢٩ لأبي محلم الراوية التميمي السعدي.

(٢) في «ربيع الأبرار» «ما غاص» و«جعلت» بدل «جعلتك» ولعله خطأ مطبعي.

الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ

(٨٨ - ١٢٦ هـ / ٧٠٦ - ٧٤٣ م)

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس. من ملوك الدولة مروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، كان مُتَهَمَكاً في اللُهوِ وَسَماعِ الغناء.

له شعرٌ رقيقٌ وعِلْمٌ بالموسيقى، قال أبو الفرج: «له أصواتٌ صنعها مشهورة وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدفّ على مذهب أهل الحجاز».

وقال السيد المرتضى: «كان مشهوراً بالإلحاد مُتَظَاهِراً بالعناد» وقال ابن خلدون: «ساءت القالة فيه كثيراً، وكثيرٌ من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به»
وُلِّيَ الخلافة بعد وفاة عمِّه هشام بن عبد الملك.

خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائباً فجاءه النبا فانصرف إلى «النجر» فقصده جَمْعٌ من أصحاب «يزيد» فقتلوه في قصر «النعمان بن بشير» وحُمِلَ رأسُهُ إلى دمشق فنُصِبَ في الجامع الأمويّ وبقي أثر دمه على الجدران إلى أن قَدِمَ المأمون دمشق وأمر بحكِّه.

كان الوليدُ متزوجاً «بسعدى» لكنه عشقَ أختها «سلمى» بعد زواجه، فطلق «سعدى» لكنه لم يتزوج سلمى في أول الأمر، وله أشعار كثيرة في

التغزل بها وقصص متنوعة يوردها أبو فرج الأصفهاني، ولما وُلِّي
الخلافة تزوّجها ومكثت عنده قليلاً، وقيل أياماً، فماتت ورثاها^(١)

وَجْهَهَا أَهْلٌ أَنْ يُفَدِّيَ^(٢)

أَلَمَّا تَعَلَّمَا سَلَمَى أَقَامَتْ مُضْمَنَةً مِنَ الصَّخْرَاءِ لَحْدًا
لَعَمْرُكَ يَا وَلِيدُ لَقَدْ أَجَنُوا بِهَا حَسَبًا وَمَكْرُمَةً وَمَجْدًا^(٣)
وَوَجْهَهَا كَانَ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاهُ شُعَاعُ الشَّمْسِ أَهْلٌ أَنْ يُفَدِّيَ
فَلَمْ أَرْ مَيِّتًا أَبْكِي لِعَيْنٍ وَأَثَرَ جَارِعًا وَأَجَلَ فَقْدًا
وَأَجْدَرَ أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِ مِلْكًا يُرِيكَ جَلَادَةً وَيُسِرُّ وَجْدًا

كَجَنَّةٍ فِي خَرِيفٍ^(٤)

يَا سَلَمُ كُنْتَ كَجَنَّةٍ قَدْ أَطْعَمَتْ أَفْنَانُهَا، دَانٍ جَنَاهَا مُوْنِعُ
أَرْبَابُهَا شَفَقًا عَلَيْهَا نَوْمُهُمْ تَحْلِيلِ مُرْضِعَةٍ وَلَمَّا يَهْجَعُوا

(١) «الأغاني» الجزء السابع ص ٢٧.

(٢) «ديوان الوليد بن يزيد» طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧ جمعه:
المستشرق ج جبريالي وقدمه خليل مردم ص ٤٠.

(٣) «الجنن»: هو القبر لسرّه الميت. والجنن أيضاً: الكفن. وأجنّه: كفّنه؛ قال
الشاعر:

مَا إِنْ أَبَالِي، إِذَا مَا مُتُّ، مَا فَعَلُوا:

أَأَخَسُّوا جَنَنِي أَمْ لَمْ يُجِنُّونِي؟

وجنّته في القبر وأجنّته أي واريّته، وقد أجنّه إذا قبره؛ قال الأعشى:

وَمَا لِكَ أَهْلٍ يُجِنُّونَهُ، كَأَخَرٍ فِي أَهْلِهِ لَمْ يُجِنُّ.

(٤) «الأغاني» الجزء السابع ص ٥١ و«التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ٢٨٠

و«ديوانه» ص ٤٧.

حَتَّى إِذَا فَسَحَ الرَّيْبُ ظُنُونَهُمْ نَثَرَ الْحَرِيفُ ثِمَارَهَا فَتَّصَدَّعُوا

الْقَبْرُ الْعَالِي

أَلَمْ تَعْلَمَا سَلَمَى أَقَامَتْ بِمَهْمِهِ

مُضْمَنَةً قَبْرًا مِنَ الْأَرْضِ أَنْجَدَا؟^(١)

(١) «ديوانه» ص ٤٠.

المَهْدِي العَبَّاسِي يَبْكِي عَلَى «رَخِيم»

(١٢٧ - ١٦٩ هـ = ٧٤٤ - ٧٨٥ م)

محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله، من خُلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد بإيذج «من قرى الأهواز» وولي بعد وفاة أبيه وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في «ماسبذان» صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً. كان متزوجاً بجارية اسمها «رَخِيم» وهي أمُّ العباسية وكانت بارعة الجمال. ولما توفيت جزعَ عليها جزعاً كثيراً.^(١) وجاء في التذكرة الحمدونية «جزع المهدي على رَخِيم جاريته جَزَعاً شديداً، فكان يأتي المقابر ليلاً فيبكي. فبلغ ذلك المنصور فكتب إليه: كيف ترجو أن أوليك أمرَ الأمة وأنت تجزع على أمة؟ فكتبَ إليه المهدي: «إني لم أجزع على قيمتها وإنما جزعتُ على شيمتها.»^(٢)

هَلَا نَسِيَتْهَا يَا مَوْتُ؟

أَوْدَى الزَّمَانُ وَرَبُّهُ بِرَخِيمٍ فَفَقَدْتُ بَعْدَ «رَخِيمٍ» كُلَّ نَعِيمٍ
يَا دَهْرُ مَا تَذَرِي بِقَدْرِ فَجِيعَتِي فَتُعِينِنِي أَنْ قَدْ أَبَحْتَ حَرِيمِي

(١) «الوافي بالوفيات» باعتناء س ديدرينغ الطبعة الثانية ١٩٩١ / الناشر فرانز شتايز / شتوتغارت/ الجزء ١٤ ص ١١٠.

(٢) «التذكرة الحمدونية» الجزء السابع ص ١٨٤.

وَنَسِيَّتَهَا فَتَكُونُ غَيْرَ مَلُومٍ	هَلَا اخْتَرَمْتَ مَكَانَهَا أَشْبَاهَهَا
وَقَدْ الرِّيحَ مَعَ الصَّدَى وَالْبُومِ	أَمَسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضِّيَاعِ يَقُودُهَا
صَلَوَاتُ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمٍ	لَا زَالَ قَبْرُكَ يَا «رَخِيمُ» يَنَالُهُ
وَلَقَدْ أَرَاهُ قَبْلُ لَيْسَ بِالْمَذْمُومِ	وَلَقَدْ ذَمَمْتُ الْعَيْشَ حِينَ فَقَدْتُهَا
إِذْ كُنْتُ مَوْضِعَ سِرِّي الْمَكْتُومِ	مَنْ ذَا أَسْرُ إِلَيْهِ كُلُّ خَفِيَّةٍ

هَارُونُ الرَّشِيدِ يَرِثِي «هَيْلَانَةَ»

(١٤٩ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩ م)

هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية، وأشهرهم، ولد بالريّ، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، له شعر. وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات، يلقب بجبار بني العباس.

و«هيلانة» التي يرثيها هنا لا يُعرفُ اسمها الحقيقي، وإنما هو اسم أطلقه عليها هارون نفسه، فقد سمّاها «هيلانة» لكثرة قولها: «هَيَّ الْآنَ» إذا استعجلت أحداً في شيءٍ تأمره به.

قال الأصمعي: وكان لها مُحبّاً، وكانت قبله «الخالد بن يحيى بن برمك» فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت: أما لنا منك نصيب؟ فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقالت: استوهبني من هذا الشيخ. فاستوهبها من «يحيى بن خالد» فوهبها له وحظيت عنده، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً^(١)

(١) «نساء الخلفاء» لابن الساعي علي بن أنجب بن عثمان ٥٩٣ - ٦٧٤ هـ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق مصطفى جواد، ص ٥٥.

ورثاها العباسُ بن الأحنف على لسانه بقصيدة قال فيها:

يا مَنْ تَبَاشَرَتِ الْقُبُورُ بِمَوْتِهِ قَصَدَ الزَّمَانُ لِمَهْلِكِي فَرَمَاكِ
أَبْنِي الْأَيْسَ فَلَا أَرَى لِي مُؤْنِسًا إِلَّا التَّرَدُّدَ حَيْثُ كُنْتُ أَرَاكِ
مَلِكٌ بَكَاكِ فَطَالَ بَعْدَكَ حُزْنُهُ لَوْ يُسْتَطِيعُ بِمُلْكِهِ لَفَدَاكِ^(١)
يَحْمِي الْفُؤَادَ مِنَ النُّسَاءِ حَفِيزَةً كَيْ لَا يَحُلَّ جَمَى الْفُؤَادِ سِوَاكِ

ومن شعر هارون يرثيها:

لَا سَرَّنِي بَعْدَكَ شَيْءٌ^(٢)

قَدْ قُلْتُ لَمَّا ضَمَّنُوكِ الثَّرَى وَجَالَتْ الْحَسْرَةُ فِي صَدْرِي:
اذهُبْ فَلَا وَاللَّهِ لَا سَرَّنِي بَعْدَكَ شَيْءٌ آخِرَ الدَّهْرِ

كَثُرَ النَّاسُ وَلَكِنِّي^(٣)

قَاسَيْتُ أَوْجَاعًا وَأَحْزَانًا لَمَّا اسْتَخَصَّ الْمَوْتُ هَيْلَانًا
فَارَقْتُ عَيْشِي حِينَ فَارَقْتُهَا فَمَا أَبَالِي كَيْفَ مَا كَانَا
كَانَتْ هِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا ثَوَتْ فِي قَبْرِهَا فَارَقْتُ دُنْيَانَا
قَدْ كَثُرَ النَّاسُ وَلَكِنِّي لَسْتُ أَرَى بَعْدَكَ إِنْسَانًا

(١) «ديوان العباس بن الأحنف» تحقيق: الدكتورة عائكة الخزرجي طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٠٨ .

(٢) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ باعتناء اوتفريت فاينترت/ بيروت ١٩٩٧ ص ٤١٢ .

(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي «المتوفى: ٩١١هـ» تحقيق: حمدي الدمرداش مكتبة نزار مصطفى الباز/ ٢٠٠٤م

وَاللَّهُ لَا أَنْسَاكَ مَا حَرَّكَتْ رِيحٌ بِأَعْلَى نَجْدٍ أَغْصَانًا

تَبْكِي الْبَوَاكِي^(١)

أَفْ لِلدُّنْيَا وَلِلزُّنَّةِ فِيهَا وَالْإِنْسَانِ
إِذْ حَتَا التُّرْبَ عَلَى هَيْلَانٍ فِي الْحُفْرَةِ حَائِثِي
فَلَهَا تَبْكِي الْبَوَاكِي وَلَهَا تُشْجِي الْمَرَاثِي
خَلَفَتْ سَقَمًا طَوِيلًا جَمَعْتُ ذَاكَ تُرَاثِي

(١) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ ص ١٩٩ باعتناء أوتفريد فاينثرت/ بيروت ١٩٩٧

يَعْقُوبُ بْنُ الرَّبِيعِ وَمَرَاثِي «مُلْك»

(١٩٠ هـ = ٨٠٥ م)

يعقوب بن الربيع بن يونس . وهو يعقوب بن الربيع الحاجب مولى المنصور كما جاء في معجم الشعراء .

شاعر، بغدادى ظريف . استنفد شِعْرَهُ في رثاء جارية له اسمها «مُلْك» . وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة، وهو أخو «الفضل بن الربيع» حاجب المنصور . وهو صاحب البيتين الشهيرين :

يُقْطَعُ قَلْبِي بِالصُّدُودِ تَجَنِّيًا
وَيَزْعُمُ أَنِّي مُذْنِبٌ، وَهُوَ مُذْنِبٌ
كَغُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يُذْيِقُهَا
أَفَانِينَ طَعْمِ الْمَوْتِ، وَالطُّفْلُ يَلْعَبُ

كان يعقوب شاعراً حُلُوءاً، طريفاً، وأكثر شعره، الذي اشتهر عنه، ما رثى به مُلْك جاريته . ولهما قصة عجيبة، وحكاية غريبة . وذلك أنه شغف بِمُلْك، شغفاً كاد يُتْلَفُهُ . وبقي سبع سنين يجتهد في تحصيلها، ويبذل لأجلها كلَّ ما يقدر عليه، فلا يتهياً له . فلَمَّا رَأَى أَهْلُهُ ما يحلُّ به، ويقاسي من البكاء والحزن، عدلوه ولاموه، ثم حثُّوه على مداومة اللهو ومعاقرة الشراب، والتسلِّي بغيرها، عسى يجد في ذلك بعضَ سَلْوٍ وراحةٍ مِمَّا هو عليه من عذاب المحبة . فأجاب إلى ذلك أَيَّاماً، فما رَوَى يزداد إلا غراماً على غرامه، وهياماً على هيامه . فترك ذلك،

ورفض اللهو والشراب، وقال^(١):

زَعَمُوا

زَعَمُوا أَنَّ مَنْ تَشَاغَلَ بِاللَّهِ، وَسَلَا عَنْ حَبِيبِهِ، وَأَفَاقَا
كَذَبُوا، مَا كَذَا بَلَوْنَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُونُوا، فِيمَا أَرَى، عُشَّاقَا
كَيْفَ شُغْلِي بِلَذَّةِ عَنكِ، وَاللَّذَاتُ يُخَدِّثْنَ لِي إِلَيْكَ اشْتِيَاقَا
كُلَّمَا رُمْتُ سَلْوَةً، تُذْهِبُ الْحُرْقَةَ، زَادَتْ قَلْبِي عَلَيْكَ اخْتِرَاقَا

وَزَعَمُوا^(٢)

زَعَمُوا أَنَّ مَنْ تَشَاغَلَ بِاللَّذَاتِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ يَتَسَلَّى
كَذَبُوا، وَالَّذِي تُقَادُّ لَهُ الْبُذُنُ، وَمَنْ طَافَ بِالْحَجِيجِ وَصَلَّى^(٣)
لِرَسِيسِ الْهَوَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ عَلَى قَلْبِ عَاشِقٍ يَتَقَلَّنِ^(٤)

فلما جاوز السبع سنين ظفر بها، فلم تلبث عنده إلا ستة أشهر، ثم

(١) «مجلة المورد» المجلد ١٥ / العدد ٣ / ١٩٨٦ شعراء الكتاب: فصل من كتاب
«المذاكرة في ألقاب الشعراء» للمجد النشابي الإربلي (١٦٥٧ هـ) ؛ تحقيق شاعر
العاشر ص ١٣٢.

(٢) «مجلة المورد» ص ١٣٢ وفي «الوافي بالوفيات» الشُّعْرُ لِمَانِي الموسوس
الجزء الرابع ٣٤٦ باعتناء س. ديدرِنغ ١٩٧٤ وفي «مصارع العشاق» لأبي
محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري ٤١٧ - ٥٠٠ هـ، دار صادر
/ بيروت الجزء الثاني ص ٢٥،

الشُّعْرُ لِمَانِي أيضاً «زعموا أن من تشاغل باللذات».. وفي «طبقات ابن
المعتر» للصيني ص ٣٠٤ تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف مصر.

(٣) الْبُذُنُ: النوق السَّمان.

(٤) الرسيس: الثابت.

ماتت. فنال من الحزن والجزع عليها أكثر مما كان يلقاه من حبها.
فَمِمَّا رثاها به قوله :

كَلَمْعِ السَّرَابِ^(١)

لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ «لِمَلِكٍ» كَانَ هَجْرِي لِقَبْرِهَا وَاجْتِنَابِي؟
أَلِذَنْبٍ حَقَّدَتْهُ كَانَ مِنْهَا أَمْ لِعِلْمِي بِشُغْلِهَا عَنْ عِتَابِي
أَمْ لِأَمْنِي لِسُخْطِهَا وَرِضَاها حِينَ وَارَيْتُ وَجْهَهَا فِي التَّرَابِ
مَا وَفَى فِي الْعِبَادِ حَيٍّ لِمَيِّتٍ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْهُ لَهُ فِي الْإِيَابِ
إِنَّمَا حَسَرْتَنِي إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ عَنَائِي بِهَا وَطُولَ طِلَابِي
لَمْ أَزَلْ فِي الطَّلَابِ سَبْعَ سَنِينَ أَتَأْتِي لِذَاكَ مِنْ كُلِّ بَابِ
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اتِّفَاقٍ وَقَدَرٍ وَغُنِينَا، مِنْ فُرْقَةٍ، بِاضْطِحَابِ
أَشْهُرٍ سِتَّةٍ صَحَبْتُكَ فِيهَا كُنَّ كَالْحُلُمِ، أَوْ كَلَمْعِ السَّرَابِ
وَأَتَانِي النَّعْيُ مِنْكَ مَعَ الْبُشْرَى فَيَا قُرْبَ أَوْبَةٍ مِنْ ذَهَابِ

يَا قُرْبَ مَا تَمِيهَا مِنَ الْعُرْسِ^(٢)

خَلَسَ الزَّمَانُ أَعَزَّ مُخْتَلَسٍ وَيَدُ الزَّمَانِ كَثِيرَةُ الْخَلَسِ
لِلْأَنْسَةِ فُجِعْتُ بِهَا مَا كَانَ أَبْعَدَهَا مِنَ الدَّنَسِ
أَتَتْ الْبِشَارَةَ وَالنَّعْيَ مَعًا يَا قُرْبَ مَا تَمِيهَا مِنَ الْعُرْسِ

(١) «المورد» ص ١٣٣ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٥.

(٢) الأبيات من ١ - ٣ الثلاثة الأولى «مجلة المورد» ص ١٣٥ والأبيات ٣ - ٨

في «الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ص ١٤٦٤.

يَا «مُلْكُ» نَالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ فَرَمَى قُوَادًا غَيْرَ مُخْتَرِسِ
 كَمْ مِنْ دُمُوعٍ لَا تَجِفُّ وَمِنْ نَفْسٍ عَلَيْكَ طَوِيلَةَ النَّفْسِ
 أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ تَحْتَ الظَّلَامِ تُنُوحُ فِي الْغَلَسِ
 يَا «مُلْكُ» فِيَّ وَفِيكَ مُعْتَبَرٌ وَمَوَاعِظُ يُوجِّشْنَ ذَا الْأُنْسِ
 مَا بَعْدَ فُرْقَةٍ بَيْنِنَا أَبَدًا فِي لَذَّةٍ دَرَكٍ لِمُلْتَمِسِ

فَمَاتَتْ وَلَا أَذْرِي، وَمِثُّ وَلَا تَذْرِي! ^(١)

أَمْرٌ بِقَبْرِ فِيهِ «مُلْكُ» مُجَانِبًا
 كَأَنِّي لَا أَغْنَى بِصَاحِبَةِ الْقَبْرِ
 أَمْرٌ إِذَا جَاوَزْتُهُ مُتَلَفَّتًا
 تُلَاحِظُهُ عَيْنِي، وَدَمَعْتُهَا تَجْرِي
 فَلَوْ أَنَّنِي إِذْ حَلَّ وَفْتُ حِمَامُهَا
 أَحَكَّمُ فِي عُمْرِي، لَشَاطَرْتُهَا عُمْرِي
 فَحَلَّ بِنَا الْمِقْدَارُ فِي سَاعَةٍ مَعًا
 فَمَاتَتْ وَلَا أَذْرِي، وَمِثُّ وَلَا تَذْرِي!
 فَإِنْ تُبْقِيَنِي الْأَيَّامُ لِلدَّهْرِ لُغْبَةً
 فَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، أَلْعَبُ بِالدَّهْرِ

(١) «مجلة المورد» ص ١٣٦.

أَيْتُهَا الْعِظَامُ^(١)

يَا أَغْظَمَ بَلِيَتْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
فِي حُفْرَةٍ قَدْ سَلَا عَنَّا بَوَاكِئُهَا
لَوْ تَسْمَعِينَ دُعَائِي لَأَسْتَجَبْتَ لَهُ
وَهَلْ تُجِيبُ عِظَامَ مَنْ يُنَادِيهَا؟
صَوْتُ يُنَادِيكَ أَنْ لَوْ تَعْلَمِينَ بِهِ
أَغْرَزْتَ دَعْوَتَهُ أَلَا تُجِيبِيهَا
هَذَا الَّذِي كُنْتَ فِي الدُّنْيَا ضَجِيعَتُهُ
لَمْ تَسْتَعِضْ نَفْسُهُ إِلَّا فَا يُسَلِّيَهَا

حَتَّى إِذَا فُتِّرَ اللِّسَانُ^(٢)

حَتَّى إِذَا فُتِّرَ اللِّسَانُ، وَأَضْبَحَتْ
لِلْمَوْتِ قَدْ ذُبُلَتْ ذُبُولَ النَّرْجِسِ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا
وَعَلَا الْأَنْبِيْنَ تَحْتُهُ بِتَنَفُّسٍ
رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعِي يَأْسًا، كَمَا
رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعَ الْمُتَلَمَّسِ^(٣)

(١) «المورد» ص ١٣٧ .

(٢) «المورد» ص ١٣٧ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٥ .

(٣) المتلمس خال طرفة بن العبد طرفة وكانا ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة، فبلغه انهما هجوا، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وقد كان أمره بقتلهما، فاستراب «المتلمس» ففتح صحيفته =

فلما أكثر يعقوب المراثي وأفرط، وبقي لا ينام الليل، وقلَّ أكله، وكثرَ جزؤه، خِيفَ عليه الهلاك. وكان لِمُلْك رقيقة يقال لها «طرب» أنس بها، فاشتروها له، وأمروها بمداعبته وملازمته، ليسلو بها عن «مُلْك» فكان ذلك كما راموا، وأنَّ طرباً تمكَّنت مِن قلبه. فقال:

أَرَاكَ كَمُلْك! ^(١)

فُجِغْتُ بِمُلْكٍ، وَقَدْ أَيْنَعْتُ

وَتَمَّتْ، فَأَعْظُمَ بِهَا مِنْ مُصِيبَةٍ

فَأُضْبَحْتُ مُغْتَرِباً بَعْدَهَا

وَأَمْسَتْ «بِحِلْوَان» مَلِكٌ غَرِيبَةٌ ^(٢)

أَرَانِي غَرِيباً، وَإِنْ أُضْبَحْتُ

مَنَازِلُ أَهْلِي مِنِّي قَرِيبَةٌ

حَلَفْتُ عَلَى اخْتِهَا بَعْدَهَا

فَصَادَفْتُهَا ذَاتَ عَقْلِ، أَدِيبَةٌ

وَقُلْتُ لَهَا: مَرْحَباً، مَرْحَباً

بِوَجْهِ الْحَبِيبَةِ اخْتِ الْحَبِيبَةِ

= فإذا فيها أمر بقتله، فقلدها في نهر الحيرة، وقال لطرفة: إنَّ في صحيفتك واللو ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا، لم يكن لي جترئ عليّ؛ ثم توجه المتلمس نحو الشام فنجا برأسه، وتوجه طرفة نحو البحرين، وأوصل الكتاب إلى عاملها فقتله.

(١) «المورد» ١٣٨ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٦.

(٢) حلوان: مدينة في العراق تقع قرب خانقين، قريبة من الحدود مع إيران.

سَاضْفِيكَ وَدِّي حِفَاطًا لَهَا
كَذَاكَ الْوَفَاءُ بِظَهْرِ الْمَغِيبَةِ
أَرَاكَ «كَمُلِكَ» وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
«لِمُلِكَ» مِنَ النَّاسِ عِنْدِي ضَرْبُهُ^(١)
فَلَمْ تَلْبِثْ، أَيْضًا، طَرِبَ أَنْ لَحِقْتَ «بِمُلِكَ» فَلَقِيَ جَهْدًا، وَاشْفَى
عَلَى الْمَوْتِ، وَقَالَ^(٢)

مَلَاءَةُ الْحُزْنِ
لَقَدْ سَخَنْتُ عَيْنِي «بِمُلِكَ» وَسُهِدْتُ
فَمَا رَقَدْتُ حَتَّى وَصَلْتُ سُهَادَهَا
وَكَاثَتْ لَنَا نَارٌ تَوَقَّدُ فِي الْحَشَا
فَمَا خَبَأْتُ، حَتَّى شَبَبْتُ وَقُودَهَا
أَنْسْتُ بِرَوَغَاتِ الْمَصَائِبِ بَعْدَهَا
وَيَعْدُكَ، حَتَّى مَا أَبَالِي مَزِيدَهَا
رَأَيْتُ ثِيَابَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَأْتَمٍ
إِذَا اخْتَلَفُوا، يَبْضُ الثِّيَابُ وَسُودَهَا
وَأَنْتِ عَلَى «مُلِكَ» لَيْسْتُ مَلَاءَةً
مِنَ الْحُزْنِ لَمْ يَبْلُ الزَّمَانُ جَدِيدَهَا

(١) الضريب: الشيء، وليس لفلان ضرب أي لا شبيه له.

(٢) «المورد» ١٣٨.

بَلَيْثَ فِي الثُّرَابِ^(١)

بَلَيْثَ «مُلْكُ» فِي الثُّرَابِ فَأَبْلَانِي بِلَاهَا وَذِكْرُ «مُلْكِ» جَدِيدُ
يَنْقُصُ الْوَجْدُ كُلَّمَا قَدِمَ الْعَهْدُ وَوَجِدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ

بَالٍ مِنَ الْحُزْنِ^(٢)

يَا «مُلْكُ» إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالِيَّةٍ
فَلِئَنِّي فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الْحُزْنِ
يَا «مُلْكُ» لَمْ تَجِدِي مَسَّ الْبَلَى وَلَقَدْ
وَجَدْتُ مَسَّ الْبَلَى وَالضَّرَّ فِي الْبَدَنِ

(١) «معجم الشعراء» ص ٣٣ و«ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٤٧.

(٢) «معجم الشعراء» ص ٣٣.

ابنُ كُنَاسة

(١٢٣ - ٢٠٧ هـ = ٧٤١ - ٨٢٣ م)

هو مُحَمَّد بن كُنَاسة، ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كُوفيُّ المولد والمنشأ، رُوِيَ عنه شيء من الحديث، وكان امرأً صالحاً لا يتصدى لمدح ولا لهجاء، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها «دنابير» من أهل الكوفة وكان أهلُ الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر، واستبعد ابنُ الجوزي أنها كانت تغني، معللاً ذلك بأنَّ ابنَ كُنَاسة كان زاهداً نبيلاً، وليس مثله من يعلم جارية له الغناء. ولكنَّه أورد بعد ذلك أخباراً لها في الغناء وأبياتاً من شعرها. ^(١)

يَا لَيْتَ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ. ^(٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْكَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ يَكُنِ الْقَوْلُ قَلَّ فِيكَ فَمَا أَفَحَمَنِي غَيْرُ شِدَّةِ الْحَزَنِ

(١) «الأعلام» الجزء ٦ ص ٢٢١ وكذلك الجزء الثاني ص ٣٤١.

(٢) «الأغانى» الجزء ١٣ ص ٢٤٣.

مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ «صَرِيحُ الْغَوَانِي»

(٢٢٢ - ٢٠٨ هـ = ٢٢٢ - ٨٢٣ م)

مسلم بن الوليد الأنصاري، شاعرٌ غزليٌّ مُتَقَدِّمٌ من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة، كان في أوَّلِ أمره خاملاً إما فرَّاناً أو أجيراً فرَّان، فانتقاد له الشُّعْرُ وجوْدُهُ، وكسب به الأموال العظيمة، نزل بغداد فاتَّصل بالرشيد وأنشده، ولَقَّبَ بصريح الغواني لقوله:

هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا
وَتَغْدُو صَرِيحَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ

فعرف به، وكان يكره هذا اللقب كما روى الأصفهاني، وهو أوَّلُ من قال الشُّعْرَ المعروف بالبديع، وتبعه فيه جماعة، أشهرهم أبو تمام فإنه جَعَلَ شِعْرَهُ كُلَّهُ مذهباً واحداً فيه. ومسلم كان متفَنِّناً متصرفاً في شعره. وكان مسلماً شاعراً حَسَنَ النَّمَطِ، جيِّدَ القول في الشَّراب، وكثير من الرواة يقرُّنهُ بأبي نواس في هذا المعنى. وهو أوَّلُ من عقد هذه المعاني الظرفية واستخرجها. وأتَّهَمَ بأنه أوَّلُ من أفسد الشعرا!

وكانت لمسلم بن الوليد زوجةٌ من أهله، كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه، فماتت فجزع عليها جَزَعاً شديداً، وتَسَكَّتْ مُدَّةً طويلةً، وعزَمَ على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل، فأكلوا وقَدَّمُوا الشَّراب، فامتنع منه «مسلم» وأبى، وأنشأ يقول:

بُكَاءٌ وَكَاسٌ؟^(١)
بُكَاءٌ وَكَاسٌ كَيْفَ يَتَّفِقَانِ؟
سَبِيلُهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ
دَعَائِي وَإِفْرَاطِ الْبُكَاءِ فَلِئَنِّي
أَرَى الْيَوْمَ فِيهِ غَيْرَ مَا تَرِيَانِ
عَدْتُ وَالشَّرَى أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا
إِلَى مَنْزِلِ نَاءٍ لِعَيْنِكَ دَانِ
فَلَا وَجَدَ حَتَّى تَنْزُفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا
وَتَغْتَرِفَ الْأَخْشَاءُ بِالْخَفَقَانِ
وَكَيْفَ يَدْفَعُ الْيَاسُ وَالْوَجْدُ بَعْدَهَا
وَسَهْمَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَغْتَلِجَانِ

(١) «ديوان صريع الغواني» / مسلم بن وليد الأنصاري، تحقيق سامي الدهان دار
المعارف مصر الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ص ٣٤١.

المأمون

(١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣ م)

عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين فتمم ما بدأ به جدّه المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. وأنحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم، فاختر لها مَهْرَةَ التراجمة، فترجمت. وحضّ الناس على قراءتها، فقامت دولة الحكمة في أيامه. وقرّب العلماء والفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب. وأطلق حرّية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلسفة. وكان فصيحاً مفوّهاً، واسع العلم، مُحِبّاً للعفو. من كلامه: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إليّ بالجرائم.^(١)

توفي على نهر «البلندون» ودفن في طرسوس «مدينة تركية تابعة لموسين» وهو في الثامنة والأربعين من عمره.

وكان للمأمون «جويرية» من أحسن الناس، وأسبقهم إلى كل نادرة فحظيت عنده، فحسدها الجوّاري وقلن: لا حَسَبَ لها، فنقشت على

(١) «الأعلام» الجزء ٤ ص ١٤٨.

خاتمها «حَسْبِي حُسْنِي» فازداد بها المأمون عجباً، فسَمَّتها الجواري،
فماتت، فجزع عليها المأمون جزعاً شديداً وقال:

اِخْتَلَسَ الدَّهْرُ يَدَيَّ مِنْ يَدَيَّ^(١)

اِخْتُلِسَتْ رَيْحَانَتِي مِنْ يَدَيَّ أَبْكِي عَلَيْهَا آخِرَ الْأَبَدِ
كَانَتْ هِيَ الْأُنْسَ إِذَا اسْتَوْحَشْتُ نَفْسِي مِنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ
وَرَوْضَةٌ كَانَ بِهَا مَرْتَعِي وَمَنْهَلًا كَانَ بِهَا مَوْرِدِي
كَانَتْ يَدَيَّ، كَانَ بِهَا قَوْتِي فَاخْتَلَسَ الدَّهْرُ يَدَيَّ مِنْ يَدَيَّ

وجاء في الموشى «حدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال: كنا عند
المأمون يوماً فقام فدخل إلى حرمه، وخرج وعيناه تذرفان، فقال لي:
يا مخارق تغرن لي بهذين البيتين: فحفظتهما، وتغنيت بهما، فجعل
يبكي، وينتحب في بكائه، ويزفر، ثم قال لنا: أتدرون ما قصتي؟
قلت: أمير المؤمنين أعلم، وإن شاء أعلمنا. قال: إني دخلت إلى
بعض المقاصير، فرأيت جارية لي كنت أجذبها وجداً شديداً، وهي
للموت، فسلمت عليها، فلم تطق ردَّ السلام، فأشارت بإصبعها،
فغلبتني العبرة وأرهقتني الزفرة، فخرجت من عندها، فحضرني هذان
البيتان من باب قصرها إلى باب مجلسي، ثم أمر برفع الشراب، فما
رأيت يوماً أكدر منه»^(٢)

(١) «المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيبي محمد بن أحمد بن منصور ٧٩٠
- ٨٥٢ هـ تحقيق إبراهيم صالح/ دار صادر ١٩٩٩ الجزء الثالث ص ٢٥.
«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري الجزء الثالث ص ٣٥٥.

(٢) «الموشى أو الظرف والظرفاء» للوشاء أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى
الوشاء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق: كمال مصطفى مكتبة الخانجي للطباعة والنشر
مطبعة الاعتماد بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٣ م ص ٦٦.

سَكَتَ الْكَلَامُ

سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُطَقْ عِنْدَ بَيْنِهِ

سَلَامًا فَأَوْمَى بِالْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ

فَمَا اسْطَعْتُ إِلَّا بِالْبُكَاءِ جَوَابَهُ

وَذَلِكَ جَهْدُ الْمُسْتَهَامِ الْمُعَذَّبِ^(١)

(١) في «الأغاني» جزء ١٨ ص ٢٦٩: تَوَدُّعًا لَهُ بِسَوَى الْبُكَاءِ.

مَحْمُودُ الْوَرَّاقِ

(٢٢٠ هـ = ٨٤٠ م)

محمود بن حسن الوراق أبو الحسن، شاعرٌ عباسيٌّ مشهور من شعراء القرنين الثاني والثالث المرموقين وقد ذكر أنه كان مولى لبني زهرة وهو شاعرٌ من بغداد لذلك علقَ به لقبُ البغدادي. وأكثر شعره في المواعظ والحكم وقد اشتهر بلقبين أحدهما: الوراق، والآخر: النخاس فأما الوراق فهو الناسخُ بالأجرة ولعلها مهنة عملَ بها. وأما اللقب الآخر: النخاس فقد جاء من المهنة كذلك وقال ابن الجوزي في «المنتظم»: وكان نخاساً يبيع الرقيق^(١). وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشوى:

وَمُنْتَصِحٌ^(٢)

وَمُنْتَصِحٌ يُرَدِّدُ ذِكْرَ «نَشْوَى» عَلَى عَمْدٍ لِيَبْعَثَ لِي اِكْتِثَابًا
أَقُولُ وَعَدُّ مَا كَانَتْ تُسَاوِي: سَيَحْسُبُ ذَاكَ مَنْ خَلَقَ الْحِسَابَا
عَطِيَّتُهُ إِذَا أُعْطِيَ سُرُورٌ وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أُعْطِيَ أَثَابَا

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي الجزء الحادي عشر ص ٦٩.

(٢) ديوان محمود الوراق، جمع ودراسة وتحقيق الدكتور وليد القصاب مؤسسة

الفنون عجمان ١٩٩١ ص ٧١. وكتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل،

للوشاء تحقيق الدكتور يحيى الجبوري دار الغرب الإسلامي ١٩٩١ ص ١٤٢.

فَأَيُّ النُّعْمَتَيْنِ أَعَمُّ نَفْعًا وَأَحْسَنُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا
أَنِعْمَتُهُ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا أَمْ الْأُخْرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابًا؟
بَلِ الْأُخْرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِحُزْنٍ أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ اخْتِسَابَا

غَالِ نَفْسًا حَيِّبَةً^(١)

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَ صَرَفُ الزَّمَانِ نَشْوَى لَقَدْ غَالَ نَفْسًا حَيِّبَةً
وَلَكِنَّ عِلْمِي بِمَا فِي الثَّوَابِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُنْسِي الْمُصِيبَةَ

(١) ديوانه ص ٨٣.

المُعَلَّى الطَّائِي

(٢٢٢ - ٢٢٢)

ليس ثمة أخبار كثيرة، ولا أشعار وفيرة تذكرها لنا المصادر عن هذا الشاعر الذي يبدو من خلال المقطعات الصغيرة التي ترد في بعض الكتب، بأنه شاعرٌ مُتمكِّنٌ ونسيجٌ وحده كما يذكر ابنُ المعتز في طبقاته، كل ما نعرفه أنه عاش في مصر في زمن الأمين والمأمون وله حادثة شهيرة مع عبد الله بن طاهر والي مصر في عهد المأمون، كما تشير بعض المصادر إلى أنه اتصل بأبي نواس خلال زيارة الأخير مصر. واشتهر له بيته الذي يقول فيه:

لَوْ يُضْبِحُ النَّيْلُ يَجْرِي مَأْوُهُ ذَهَبًا

لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى خِزْنٍ بِمِثْقَالٍ^(١)

(١) لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر سوَّغَه المأمون خراجها سنة، فصعد المنبر، فلم ينزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينار أو نحوها، فقبل أن ينزل أتاه معلى الطائي، وقد أعلموه بما صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير - وكان واجداً عليه - : أنا معلى الطائي، ما كان من جفاء وغلظة، فلا يغلظ علي قلبك، أصلح الله الأمير، وأنا الذي أقول:

يَا أَغْظَمَ النَّاسِ عَفْوَاً عِنْدَ مَقْدِرَةٍ

وَأَظْلَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ بِأَلْمَالِ

لَوْ أَضْبَحَ النَّيْلُ يَجْرِي مَأْوُهُ ذَهَبًا

لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى خِزْنٍ بِمِثْقَالٍ

وننقل هنا ما ورد عن ترجمته في «طبقات ابن المعتز»: كان المعلى الطائي يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، وكان من أقنع الناس. وقال يوماً: يكفيني في كل سنة خمسون درهماً فضة، فتعجب من ذلك بنوه. وكان لا يفتاب أحداً ولا يتكلم فيه، وكان أعف الناس قرماً وأصدقهم لساناً، وكان من قبل هذه الحال يتعاطى الفتوة والسطارة، ويطلب ويعبث ويفسد ويقطع ويشرب الخمر، ثم تاب وهو حسن الشعر مليح، ولما تاب ترك الشعر، وكان يقال له: لم لا تقوله وأنت نسيج وحدك؟ فيقول: قد أبدلني الله تلاوة كتابه. وما قال بعد ذلك شعراً حتى

يُغْنِيَنِي بِمَا فِيهِ رَقِي الْحَمْدِ تَمْلِكُهُ
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْاضَ الْحَمْدَ بِأَلْغَالِي
تَفُكُّ بِالْيُسْرِ كَفَّ الْعُسْرُ مِنْ زَمَنٍ
إِذَا اسْتَطَالَ عَلَى قَوْمٍ إِفْلَالِ
لَمْ يَخْلُ كَفُّكَ مِنْ جُودٍ لِمُخْتَبِطِ
أَوْ مُزْهِبِ قَاتِلٍ مِنْ رَأْسِ قَتَالِ
وَمَا تَبْتُ رَجِيلَ الْحَيْلِ فِي بَلَدِ
إِلَّا عَصَفَنْ بِأَرْزَاقِي وَأَجَالِ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَيَّ إِذْ فَقَدْ ظَمِئْتُ
نَفْسِي إِلَيْكَ فَمَا تُرَوِّ عَلَى حَالِ
إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَالٍ مَنِئْتُ بِهِ
فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ حَمْدِي عَلَى بَالِ
مَا زِلْتُ مُفْتَضِيلاً لَوْلَا مُجَاهَرَةٌ
مِنْ أَلْسِنِ خِفَضٍ فِي صَبْرِي بِأَقْوَالِ

قال: فضحك عبد الله، وسر بما كان منه، فقال: يا أبا الشعر بالله أقرضني عشرة آلاف دينار، فوالله ما أصبحت أملكها، فأقرضه إياها، فدفعها إليه. «راجع المتنظم في تاريخ الملوك والأمم» ج ١٠ - ١٥٠

مات^(١). وهذه القصيدة / المراثية هي أطول قصيدة وردت لمعلی الطائي، وقد انفرد بإيرادها «ابن عبده ربه» كاملة في «العقد الفريد» وهي مراثية لجارية عشقها فتزوجها فماتت بعد ثمانية أيام: يقول ابن عبده ربه:

كان لمُعلی الطائي جارية يُقال لها وَصْف، وكانت أديبة شاعرة، قال محمد بن وَضَّاح: أدركتُ معلی الطائي بمصر، وأُعطي بجاريته وَصْف أربعة آلاف دينار فباعها. فلما دخل عليها قالت له: بِعْتَنِي يَا مُعلی! قال نعم، قالت: واللّه لو مَلَكَتُ منك مثلَ ما تَمْلِكُ مني ما بِعْتُكَ بالدُّنْيا وما فيها. فَرَدَ الدَّنانير، واستقال صاحبه، فأصيب بها إلى ثمانية أيام، فقال يرثيها: ^(٢)

يَا قَبْرُ ابْنِي عَلِيٍّ مَحَاسِنَهَا

يَا مَوْتُ كَيْفَ سَلَبْتَنِي «وَصْفًا»	قَدَّمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْفًا؟
هَبْلًا ذَهَبْتَ بِنَا مَعًا فَلَقَدْ	ظَفِرْتَ يَدَاكَ فَسُمْتَنِي خَسْفًا
وَأَخَذْتَ شِقَّ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِي	فَقَبَرْتَهُ وَتَرَكْتَ لِي النُّصْفَا
فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ	فَالْمَوْتُ بَعْدَ وَفَائِهَا أَغْفَى
يَا مَوْتُ مَا بَقِيَتْ لِي أَحَدًا	لَمَّا زَفَفْتَ إِلَى الْبَلَى وَصْفًا
هَلَّا رَجِمْتَ شَبَابَ غَايَةِ	رِيًّا الْعِظَامِ وَشَعْرَهَا الْوُخْفَا ^(٣)

(١) «طبقات الشعراء» لابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف مصر ١٩٧٦ ص ٣٣٣.

(٢) «العقد الفريد» الجزء الثالث ص ٢٣٣.

(٣) الوحف: الكيف.

وَرَجِمْتُ عَيْنِي ظَبْيَةً جَعَلْتُ
تُغْفِي إِذَا انْتَصَبَتْ فَرَائِصُهُ
فَإِذَا مَشَى اخْتَلَفَتْ قَوَائِمُهُ
مُتَحِيرًا فِي الْمَشْيِ مُرْتَعِشًا
فَكَأَنَّهَا «وَصَفٌ» إِذَا جَعَلْتُ
يَا مَوْتُ أَنْتَ كَذَا لِكُلِّ أَخِي
خَلَيْتَنِي فَرْدًا وَبُنْتُ بِهَا
فَتَرَكْتُهَا بِالرَّغَمِ فِي جَدَثٍ
دُونَ «الْمُقَطَّمِ» لَا أَلْبَسُهَا
اسْكَنْتُهَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
بَيْتًا إِذَا مَا زَارَهُ أَحَدٌ
لَيْسَتْ ثِيَابَ الْحَتَفِ جَارِيَةً
فَكَأَنَّهَا وَالنَّفْسُ زَاهِقَةٌ
يَا قَبْرُ ابْقِ عَلَى مَحَاسِنِهَا
بَيْنَ الرِّيَاضِ تُنَاطِرُ الْخِشْفَا^(١)
وَتَظَلُّ تَرْعَاهُ إِذَا أَغْفَى
وَقَتَّ الرِّضَاعِ فَيَنْطَوِي ضَعْفًا
يَخْطُو فَيَضْرِبُ ظِلْفُهُ الظُّلْفَا
نَحْوِي تَدِيرُ مَحَاجِرًا وَطَفَا^(٢)
إِلْفٍ يَصُونُ بِرِّهِ الْإِلْفَا؟
مَا كُنْتُ قَبْلَكَ حَافِلًا وَكُنَّا^(٣)
لِلرَّيْحِ يَنْسِفُ ثُرْبَهُ نَسْفًا
مِنْ زِينَةِ قُرْطَا وَلَا شَنْفَا^(٤)
بَيْتًا يُصَافِحُ ثُرْبَهُ السَّقْفَا
عَصَفْتُ بِهِ أَيْدِي الْبَلَى عَضْفًا
قَدْ كُنْتُ أَلْبَسُ دُونَهَا الْحَتْفَا
عُضْنُ مِنَ الرِّيحَانِ قَدْ جَفَا
فَلَقَدْ حَوَيْتَ النُّورَ وَالظُّرْفَا

(١) الخشف: الظبية الصغيرة.

(٢) وطفاء: طويلة الرمشين والحاجيين.

(٣) الوكف: البكاء بدمع منهمل.

(٤) الشنت: الذي يلبس لي أعلى الأذن، والذي في أسفلها القُرْط.

أَبُو تَمَام

(١٨٨ - ٢٣١ هـ = ٨٠٤ - ٨٤٦ م)

وُلِدَ أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الحوراني في قرية «جاسم» على بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن دمشق، وانتقل إلى دمشق حيث عمل في حدائقه حائكاً، ثم انتقل إلى «حمص» وتعرّف فيها على «ديك الجن الحمصي» ومنها بدأت رحلته مع الشعر، ثم غادر إلى مصر في صباه، فعمل سقاء في المسجد الجامع، ذاع صيته فاستقدمه المعتصم إلى عاصمته الجديدة: سامراء بعد أن أنتقل إليها من بغداد، تنقّل في آسيا الوسطى وأقام فترة في خراسان.

يرى المستشرق الإنكليزي دافيد صموئيل مارجليوث أن أباه كان نصرانياً ويدعى «تيدوس العطار» فغيّره إلى «أوس» وانتسب إلى «طيء» وممّا جاء عنه في الأغاني «ما كان أحدٌ من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلمّا مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه» وكان قد امتدح عبد الله بن طاهر أمير خراسان فثر عليه الأخير ألف دينار، فلم يلتقط منها شيئاً بل تركها لمن حوله يلتقطونها.

يميل النقد العربي القديم إلى عقد مقارنة بينه وبين المتنبي والبحري، حتى أن الأملدي خصص كتاباً، أسماه «الموازنة بين الطائيين» لكن البحري نفسه يحسم الأمر بقوله: «نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه» وهو رأي قاله البحري في سياق جواب على من حاول تفضيله على أبي تمام: «إن الناس يزعمون أنك

أشعر من أبي تمام فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرُّ أبا تمام،
والله ما أكلتُ الخبز إلا به، ولوددتُ أنَّ الأمرَ كما قالوا، ولكني والله
تابعٌ له لا نذُّ به» ويذكر هذه الرواية كل من الأصفهاني في
«الأغاني» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء».

توفي في الموصل سنة ٢٣١ هـ = ٨٤٦ م بعد أن عاش فيها سنتين
والياً على بريدها.

هاتان المرثيتان تمثلان جانباً من غرض شعري برع به أبو تمام إلى
جانب براعته في شتى الأغراض في شعره.

حَلِيفُ أَسَى^(١)

أَلَمْ تَرَنِي خَلَّيْتُ نَفْسِي وَشَانَهَا
وَلَمْ أَخْفِلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا
لَقَدْ خَوَّفْتَنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا
وَلَوْ أَمَّنَّنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
وَكَيْفَ عَلَى نَارِ اللَّيَالِي مُعَرَّسِي
إِذَا كَانَ شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُخَانَهَا
أَصِيبْتُ بِخَوْدِ سَوْفٍ أَغْبُرُ بَعْدَهَا
حَلِيفُ أَسَى أَبْكِي زَمَانًا زَمَانَهَا
عِنَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي
فَلَمَّا قَضَى الْإِلْفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا

(١) «ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي» شرح التبريزي / تحقيق محمد عبده
عزام دار المعارف / الطبعة الثالثة المجلد الرابع ص ١٤٢.

مَنْحَتْ الدَّمَنَ هَجْرِي فَلَا مُحْسِنَاتُهَا
 أَوْدٌ وَلَا يَهْوَى فُؤَادِي حِسَانُهَا
 يَقُولُونَ: هَلْ يَبْكِي الْفَتَى لِخَرِيدَةٍ
 إِذَا مَا أَرَادَ اغْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا؟
 وَهَلْ يَسْتَعِيزُ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفُّهُ
 وَلَوْ صَاغَ مِنْ حَرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا؟

وقال حبيب الطائي يرثي جارية أصيب بها^(١)

هَلَالٌ عَلَيْهِ نَسْجُ ثَوْبٍ مِنَ الثُّرْبِ
 جُفُوفَ الْبَلَى أَسْرَعَتْ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ
 وَخَطَبَ الرَّدَى وَالْمَوْتَ أَبْرَحْتَ مِنْ خَطْبِ
 لَقَدْ شَرِقتَ فِي الشَّرْقِ بِالْمَوْتِ غَاةً
 تَعَوَّضْتُ مِنْهَا غُرْبَةَ الدَّارِ فِي الْغَرْبِ
 وَالْبَسَنِي ثَوْباً مِنَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى
 هَلَالٌ عَلَيْهِ نَسْجُ ثَوْبٍ مِنَ الثُّرْبِ
 وَكُنْتُ أَرْجِي الْقُرْبَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
 فَقَدْ ثَقُلْتُ بَعْدِي عَنِ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ

(١) «العقد الفريد» الجزء الثالث كتاب الدرة في النوادي و«التعازي والمراثي» ص ٢٣٥ وفي «ديوانه» المجلد الرابع ص ٥٣ «يرثي امرأة محمد بن سهل» وهي لم ترد في «ديوان أبي تمام» بشرح الصولي.

أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا إِسْتَرَاخَتْ بِمَوْنِهَا
مِنَ الْكَرْبِ، رَوْحُ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ^(١)
لَقَدْ نَزَلْتُ ضُنْكَاً مِنَ اللَّحْدِ وَالْثَرَى
وَلَوْ كَانَ رَحْبَ الذَّرْعِ مَا كَانَ بِالرَّحْبِ
وَكُنْتُ أَرْجِي الْقُرْبَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
فَقَدْ نُقِلْتُ بُعْدِي عَنِ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ
لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهْدُهَا
لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقُلُبِ

(١) الرُّوحُ: الراحة.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ

(١٧٣ - ٢٣٣ هـ = ٧٨٩ - ٨٤٧ م)

كان شاعراً مجيداً، وُزِّرَ لثلاثة خلفاء من بني العباس هم: المعتصم والواثق والمتوكل، وكان أبوه زياتاً إلا أنه كان كثير المال، وكان محمد بن الزيات شديد القسوة صعب العريكة لا يرقُّ لأحدٍ ولا يرحمه، وكان قد اتخذ في أيام وزارته، ثُوراً من حديد وأطراف مساميره محددة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، وكان يعذبُ فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلبَ واحدٌ منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشدَّ الألم ولم يسبقه أحدٌ إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال أحدٌ منهم: أيُّها الوزير ارحمني، يقولُ له: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، ولما مرضَ الواثق عملَ ابنُ الزيات على توليةِ ابنه وحرمان المتوكل فلم يفلح، وولي المتوكل فاعتقله وأمر بإدخاله في الثُّور، وقيدَه بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا إليه فكتب:

هِيَ السَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ
لَا تَجْزَعَنَّ، رُوَيْدًا إِنَّهَا دَوْلٌ دُنْيَا تُنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ
وسيرها إلى المتوكل، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد،

فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ٢٣٣، وكانت مدة إقامته في التور أربعين يوماً.

ولما مات وُجِدَ في التور مكتوبٌ بخطه قد خطّه بالقلم على جانب التور يقول:

مَنْ لَهُ عَهْدٌ بِثَوْمٍ يُرِيدُ الصَّبَّ إِلَيْهِ
رَحِمَ اللَّهُ رَجِيماً دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ
سَهَرْتُ عَيْنِي وَنَامْتُ عَيْنٌ مِنْ هُنْتُ لَدَيْهِ

ودفن وَلَمْ يَمُتْ قبره فنبشته الكلاب وأكلته. وكان الجاحظ منقطعاً إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه، فغاب وكان يقول: كدتُ أكون...^(١) وتلبس صورة الجارية بصورة الزوجة هنا كشأن كثير من النساء اللواتي تتجه لهنّ المراثي في هذا العصر، حيث يقول المبرد «كانت له جارية وكان بها ضيقاً، كان له منها ابنٌ يقال له عمر، فماتت وابنتها هذا صغير. فرثاها ببيتين هما جاريان على السن الناس مشهوران بينما في ديوانه أن القصيدة «في رثاء زوجته سلوانة»^(٢)»:

وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟

يَقُولُ لِي الْخُلَانُ: لَوْ زُرْتُ قَبْرَهَا

فَقُلْتُ: وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان» لابن خلكان «أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨-٦٨١ هجرية تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر/ بيروت الجزء الخامس ص ٩٤.

(٢) «التمازي والمراثي» ص ١٠١ وفي «ديوانه» ص ١٨٧ في رثاء زوجته «سلوانة» «ديوان محمد بن عبد الملك الزيات/ سيرته، أدبه» تحقيق يحيى الجبوري/ الطبعة الأولى/ دار البشير / عمان/ الأردن ٢٠٠٢.

عَلَى حَيْنٍ لَمْ أُحْدِثْ فَأَجْهَلَ فَقَدْهَا
وَلَمْ أَبْلِغِ السُّنَّ الَّتِي مَعَهَا الصَّبْرُ

مَنْ بِالصَّبْرِ لَابِنِ ثَمَانٍ^(١)

أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ
بُعِيدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَنْسَكِبَانِ؟
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمٍّ
يَبِيتَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَجِيَانِ
يَرْنُ بِصَوْتٍ مَضَّ قَلْبِي نَشِيجُهُ
وَسَخَّ دُمُوعُ ثَرَّةِ الْهَمَلَانِ
وَبَاتَ وَحِيدًا فِي الْفِرَاشِ تَجُنُّهُ
بَلَابِلُ قَلْبٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ
أَلَا إِنَّ سَجْلًا وَاحِدًا إِنْ هَرَقْتُهُ
مِنْ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلَيْنِ قَدْ شَفَيَانِي^(٢)
فَلَا تَلْحَيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا
أَدَاوِي بِهِذَا الدَّمْعِ مَا تَرَبَّانِ
وَإِنَّ مَكَانًا فِي الثَّرَى خُطَّ لَحْدُهُ
لِمَنْ كَانَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى
فَهَلْ أَنْتُمَا إِنْ عَجْتُ مُنْتَظَرَانِ؟

(١) «ديوانه» ص ٢٦٤.

(٢) السَّجْلُ: الدَّلْو، وَلَا يَسْمَى الدَّلْوُ سَجْلًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَمْلُوءًا.

فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنْنِي
جَلِيدٌ، فَمَنْ بِالصَّبْرِ لَابِنِ ثَمَانٍ؟
ضَعِيفُ الْقَوَى لَا يَطْلُبُ الْأَجَرَ حِسْبَةً
وَلَا يَأْتِسِي بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
أَلَا مَنْ أَمْنِيهِ الْمُنَى وَأَعَدُّهُ
لِعَشْرَةِ أَيَّامٍ وَصَرَفِ زَمَانٍ؟
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ حَاطَنِي وَكَفَانِي؟
فَلَمْ أَرَ كَالْأَقْدَارِ كَيْفَ تُصِيبُنِي
وَلَا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي
وَلَا مِثْلَ أَيَّامٍ فُجِئْتُ بِفَقْدِهَا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ دَهَانِي
أَعَيْنِي إِنْ لَمْ تُسْعِدَا الْيَوْمَ عِبْرَتِي
فَبِئْسَ إِذْنٌ مَا فِي غَدٍ تَعِدَانِي
أَعَيْنِي إِنْ أَنْعَ الشُّرُورُ وَأَهْلَهُ
وَعَهْدَ الرُّضَا عِنْدِي فَقَدْ نَعَيَانِي
أَعَيْنِي إِنْ أَبْكَى الْبَشَاشَةُ وَالصُّبَا
فَقَدْ آذَنَّا مِنِّي وَقَدْ بَغَبَانِي
أَلَا إِنْ بَيْتًا لَمْ أَرْزُهُ لِشَدْمَا
تَلَبَّسَ مِنْ قَلْبِي بِهِ وَعَنَانِي
أَلَا إِنْ مَبِيتًا لَمْ أَرْزُهُ لَعَزَّ مَا
تَضَمَّنَ مِنْهُ فِي الثَّرَى الْكَفَّانِ

مُذْرِكُ بْنُ وَاصِلِ بْنِ حَنْظَلَةَ

جاء في «معجم الشعراء» للمرزباني: مذرك بن واصل بن حنظلة بن
أوس بن حصن الطائي أبو الجنيبة أعرابي محدث رشيد وله يرثي
زوجته^(١):

مَنْ مُبْلِغُ «أُمِّ الْجَنِيبِ» رِسَالَةً
وَلِإِنْ أَضْبَحْتَ بِالرَّمْسِ بَيْنَ الصَّفَائِحِ
فَلِإِنِّي لَرَاعٍ حِفْظَ غَيْبِكَ مَا بَكَتْ
عَلَى شِعْبِ الدُّومِ الْحَمَامُ النَّوَائِحُ^(٢)
فَكَمْ عَبْرَةٌ أَرْسَلْتُهَا بَعْدَ عَبْرَةٍ
وَكَمْ غَصَّةٍ أَتْبَعْتُهَا لَا أَبَارِحُ
عَلَى إِثْرِ إِخْوَانٍ نَأَوْا طَرَحَتْهُمْ
نَوَى غَرْبَةٍ بَعْدَ الْجَوَارِ الْمَطَارِحُ

(١) «معجم الشعراء» ص ٤٠٦.

(٢) الدوم: شجر يشبه النخل.

ديك الجن الحمصي

(٢٦١ - ٢٣٥ هـ = ٧٧٨ - ٨٥٠ م)

ديك الجن لقبٌ غَلَبَ عليه، واسمه: عبد السلام بن رغبان من بني تميم. وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهبُ مذهبَ «أبي تمام» والشاميين في شعره، من شعراء الدولة العباسية وكان من ساكني «حمص» ولم يبرح نواحي الشام ولا وَفَدَ إلى العراق ولا إلى غيره مُتَجَعاً بشعره ولا متصدّياً لأحد وكان يتشيعُ تشيعاً حَسَنًا.

وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هَوِيَهَا وتمادى به الأمر حتى غَلَبَتْ عليه وذهبت به فلَمَّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّجَ بها فأجابته لعلمها برغبته فيها وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمُها «ورداء» وفي بعض المصادر «دنيا»^(١)

وكانَ قد أغسَرَ واختَلَّتْ حاله فرحل إلى «سلمية» قاصداً «أحمد بن علي الهاشمي» فأقام عنده مدّةً طويلةً وَحَمَلَ ابْنُ عُمُو بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه، بسبب هجائه له، على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوّجها «عبد السلام» أنها تهوى غلاماً له وقرّرَ ذلك عند جماعةٍ من أهل بيته وجيرانه وإخوانه وشاع ذلك الخبر حتى أتى «عبد السلام» فكتب إلى «مُضَيِّقِهِ» شعراً يستأذنه في الرجوع إلى «حمص» ويُعلِّمُهُ ما بلغه من خبر المرأة. فعاد إلى حمص وقتلها هي والغلام.

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان الجزء الثالث ص ١٨٦.

وجاء في «الوافي بالوفيات» أنه بعد قتلهاما أحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين،^(١) ثم تبين له أمرهما وأنه ظلمهما، فكان يضع البرنيتين عن يمينه ويساره ويملاهما شراباً، ويقبل هذه تارة وهذه تارة! وذكر ابن خلكان أن أخت الغلام المقتول مع ورد قالت بيتين في ديك الجن:

يَا وَيْحَ دِيكَ الْجِنُّ يَا تَبًّا لَهُ مِمَّا تَضَمَّنَ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ
قَتَلَ الَّذِي يَهْوَى وَعَمَّرَ بَعْدَهُ يَا رَبِّ لَا تَمْدِدْ لَهُ فِي عُمُرِهِ^(٢)

هذه المراثي الموزعة على قصائد عدة تمثل في الواقع صورة مبشرة لتلك القصة التراجيدية لورد. مشاعر قلقة ملتبسة بين تبريره القتل، وندمه على ذلك.

أَنَا وَخِدِّي أَخْبَيْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ؟^(٣)

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَظْفِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوِصَالِ وَصَلْتُ
فَالَّذِي مِنِّي اشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَلِغَارٍ مَا قَدْ عَلَيْهِ اشْتَمَلْتُ؟
قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدْ حَلُمْتُ وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي حَلُمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ
لَايْمٌ لِي بِجَهْلِهِ وَلِمَاذَا؟ أَنَا وَخِدِّي أَخْبَيْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ!
سَوْفَ آسَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَأُبْكِيكَ عَلَى مَا فَعَلْتُ لَا مَا فَعَلْتُ

(١) البرنية: شبة فخارة ضخمة خضراء من القوارير الشخان الواسعة الأفواه.

(٢) «العمدة» الجزء الثاني ص ١٥٠ و«وفيات الأعيان» الجزء الثالث ص ١٨٨.

(٣) «الأغاني» الجزء ١٤ ص ٣٦ وانظر «ديوانه» ص ٣٥ جمع وتحقيق ودراسة

مظهر الحجري/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق ٢٠٠٤.

صَنَنْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِحُسْنِهَا^(١)

يا طَلْعَةَ طَلَعِ الْحِمَامِ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا
رَوَيْتُ مِنْ دِمِهَا الثَّرَى وَلَطَّالَمَا رَوَى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا
قَدْ بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَالٍ وَشَاحِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا
فَوْحَقُ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
مَا كَانَ قَتْلِيهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا
لَكِنْ صَنَنْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنْفَتْ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا

دموع صياد الطيور^(٢)

أَسَاكِنَ حُفْرَةٍ وَقَرَارٍ لَحْدٍ مُفَارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدٍ
أَجْبِنِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوَابِي بِحَقِّ الْوُدِّ كَيْفَ ظَلَلْتَ بَعْدِي؟
وَأَيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلُولِ قَلْبِي وَأَخْشَائِي وَأَضْلَاعِي وَكَبْدِي
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ وَجْدِي إِذَا اسْتَعْبَرْتُ فِي الظُّلُمَاءِ وَخَدِي
وَجَدْتُ تَنَفُّسِي وَعَلَا زَفِيرِي وَفَاضَتْ عَبْرَتِي فِي صَحْنِ خَدِّي
إِذَنْ لَعَلِمْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ سَتُخْفَرُ حُفْرَتِي وَيُسْقَى لَحْدِي
وَيَعْدِلُنِي السَّفِينَةُ عَلَى بُكَائِي كَأَنِّي مُبْتَلَى بِالْحُزْنِ وَخَدِي
يَقُولُ: قَتَلْتَهَا سَفَهًا وَجَهْلًا وَتَبْكِيهَا بُكَاءَ لَيْسَ يُجْدِي
كَصِيَادِ الطُّيُورِ لَهُ انْتِحَابٌ عَلَيْهَا وَهُوَ يَذْبَحُهَا بِحَدِّ

(١) «ديوانه» ص ٢٨٢ و«الأغاني» جزء ١٤ ص ٣٧.

(٢) «ديوانه» ص ١١٩ وانظر «الأغاني» الجزء ١٤ ص ٣٨.

طُوبَى (١)

مَا لَامِرِيَّ بِيَدِ الدَّهْرِ الْخَوُونَ يَدُ
وَلَا عَلَى جَلْدِ الدُّنْيَا لَهُ جَلْدُ
طُوبَى لِأَخْبَابِ أَقْوَامِ أَصَابَهُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ عَشِقُوا مَوْتَ فَقَدْ سَعِدُوا
وَحَقُّهُمْ إِنَّهُ حَقٌّ أَضُنُّ بِهِ
لَأَنْفُذَنَّ لَهُمْ دَمْعِي كَمَا نَفَدُوا
يَا دَهْرُ إِنَّكَ مَسْقِيٌّ بِكَاسِهِمْ
وَوَارِدٌ ذَلِكَ الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا
الْخَلْقُ مَا ضُونَ وَالْأَيَّامُ تَتَّبِعُهُمْ
نَفَنِي جَمِيعاً وَيَبْقَى الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ (٢)

قُلْ لِمَنْ كَانَ وَجْهَهَا كَضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي حُسْنِهِ وَيَذِرُ مَنِيرٍ
كُنْتَ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ
وَلَقَدْ صِرْتَ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ
بِأَبْنِي أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ
وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ النُّشُورِ

(١) «ديوانه» ص ١١٢ والأغاني جزء ١٤ ص ٣٩.

(٢) «ديوانه» ص ١٥٣ والأغاني جزء ١٤ ص ٣٩.

خُشِّنِي فِي الْمَغِيبِ وَالْخَوْنِ نُكْرُ
وَذَمِيمٌ فِي سَالِفَاتِ الدُّهُورِ
فَشَفَانِي سَيْفِي وَأَسْرَعَ فِي حَزِّ التَّرَاقِي قِطْعًا وَحَزِّ النُّحُورِ
أَحْسَنُ نَائِمٍ ^(١)
أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بِغَدْرِهِ
أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الْوِصَالِ بِهَجْرِهِ
قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ
لِبَلْبَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خِذْرِهِ ^(٢)
فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ
مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ
وَالْحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتِي فِي نَحْرِهِ
لَوْ كَانَ يَذِرِي الْمَيْتَ مَاذَا بَعْدَهُ
بِالْحَيِّ حَلٌّ، بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
غُصَصٌ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ
وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ

(١) ديوانه ص ١٤٩.

(٢) الدجن: الغيم، وقيل بل هو ظل الغيم على الأرض.

ابنُ الرومي

(٢٢١ - ٢٨٣ هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦ م)

علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي، شاعرٌ كبيرٌ، من طبقة بشار والمنتبي، رومي الأصل.

ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل: دسَّ له السمَّ القاسم بن عبيد الله -وزير المعتضد- وكان ابنُ الرومي قد هجاه. والهجاء يشكّل واحداً من الأغراض الرئيسية في شعره، إلى جانب الوصف والزهد. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وغاد إليه فهجاه، ولذلك قلّت فائدته من قول الشُّعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاة.

وكان ابنُ الرومي شديد التّطير، فكان يغلّق أبوابه ولا يخرج إلى أحدٍ خوفاً من التطير. قال عنه الصفدي: ابنُ الرومي من الشعراء الفحول المطولين الغوّاصين على المعاني. كان إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقيّة. فربّما سمجّ بعض الأوقات. ومعانيه غريبة جيّدة، وكان إذا أعجبه المعنى كرّره في عدّة مواضع في قوافٍ مختلفة، وقال الخالديان: لم نرَ كابن الرومي إذا انفرد بالمعنى جوّده، وإذا تناوله من غيره قصّر فيه.

له مراثٍ في والدته وزوجته التي خصّها بمقطوعات عدة. وله، كذلك، مرثية طويلة جداً في جارية مغنية اسمها «بستان» نورد مقطعاً منها في ملحق هذا الكتاب.

خُلَّةُ الصَّفَاءِ^(١)

عَيْنِي شِحًّا وَلَا تَسِحًّا جَلَّ مُصَابِي عَنِ الْبُكَاءِ
تَرَكُّكُمْ الدَّاءَ مُسْتَكِينًا أَضِدُّ عَنْ صِحَّةِ الْوَفَاءِ
إِنَّ الْأَسَى وَالْبُكَاءَ قَدَمًا أَمْرَانِ كَالدَّاءِ وَالِدَوَاءِ
وَمَا ابْتِغَاءُ الدَّوَاءِ إِلَّا بُغْيَا سَبِيلٍ إِلَى الْبَقَاءِ
وَمُبْتَغِي الْعَيْشِ بَعْدَ خَلٍّ كَاذِبُهُ خُلَّةُ الصَّفَاءِ

اِخْتِسَابُ الْأَمْرِ^(٢)

سَلَوْتُ شَبَابِي وَالرُّضَاعَ كِلَيْهِمَا
فَكَيْفَ تُرَانِي سَالِيًا مَا سِوَاهُمَا؟
وَمَا أَخَذْتَ الْعَضْرَانِ شَيْئًا نَكَرْتُهُ
هُمَا الْوَاهِبَانِ السَّالِبَانِ هُمَا، هُمَا
رَأَيْتُ اِخْتِسَابَ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ
حَمَى مُقْلَتِي أَنْ يَطُولَ بُكَاهُمَا

ذَخِيرَةُ الدَّمْعِ^(٣)

أَعَيْنِي جُودًا بِالدُّمُوعِ لِفَقْدِهَا
فَمَا بَعْدَهَا دُخْرٌ مِنَ الدَّمْعِ مَذْخُورُ

(١) «ديوان ابن الرومي» تحقيق حسين نصار / دار الكتب المصرية ٢٠٠٣ الجزء الأول ص ٧٩.

(٢) «ديوانه» الجزء الأول ص ١٢٦.

(٣) «ديوانه» الجزء الثالث ص ١١٣٨.

نَصِيبُكُمْ مِنْهَا الَّذِي فَاتَ فَابِكِيَا
فَأَمَّا نَصِيبُ الْقَلْبِ مِنْهَا فَمَوْفُورُ

عَيْنِي^(١)

عَيْنِي جُودًا عَلَى حَبِيبِكُمَا	بِالسَّجْلِ فَالسَّجْلِ مِنْ صَيْبِكُمَا
لَا تَجْمُدَا لَاتَ حِينَ مَعْدِرَةٍ	مَا لَمْ تَذُوبَا لِمُسْتَذِيبِكُمَا
فَاسْتَغْزِرَا دِرَّةَ السُّوَالِ عَلَى	بَذْرِ كَمَا بَلَّ قَضِيبِكُمَا
هَذَا فُؤَادِي وَالرُّزْءُ رُزُوكُمَا	تَبْكِي لَهُ عَيْنُ مُسْتَثِيبِكُمَا
فَاسْتَنْكِفَا أَنْ يَكُونَ غَيْرُكُمَا	أَبْكِي لِمَا فَاتَ مِنْ نَصِيبِكُمَا

(١) «ديوانه» الجزء الخامس ص ٢١٣٠.

المُعْتَضِدُ بِاللَّهِ

(٢٤٢ - ٢٨٩ هـ = ٨٥٧ - ٩٠٢ م)

أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل: خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات في بغداد. كان عوناً أبيه في حياته أيام خلافة المعتمد، ويبيع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد فحلَّ عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين. ثم جعل يتوجَّه بنفسه إلى أصحاب الشغب في البلاد فيقمع ثائرتهم. وجعل أمراء الجند مسؤولين عن أعمال أتباعهم. وفي المؤرخين من يقول: قامت الدولة بـ «أبي العباس» وجددت بـ «أبي العباس» يريد السفاح والمعتضد. قال ابن دُحْيَةَ: «وهو أحد رجال بني العباس الخمسة، أقام العدل، وبذل المال، وأصلح الحال، وحجَّ وغزا وجال المحدثين وأهل الفضل والدين. استولى على الخلافة وليس في بيت المال سوى قراريط لا تبلغ دينارين، فأصلح الأمور حتى فضل من ارتفاعه في سني خلافته تسعة عشر ألف ألف دينار» وقال ابنُ تغري بردي: المعتضد آخر خليفة عقد ناموس الخلافة، وأخذ أمر الخلفاء بعده في الإدبار. وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم إلا في مواضع الشدة.^(١)

ويقول النويري: «كان المعتضد جيِّدَ الشعر، فمن شعره ما قاله عند

(١) «الأعلام» الجزء الأول ص ١٤٠.

موت جارية اسمها «دريرة» كان يحبها وتحبه غاية المحبة، فلما ماتت
جزع لموتها جزعاً منعه عن الطعام والشراب»^(١)

لَوْ تَرَانِي

يَا حَبِيبَا لَمْ يَكُنْ يَغْدِلُهُ عِنْدِي حَبِيبُ
أَنْتَ عَنْ عَيْنِي بَعِيدُ وَمِنْ الْقَلْبِ قَرِيبُ
لَيْسَ لِي بِغَدَاكَ فِي شَيْءٍ مِنَ اللَّهِو نَصِيبُ
لَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى قَلْبِي وَإِنْ بِنْتَ رَقِيبُ
وَحَيَالُ مِنْكَ مِذْ غَبْتَ خَيَالُ لَا يَغِيبُ
لَوْ تَرَانِي كَيْفَ لِي بِغَدَاكَ عَوَّلُ وَنَحِيبُ
وَقَوَادِي حَشْوُهُ مِنْ حُرْقِ الْحُزْنِ لَهَيْبُ
لَتَيَقَّنْتَ بِأَنِّي فِيكَ مَحْزُونٌ كَغِيبُ
مَا أَرَى نَفْسِي وَإِنْ سَلَيْتُهَا عَنْكَ تَطِيبُ
لِي دَمْعٌ لَيْسَ يَغْصِينِي وَصَبْرٌ مَا يُجِيبُ

لَمْ أَبْكِ لِلدَّارِ^(٢)

لَمْ أَبْكِ لِلدَّارِ وَلَكِنْ بِمَا قَدْ كَانَ فِيهَا مَرَّةً سَاكِناً
فَخَانَنِي الدَّهْرُ بِفَقْدَانِهِ وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ لَهُ آمِناً
وَدَّعْتُ صَبْرِي يَوْمَ تَوَدَّيْعِهِ وَبَانَ قَلْبِي مَعَهُ ظَاعِناً

(١) «نهاية الأرب في فنون الأدب» للتوحيدي الجزء ٢٢ ص ٢٧٢.

(٢) «نهاية الأرب» الجزء ٢٢ ص ٢٧٢ أيضاً.

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

(٢٢٣ - ٣٠٠ هـ = ٨٣٨ - ٩١٣ م)

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، ويعرف بابن طاهر: أمير، من الأدباء الشعراء. انتهت إليه رئاسة أسرته. وُلِّيَ شرطة بغداد. مولده ووفاته فيها. وكان مهيباً، رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، وله تصانيف، منها «الإشارة» في أخبار الشعراء، و«السياسة الملوكية» وغيرها. وله محلٌّ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشُّعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة. وله صنعةٌ في الغناء حسنة متقنة عجيبة، وكان يترفّع عن إظهار نفسه بذلك، ويومئ إلى أنه من صنعته جاريته «شاجي» وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات، أحبها وتزوَّجها قال جحظة: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوماً، فجاءه مشيخة، فأمرهم بالجلوس عن يمينه. وجاء كهول، فأمرهم بالجلوس عن شماله. ودخل أحداثٌ فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس. فسألته عنهم، فقال: هؤلاء بني، وأوماً إلى الشيوخ، وهؤلاء بنوهم وأوماً إلى الكهول، وهؤلاء بنوهم وأوماً إلى الأحداث. قلت: بنوك لأم أو لأمهات شئ؟ قال: أمٌ جميعهم «شاجي» وأنشد^(١):

(١) «الديارات» للشابشتي «أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي توفي ٣٨٨ هـ»

تحقيق كوركيس عواد دار الرائد العربي/ بيروت ١٩٨٦ ص ١١١.

أبناء شاجي

زَرَعْتُ وَ«شَاجِي» بَيْنَنَا فِي شَبِيبَتِي
غِرَاسَ الْهَوَى فَاغْتَمَّ بِالشَّمْرِ الْعَذْبِ
فَشَابَ بَنُو «شَاجِي» لِظَهْرِي وَأَذْرَكُوا
وَشَابَ بَنُوهُمْ وَهِيَ مَالِكَةُ قَلْبِي

وذكر ابن قدامة قال: حضرت جنازة «شاجي» فلما انصرفنا، دخلت مع عبيد الله مساعداً له ومؤنساً، وهو مطرق ودموعه تجري على خديه، فلم أرباكياً أحسن منه. ثم رفع رأسه وأقبل علينا، فقال^(١):

ذَهَبَتْ نَفْسِي

يَمِينًا يَقِينًا لَوْ بُلِيتُ بِفَقْدِهَا
وَبِي نَبْضُ عِرْقٍ لِلْحَيَاةِ وَلِلنَّكْسِ
لَأَوْشَكْتُ قَتَلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهَا
وَلَكِنَّهَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي

قال: وهي معي مذ سبعون سنة. وكان بعض المنجمين حكّم بموته قبلها، فماتت قبله.

كَذَبَ الْمُنْجَمُونَ^(٢)

فَيَا عَجَبًا مِنِّي وَمِمَّنْ رَعِيَّتُهُ بَأْوَكِدِ أَسْبَابِ الْهَوَى وَرَعَانِي
وَكُنْتُ أَرْجِي أَنْ أَكُونَ فِدَاءَهُ فَلَمَّا أَتَى وَقْتُ الْجَمَامِ فِدَانِي

(١) «الأغاني» الجزء التاسع ص ٣٢ و«الديارات» للشاهشتي ص ١١٢.

(٢) «الديارات» للشاهشتي ص ١١٢.

قال: ثم حضرت معه لزيارة قبرها، فلما هم بالانصراف، قال:

سَكُنُوا الْبَلَى^(١)

مَنْ زَارَ دَارَ أَحِبَّةٍ لِحَيَاتِهِمْ وَلَمَّا يُؤْمَلُ مِنْ لِقَاءِ يُفَدَّرُ
فَلَيَاتِ دَارَ أَحِبَّةٍ سَكُنُوا الْبَلَى كَرَمًا وَحِفْظًا وَاللِّقَاءِ الْمَحْشَرُ

ومات ابنٌ لعبيد الله من «شاجي» فزار قبره، ثم أنشد:

مَجْمَعُ الْأَخْبَابِ^(٢)

أَيَا مَجْمَعِ الْأَخْبَابِ بَعْدَ تَفَرُّقِ
أَرَاكَ قَرِيبًا وَالتَّلَاقِي شَاسِعَا
فَيَا عَجَبًا أَنِّي أَزُورُكَ مُكْرَهًا
وَفِيكَ الْأَلَى أَمْوَى وَأَجْفُوكَ طَائِعَا

بَعْدَكَ^(٣)

أَسْرُ أُمُورِ الدُّهْرِ صَارَ أَغْمَهَا
وَكُلُّ جَدِيدٍ صَارَ بَعْدَكَ بِالِيَا
فَأَعْجَبُ مِنْ شَهِدٍ تَحَوَّلَ عَلَقَمًا
وَمِنْ صَاحِبٍ لَمْ يَعُدْ أَنْ ظَلَّ بِأَكْيَا

(١) «الديارات» ص ١١٢.

(٢) «الديارات» ص ١١٢.

(٣) «الديارات» ص ١١٥.

وَيَيْنَا^(١)

وَيَيْنَا الْفَتَى يَبْكِي وَيَنْدُبُ شَجْوَهُ
وَمَأْلُوفُهُ إِذْ صَارَ يُبْكِي وَيُنْدُبُ

التُّرْبُ دُونَهُمْ^(٢)

وَقَعْتُ عَلَى الْأَحْبَابِ وَالتُّرْبُ دُونَهُمْ
بِنَفْسِي وَجُودُهُ تَحْتَ تِلْكَ الْمَقَابِرِ
وَمَثَلٌ لِي مَا نَالَ مِنْ حُسْنِهَا الْبَلَى
فَسُبْحَانَ رَبِّي عَالِمًا بِالسَّرَائِرِ

(١) «الديارات» ص ١١٥ .

(٢) «الديارات» ص ١١٥ .

الراضِي بالله

(٢٩٧ - ٣٢٩ هـ = ٩١٠ - ٩٤٠ م)

محمد بن المقتدر بالله المعروف بالراضِي بالله. خليفة عَبَّاسِيٍّ كانت أَيَّامُ سلفيه «القاهر والمقتدر» أَيَّامَ ضَعْفٍ امتنع فيها أمراء البلاد عن الطاعة واستقلَّ كثيرٌ من الولاة بولاياتهم، ولما وُلِّيَ حاول إصلاح الأمر فلم ينجح، فتفككت عُرى الدولة في أيامه. وختم الخلفاء في صفات عدَّة، منها أنه آخر خليفة له شعر مُدَوَّنٌ، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال. مات في بغداد ودفن في الرصافة. وإليه تنسب الدراهم «الراضوية»^(١) وأوَّلُ من جمع شعره معاصره «أبو بكر الصولي» المتوفى ٣٥٣ هجرية في كتاب «الأوراق» ويقول في ذلك: «كان رضي الله عنه جمع شعره وأملأه عليّ، فكتبتُه بحضرة الجلساء في يوم وليلة، لا أقوم عنه إلا إلى صلاة فوصلني على ذلك. ونسخ الجلساء هذه النسخة وهي عندهم. فنظرتُ فيها فإذا فيها أشياء فقلتُ له من حيث لا يسمعي أحد: يا سيدي هذا شعر يبقى على الأبد.»^(٢) ومن شعره ما قاله في رثاء جارية مغنية كان لها موقع من قلبه:

(١) «الأعلام» الجزء السادس ص ٧١.

(٢) كتاب «الأوراق» لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي توفي ٢٣٥ هـ نشره ج هيورث دن مطبعة الصاوي مصر ١٩٣٦ الجزء الثاني أخبار الراضي بالله ص ١٥٤.

لَوْ كَانَ يَفْدِي الْمَيِّتَ حَيًّا^(١)

وَقَالُوا اضْطَبِرْ فَأَلْصَبِرُ شَيْءٌ عَدِمْتُهُ
لِفَقْدِي صَفْوَ الْعَيْشِ مِنْ مُنْيَةِ النَّفْسِ
عَدِمْتُ الْكَرَى لَمَّا عَدِمْتُ بَدَائِعاً
جَعَلَنْ قَرَى نَفْسِي بِحَلْقِكَ وَالْجَسْ
لَقَدْ كُنْتُ إِنْ غَنَيْتُ أَغْنَيْتُ لَذَّتِي
بَصَوْتِ يُعِيرُ السَّمْعَ رِبْحاً بِلَا وَكْسِ
أَرْقُ مِنَ الشُّكْوَى وَأَخْلَى مِنَ الْمُنَى
وَأَزَوْحُ مِنْ أَمْنٍ وَالْطَّفُ مِنْ حَسْ
لَعَمْرِي لَئِنْ أَضْبَحْتَ سَعْدِي وَفِيكَ لِي
رَجَاءٌ لَقَدْ أَمْسَيْتُ بِالْيَأْسِ لِي نَحْسِي
فَلَوْ كَانَ يَفْدِي الْمَيِّتَ حَيًّا فَدَيْتُهَا
بِنَفْسِي وَفَاءً غَيْرَ نَقْصٍ وَلَا بَخْسِ

(١) «الأوراق» أخبار الراضي بالله ص ١٧٥ .

تَمِيمُ الْفَاطِمِي

(٣٣٧ - ٣٧٤ هـ = ٩٤٨ - ٩٨٥ م)

الأمير أبو علي، تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي، شاعر ألفاظه فصيحة، وتراكيبه سهلة، مقتدر في التشبيهات والاستعارات يذهب فيها مذهب ابن المعتز، وفنونه هي: الغزل والمدح والرثاء والوصف والفخر، وله طرديات وعتاب وشكوى، وشعره يتطابق مع حياته وثقافته. ولد في «المهدية» بتونس. كان أبوه صاحب المغرب والديار المصرية، وفي سنة ٣٦٢ هـ وصل «المعز» وأسرته، وفيهم «تميم» وأركان دولته إلى مصر بعد أن ضمها «جوهر الصقلي» إلى أملاك الدولة الفاطمية، وبنى القاهرة. لم يل تميم المملكة مع أنه كان أكبر إخوته لانصرافه إلى شؤون أخرى، فقد تربى في أحضان النعيم، ومال إلى الأدب، ونظم الشعر الرقيق، واتخذ في مصر بساتين وقصوراً، فجعل أبوه ولاية العهد لأخيه عبد الله، ولكنه توفي في حياة أبيه وكان «نزار» أخو «تميم» قد استكمل خلال الفضل، فنصبه أبوه إماماً بعده، ثم ساءت العلاقة بينهما بسبب الوشاة، فنفي «نزار» أخاه «تميماً» إلى الرحلة «فلسطين»، ثم ترضى عنه وأعادته. توفي «تميم» في القاهرة، ودفن في الحجرة التي فيها قبر أبيه.

ذَكَرْتُكَ بِالرَّيْحَانِ^(١)

ذَكَرْتُكَ بِالرَّيْحَانِ وَالرَّاحِ ذِكْرَةً
مُرْدَدَّةً كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تُزْهِقُ
فَلَمَّا تَنَاوَلْنَ الْغِنَاءَ شَوَادِيَا
وَأَتْبَعَ مَزْمُومًا مِنَ الضَّرْبِ مُطْلَقُ
تَتَبَّعَتِ الْعَيْنَانِ شَخْصَكَ فِيهِمْ
فَلَمَّا نَأَى ظَلَّتْ دُمُوعِي تَرْفَرُقُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقْدَهَا مِثْلَ مَا شَكَا
إِلَى اللَّهِ فَقْدَ الْمَاءِ عَظْشَانُ مُوْتَقُ
كَانَ فُؤَادِي مُنْذُ بَانَ بِهَا الرَّدَى
جَنَاحٌ وَهَتْ أَجْزَاؤُهُ فَهُوَ يَخْفُقُ

(١) «الأدب في العصر الفاطمي» محمد زغلول سلام منشأة المعارف الأسكندرية
بدون تاريخ ص ٦٧ وديوانه: «ديوان بن تميم بن المعز لدين الله الفاطمي»
تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، محمد كامل حسين طبعة دار
الكتب مصر ١٩٥٧ ص ٣٠٣.

الوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِيّ

(٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م)

محمّد بن أحمد وقيل محمد بن محمد أبو الفرج الوأواء الغساني
الدمشقي. شاعرٌ مطبوعٌ مُنْجَمُ الألفاظ عذبُ العبارة حَسَنُ الاستعارة
جَيِّدُ التشبيه بنى الحريري مقامة على قوله:

وَأَمْطَرْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ

وَرَدًا وَعَصَصْتُ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرَدِ

في معانيه رقة، كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق. ولقب
«بالوَأَوَاء» لأنه كان يصبح يومه لبيع الخضرة والفاكهة. وهو من شعراء
سيف الدولة الحمداني^(١).

وقال عنه ابن بسّام: «من حسنات الشام، وصاغة الكلام، ومن
عجيب شأنه أنه كان بدار بطيخ دمشق ينادي على الفواكه، وما زال
يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ووقع ما يروق، ويشوق ويفوق، حتى
تعلق بالعبق^(٢)».

(١) «الوافي بالوفيات» جزء ٢ ص ٥٣.

(٢) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسّام «أبي الحسن بن بسّام الشتريني
المتوفى ٥٤٢» تحقيق إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٩٧م الجزء
الرابع ٥٧٤.

لَحْدَهَا فِي الْقَلْبِ^(١)
سِلْكَانِ لِلدَّمْعِ مَحْلُولٌ وَمَعْقُودٌ
عَلَى الَّتِي لَحْدَهَا فِي الْقَلْبِ مَلْحُودٌ
مَا سَوَّدَ الْحُزْنَ مُبَيِّضُ السَّرُورِ بِهَا
إِلَّا وَأَيَّامُ عُمْرِي بَعْدَهَا سُودٌ
عَنْتَ يَدُ الدَّمْعِ فِي خَدِّي عِنَانَ دَمٍ
كَأَنَّهُ مِنْ أَدِيمِ الْقَلْبِ مَقْدُودٌ
مَا اسْتَعْبَرَ الْغَيْثُ إِلَّا عِنْدَ عَبْرَتِهِ
فَخَذَ وَجْهُ الثَّرَى لِلْغَيْثِ مَخْدُودٌ
مَنْ لِي بِرَحْمَةِ قَلْبٍ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
كَأَنَّ نُقْصَانَ وَجْدِي فِيهِ تَزْيِيدٌ
تَوَلَّدَ النَّارُ فِيهِ مَاءٌ سَلَوْتِهِ
فَاعْجَبْ لِنَارٍ لَهَا فِي الْمَاءِ تَوَلِيدٌ
كَمْ بِتِ أَرْجُمُ أَعْضَائِي بِجَمْرِ غَضَا
وَالْفَجْرُ فِي صَفْدِ الظُّلُمَاءِ مَضْفُودٌ
نَامَتْ عُيُونُ عُدَاتِي إِذْ زَفَرْتُ وَلِي
مِنْ مَعْمَدِ الدَّمْعِ فِي عَيْنَيَّ تَجْرِيدٌ

(١) «ديوان الواواء الدمشقي» أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، جمعه:
أغناطيوس كراتشوفسكي مطبعة بريل / ليدن ١٩١٣ ص ٥٥، وكذلك ديوانه
بتحقيق سامي الدهان نشر دار صادر/ بيروت ١٩٩٣.

لَوْلَا عِلَاقُ بَيْنِ مِنْكَ تَغْلُقُ بِي
لَقُلْتُ إِنَّ اقْتِرَابِي مِنْكَ تَبْعِيدُ
وَلَيْتَ بَعْدَكَ تَسْوِيدُ الْبَيَاضِ فَلِي
بِالدَّمْعِ فِي صُحُفِ الْأَحْزَانِ تَسْوِيدُ
فَمَا صَفَا كَدْرُ الدُّنْيَا لِمُضْفِيَّةٍ
مَا جَاهَدْتَ فِيكَ أَنْفَاسِي الْمَجَاهِدُ
إِنْ أَرَمَعْتَ عَنْكَ صَبْرًا أَبْدَلْتُ بِجَوَى
مَعْدُومُهُ بِكَ طَوْلَ الدَّهْرِ مَوْجُودُ
لَا زَالَ خَدِّي تَرِيبًا فَوْقَ ثُرْبَتِهَا
مَا دَارَ فِي خَلْدِ الْأَيَّامِ تَخْلِيدُ
جَبُنْتُ مِنْ عَسْكَرِي دَمْعِي فَشَجَّعَنِي
قَلْبُ لَهُ فِي انْحِدَارِ الدَّمْعِ تَضَعِيدُ
مَتَى يُبَالِي ثَرَى أَنْ لَا يَرَى مَطَرًا
فَمُسْبَلُ الدَّمْعِ مِنِّي وَهُوَ مَوْزُودُ
هَا قَدْ تَأَمَّلْتُ بِالْعُثْبَى الَّتِي سَلَفَتْ
أَنْ لَا يُعَاوِدَنِي مِنْ بَعْدِهَا عِيدُ
وَدَغْتُهَا وَبَنَخَرِي مِنْ مَدَامِعِهَا
نَخَرٌ وَفِي جِيدِهَا مِنْ مَدَمْعِي جِيدُ
فَبَرَدَتْ حَرَّ أَنْفَاسِي عَلَى بَرْدِ
كَأَنَّهُ مِنْ صَدِيدِ النَّفْسِ مَضْدُودُ

وَاسْتُدْعِيَتْ فَأَجَابَتْ بَعْدَ مَا ظَهَرَث
فِي وَجْنَةِ الْفَجْرِ قَبْلَ الصُّبْحِ تَوْرِيْدُ
وَصُوْرَتْ فِي مِرَاةِ الْأَفْقِ صُوْرَتُهَا
فَلِي إِلَيْهَا بِرُسْلِ اللَّحْظِ تَرِيْدُ
جَاهَدْتُ بِالصَّبْرِ فِي إِثْرِ الْعَزَاءِ فَمَا
رَجَعْتُ إِلَّا وَصْبِرِي عَنْكَ مَفْقُوْدُ

ابنُ عَبْدُونِ الرَّاقِ

محمّد بن عبدون الرّاق السوسي من أكابر القيروان لكن أبوه سكن «سوسة» قال ابنُ رشيق هو شاعر وطبي الكلام كلفَ بعذوبة اللفظ والمعنى البعيد يتسلّك إليه بلطافة، ارتحل سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة إلى ثقة الدولة يوسف وامتدحه وأحسن إليه وأضافه إلى ولده جعفر ومن شعره، يرثي جاريته وابنه^(١):

قَبْرُ «سُوسَةَ» قَدْ قَبِرْتُ بِهِ النُّهَى^(٢)
أَذْرَجْتُ لَحْدِي فِي مَدَارِجِ لَحْدِهِ
أَسْكَنْتُهُ سَكْنِي وَرُحْتُ كَأَنِّي
فِي الْأَرْضِ لَا بَشَرًا أَرَى مِنْ بَعْدِهِ
عَجَبًا لِمَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ
أَوْ مَدَّ كَفًّا فِي الصَّعِيدِ لِرَدِّهِ

(١) «الوافي بالوفيات» المجلد الثالث ص ٢٠٦ باعتناء: س ديدرينغ، دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية ١٩٧٤. و«زهر الأكم في الأمثال والحكم» للبوسي الحسن بن مسعود بن محمد ١٠٤٠ - ١١٠٢ هـ حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر دار الثقافة/ المغرب ١٩٨١ الجزء الثاني ص ٢٤ الأبيات الخمسة الأولى.

(٢) في «زهر الأكم» يورد البوسي خمسة أبيات وترد كلمة «الفنى» في آخر صدر البيت الأول مكان «النهى» ورواية الصفدي أرجح.

صُمْتُ عَلَى مَسَامِعِي فِي وَجْهِهِ
 وَصُعِقْتُ مِنْ صَغَقِ الصُّرَاخِ وَرَغْدِهِ^(١)
 وَجَهِدْتُ أَنْ أَبْكِي فَلَمْ أَجِدِ الْبُكَاءَ
 فَسَكَّتُ سَكَنَةً صَارِمٍ فِي غَمْدِهِ
 مَبْنِي بَكَيْتُ لَهُ وَمَا يَجْدِي الْبُكَاءُ؟
 مَاءٌ بِخَدِّي وَالتُّرَابُ بِخَدِّهِ
 مَا الشَّأْنُ فِي جَزَعِي عَلَيْهِ وَحَسْرَتِي
 الشَّأْنُ فِي قُرْبِ الْخَيَالِ وَبُغْدِهِ
 طَالَ انْتِظَارِي لِلْهُدُوءِ وَلَيْسَ لِي
 جَفْنٌ يُطَابِقُ جَفْنَهُ فِي بَرْدِهِ
 مَهَيَّاتِ قَدْ مَنَعَ الْهُدُوءَ لِنَظْرِي
 قَبْرَانِ ذَا وَلَدٌ وَذَاكَ لِوَدِّهِ^(٢)

(١) في «الوافي الوفيات»: رَقَّه محلّ وجهه، وضعفت محلّ وضعفت ولعلها
 اختلاف في التصحيف والتحقيق.

(٢) في «الوافي بالوفيات»: الهدوء محلّ الهدوء.

الشَّريْف الرُّضِيّ

(٣٥٩ - ٤٠٦ هـ = ٩٦٩ - ١٠١٥ م)

أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالشريف الرضي يُعرف بأشعر الهاشميين على كثرة المجيدين فيهم، ويقال بل هو أشعرُ قريش، ويسمّيه أدباء عصره «النائحة الثكلى» لفرط الرقة في شعره، وقال الصّفدي: أنه ليس لقريشٍ كثرةٌ جيّدة، وقال عنه الشعالي في «اليتيمة» «هو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجبُ سادة العراق، يتحلّى مع محتدّه الشريف، ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهرٍ وفضلٍ باهر، وحظٌّ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين، من مضى منهم ومن غُبرَ على كثرة شعرائهم المفلّقين «كالجماني» وابن طباطبا» وابن الناصر» وغيرهم، ولو قلتُ إنّه أشعرُ قريش لم أبعُد عن الصدق، وسيشهد بما أجره من ذكره شاهدٌ عدلٍ من شعره العالي القَدَح، المُمْتنع عن القَدَح، الذي يجمعُ إلى السلاسة مَتَانَةً، وإلى السهولة رصَانَةً، ويشتمل على معانيٍ يقربُ جَنَاهَا، ويبعدُ مَدَاهَا. ^(١)

انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده. وله ديوان شعر في مجلدين، وكتب منها: «الحسن من شعر الحسين» وهو مختارات من

(١) «يتيمة الدهر» الجزء الثالث ص ١٥٥.

شعر «ابن الحجاج» في ثمانية أجزاء، و«المجازات النبوية» و«مجاز القرآن» و«مختار شعر الصابي» و«مجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من الرسائل»

توفي ببغداد ودفن بداره أولاً ثم نقل رفاته ليدفن في جوار الحسين بكربلاء.

مرثياته العاطفتان الخاصتان هنا تجسّدان ذلك الحزن العالي والرقّة التي لا تضاهي.

يَا دِينَ قَلْبِي^(١)

ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً لَا ذَاهِلٍ وَلَا نَازِعٍ قَلْبُهُ وَالْجَنَانُ
أَعَاوِدُ مِنْكَ عِدَادَ السَّلِيمِ يَا دِينَ قَلْبِي مَاذَا يُدَانُ^(٢)؟
عَوَاطِفُ مِنْ مُقْلِقَاتِ الْغَرَامِ يَوْمَ دُمُوعِي بِهَا أَرْوَنَانُ^(٣)
وَيَأْبَى الْجَوَى أَنْ أُسِرَّ الْجَوَى إِذَا مَلَأَ الْقَلْبُ فَاضَ اللِّسَانُ
وَمَا خَيْرُ عَيْنٍ خَبَا نُورُهَا وَيُؤْمِنِي يَدٍ جُدَّ مِنْهَا الْبَنَانُ^(٤)
يَا أَثَرَ الْحُبِّ أَنِّي بَقِيتُ وَقَدْ بَانَ مِمَّنْ أَحَبَّ الْعِيَانُ؟
وَقَالُوا: تَسَلَّ بِأَثَرِهَا فَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الزَّمَانُ؟

(١) «ديوان الشريف الرضي» شرح الدكتور محمود مصطفى حلاري شركة الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت/ لبنان ١٩٩٩ الجزء الثاني/ ص ٤٠٤.

(٢) عداد: وقت الموت، والسليم: اللديغ، ودين القلب: دواؤه.

(٣) الأرونان: الصوت، أي: دموع صائتة.

(٤) جُدَّ: قُطِعَ.

كَأَنَّكَ مِنْ عَيْنِي نَقَلْتَ إِلَى قَلْبِي^(١)

عَلَى أَيِّ غَرْسٍ أَمِنُ الدَّهْرَ بَعْدَمَا
رَمَى قَادِحَ الْأَيَّامِ فِي الْغُصْنِ الرُّطْبِ
ذَوَى قَبْلَ أَنْ تَذْوِي الْغُصُونُ وَعَهْدُهُ
قَرِيبٌ بِأَيَّامِ الرَّبِيلَةِ وَالْخَضْبِ^(٢)
كَفَى أَسْفًا لِلْقَلْبِ مَا عِشْتُ أَنِّي
بِكُفِّي عَلَى عَيْنِي حَثَوْتُ مِنَ الثَّرْبِ
جَرَتْ خُطْرَةٌ مِنْهَا وَفِي الْقَلْبِ عَظْشَةٌ
رَفَعْتُ لَهَا رَأْسِي عَنِ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَقُلْتُ لِجَفْنِي: رُدِّ دَمْعًا عَلَى دَمِ
وَلِلْقَلْبِ: عَالِجٍ قَرَحَ نَذْبٍ عَلَى نَذْبِ
وَمِمَّا يُطِيبُ النَّفْسَ بَعْدَكَ أَنِّي
عَلَى قَرَبٍ مِنْ مَاءٍ وَرَدِكَ أَوْ قُرْبِ^(٣)
أَلَا لَا جَوَى مُسَّ الْفُؤَادِ كَذَا الْجَوَى
وَلَا ذَنْبَ عِنْدِي لِلزَّمَانِ كَذَا الذَّنْبِ
خَلَا مِنْكَ طَرْفِي وَامْتَلَأَ مِنْكَ خَاطِرِي
كَأَنَّكَ مِنْ عَيْنِي نَقَلْتَ إِلَى قَلْبِي

(١) «ديوانه» الجزء الأول ص ٢٣٧ قال يرثي «امراً يخصه» وفي مختارات البارودي الجزء الثالث ص ٦٦٤ «قال يرثي امرأة تخصه» انظر مختارات البارودي حققها وشرحها مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور محمد مصطفى هدار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ بالإشتراك مع مؤسسة البابطين.

(٢) الربيلة: النعمة.

(٣) القرب: أن لا يكون بينك وبين الماء أكثر من ليلة واحدة، والقرب: الدنو.

الأمير المُسبّحي

(٣٦٦ - ٤٢٠ هـ = ٩٧٧ - ١٠٢٩ م)

محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسبّحي، أحد الأمراء المصريين وكتابهم وفضلائهم صاحب التاريخ المشهور، من أسرة حرّانية الأصل، نزلت مصر قبل قيام الدولة الفاطمية كان على زيّ الأجناد واتصل بخدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكانت بينهما مجالس ومحاضرات، دونها المسبّحي في تاريخه الكبير، كان عالماً كبيراً ورجلاً شجاعاً، من الشخصيات التي اعتمدتها الدولة الفاطمية في أيام قوّتها وعظمتها، وقد كرّس معظم جهده العلمي لكتابة تاريخ مصر وأخبارها.

وكان عالماً متعدّد الفنون، طليق اللسان؛ وبعد وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ، اعتزل المسبّحي الحياة السياسية وتفرّغ للكتابة، فصنّف كتباً عديدة في الأدب والجغرافية والنجوم والاجتماع، بلغت نحو الثلاثين مصنّفاً، أكثرها مصنّفات كبيرة في عدّة أجزاء؛ وكلّ هذا التراث مفقود سوى جزء واحد من التاريخ، وما اقتبسهُ المتأخرون عنه، وللمسبّحي أشعار رقيقة نقل بعضها ابنُ خلكان، منها قوله في رثاء زوجته^(١) :

(١) «وفيات الأعيان» الجزء الرابع ص ٣٧٧ و«الوافي بالوفيات» المجلد الرابع ص ٨ باعتناء س دي رينغ نشر ١٩٧٤ و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» للباقي عبد الله بن أسعد بن علي الباقي ٦٩٨ - ٧٦٨ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٧ =

لَيْتَ الْمَوْتُ أَذْهَبَنَا مَعَا

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَلْبٌ تَقْطَعَا وَفَادِحَةٌ لَمْ تُبْقِ لِلْعَيْنِ مَذْمَعَا
أَصْبِرًا وَقَدْ حَلَّ الشَّرُّ مِنْ أَوْدُهُ فَلِلَّهِ هَمٌّ مَا أَشَدَّ وَأَوْجَعَا
فَيَا لَيْتَنِي لِلْمَوْتِ قُدِّمْتُ قَبْلَهَا وَلَا فَلَيْتَ الْمَوْتُ أَذْهَبَنَا مَعَا

= الجزء الثالث ص ٢٩ وفيات سنة ٤٢٠ هـ المقفى الكبير للمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، نفي الدين المقريزي ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ الجزء السادس ١٦٥ تحقيق محمد البعلاوي دار الغرب الإسلامي ١٩٩١.

الشَّريفُ الْمُرتَضَى

(٣٥٥ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م)

أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان نقيب الطالبين بعد أخيه «الشريف الرضي» المتقدم ذكره، وكان إماماً في علم الكلام، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر مولده ووفاته ببغداد.

وكثيرٌ من مُترجميه يَرَوْنَ أَنَّهُ هو جامع «نهج البلاغة» لا أخوه الشَّريف الرُّضَيِّ. وثمة من يرى أنه كان مِمَّن يقولون بالاعتزال، نسبةً للمعتزلة، وكان من المتبحرين في الكلام والأدب كثير الإطلاع والجَدَل^(١).

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ منها «الغرر والدُّرر» ويعرفُ بأُمالي المُرتَضَى، و«الشهاب بالشيب والشباب»، و«تنزيه الأنبياء» و«الانتصار» فقه، و«تفسير العقيدة المذهبية» شرح قصيدة للسيد الحميري، إضافة إلى ديوانه.

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ الذهبي / مؤسسة الرسالة / حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي / الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٦ الجزء ١٧ ص ٥٨٩.

هَلْ أَتَاهَا كَيْفَ حُزْنِي بَعْدَهَا؟^(١)

أَلَا هَلْ أَتَاهَا كَيْفَ حُزْنِي بَعْدَهَا
وَأَنْ دُمُوعِي لَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّهَا
تَفِيضُ عَلَى عَيْنِ مَرَى الْوَجْدُ مَاءَهَا
وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ يَغْلِبَ الصَّبْرُ وَجْدَهَا^(٢)
غَزِيرَةُ أَنْوَاءِ الْجُفُونِ كَأَنَّهَا
تَنَاهَتْ إِلَى بَعْضِ الْبِحَارِ فَمَدَّهَا
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَهَابُهُ
كَمَا هَابَ ظُلْمَانُ الصَّرِيمَةِ أَسَدَهَا^(٣)
وَأَشْفِقُ مِمَّا لَا مَحَالَهَ وَاقِعُ
وَهَلْ لِلْمَنَايَا قَادِرٌ أَنْ يَرُدَّهَا
كَأَنِّي لَمَّا أَنْ سَمِعْتُ نَعِيَّهَا
أَنَاخَ عَلَى الْأَحْشَاءِ قَارٍ فَقَدَّهَا^(٤)
وَلَمْ أَسْتَطِعْ فِي رُزْنِهَا عَظَّ مُنْهَجَتِي
وَأَجَلَلْتُ عَنْ أَنْ أَمِزُقَ بُرْدَهَا^(٥)

(١) «ديوان الشريف المرتضى» تحقيق رشيد الصفار - مراجعة الدكتور مصطفى جواد/ طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨ الجزء الأول ص ٢٤٨.

(٢) مَرَى: استدرج. وأخرج.

(٣) الظُّلْمَانُ: جَمْعُ ظُلَيْمٍ، وَهُوَ ذَكَرُ النَّعَامِ «الْإِبِلِ» وَالصَّرِيمَةُ: الْأَرْضُ الْمَحْصُودُ زَرْعُهَا.

(٤) الْفَارِي: الشَّقُّ، وَهُوَ هُنَا كُنَايَةٌ عَنِ السَّيْفِ.

(٥) عَظَّ الثَّوْبَ: شَقَّهُ طَوَلًا، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَنْ بَنَى عَامِرَ لَهَا شَطْرَ قَلْبِي يَسْمَةُ مِثْلَ مَا يُعْطَى الرِّدَاءُ

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي لَمْ أَجِدْ لَهَا
عَلَى خَيْرَتِي شَيْئًا يُهَوِّنُ فَقْدَهَا
وَأَنِّي لَمَّا أَنْ قَضَى اللَّهُ مُلْكَهَا
عَلَى قَلْبِي الْمَحْزُونِ بُقِيتُ بَعْدَهَا
حَتَّى يَوْمُهَا الْغَادِي كُهُولَ عَشِيرَتِي
عَلَى جَلْدٍ فِيهِمْ وَشَيْبَ مُرْدَهَا
وَحَظَّ الرِّجَالِ الشَّمُّ مِنْ كُلِّ شَامِخٍ
يُلَاقُونَ بِالْأَيْدِي مِنَ الْأَرْضِ جِلْدَهَا
وَقَلَّصَ عَنْهَا الْعِزُّ مَا فُدِحَتْ بِهِ
فَتَحَسَّبُ مَوْلَاهَا مِنَ الذُّلِّ عَبْدَهَا
فَكَمْ كَبِدٍ حَرَّى تَقَطَّعَ حَسْرَةً
وَكَمْ عَبْرَةٍ قَدْ أَقْرَحَ الدَّمْعُ خَدَهَا
حَرَامٌ وَقَدْ غُيِّبَتْ عَنِّي أَنْ أَرَى
مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا نَظْرَةً لَنْ أَوَدَّهَا
وَسَيِّئَانَ عِنْدِي أَنْ حَبَثْنِي خَرِيدَةً
بِوَضَلٍ يُرْجَى أَوْ حَبَثْنِي صَدَهَا
وَمَيِّهَاتٍ أَنْ أُلْفَى أَرْقَحُ صَرَمَةً
وَأَظْلُبُ مِنْ دَارِ الْمَعِيشَةِ رَغْدَهَا^(١)

(١) الرِّقَاحَةُ: الكَنْسُ والتِّجَارَةُ. وَفُلَانٌ يَتَرَقَّحُ لِجِبَالِهِ، أَيِ يَتَكَسَّبُ. وَتَرَقَّيْحُ الْمَالِ:

إِصْلَاحُهُ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ. تَقُولُ: فُلَانٌ رَقَاحِيٌّ مَالٍ. قَالَ الْحَارِثُ بْنُ جُلْزَةَ:

بِشْرُكَ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَمِيتُ فِيهِ فَمَجَّ هَامِجُ =

وَمِنْ أَيْنَ لِي فِي غَيْرِهَا عَوْضٌ بِهَا
وَقَدْ أَخْرَزْتَ سُبُلَ الْفَضَائِلِ وَخَذَهَا
أَسَامُ التَّسْلِي وَهُوَ عَنِّي بِمَعْزِلِ
وَكَيْفَ تُسَامُ النَّفْسُ مَا لَيْسَ عِنْدَهَا؟
وَبَيْنَ ضُلُوعِي يَا عَذُولُ نَوَافِدُ
أَبَى الْعَذْلُ وَالتَّائِيْبُ لِي أَنْ يَسُدَّهَا
وَوَدَّيْ بَأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ اخْتِرَامِهَا
تَخَرَّمَ مِنْ جَنْبَيَّ مَا حَازَ وَدَّهَا^(١)
وَإِنِّي لَمَّا غَالَهَا الْمَوْتُ غَالَنِي
فَبُعْدًا لِنَفْسِي إِذْ قَضَى اللَّهُ بُعْدَهَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَيُّهَا الدَّهْرُ نَكْبَةٌ
تَكُذُّ حَيَازِيمِي فَأُخِيلُ كَدَّهَا^(٢)
بَلَعْتُ أَشَدِّي لَا بَلَعْتُ وَجِزَّتُهُ
وَأَعْجَلْتُهَا مِنْ أَنْ تَجُوزَ أَشَدَّهَا

= وَالصَّرْمَةُ، قَطِيعُ الْإِبِلِ، جِئْنَ يَكُونُ عَدُّهَا مَا بَيْنَ الثَّلَاثَيْنِ إِلَى الْخَمْسِينَ، تُسَمَّى صَرْمَةً.

(١) اخْتِرَامُهَا: مَوْتُهَا وَذَهَابُهَا، تَقُولُ الْعَرَبُ: وَاخْتَرَمْتُهُ الْمَيِّتَةَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ: أَخَذْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ.

(٢) الْحَيَازِيمُ: جَمْعُ حَزِيمٍ: مَوْضِعُ الْحِزَامِ مِنَ الصَّدْرِ وَالظَّهْرِ كُلِّهِ مَا اسْتَدَارَ، وَيُقَالُ: قَدْ شَرَّ وَشَدَّ حَزِيمَةً: قَالَ أَحِيَّةُ بْنُ الْجَلَّاحِ مُخَاطِباً ابْنَهُ، وَتُرْوَى أَيْضاً لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

أَشَدُّ حَيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ إِنَّ الْمَوْتَ لَا قَبِيكَ

فَقُزْتُ بِأَسْنَى مَا حَوْتُهُ رَوَاجِبِي
وَجَاوَزْتُ فِي أُمِّ الْمَصِيبَاتِ حَدَّهَا ^(١)
فَيَا قَلْبُ لِمَ أَنْتَ الْجَلِيدُ كَأَنَّمَا
تُحَادِثُكَ الْأَظْمَاعُ أَنْ تَسْتَرِدَّهَا؟
وَمَا كُنْتُ أَهْوَى أَنَّكَ الْيَوْمَ صَابِرٌ
وَيَدْعُوكَ فِتْيَانُ الْعَشِيرَةِ جَلَدَهَا
أَلَيْسَ فِرَاقًا لَا تُلَاقِي بَعْدَهُ
وَعُيْبَةً سَفَرٍ لَا يُرْجُونَ وَقْدَهَا
أَلَا فَالْبَسِ الْأَحْزَانَ لِبَسَةِ قَانِعٍ
بِأَثْوَابِهِ لَا يَبْتَغِي أَنْ يُجِدَّهَا
وَصَمَّ عَنِ الْمُغْرِبِينَ بِالصَّبْرِ إِنَّهُمْ
يُظْفِقُونَ نَارًا أَلْهَبَ اللَّهُ وَقْدَهَا
وَقَبْلَكَ مَا نَالَ الزَّمَانُ مُعَلَّقًا
بِأَجْبَالِ «رَضْوَى» يَرْتَعِي ثُمَّ مَرَدَّهَا ^(٢)
تَوَاعَدَ فِي شَمَاءٍ يَرْقُبُ مُزْنَةً
تَصُوبُ عَلَيْهِ أَغْذَبَ اللَّهُ وَرَدَّهَا ^(٣)
وَتَلْقَاهُ خِلْوًا لَا يُطَالِعُ رَيْبَةً
وَلَا يَتَّقِي خِطَاءَ اللَّيَالِي وَعَمْدَهَا

(١) الرَوَاجِبُ: مفاصل الأصابع.

(٢) رَضْوَى: جبال في المدينة، والمرد: شجر الأراك الغض.

(٣) الصُّوبُ: نزول المطر.

وَدَاءُ الرَّدَى أَفْنَى ظِبَاءِ سُورِقَةٍ
 وَطَيْرٌ عَنْ أَجْزَاعٍ تَذْمُرُ رُبْدَهَا^(١)
 وَأَفْضَى إِلَى حُجْبِ الْمُلُوكِ وَلَمْ يَخَفْ
 شَبَاهَا وَلَمْ يَرْقُبْ هُنَالِكَ حَشْدَهَا^(٢)
 يَسِيرُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 عَلَى مَهَلٍ مِنْهُ فَيَسْبِقُ شَدَّهَا
 وَكَمْ غُضْبَةٍ بَاتَتْ بِظِلِّ سَعَادَةٍ
 تَخْطِفُهَا أَوْ أَوْلَجَ النَّحْسَ سَعْدَهَا
 وَهَدَمَهَا مَنْ كَانَ شَادَ بِنَاءَهَا
 وَجَرَّدَهَا مَنْ كَانَ أَحْكَمَ غِمْدَهَا
 سَلَامٌ عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ وَرَحْمَةٌ
 مَرَى اللَّهُ سُقْيَاهَا وَأَضْرَمَ زَنْدَهَا^(٣)
 وَلَا عِدِمَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 حَفَائِرُهَا مِنْ جَنَّةِ اللَّهِ رِفْدَهَا
 فَكَمْ نَمٍّ مِنْ أَشْلَاءِ قَوْمٍ أَعَدَّهَا
 لِيُعْطِيَهَا مَا تَبْتَغِي مَنْ أَعَدَّهَا

(١) أَجْزَاعٌ: جَمْعُ جَزَعٍ وَهُوَ الْوَادِي. وَ الرُّبْدُ: النَّعَامُ ذَاتِ السَّوَادِ الْمُخْتَلَطِ.

(٢) الشَّبَا: الْعُلُو، وَالْحِلَّة.

(٣) الطُّفُوفُ: اسْمُ مَوْضِعٍ بِنَاحِيَةِ الْكَوْفَةِ. وَفِي حَدِيثٍ مَقْتُلِ الْحُسَيْنِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ بِالطُّفُوفِ، وَهِيَ أَيْضاً كُلُّ شَاطِئٍ عَلَى نَهْرٍ، أَوْ سَاحِلٍ عَلَى بَحْرٍ، وَاسْمِي بِذَلِكَ لِأَنَّهُ طَرَفُ الْبَرِّ مِمَّا يَلِي الْفُرَاتَ وَكَانَتْ تَجْرِي يَوْمَئِذٍ قَرِيباً مِنْهُ.

وَلِلَّهِ مِنْهَا حُفْرَةٌ جِثْتُ طَائِعاً
 فَأَوْدَعْتُ دَيْنِي ثُمَّ دُنْيَايَ لَحْدَهَا
 وَوَلَّيْتُ عَنْهَا أَنْفُضُ التُّرْبِ عَنْ يَدِ
 نَفَضْتُ تُرَابَ الْقَبْرِ عَنْهَا وَزَنْدَهَا
 وَلَمْ يُسَلِّنِي شَيْءٌ سِوَى أَنْ جَارَتَنِي
 قَضَى اللَّهُ بَعْدِي أَنْ تُجَاوِرَ جَدَّهَا
 وَإِنِّي لَمَّا أَنْ شَقَقْتُ ضَرْبِهَا
 إِزَاءَ شَهِيدِ اللَّهِ أَنْجَزْتُ وَغَدَهَا
 وَكَيْفَ تَخَافُ السُّوءَ يَوْمَ حِسَابِهَا
 وَقَدْ جَعَلْتَ مِنْ أَجْنِدِ اللَّهِ جُنْدَهَا
 وَتُمْسِكُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْهُمْ
 بُحْجَزَةَ قَوْمٍ لَا يُبَالُونَ حَدَّهَا^(١)
 يَقُونَ الَّذِي وَالَاهُمُ الْيَوْمَ حَرَّهَا
 وَيُعْطُونَهُ عَفْواً كَمَا شَاءَ بَرْدَهَا

(١) الْحُجْزَةُ: المنعة، والحُجْزَةُ أيضاً: شِدُّ طرف الرداء من الأسفل إلى وسط
 المحزم: أي كأنه تها لأمراً.

أَبُو جَعْفَرِ الرَّامِي

محمَّد بن موسى بن عمران، من شعراء البتيمة، ومن أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة، وحسنات نيسابور خاصة إذ هو من «الرام» أحد رسائيق^(١) نيسابور وكان مع سَبْقِهِ في ميادين الفضل راجحاً في موازين العقل، وترقَّت حاله من التأديب بنيسابور إلى التَّصَفُّح في ديوان الرسائل ببخارى بعد أبي إسحاق الفارسي، وهبَّت رِنْحُهُ وبعد وصيته، وله شِعْرٌ كعدد الشَّعْر غلب عليه التَّجْنِيس حتى كاد يذهب بهاؤه، ويكدر ماؤه «وكلُّ كُثِيرٍ عدوُّ الطَّبيعة»^(٢) قال في جارية له توفيت:

التُّرَابُ لَهَا صَدَفٌ

لِي فِي الْمَقَابِرِ دُرَّةٌ أَمْسَى التُّرَابُ لَهَا صَدَفٌ
لَمَّا غَدَتْ هَدَفَ الْبِلَا أَضْبَحْتُ لِلْبَلَوَى هَدَفٌ

(١) الرسائيق: جمع رستاق وهو فارسي معرب، ومعناه: السواد. أو القرية.

(٢) «بتيمة الذَّهر» الجزء الرابع ص ١٧١.

أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِي

(٣٧٥ - ٤٦٠ هـ = ٩٨٥ - ١٠٦٧ م)

إبراهيم بن مسعود بن سعد الشجبي الإلبيري أبو إسحاق. شاعرٌ أندلسيٌّ، أصلُهُ من أهل «حصن العقاب» ونسب للبيرة، واشتهر بغرناطة، يمثُلُ شعرُهُ نكهةً أخرى في الشعر الأندلسيِّ المعهود بالترف والدعة وتمجيد اللذات، فأغلبُ شعره ينطوي على الزهد والتعفف عن الإسراف، وكان فقيهاً وعالماً بالدين، وقد هاجمه بعض المستشرقين الدارسين لشعره، كـ«رينهارت دوزي» و«إميليو غارثيا غوميز»^(١)، بسبب ما أسموه «قسوته وعناده وعداءه لليهود في الأندلس» له قصيدة في رثاء زوجته تتكوّن من ستين بيتاً شكّل الرثاء الأبيات التسعة عشر الأولى منها بينما أنصرفت بقيّة الأبيات للغرض الأثير لدى الألبيري وهو: الزهد والتعبير عن مواقفه الأخلاقية والدينية.

إِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ^(٢)

عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْيَبَابِ الْغَامِرِ

وَارْبَعٌ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ نَاطِرِي

-
- (١) راجع «مقدمة ديوانه» ص ١٧ «ديوان أبو إسحاق الألبيري الأندلسي المتوفى نحو ٤٦٠ هجرية حققه وشرحه واستدرك فائقه: محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩١»
- (٢) «ديوانه» ص ٩٠ والقصيدة مكونة من ستين بيتاً شكّل رثاء زوجته الأبيات التسعة عشر الأولى منها الواردة هنا.

فَسَتَسْتَبِينُ مَكَانَهُ بِضَجِينِهِ
وَيَنْبَغُ مِنْهُ إِلَيْكَ عَرَفُ الْعَاطِرِ
فَلَكُمْ تَضَمَّنَ مِنْ تُقَى وَتَعَفُّفِ
وَكَرِيمِ أَغْرَاقٍ وَعِرْضِ طَاهِرِ
وَأَقَرِ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي لَوَعَةٍ
صَدَعَتْهُ صَدْعاً مَا لَهُ مِنْ جَابِرِ
فَعَسَاهُ يَسْمَحُ لِي بِوَضَلٍ فِي الْكَرَى
مُنْعَاهِداً لِي بِالْخَيَالِ الزَّائِرِ
فَأَعْلَلِ الْقَلْبَ الْعَلِيلَ بِطَيْفِهِ
عَلِّي أَوَافِيهِ وَلَسْتُ بِغَادِرِ
إِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ
فِي لَحْدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالْحَاضِرِ
أَزْعَى أَدْمَتَهُ وَأَخْفَظَ عَهْدَهُ
عِنْدِي فَمَا يَجْرِي سِوَاهُ بِخَاطِرِي
إِنْ كَانَ يَذْثُرُ جِسْمُهُ فِي رَمْسِهِ
فَهَوَايَ فِيهِ الدَّهْرَ لَيْسَ بِدَائِرِ^(١)
قَطَعَ الزَّمَانَ مَعِيَ بِأَكْرَمِ عِشْرَةٍ
لَهْفِي عَلَيْهِ مِنْ أَبَرِّ مُعَاشِرِ
مَا كَانَ إِلَّا نَذْرَةً لَا أَرْتَجِي
عَوْضاً بِهَا فَرْتَيْتُهُ بِنَوَادِرِ

(١) دثر: قدم وبلي.

وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُهُ فِي وُدِّهِ
 لَقَضَيْتُ يَوْمَ قَضَى وَلَمْ أَسْتَأْخِرِ
 وَشَقَقْتُ فِي خَلْبِ الْفُؤَادِ ضَرِيحَهُ
 وَسَقَيْتُهُ رَبْدًا بِمَاءِ مَحَاجِرِي
 أَجْدُ الْحَلَاوَةِ فِي الْفُؤَادِ بِكُونِهِ
 فِيهِ وَأَزَعَاهُ بِعَيْنِ ضَمَائِرِي
 لَسَأَلْتُ مَغْفِرَةً لَهُ وَتَجَاوَزًا
 عَنْهُ مِنَ الرَّبِّ الْجَوَادِ الْغَافِرِ
 أَخْلَقَ بِمِثْلِي أَنْ يُرَى مُتَطَلِّبًا
 حَوْرَاءَ ذَاتِ غَدَائِرٍ وَأَسَاوِرِ
 مَقْصُورَةٍ فِي قُبَّةٍ مِنْ لُؤْلُؤِ
 دُخْرَتِ ثَوَابِ الْلُمُصَابِ الصَّابِرِ
 لَخَلْتُ ذِرَاعِي وَإِنْفَرَدْتُ فَإِنْ أَكُنْ
 تَاجِرْتُ فِيهَا كُنْتُ أَرْبَحَ تَاجِرِ
 وَلَيْتَنِي حُرِمْتُ وَلَمْ يَفُزْ قَدْحِي بِهَا
 فَأَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ أَخْسَرُ خَاسِرٍ^(١)

(١) القَدَحُ: السُّمُّ.

السراج البغدادي «صاحب مصارع العشاق»

(٤١٨ - ٥٠٠ هـ = ١٠٢٧ - ١١٠٦ م)

جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد أبو محمد البغدادي السراج القارئ حافظ عصره، وعلامة زمانه وكان ذا طريقة جميلة ومحبة للعلم والأدب وله شعر لا بأس به، وكان يسافر إلى مصر وغيرها وتردد إلى «صُور» عدة دفعات ثم قطن بها زماناً وعاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي بها سنة خمسمائة وله تصانيف أشهرها: «مصارع العشاق» وله ديوان شعر جمعه في بغداد عادل كتاب نصيف العزاوي^(١).

أَضَحُوا خُمُودًا^(٢)

دَعِ الدَّمَعَ بِالْوَكْفِ يَنْكِي الْخُدُودَا	فَإِنَّ الْأَحِبَّةَ أَضَحُوا خُمُودَا
دَعَا بِهِمْ هَاتِفُ الْحَادِثَاتِ	فَبَدَّلَهُمْ بِالْقُصُورِ اللَّحُودَا
دَنَتْ مِنْهُمْ نُوبٌ لِلرَّدَى	فَأَفْنَتْ ضَعِيفَهُمْ وَالشَّدِيدَا
دُمُوعٌ يُكْفِكِفُهُنَّ الْأَسَى	عَلَيْهِمْ غَزَارٌ تُرَوِّي الصَّعِيدَا
دُجَاهُهُمْ وَصُبْحُهُمْ وَاحِدٌ	وَقَدْ مَزَّقَ الدُّودَ مِنْهُمْ جُلُودَا

(١) «شعر السراج البغدادي» جمع ودراسة: عادل كتاب نصيف العزاوي مراجعة وتقديم: الدكتور علي جابر المنصوري مطبعة العاني بغداد / طبعة أولى ١٩٩٠.

(٢) «ديوانه» ص ٣٧.

الطُّغْرَائِيّ

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ / ١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الطُّغْرَائِيّ، ويعرف
بفخر الكتّاب والأستاذ والطغرائي، نسبة إلى من يكتب «الطغراء» وهي
الشعار في أعلى الكتب الرسمية. شاعرٌ من الوزراء الكتّاب، ولدَ
بأصبهان، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي «صاحب
الموصل» فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان «مسعود» وأخ له اسمه
السلطان «محمود» فظفر «محمود» وقبض على رجال «مسعود» وفي
جملتهم الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النعمة عليه، لما كان
الطغرائي مشهوراً به من العلم والفضل.

ويذكر الصفدي: أن أخا مخدومه، لما عزم على قتله في المرة
الأولى، أمر أن يُشدَّ إلى شجرة، وأن يقفَ تجاهه جماعة يرمونه
بالنشاب، وأوقفَ إنساناً خلف الشجرة من غير أن يشعرَ به، ليسمعَ ما
يقول، وقال لأرباب السهام: «لا ترموا إلا إذا أشرتُ إليكم» فوقفوا
تجاهه والسهام بأيديهم مرفوعةً نحوه، فأنشد الطغرائي:

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسَدِّدُ سَهْمَهُ

نَحْوِي وَأَظْرَافُ الْمَنِيَّةِ شُرْعُ

وَالْمَوْتُ فِي لَحَظَاتٍ أَخْزَرَ طَرْفَهُ

دُونِي وَقَلْبِي دُونَهُ يَتَقَطَّعُ

بِاللَّهِ فَتُشْرَ عَنْ قُؤَادِي أَوَّلًا
هَلْ فِيهِ لِغَيْرِ هَوَى الْأَحْبَةِ مَوْضِعُ؟
أَهْوَنُ بِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ
عَهْدُ الْحَبِيبِ وَسِرُّهُ الْمُسْتَوْدَعُ
فَرَقَّ لَهُ وَأَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ.

ثم إن الوزير «أبو طالب السيرمي» أوعز إلى من أشاع اتهامه
بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك، فاتخذ السلطان محمود حجة فقتله
وكان الطغراني قد جاوز الستين من عمره. ثم وثب على الوزير عبدٌ من
عبيد الطغراني، فقتله بعد سنة. وللطغراني القصيدة اللامية المعروفة
بلامية العجم، التي أولها:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ
وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
أَحَبُّ الطُّغْرَانِي، كَمَا تُشِيرُ مَرَاتِيهِ، امْرَأَةً شَابَّةً فِي وَقْتُ مُتَأَخِّرٍ مِنْ
عَمْرِهِ وَتَزَوَّجَهَا، لَكِنَّهَا مَاتَتْ وَتَرَكَتْ لَهُ طِفْلاً رَضِيعاً. ويعدُّ الطغراني
أكثر شاعر عربي، حتى نهاية العصر العباسي، رثى زوجته، إذ أن ديوانه
يجتوي على عشر مراثٍ بين قصيدة ومقطوعة نختار منها هنا خمساً.

تَعْنِي مِنْ وَرَاءِ التُّرْبِ قَوْلِي فَتَنْطِقُ^(١)
وَلَمْ أَنْسَهَا وَالْمَوْتُ يَفْقِضُ كَفَّهَا
وَيَبْسُطُهَا وَالْعَيْنُ تَرْتُو وَتُظَرِّقُ

(١) «ديوان الطغراني» مطبعة الجوائب قسطنطينية ١٣٠٠ هجرية ص ٨٢.

وَقَدْ دَمَعَتْ أَجْفَانُهَا وَكَانَتْهَا
جَنَى نَرْجِسٍ فِيهِ النَّدَى يَتَرَفَّرُ
وَحَلٌّ مِنَ الْمَحْذُورِ مَا كُنْتُ أَتْقِي
وَحُمٌّ مِنَ الْمَقْدُورِ مَا كُنْتُ أَفَرِّقُ^(١)
وَقِيلَ فِرَاقٌ لَا تَلَاقِي بَعْدَهُ
وَلَا زَادَ إِلَّا حَسْرَةً وَتَحَرُّقُ
وَلَوْ أَنَّ نَفْسًا قَبْلَ مَحْتُومِ يَوْمِهَا
قَضَتْ حَسْرَاتٍ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
هِلَالٌ ثَوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَّ نُورُهُ
وَعُضْنٌ ذَوَى فَيْنَانُهُ وَهُوَ مُورِقُ^(٢)
فَوَا عَجَباً أَنِّي أُتِيحَ اجْتِمَاعُنَا
وَيَا حَسْرَةً مِنْ أَيْنَ حُمِّ التَّفَرُّقِ
وَلَمْ يَبْقَ فِيْمَا بَيْنَنَا غَيْرُ حَشْوَةٍ
عَلَى الْعَيْنِ تُحْنِي أَوْ عَلَى الْقَلْبِ تُطْبِقُ^(٣)
أَجْنُ إِلَيْهَا إِنْ تَرَاحَى مَزَارُهَا
وَأَبْكِي عَلَيْهَا إِنْ تَدَانَى وَأَشْهَقُ
وَأَبْلِسُ حَتَّى مَا أَبِينُ كَأَنَّمَا
تَدُورُ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ وَأُضْعَقُ^(٤)

(١) أفرق: أخشى وأخاف.

(٢) الفينان: الغصن الكثيف.

(٣) حشوة: كمشة من تراب ناعم.

(٤) أبلِس: يئس، وقيل هو الانكسار والحزن، وقيل إذا دَهِشَ وتعير.

وَأَلِصِقُهَا طَوْرًا بِصَدْرِي وَأَشْتَفِي
وَأَمْسَحُهَا حِينَئِذٍ بِكَفِّي فَتَغْبِقُ
وَمَا زُرْتُهَا إِلَّا تَوَهَّمْتُ أَنَّهَا
بِثُوبِي مِنْ وَجْدِي بِهَا تَتَعَلَّقُ
وَأَحْسَبُهَا وَالْحُجْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَعْيِي مِنْ وَرَاءِ الثُّرْبِ قَوْلِي فَتَنْطِقُ
وَأَشْعِرُ قَلْبِي الْيَأْسَ عَنْهَا تَصَبُّرًا
فَيَرْجِعُ مُرْتَابًا بِهِ لَا يُصَدِّقُ

نَافَسَنِي فِيهَا الْقَدَرُ^(١)

أَقُولُ وَقَدْ غَالَ الرَّدَى مَنْ أَحْبَبُهُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُغْدِي عَلَى نُوبِ الدَّهْرِ؟
أَأَبْقَى حُطَامًا بِأَلِيًّا فَوْقَ ظَهْرِهَا
وَمِنْ تَحْتِهَا خُرْعُوبَةُ الْغُصْنِ النَّضْرِ^{(٢)(٣)}
أَعَيْنِي جُودًا بِالدَّمَاءِ وَأَسْعِدَا
فَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الرُّزْءِ عَنْ عِبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ديوانه ص ٨١.

(٢) الخرعوبة: الحسنة القوام.

(٣) جارية خرعوبة وخرعبة: دقيقة العظام ناعمة. والغصن الخرعوب: المتشني.
وقال امرؤ القيس:

بِرَفْرَفَةٍ رَأْدَةٍ رَحِصَةٍ كَخُرْعُوبَةِ الْبَائَةِ الْمُتَفَطِّرِ

أَذُمُّ جُفُونِي أَنْ تَضُرَّ بِذُخْرِهَا
وَأَمُقْتُ قَلْبِي وَهُوَ يَهْدَأُ فِي صَدْرِي
بِنَفْسِي مَنْ غَالَيْتُ فِيهَا بِمُهْجَتِي
وَجَاهِي وَمَا حَازَتْ يَدَايَ مِنَ الْوَفْرِ
وَعَابَيْتُ فِيهَا أَهْلَ بَيْتِي فَكُلُّهُمْ
بَعِيدُ الرِّضَا يَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى غَمْرِ
وَفُزْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَخَيْبَةٍ
كَمَا اسْتَخْرَجَ الْغَوَاصُّ لُؤْلُؤَ الْبَحْرِ
فَجَاءَتْ كَمَا شَاءَ الْمُنَى وَاشْتَهَى الْهَوَى
كَمَالاً وَتُبْلًا فِي عَفَافٍ وَفِي سِثْرِ
فَصَارَتْ يَدِي مَلَأَى وَعَيْنِي قَرِيرَةً
بِهَا كَيْفَمَا أَضْبَحْتُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَنَاقَسَنِي الْمِقْدَارُ فِيهَا وَلَمْ يَدَعْ
سِوَى مُقْلَةٍ مَظْرُوفَةٍ وَيَدٍ صِفْرِ
وَمَا كُنْتُ أَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُنَا
قَصِيرَ الْمَدَى ثُمَّ الْبِعَادُ مَدَى الْعُمُرِ
لَقَدْ أَسْلَمْتَنِي صُحْبَةُ سَلَفَتْ لَنَا
يُرَدُّ بِهَا بَعْضُ الْغَلِيلِ إِلَى الْجَمْرِ
أَلَا لَيْتَنَا لَمْ نَضْطَجِبْ عُمَرَ لَيْلَةٍ
وَلَمْ نَجْتَمِعْ مِنْ قَبْلِ هَذَا عَلَى قَدْرِ

فَبَا نَوْمٌ لَا تَغْمُرُ وَسَادِي وَلَا تَنْظُرُ
بِمُقْلَةٍ مَرَهُومٍ الْإِزَارَيْنِ بِالْقَطْرِ^(١)
وَمَا لَكُمَا يَا مُقْلَتَيَّ وَلِلْكَرَى
وَتُنُورُكُمَا قَدْ غَابَ فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ
فَمَا عَشْرَةُ السَّاقِي بِكَاسِ رَوِيَّةٍ
بَأَغْزَرَ فَيْضًا مِنْ دِمَائِكُمَا الْغُزْرِ
وَيَا مَوْتُ الْحَقْنِي بِهَا غَيْرَ غَادِرٍ
فَإِنْ بَقَائِي بَعْدَهَا غَايَةُ الْغَدْرِ
وَيَا صَبْرُ زُلِّ عَنِّي ذَمِيمًا وَخَلْنِي
وَلَوْعَةً وَجَدِي وَالْدُّمُوعَ الَّتِي تَمْرِي
وَلَا تَعِدْنِي الْأَجَرَ عَنْهَا فَإِنَّهَا
أَلَدُّ وَأَحْلَى فِي فُؤَادِي مِنَ الْأَجْرِ
أَتُبَدِّلُ لِي حُورَ الْجِنَانِ نَسِيئَةً
وَتُؤَخِّدُ نَقْدًا مِنْ وَرَائِي وَفِي خِذْرِي؟^١
وَأَقْنَعُ بِالْمَوْعُودِ وَهُوَ كَمَا تَرَى
وَأَضْبِرُ لِلْمَقْدُورِ وَهُوَ كَمَا تَذَرِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى إِنْ اغْتَاضَ كَفُّهُ
يَوَاقِيَتْ حُمْرًا مِنْ أَنَامِلِهَا الْعَشْرِ

(١) مرهوم: مطر، وهو من الرهام أي المطر الخفيف. وهو كناية عن الدمع.

بَلَىٰ إِنْ يَكُنْ حَظِّي مِنَ الْخُلْدِ وَخَدَهَا
 صَبَرْتُ فَكَأَنْتَ نِعْمَ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ
 بِنَا أَنْتِ مِنْ مَهْجُورَةٍ لَمْ أَرِدْ لَهَا
 فِرَاقًا وَلَمْ تَطُورِ الضُّلُوعَ عَلَى هَجْرِي
 طَلَعْتَ طُلُوعَ الْبَدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ
 وَفُتَّتِ كَمَا أَرَبَى عَلَى الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ
 وَأَنْسَرْنَا حَتَّى إِذَا مَا بَهَرْتِنَا
 سَنًا وَسَنَاءَ غِيبَتِ غَيْبُوبَةُ الْبَدْرِ
 فَقَدْ كَانَ رَبِّي أَهْلًا بِكَ مُدَّةً
 أَجْنُ إِلَيْهِ حَنَّةَ الطَّيْرِ لِلْوَكْرِ
 وَآوِي إِلَيْهِ وَهُوَ رَوْضَةُ جَنَّةٍ
 بَدَائِعُهَا يَخْتَلِنَ فِي حُلْلِ خُضْرِ
 فَمَذِبَتْ عَنْهُ صَارَ أَوْحَشَ مِنْ لَظَى
 وَأَضْيَقَ مِنْ قَبْرِ وَأَجْدَبَ مِنْ قَفْرِ
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا نِعْمَةً لِلَّهِ لَمْ تَدُمْ
 عَلَيَّ لِعَجْزِي عَنْ قِيَامِي بِالشُّكْرِ
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا شَظَرَ قَلْبِي حَافِظًا
 ذِمَامِي وَهَلْ يَبْقَى الْفُؤَادُ بِلا شَظَرٍ؟
 فَإِنْ سَكَنْتَ نَفْسِي إِلَى سَكَنِ لَهَا
 سِوَالِكِ، مَدَى عُمْرِي، فَقَدْ بُوْتُ بِالْكَفْرِ

وإِنْ أَسْلُ يَوْمًا عَنْكَ أَسْلُ ضَرُورَةً
وَالَا فَلَانِي عَنْ قَرِيبٍ عَلَى الْإِثْرِ
عَسَى اللَّهُ فِي دَارِ الْقَرَارِ يَضُمَّنَا
وَيَجْمَعُ شَمْلًا إِنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ
فَبَا أَسَفًا أَنْ لَا تَزَاوَرَ بَيْنَنَا
وَبَا حَسْرَتًا أَنْ لَا لِقَاءَ إِلَيَّ الْحَشْرِ
بِرُغْمِي خَلَا رَبِّعِي وَأَسْكِنْتَ خَاطِرِي
وَعُيِّبْتَ عَنْ عَيْنِي وَأَخْضَرْتَ فِي فِكْرِي

لَوْ خَيْرُونِي^(١)

بِنَفْسِي مَنْ أَوْدَعْتُهَا الثُّرْبَ رَاغِمًا
أَغْضُ مِنْ الْغُضَنِ الرُّطِيبِ وَأَنْعَمًا
وَجُدْتُ بِهَا لَا عَنْ مَلَالٍ وَإِنَّمَا
غُلِبْتُ عَلَيْهَا مُكْرَمًا مُتَهَضِّمًا
إِلَّا لَيْتَ أَنَا مَا اضْطَحَبْنَا وَلَمْ نَبِثْ
قَرَيْنَيْنِ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ تَوَامًا
وَلَمْ نُرْزَقِ الْوَضْلَ الَّذِي عَادَ فُرْقَةً
وَلَمْ نَعْهَدْ الْعُرْسَ الَّذِي صَارَ مَائِمًا
مَضَتْ جِبْنٌ لَمْ أَصْغُرْ فَأَجْهَلَ قَدْرَهَا
وَلَمْ أَغْمِرِ الدَّهْرَ الطَّوِيلَ فَأَحْلَمًا

(١) ديوانه ص ٨٣.

وَعِشْتُ صَحِيحًا سَالِمًا بَعْدَ يَوْمِهَا
وَحَسْبِي دَاءٌ أَنْ أَصِحَّ وَأَسْلَمًا
وَلَوْ خَيْرُؤُنِي بَيْنَ كَفِّي وَبَيْنَهَا
لَأَثَرْتُ أَنْ تَبْقَى وَأُصْبِحَ أَجْذَمًا
هَيْهَاتَ أَنْ يَبْقَى الْحُطَّامُ^(١)

أَفِدِي الَّتِي اسْتَوْدَعْتُهَا بَطْنَ الثَّرَى
وَأَبْنَتْهَا عَنِّي بَرُغْمِي مُجْبَرًا
تَالِلِهِ مَا اخْتَرْتُ التَّوَقُّفَ سَاعَةً
مِنْ بَعْدِ يَوْمِكَ لَوْ خُلِقْتُ مُحَيَّرًا
يَا لَيْتَ أَنَّكَ بِالضِّيَا مِنْ نَاطِرِي
وَسَوَادُهُ لَكَ مَوْطِئٌ دُونَ الثَّرَى
عُضْنَانِ مُؤْتَلِفَانِ أَفْرَدَ وَاحِدًا
رَبُّ الْمَنِيَّةِ مِنْهُمَا فَتَهَضَّرَا
مَا ضَرَّةٌ فِيمَا جَنَاهُ عَلَيْهِمَا
لَوْ كَانَ قَدَمٌ مِنْهُمَا مَا أَخْرَا
هَيْهَاتَ أَنْ يَبْقَى الْحُطَّامُ بِحَالِهِ
مِنْ بَعْدِ مَا هَضَرَ الْأَغْضُ الْأَنْضَرَا

(١) «ديوانه» ص ٨٣.

يَا لِكَ جَنَّةٌ صَارَتْ جَحِيمًا^(١)

بِنَفْسِي أَنْتِ ظَالِمَةٌ تَوَلَّيْتُ
 بَنَيْتُ بِهَا فَمَا اسْتَكْمَلْتُ عُرْسِي
 يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَتُسِّ قَبْرًا
 فَيَا لَكَ مَنْزِلًا قَدْ عَادَ قَفْرًا
 وَكُنْتُ إِذَا اغْتَرَانِي الِهُمُّ آوِي
 فَصِرْتُ إِذَا أَوَيْتُ عَلَى نَشَاطٍ
 فَلَوْ أَنَّ الدُّمُوعَ كَلَمَنْ خَدًّا
 وَلَوْ أَنَّ الِهُمُومَ جَلَبْنَ حَنْفًا
 وَخَلَّتْ فِي الْحَشَى وَجَدًا مُقِيمًا
 إِلَى أَنْ قَبِلَ مَائَتُهَا أُقِيمًا
 حَلَلْتُ بِهِ وَأَوْحَشْتُ الْحَرِيمًا
 وَيَا لَكَ جَنَّةٌ صَارَتْ جَحِيمًا
 إِلَى بَيْتِي فَيُنْسِينِي الِهُمُومًا
 إِلَيْهِ هَاجَ لِي وَجَدًا قَدِيمًا
 تَرَكُنْ بِصَفْحَتِي خَدِّي كُلُّومًا
 بَعِيدًا كُنْتُ مَذْ زَمَنٍ رَمِيمًا

(١) ادبرانه ٨٤.

ابن سارة الإشبيلي

(٥١٧ هـ = ١١٢٤ م)

ابن سارة، وفي بعض المصادر ابن «سارة» بالصاد، محمد البكري الشنتريني قال الصفدي: كان لغوياً شاعراً مُفلحاً، مليح الكتابة، قليل الحظ، نَسَخَ الكثير بالأجرة. ومات سنة سبع عشرة وخمسمائة للهجرة. وقال ابن دحية في «المطرب من أشعار أهل المغرب» انتقل من بلده «شترين» إلى مدينة «إشبيلية» وهو أوحش حالاً من الليل، وأكثر انفراداً من سهيل؛ فانتجع الوراقة على كساد سوقها، وفساد طريقها. فتركها وقال فيها.

أما الوراقة فهي أنكد حرفة أوزاقها وئمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها غريان
وقوله يرثي امرأة:

نَوَّارَةٌ^(١)

تَفْطَرْتُ كَيْدَ الْعَلِيَا لِلْوُلُوءِ
لَمْ تُؤَدِّعِ الثُّرْبَ إِلَّا مِنْ كَرَامَتِهَا

(١) «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفى الدين ابن نفيس الدين ٥١٩ - ٥٩٧ هـ شعراء المغرب والأندلس تحقيق: اذرقاش اذرنوش نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي =

نَوَارَةٌ مَلَأَتْ أَفُقَ الثَّقَى أَرْجَاً
وَرَدَّهَا الزُّمُرُ صَوْنًا فِي كَمَامَتِهَا

غَائِبَةٌ حَاضِرَةٌ
أَغَائِبَةٌ عَنِّي وَحَاضِرَةٌ مَعِي
كَأَنَّكَ مِنْ عَيْنِي نُقِلْتَ إِلَيَّ كَيْدِي

= والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي الطبعة الثانية الدار التونسية
للنشر ١٩٨٦ الجزء الثاني ص ٣٣٠ .

أَبُو بَكْرُ بْنُ الْقَبْطُرْنَةِ

(٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م)

عبد العزيز بن سعيد البَطْلِيُّوسِي وزير كاتب، عُرفَ بابن القَبْطُرْنَةِ، وهو أحد أخوة ثلاثة يُعرَفون ببني القَبْطُرْنَةِ أو القبطورنة، ولعلها تعني «ذو الرأس المستدير»^(١)، وأخواه هما: أبو محمد طلحة بن سعيد، وأبو الحسن محمد بن سعيد، ثلاثة أخوة كلهم شاعرٌ ووزيرٌ، فأما أبو بكر فكان من جَلَّةِ الأدباء ورؤسائهم، كتب للمتوكل بن الألفطس ببطلْيوس، ثم ليوسف بن تاشفين بعد تغلب المرابطين على الأندلس، قال عنه ابن بَسَّام: «أحد فرسان الكلوم والكلام، وحملة السيوف والأقلام» ولأبي بكر بن القَبْطُرْنَةِ فِي زَوْجَتِهِ بِنْتُ الْحَضْرَمِيِّ:

وَلَاِنْ زَعَمُوا^(٢)

بِأَخْسَائِي وَإِنْ زَعَمُوا بِقَبْرِ وَفِي قَلْبِي وَإِنْ قَالُوا بِبَيْدَا
وَمِنْ عَيْنِي نُقِلْتُ إِلَى فَوَادِي فَصِرْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى السَّوِيدَا

(١) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسام الشتريني توفي ٥٤٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة ١٩٩٧ القسم الثاني المجلد الأول ص ٧٥٣.

(٢) «لمح السحر من روح الشجر وروح الشجر» مختصر كتاب «روح الشجر» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الجلاب / اختصار أبي عثمان سعيد بن ليون التجيبي الأندلسي ٦٨١ - ٧٥٠ هـ تحقيق وتعليق: سعيد بن الأحرش/ أبوظبي منشورات المجمع الثقافي، ٢٠٠٥ باب المراثي.

وله يرثي زوجته أبنه الحضرمي^(١):

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ فَوْقَ الْقَبْرِ ذُو حَزَنِ
يَبْكِي لَهُ الْقَبْرُ مِنْ شَجْوٍ وَمِنْ شَجَنِ
تَبَايَنْتَ فِيكَ أَخَوَالِي أَسَى فَمَضَى
إِلَى لِقَائِكَ صَبْرِي طَالِبَ الْوَسَنِ
وَخَالَفَ الْقَلْبُ فِيكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمَدٍ
فَاسْوَدَّ بِالْغَمِّ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحَزَنِ

وَرَدِ كَأُورَتَيْكَ^(٢)

أَدْمَعًا جُمُوحًا وَصَبْرًا حَرُونًا
لَقَدْ جَمَعَ الْحُزْنُ فِيكَ الْفُنُونَا
أَيَا مَا شِئَا فَوْقَهَا لَا هِيَا
تَمِيسُ اخْتِيَالًا وَتَنْتَقِدُ لِينًا
تَرْفَعُ بِرَجْلِكَ عَنْهَا رُؤَيْدًا
سَتَجْعَلُ خَدَّكَ فِيهَا الْمَصُونَا
فَلَا تَسْكُنَنَّ لِشَرْخِ أَمَاسٍ
قَنَاتَكَ «مِيمًا» وَ«يَاءً» وَ«سِينًا»

(١) «قلائد العقيان في محاسن الأعيان» لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله
القبسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان ٤٨٠ - ٥٢٨ هـ تحقيق: حسين يوسف
خريوش مكتبة المنار الأردن ١٩٨٩ ص ٤٤٢.

(٢) «قلائد العقيان» المجلد الأول ص ١٣٦.

وَحُطَّ عَلَى وَرْدٍ كَأُورْتَيْنِكَ
بِمِسْكِ عَذَارَتِكَ «لَامًا» وَ«نُونًا»،
وَمِمَّا يُثَبِّتُ قَوْلِي لَدَيْكَ
وَرُبَّتَمَا جَرَّ شَانَ شُؤُونَا
مُصَابٌ حَكْنِي فِي «ابْنَةِ الْحَضْرَمِيِّ»
مُصَابٌ صُبَيْرَةٌ أَذْمَى الْجُفُونَا
وَلَفَّ الشَّبَابَ بِأَوْرَاقِهِ
وَأَوْدَعَهُ التُّرْبَ غَضًّا مَصُونَا
فَأَنَسَى بِهَا نَضْرَةً وَاقْتَبَالَ
وَعَيْشًا نَضِيرَةً وَالسَّاطِرُونَا^(١)

(١) الساطرون: لفظ سرياني معناه: الملك، وقيل هو اسم ملك من ملوك المعجم
وكانت له ابنة في غاية الجمال يقال لها نضيرة، وقد قتله اردشير بعد استباحته
حصن الطلسم الذي كان يحاصره.

أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ طُفَيْلٍ

كاتب وشاعر ومَن انفراد بترجمتهم ابنُ سعيد المغربي، في كتاب «مملكة جيان كتاب الفرائد المفصلة، في حلي حصن تاجلة» ضمن كتابه «المُغْرِبُ فِي حَلِي الْمَغْرِبِ»^(١) بترجمة قصيرة أورد فيها هذه الأبيات وقال عنه: سكن مالقة، وكان يكتب عن ولاتها من ملوك بني عبد المؤمن، اجتمع به والدي، ومما أنشده من شعره قوله في رثاء جارية:

فِي الْفِرَاشِ
أَمْسَيْتُ أَنْدُبُ فِي الْفِرَاشِ مَكَانَهَا
وَكَأَنَّهُ مَا كَانَ مِنْهَا عَامِرًا
وَكَأَنِّي لَمْ أَجِنِ مِنْهَا رَوْضَةً
وَكَأَنِّي لَمْ أَثْنِ غُضْنَاً نَاضِرًا
وَكَأَنِّي وَاللَّيْلُ أَرْخَى سَثْرَهُ
لَمْ يُبْدِ لِي مِنْهَا هِلَالاً زَاهِرًا

(١) «المُغْرِبُ فِي حَلِي الْمَغْرِبِ» لابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن محمد ٦١٠ - ٦٨٥ تحقيق: الدكتور شوقي ضيف دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٩٣ دار المعارف الجزء الثاني ص ٨٤.

الأعمى التطيلي

(٤٨٥ - ٥٢٥ هـ / ١٠٩٢ - ١١٣١ م)

هو أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة التطيليّ الإشبيليّ، شاعرٌ أندلسيّ نشأ في إشبيلية، عادة ما ينسب إلى «تطيلة» وهي غير «طليطلة» وتقع قريباً من سرقسطة، من الثغر الأعلى، وينسب أيضاً إلى «إشبيلية»، فـ«تطيلة» موطن أهله، و«إشبيلية» دار هجرتهم، نشأ ضريراً فلُقّب بالأعمى، عاش الأعمى في عصر المرابطين، بين القرنين الخامس والسادس الهجريين في الأندلس. له أشعارٌ في مختلف الأغراض، وموشحات بارعة وعالية الجودة، اكتسبه شهرة في عصره. وله قصائد عديدة في رثاء نساء مختلفات، وقد فقد زوجته فرناها بقصيدة هي من عُيُونِ أشعاره.

خُذِي... وَخُذِي... وَخُذِي^(١)

وَنُبِّئْتُ ذَاكَ الْوَجْهَ غَيْرَهُ الْبَلَى
عَلَى قُرْبِ عَهْدِ بِالْطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ
بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَلَوْ أَبَتْ
بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ

(١) ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته، أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة/ تحقيق الدكتور إحسان عباس / دار الثقافة بيروت ١٩٨٩ رثاء زوجته آمنة، ص ٧٠.

فَلَيْتَهُمْ وَارَوْا ذَكَاءَ مَكَانَهُ
 وَلَوْ عُرِفَتْ فِي أَوْجِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 وَلَيْتَهُمْ وَارَوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي
 عَلَى فَيْضِ دَمْعِي وَاخْتِدَامِ لَظِي صَدْرِي
 أَمْخَبَرْتَنِي كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى؟
 عَلَى أَنَّ عِنْدِي مَا يَزِيدُ عَلَى الْخَبْرِ
 وَمَا فَعَلْتَ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ فِي الثَّرَى؟
 فَقَدْ سَاءَ ظَنِّي بَيْنَ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي
 يَهُونُ وَجْدِي أَنَّ وَجْهَكَ زَهْرَةٌ
 وَأَنَّ ثَرَاهَا مِنْ دُمُوعِي عَلَى ذِكْرِي
 وَيَحْزُنُنِي أَنِّي شُغِلْتُ وَلَمْ أَكُنْ
 أَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ الدَّمْعُ بِالزُّهْرِ
 دَعَيْنِي أَعْلَلْتُ فِيكَ نَفْسِي بِالْمُنَى
 فَقَدْ خِفْتُ أَلَا نَلْتَقِي آخِرَ الدَّعْرِ
 وَإِنْ تَسْتَطِيعُنِي فَأَبْدِئْنِي بِزُورَةٍ
 فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالزَّيَارَةِ وَالْبُرِّ
 مَنَى أَتَمُّهَا وَلَا يَدَ لِي بِهَا
 سِوَى خَطَرَاتٍ لَا تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
 وَأَخْلَامُ مَذْعُورِ الْكَرَى كُلَّمَا اجْتَلَى
 سُرُورًا رَأَاهُ وَهُوَ فِي صُورَةِ الدُّعْرِ

أَمِينَ^(١)، إِنْ أَجَزَّ عَلَيْنِكَ؟ فَلَا تُنِ
 رُزْتُكَ أَخْلَى مِنْ شَبَابِي وَمِنْ وَفْرِي
 أَمِينَ... ٢٠ لا وَاللَّهِ مَا زِلْتُ مُوقِنًا
 بِبَيْنِكَ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ لَهُ حَذْرِي
 خُذِي حَدِيثِي هَلْ أَطَقْتُ عَلَى النَّوَى
 أَحَدُكَ أَنِّي قَدْ ضَعُفْتُ عَنِ الصَّبْرِ
 مُغَالِطَةً لَوْ لَا الْأَسَى مَا حَمَلْتُهَا
 عَلَى مَرْكَبٍ مِمَّا رَصَفْتُ بِهِ وَغَرِي
 وَنَيْتُهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَنْكَ سَلْوَةً
 لِعِشْرِينَ مَرَّةً مِنْ فِرَاقِكَ أَوْ عَشْرِي
 وَأَذْهَلَهُمْ حُبُّ الثَّرَاثِ فَكَفَّكَفُوا
 بِهِ زَفْرَةً تَغْتَادُ أَوْ عَبْرَةً تَجْرِي
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرَةٌ رُبَّمَا امْتَرَتْ
 بَقِيَّةَ دَمْعِ الشَّوْقِ فِي أَكْوَاسِ الْخَمْرِ^(٢)
 وَأَمَّا أَنَا فَالْتَفْتُ وَاللَّهِ لَوْعَةً
 هِيَ الْخَمْرُ لَوْ سَامَخَتْ فِي لَذَّةِ السُّكْرِ
 أَهْزَلَهَا عَظْفِي مِنْ غَيْرِ نَشْوَةٍ
 عَلَى مَا بِجِسْمِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ فَتْرِ

(١) هي آمنة زوجته، وينادى بها هنا بصيغة الترخيم للتعجب.

(٢) الْخَمْرُ: الغدر والخديعة.

وَأُودِعُهَا عَيْنِي لَا لِصَّبَابَةٍ
 وَلَكِنْ لِتَمَرِي دَمْعَ عَيْنِي كَمَا تَمَرِي
 فَلَا تَبْعُدِي إِنَّ الصَّبَابَةَ خَطَّةٌ
 لِشَخِصِكَ فِي قَلْبِي وَإِنْ كَانَ فِي الْقَبْرِ
 وَلَا تَبْعُدِي إِنِّي عَلَيْكَ لَوَاجِدٌ
 وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْهَوَى لَا عَلَى قَدْرِي
 ذَكَرْتُكَ ذَكَرَ الْمَرْءِ حَاجَةً نَفْسِهِ
 وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمَيِّتَ مُنْقَطِعُ الذِّكْرِ
 وَاللَّهُ مَا وَفَيْتُ رُزْءَكَ حَقَّهُ
 وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَقَمْتُ بِهِ عُذْرِي
 أَصْبِخِي إِلَى الدَّاعِي فَلَيْسَ بِنَازِحٍ
 وَمَا بِكَ عَنْهُ مِنْ وَقَارٍ وَلَا وَفَرٍ
 وَلَا تَبْعَيْ طَيْفَ الْخَيَالِ فَإِنَّهُ
 سَمِيرٌ مُمُومٌ لَا يُضَيِّفُ وَلَا يَقْرِي^(١)
 مَتَى يَسِرْ نَحْوِي يَلْقَ دُونِي كَتَائِبًا
 مِنَ الشَّهْدِ أَلَتْ لَا تَسِيرُ وَلَا تَسْرِي
 وَعَهْدِي بِهِ إِنْ لَمْ تُجِلْهُ يَدُ الْبَلَى
 جَدِيدًا بِأَنْ يَشْكُو الْوَنَى وَفِي الْخَذَرِ

(١) يقري: يكرم، ويقدم للضيف حاجته.

إِذَا اجْرَسَ الْحُلِيَّ اسْتَطِيرَ وَقَلَمًا
 مَشَى فِيهِ إِلَّا رَيْثَ يَخْتَالُ لِلزُّهْرِ
 فَإِنْ يَابَ إِلَّا بِرُّهُ فَأَبْعَثْنِي بِهِ
 عَلَى رَقَبَةٍ مِمَّا هُنَاكَ وَفِي سَثْرِ
 وَكَانَ الْأَسَى نَذْرًا عَلَيْكَ نَذْرُتُهُ
 وَلَكِنْ أَرَادَ الشَّوْقُ أَكْثَرَ مِنْ نَذْرِي
 وَمَنْ لِي بِعَيْنٍ تَحْمِلُ الدَّمْعَ كُلَّهُ
 فَأُبْكِيكَ وَخَدِي لَا أَقْرُ وَلَا أَذْرِي
 وَلِي مُقْلَةٌ أَفْضَتْ بِهَا لَحَظَاتُهَا
 إِلَى عَبْرَاتِ جَمَّةٍ وَكَرَى نَزْرٍ
 وَكَانَ حَرَامًا أَنْ تَجُودَ بِدَمْعَةٍ
 وَقَدْ تَرَكَتْهَا الْحَادِثَاتُ بِلا شَفْرِ
 وَلَكِنْ حَدَاها الْحُزْنُ فَاسْتَوْسَقَتْ بِهِ
 وَأَكْبَرُ مَا يُعْطَى الْبَخِيلُ عَلَى قَسْرِ
 فَإِنْ أَنَا لَمْ أَسْتَسْقِهَا لَكَ نَجْدَتِي
 فَلَا عَرَكَ الْوُرَادِ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ
 أَنْمُضِي اللَّيَالِي لَا أُرَاكِ؟ وَرُبَّمَا
 عَدْتَنِي الْعَوَادِي عَنْ طَلَابِكِ فِي الْحَشْرِ
 وَيَسِي عَزْمَةٌ لَوْ خِفْتُهَا لَسَبَقْتُهَا
 إِلَيْكَ وَلَوْ بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالنَّسْرِ

اَلَا لَيْتَ شُعْرِيْ مَلْ سَمِعْتَ نَادِي
 فَقَدْ رَغِبْتَ لَوْ اَسَمِعْتَ قَاسِيَةَ الصُّخْرِ
 وَمَلْ لَوَيْتَ بِكَ الْمَعَاطِفَ بِالنُّهَى
 كَسَالِفَ عَهْدِيْ فِي مَجَاسِدِهَا الْحُمْرِ
 وَتُبُّتْ ذَاكَ الْجَيْدَ اضْبَحَ عَاطِلًا
 خُذِيْ اِذْمُعِيْ اِنْ كُنْتَ غَضَبِيْ عَلَى الدُّرِّ
 خُذِيْ فَاَنْظِمِيْهَا فَهِيَ كَالدُّرِّ اِنَّنِي
 اَرَى عِلَّتِيْ اُورِيْ بِهَا وَفِيْ كَالْجَمْرِ
 خُذِيْ اللُّؤْلُؤَ الرُّطْبِ الَّذِي لَهَجُوا بِهِ
 مَحَارَّتُهُ عَيْنِيْ وَلَجَّتُهُ صَدْرِيْ
 لَعَلَّكَ يَوْمًا اَنْ تَرِيْهِ فَتَذْكُرِيْ
 وَسَائِلَ لَمْ تَغْلُقْ بِلَوْمْ وَلَا عُذْرِيْ
 خُذِيْ فَاَنْظِمِيْهِ اَوْ كَلِيْمِيْ لِنَظْمِهِ
 حُلِيًّا عَلَى نِلَكَ التَّرَائِبِ وَالنُّخْرِ
 وَلَا تُخْبِرِيْ حُورَ الْجَنَانِ قَرِيْبًا
 فَصَبْنَكَوْ بَيْنَ الْحَدِيْمَةِ وَالْمَكْرِ
 اِنَّا قُرَّةَ الْعَيْنِ اَغْتَبَارًا وَخَسْرَةً
 اَجْدُكَ قَدْ اَضْبَحْتَ قَاصِمَةَ الظُّهْرِ
 بِرَهْمِيْ حُلِيْ بَيْنَ جَسْمِكَ وَالشَّرَى
 وَاِنْ كُنْتُ لَا الْحَشَى التُّرَابَ عَلَى التُّوْبِ

هَؤُنِيئًا لِقَبْرِ ضَمَّ جَسَمَكَ إِنَّهُ
مَقَرُّ الْحَيَا أَوْ هَالَةُ الْقَمَرِ الْبَذْرِ
وَأَنَّكَ فِيهِ كُلَّمَا عَبَثَ الْبِلَى
بَأَرْجَائِهِ كَالْغُضَنِ فِي الْوَرَقِ النَّضْرِ
إِذَا جِئْتَ عَدْنَا فَاظْلِمِينَا فَقَلَّمَا
تَقَدَّمْتَنِي إِلَّا مَشَيْتُ عَلَى الْإِثْرِ
وَلَا تَغْذُلِينِي إِنْ أَقَمْتُ فَرُبَّمَا
تَأْخَرُ بِي سَغِيْبِي وَأَثْقَلَنِي وَزِرِي

ابن الحِمَارَةِ الغَرْنَاطِيّ

أبو عامر مُحَمَّد بن الحِمَارَةِ الغَرْنَاطِيّ من شعراء المائة السادسة للهجرة، أقام بمكناسة من برّ العدو، وأقام كذلك بغرناطة وأليها نُسب، برّع في عِلْمِ الألحان، واشتهر عنه أنّه كان يَعمدُ للشجرة، فيقطعُ العودَ بيده، ثم يصنع منه عوداً للغناء، وَيَنظُمُ الشعرَ، ويلحنه، ويغني به، وشعره غاية في علو الطبقة: كما ترجم له أبو سعيد المغربي، في «المُغرب في حُلِي المَغرب» وذكر أنّه من تلامذة «ابن باجه» الفيلسوف الأندلسي.

ويقول أبو عامر بن الحِمَارَةِ في رثاء زوجته وكان يهواها:

رَكَدَ النَّسِيمُ^(١)

«أَزَيْنْتُ» إِنْ ظَعَنْتِ فَإِنَّ ظَهْرًا أَقْلِكَ سَوْفَ تَرْكَبُهُ الْمُقِيمُ
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَسْعَى لِأُنْثَى سِوَاكِ وَأَنْتِ هَامِدَةٌ هَشِيمُ؟
وَلَمَّا أَنْ حَلَلْتَ التُّرْبَ قُلْنَا: لَقَدْ ضَلَّتْ مَوَاقِعَهَا النُّجُومُ
أَلَا يَا زَهْرَةً ذُبُلْتَ سَرِيعًا أَضَنَّ الْمُزْنَ؟ أَمْ رَكَدَ النَّسِيمُ؟

(١) «المُغرب في حُلِي المَغرب» الجزء الثاني ص ١٢٠، وقد أورد المغربي البيتين الأخيرين فقط، وكذلك هو الأمر في «لمح السحر من رُوح الشَّعر وروح الشَّعر» لابن ليون النجيب. فيما وردت الأبيات الأربعة في «رايات المبرزين وغايات المميزين» لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن ٦١٠ - ٦٨٥ هـ تحقيق: محمد رضوان الداية / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق ١٩٨٧ ص ٢٣٣.

ابنُ حَمْدِيس

(٤٤٧ - ٥٢٧ هـ = ١٠٥٣ - ١١٣٣ م)

عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أبو محمد.

أعظم شعراء صقلية، وُلِدَ وتعلَّم في جزيرة صقلية، ورحل إلى الأندلس سنة ٤٧١هـ، فمدح المعتمد بن عباد. وانتقل إلى إفريقيا. وتوفي بجزيرة «ميورقة» عن نحو ٨٠ عاماً، وقد فقدَ بصره. قال الصفدي وهو يستشهد بأشعاره: كذا فليكن الشُّعرُ عذوبةً وانسجاماً وتمكَّنَ قوافٍ وحُسْنَ تشبيه، ولطفَ استعارةٍ وغَوْصاً على المعاني. له مراثٌ عدَّةٌ بينها اثنتان بارعتان في رثاء جاريته «جوهرة» التي غرقت في البحر بعد أن عطبت المركب التي كانت تعبر بهم من الأندلس إلى إفريقيا، والأخرى في زوجته وأمّ ولديه كتبها على لسان ابنه.

كَتَزَ طَوَاهِ الْبَحْرِ^(١)

أَيَا رَشَاقَةَ غُضَنِ الْبَانَ مَا هَصَرَكَ
وَيَا تَأَلَّفَ نَظْمِ الشَّمْلِ مَنْ نَشَرَكَ؟

(١) في رثاء جوهرة «ديوان ابن حمديس» تحقيق ستينونو سكياباريللي/ طبعة رومية الكبرى ١٨٩٧ ص ١٨١.

وَيَا سُؤْؤُنِي وَشَايِي كُلُّهُ حَزَنٌ
فُضِّي بِوَأَقِيَّتِ دَمْعِي وَاحْسِنِي دُرْرَكَ
مَا خِلْتُ قَلْبِي وَتَبْرِيحِي يُقَلِّبُهُ
إِلَّا جَنَاحَ قَطَاةٍ فِي اغْتِقَالِ شَرْكَ
لَا صَبْرَ عَنْكَ وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ
طَوَاكِ عَنْ عَيْنِي الْمَوْجُ الَّذِي نَشَرَكَ
هَلَا وَرَوْضَةُ ذَاكَ الْحُسْنِ نَاضِرَةٌ
لَا تَلَحُظُ الْعَيْنُ فِيهَا ذَابِلًا زَهْرَكَ
أَمَاتِكَ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ مِنْ حَسَدٍ
لَمَّا دَرَى الدَّرُّ مِنْهُ حَاسِدًا نَغْرَكَ
وَقَعْتُ فِي الدَّمْعِ إِذْ أُغْرِقْتُ فِي لُجَجٍ
قَدْ كَادَ يَغْمِرُنِي مِنْهُ الَّذِي غَمَرَكَ
أَيُّ الثَّلَاثَةِ أَبْكِي فَقْدَهُ بِدَمٍ؟
عَمِيمَ خُلُقِكَ؟ أَمْ مَعْنَاكَ؟ أَمْ صِغْرَكَ؟
مِنْ أَيْنَ يَفْبَحُ أَنْ أَفْنَى عَلَيْكَ أَسَى
وَالْحُسْنُ فِي كُلِّ قَنْ يَفْتَفِي أَثْرَكَ
كُنْتُ الشَّيْبَةَ إِذْ وَلَّيْتُ وَلَا عَوَضُ
مِنْهَا وَلَوْ رَبَعَ الدُّنْيَا الَّذِي خَسَرَكَ
مَا كُنْتُ عَنْكَ مُطِيلًا بِالْهَوَى سَفَرِي
وَقَدْ أَطْلَيْتُ لِحْيَتِي فِي الْبَلَى سَفَرَكَ

مَلْ وَاصِلِي مِنْكَ إِلَّا طَيْفٌ مَبِثَّةٌ
 تُهْدِي لِعَيْنِي مِنْ ذَاكَ السُّكُونِ حَرَكَ
 أُعَانِقُ الْقَبْرَ شَوْقاً وَهُوَ مُشْتَمِلٌ
 عَلَيْكَ لَوْ كُنْتُ فِيهِ عَالِماً خَبَرَكَ
 وَدَدْتُ يَا نُورَ عَيْنِي لَوْ وَقَى بَصْرِي
 جَنَادِلاً وَثُرَاباً لاصِقاً بِشَرِكَ
 أَقُولُ لِلْبَحْرِ إِذْ اغْشَيْتُهُ نَظْرِي
 مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ إِلَّا شُرْبُهَا كَدَّرَكَ
 مَلَأَ كَفِّكَ أَجَاجاً مِنْكَ عَنْ أَشْرِ
 مِنْ ثَغْرِ لَمْيَاءَ لَوْلَا ضَعْفُهَا أَشْرَكَ^(١)
 مَلَأَ نَظْرَتِ إِلَى تَفْتِيرِ مُقْلَتِهَا
 إِنِّي لَا عَجَبُ مِنْهُ كَيْفَ مَا سَحَرَكَ
 يَا وَجْهَ جَوْهَرَةِ الْمَحْجُوبِ عَنْ بَصْرِي
 مَنْ ذَا يَقِينِكَ كُسُوفاً قَدْ عَلَا قَمَرَكَ
 يَا جِسْمَهَا كَيْفَ أَخْلُو مِنْ جَوَى حَزْنِي
 وَأَنْتَ خَالٍ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَمَرَكَ
 لَيْلِي أَطَالَكَ بِالْأَحْزَانِ مُنْتَقَةً
 عَلَيَّ مَنْ كَانَ بِالْأَفْرَاحِ قَدْ قَصَرَكَ

(١) الأشر: البطر وشدة المرح.

مَا أَغْفَلَ النَّائِمَ الْمَرْمُوسَ فِي جَدَثِ
 عَمَّا يُلَاقِي مِنَ التَّبْرِيحِ مَنْ سَهَرَكَ
 يَا دَوْلَةَ الْوَضَلِ إِنْ وَلَّيْتُ عَنْ بَصَرِي
 فَالْقَلْبُ يَقْرَأُ فِي صُحُفِ الْأَسَى سَمَرَكَ
 لَيْسَ وَجَدْتُكَ عَنِّي غَيْرَ نَابِيَةٍ
 فَإِنَّ نَفْسِي مِنْهَا رَبُّهَا فَطَرَكَ
 إِنْ كَانَ أَسْلَمَكَ الْمُضْطَرُّ عَنْ قَدَرِ
 فَلَمْ يَخُنْكَ عَلَى حَالٍ وَلَا غَدَرَكَ
 هَلْ كَانَ إِلَّا غَرِيفاً رَافِعاً يَدَهُ
 نَهَاةً عَنْ شُرْبِ كَأْسٍ مِنْ بِهَا أَمَرَكَ^(١)
 أَمَا عَدَاكَ حِمَامٌ عَنْ زِيَارَتِهِ
 فَكَيْفَ أَظْمَعَ فِيكَ النَّفْسَ وَانْتَظَرَكَ
 إِنْ كَانَ لِلدَّمْعِ فِي أَرْجَاءِ وَجْنَتِهِ
 تَبَرُّجٌ فَهُوَ يَبْكِي بِالْأَسَى خَفَرَكَ
 وَمَا نَجَوْتُ بِنَفْسِي عَنْكَ رَاغِبَةً
 وَإِنَّمَا مَدُّ عُمْرِي قَاصِرٌ عُمُرَكَ

(١) هناك بيت ورد في ديوانه، ناقض في جزء من عجزه:
 «وا رحمة لولوع بالبكاء فما ينسبه ذكر...»

وَيَلِينِي مِنَ الْمَاءِ^(١)

يَهْدِمُ دَارَ الْحَيَاةِ بَانِيهَا فَأَيُّ حَيٍّ مُخَلَّدٌ فِيهَا؟
وَأِنْ تَرَدَّدْتُ مِنْ قَبْلِنَا أَمَّمْ فَهِيَ نُفُوسٌ رُدَّتْ عَوَارِيهَا
أَمَّا تَرَاهَا كَأَنَّهَا أَجْمٌ اسْوَدُّهَا بَيْنَنَا دَوَاهِيهَا^(٢)
إِنْ سَأَلَمْتُ وَهِيَ لَا تُسَالِمُنَا أَيَّامُنَا، حَارَبَتْ لِيَالِيهَا
وَأَوْحَشَتْنَا مِنْ فِرَاقِ مُؤْنِسَةٍ يُمَيِّتُنِي ذِكْرُهَا وَيُخَيِّبُنَا
أَذْكُرُهَا وَالِدُمُوعُ تَسْبِقُنِي كَأَنَّي لِلْأَسَى أَجَارِيهَا
يَا بَخْرُ أَرْخَضْتَ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مَنْ كُنْتُ لَا لِلْبَيَّاعِ أَغْلِيهَا
«جَوْهَرَةٌ»^(٣) كَانَ خَاطِرِي صَدْفًا لَهَا أَقْبَاهَا بِوَاحِيهَا
أَبْتَّهَا فِي حَشَاكَ مُغْرَقَةً وَبِتُّ فِي سَاحِلِيكَ أَبْكِيهَا
وَنَفْحَةُ الطَّيْبِ فِي ذَوَائِبِهَا وَصِبْغَةُ الْكُخْلِ فِي مَاقِيهَا
عَانَقَهَا الْمَوْجُ ثُمَّ فَارَقَهَا عَنْ ضَمَّةٍ فَاضَ رُوحُهَا فِيهَا
وَيَلِينِي مِنَ الْمَاءِ وَالثَّرَابِ وَمِنْ أَحْكَامِ ضِدَّيْنِ حُكْمَا فِيهَا
أَمَاتَهَا ذَا وَذَاكَ غَيْرَهَا كَيْفَ مِنَ الْعُنْصُرَيْنِ أَفْدِيهَا؟

جِبَالُ الْحُزْنِ^(٣)

أَيُّ خَطْبٍ عَنْ قَوْسِهِ الْمَوْتُ يَزِمُنِي وَسِهَامٌ تُصِيبُ مِنْهُ فَتُضْمِنِي

(١) في رثاء جوهرة «ديوانه» ص ٤٦١.

(٢) الأجم: الأدغال.

(٣) برثي زوجته أم ولديه أبي بكر وعمر وصنعها على لسان عمرا «ديوانه» ص

يُسْرِعُ الْحَيُّ فِي الْحَيَاةِ بِبَرٍّ ثُمَّ يُفْضِي إِلَى الْمَمَاتِ بِسُقْمٍ
فَهُوَ كَالْبَذْرِ يَنْقُصُ النُّورُ مِنْهُ بِمَحَاقٍ وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يَنْمِي
كُلُّ نَفْسٍ رَمِيَّةٌ لِرَمَانٍ قَدَرَ سَهْمٍ لَهُ فَقُلْ كَيْفَ يَرْمِي؟
بِيَضِ أَيَّامِهَا وَسُودِ لَيَالِيهَا، كَشْهَبٍ، تَكَرَّرَ فِي إِثْرِ دُهِمٍ
وَهِيَ فِي كَرِّهَا عَسَاكُرُ حَرْبٍ غَرَّ مَنْ ظَنَّهَا عَسَاكِرَ سِلْمٍ
بَدَرَ الْمَوْتُ كُلَّ طَائِرٍ جَوْ فِي مَفَازٍ وَكُلَّ سَابِحٍ يَمٍ
رُبَّ طَوْدٍ يُرِيكَ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْهُ شَمَّ السَّمَاءِ أَنْفُ أَشَمٍ
جَمَعَ الْمَوْتُ بِالْمَصَارِعِ مِنْهُ بَيْنَ فُتُخٍ مُحَلَّقَاتٍ وَعُضْمٍ^(١)
كَمْ رَأَيْنَا وَكَمْ سَمِعْنَا الْمَنَايَا غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يُصِمُّ وَيُغْمِي
أَيْنَ مَنْ عَمَرَ الْيَبَابَ وَجِيلٌ لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْ «جَدِيسٍ» وَ«طَسَمٍ»^(٢)
وَمُلُوكٌ مِنْ حِمِيرٍ مَلَاوا الْأَرْضَ وَكَانَتْ مِنْ حُكْمِهِمْ تَحْتَ خَشَمٍ
وَجِيُوشٌ يُظِلُّ غَابُ قَنَاهَا أُسْدًا مِنْ حُمَاةِ عُرْبٍ وَعَجَمٍ
كَشَرَ الدَّهْرُ عَنْ حَدَادِ نِيُوبٍ أَكَلَتْهُمْ بِكُلِّ قَضْمٍ وَخَضَمٍ^(٣)
وَمُحُوا مِنْ صَحِيفَةِ الدَّهْرِ طُرًّا مَخَوْهُوَجِ الرِّيَّاحِ آيَاتِ رَسَمٍ
أَفْلا يُتَّقَى تَغْيِيرُ حَالٍ فَيَدُ الدَّهْرِ فِي بِنَاءٍ وَهَدْمٍ

(١) الفتح: الطيور لينة الجناح، والعصم، الغربان التي في جناحها بياض.

(٢) جدیس وطسم: من قبائل العرب البائدة.

(٣) القضم: الأكل بأطراف الأسنان، والخضم: الأكل بجميع الفم. وفي المثل:

يُبْلَغُ الْخَضْمُ بِالْقَضْمِ، أي أن الشبعة قد تبلغ بالأكل بأطراف الفم. ومعناه أن

الغاية البعيدة قد تُدْرَك بالرفق.

وَالرَّزَايَا فِي وَغْظِهِنَّ الْبَرَائَا
وَالَّذِي أَغْجَرَ الْأَطِبَّاءَ دَاءُ
لَوْ بَكَى نَاطِرِي بِصَوْبِ دِمَاءِ
مَنْ تَوَسَّدَتْ فِي حَشَايَا حَشَاهَا
وَضَعْتَنِي كَرَاهًا كَمَا حَمَلْتَنِي
شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهَا لِي فَأَشْهَى
بِحَنَانٍ كَأَنَّهَا فِي رِضَاعِي
يَا ابْنَ أُمِّي إِنِّي بِحُكْمِكَ أَبْكِي
قِسْمَ الْحُزْنِ بَيْنَنَا فَتُبِيرُ
لَمْ أَقُلْ وَالْأَسَى يُصَدِّقُ قَوْلِي
وَلَوْ أَنِّي كَفَفْتُ دَمْعِي عَلَيْهَا
أُمَّتَا هَلْ سَمِعْتَنِي مِنْ قَرِيبِ
كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ
كَمْ خَيَالٍ يَبِينُ يَمْسَحُ عَظْمِي
وَيَنَاتُ عَلَيْكَ مُنْتَجِبَاتُ

فِي الْأَحَايِينِ نَاطِقَاتُ كَبُكُمِ
فَقَدْ رَوَّحَ بِهِ وَوَجَدَانُ جِسْمِ
مَا وَفَى الْأَسَى بِحَسْرَةِ أُمِّي
وَارْتَدَّى اللَّحْمَ فِيهِ وَالْجِلْدَ عَظْمِي
وَجَرَى تَذِيهَهَا بِشُرْبِي وَطَعْمِي
مَا إِلَيْهَا إِحْصَانُ جِسْمِي وَضَمِّي
أَمْ سَقَبٌ دَرَّتْ عَلَيْهِ بِشَمٍّ^(١)
فَقَدْ أُمِّي الْغَدَاةَ فَأَبْكِي بِحُكْمِي
لَكَ قِسْمٌ وَيَذْبُلُ مِنْهُ قِسْمِي^(٢)
جَمَدَتْ عَبْرَتِي فَلَذْتُ بِحِلْمِي
عَقْنِي بِرُّهَا فَأَضْبَحَ خَضَمِي
حَيْثُ لِي فِي النَّيَاحِ صَرْخَةٌ قَرَمِ^(٣)
لَوْ تَخَيَّلْتُ فِي مُصَابِكِ هَمِّي
لَكَ يَا أُمَّتَا وَيَهْتِفُ بِأَسْمِي
بِخُذُودِ مُحَدَّرَاتٍ يَلْطَمِ

(١) السقب: ابن الناقة.

(٢) ثبير ويذبل: جبلان الأولى في مكة والثاني في نجد.

(٣) القرم: البعير المكرم حيث لا يحمل عليه ولا يدلل ومنه القرم بمعنى السيد.

بِئِنَّ يَمْسَحَنَّ مِنْكَ وَجْهًا كَرِيمًا
 وَيُنَادِيَنَّ بِالتَّفَجُّعِ أُمًّا
 بِأَبِي مِنْكَ رَأْفَةً أَسْنَدُوهَا
 وَعَفَاتُ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ عَادَتُ
 وَصِيَامٍ بِكُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ
 وَلِسَانٍ دُعَاؤُهُ مُسْتَجَابُ
 وَحَفِيرٍ مِنَ الصَّبَابَةِ فِيهِ
 كَمْ تَكْفَلْتِ مِنْ كَبِيرَةٍ سِنُ
 فَأُضَاقَتْ يَدَاكَ مِنْ صَدَقَاتِ
 كَانَ بَيْنَ الْأَنَاسِ عُمْرُكَ حَمْدًا
 أَنْتِ فِي جَنَّةٍ وَرَوْضٍ نَعِيمٍ
 يَا «أَبَا بَكْرٍ» الْمُصَابُ عَظِيمُ
 أَنْتِ فِي الْوَدِّ لِي شَفِيقُ وَفَاءُ
 أَنْتِ مِنْ صَفْوَةِ الْأَفَاضِلِ نَذْبُ
 بَاتَ مِنْ طَبْعِكَ الْمُفْجَعِ طَبْعِي
 تَرَكْتُ بَيْتَ «يُوسُفَ» لِلْمَعَالِي

بِوُجُوهٍ مِنَ الْمُصِيبَةِ قُتِمِ
 يَا فِدَاءَ لَهَا إِجَابَةُ غُثَمِ^(١)
 فِي ضَرْيَحٍ إِلَى جَنَادِلَ صُمِ^(٢)
 كُلَّ عَظَمٍ مِنَ الدَّفِينِ وَلَحْمِ
 قِيَامٍ بِكُلِّ مَطْلَعِ نَجْمِ
 لِي أَوْدَعْتُهُ الرُّغَامَ بِرَغْمِي^(٣)
 فِي حِجَابِ الثَّقَى سَرِيرَةُ كُمْ
 وَتَبَنَيْتِ مِنْ صَغِيرَةٍ يُثْمِ
 كَانَ يُحْيَا بِهِنَّ مَيِّتُ عُدْمِ
 قَدْ تَبَرَّأْتَ فِيهِ مِنْ كُلِّ ذَمِّ
 لَمْ يَسْمِ أَرْضَهَا السَّحَابُ بِوَسْمِ
 فَهَوَ يُبْكِي بِكُلِّ سَحٍّ وَسَجَمِ^(٤)
 وَمُصَابِي إِلَى مُصَابِكَ يَنْمِي
 فِي نِصَابٍ كَرِيمٍ خَالٍ وَعَمِّ
 رَبِّ سَهْمٍ أُعِيرَ صَارَمَ شَهْمِ
 أَسْفًا يَنْحَرُ الْعُيُونُ فَيُذْمِي

(١) الغنمة: التلكر بالنطق.

(٢) الجنادل: حجار القبر.

(٣) الرُّغَام: التراب.

(٤) سَحَّ الدمع: انهمر بقوة، وسجم الدمع: إذا سال.

دَوْحَةُ الْمَجْدِ بِالْفَخَارِ جَنَاهَا
فَسَقَى الثُّرْبَةَ الَّتِي هِيَ فِيهَا
وَلَيْسَتْ الْعَزَاءُ يَا خَيْرَ فَرْعٍ
يَا فَيْعٌ فَهِيَ فِي الْبِلَى تَحْتَ رَذَمٍ
عَارِضٌ مِنْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَهْمِي
قَدْ بَكَى حَسْرَةً عَلَى خَيْرِ جِذَمٍ

ابن الزقاق البلنسي

(٤٩٠ - ٥٢٨ هـ = ١٠٩٦ - ١١٣٤ م)

علي بن عطية بن مطرف، كان شاعراً مفلحاً حسن السبك رشيق العبارة وتوفي وهو دون الأربعين من عمره، جاء في «المغرب في حلي المغرب»: من فتيان عصرنا الذين اشتهر ذكرهم، وطار شعرهم، وهو جدير بذلك، فلشعره تعشق بالقلوب، وتعلق بالسمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل، كونه استمد من خاله أبي إسحاق بن خفاجة، ونزع منزعه^(١).

وقال عنه الراغب الأصفهاني: شاعر متأخر في الزمان، متقدم في الإحسان، له ألفاظ أرق من نفحات حدائق الرياض، ومعان أدق من عبرات الأخداق المراض^(٢).

وكان ابن الزقاق يسهر في الليل، ويشغل بالأدب، وكان أبوه فقيراً جداً، فلامه، وقال له: نحن فقراء، ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه، فاتفق أن برع في الأدب والعلم ونظم الشعر، فقال في أبي بكر ابن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها:

يَا شَمْسَ خَذِرِ مَا لَهَا مَغْرِبٌ أَرَامَةٌ خِذْرِكِ أَمْ يَشْرِبُ
ذَهَبَتْ فَاسْتَعْبَرَ طَرْفِي دَمًا مُفَضَّضَ الدَّمْعِ بِهِ مُذْهَبُ

(١) «المغرب في حلي المغرب» الجزء الثاني ٣٢٣.

(٢) «خريدة القصر» الجزء الثاني من قسم شعراء المغرب والأندلس ص ٥٦٤.

فاطلق له ثلاثمائة دينار، فجاء بها إلى أبيه وهو جالس في حانوته
مُكَبَّ على صنعته، فوضعها في حجره، وقال: خُذْهَا فاشترِ بِهَا زَيْتًا. ^(١)

أَظَاعِنَةُ وَالْحُزْنُ لَيْسَ بِظَاعِنٍ

فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ دُرَّة ^(٢)

لِمَعْنَاكِ سَحَّ الْمُرْنُ أَدْمَعُ بَاكِ

وَرَجَّعَتِ الْوَرَقَاءُ أَنَّهُ شَاكِ

وَشَقَّ وَمِيضُ الْبَرْقِ ثَوْبًا مِنَ الدُّجَى

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يُجَلَى بِضَوْءِ سَنَاكِ

أَظَاعِنَةُ وَالْحُزْنُ لَيْسَ بِظَاعِنٍ

لَقَدْ أَوْحَشَ الْأَيَّامَ يَوْمَ نَوَاكِ

نَوَى لَا يَشُدُّ السَّفَرُ رَاِحِلَةً لَهَا

وَلَا يَشْتَكِيهَا الْعَيْسُ لَيْلَ شَرَاكِ

وَلَكِنَّهَا تَطْوِي الْمَحَاسِنَ فِي الثَّرَى

فَيَا حُسْنَ مَا يُطْوَى عَلَيْهِ ثَرَاكِ

وَتُشْعِرُ يَأْسًا مِنْكَ حَرَّانَ هَاتِفًا

لَعَلَّكَ مِنْ بَعْدِ النَّوَى وَعَسَاكِ

(١) «نفع العليب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني،

٩٩٢ - ١٠٤١ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر / بيروت ١٩٨٨

الجزء الثالث ص ٢٨٩.

(٢) «دهوان ابن الزقاق البلنسي» تحقيق عفيفة الديراني / دار الثقافة بيروت ١٩٦٤.

وَتُورِثُ شَمْسُ الدُّجَنِ أَخْتُكَ لَوْعَةً
بِفَقْدِكَ وَالْبَذَرُ الْمُنِيرَ أَخَاكَ
وَتُعْلِمُنَا أَنَّ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ
وَأَنَّ مَدَانَا فِي الْمَقَامِ مَدَاكَ
وَأَنَّ الشَّبَابَ الْغَضَّ وَالصَّوْنَ وَالنَّهْيَ
طَوَى الْكُلَّ مِنْهَا الْحَيْنُ يَوْمَ طَوَاكَ
غَدَا الدَّهْرُ مِنْ مُرِّ الْحَوَادِثِ كَالِحَاً
وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الدَّهْرَ بَغْضُ عِدَاكَ
عَجِبْتُ لَهُ أَنِّي رَمَاكَ بِصَرْفِهِ
وَلَمْ يَغْشَ عَيْنَيْهِ شِعَاغُ سَنَاكَ
فَعَطَلَ جَيْدَاً أَثْلَعَاً كَانَ مُظْلِعَاً
سَمِيكَ مَنْصُوبَاً بِصَفْحِ طَلَاكَ
فَيَا دُرُّ إِنْ أَمْسَيْتِ غُظْلَاً فَطَالَمَا
غَدَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ بَغْضَ حُلَاكَ
وَيَا دُرُّ مَا لِلْبَيْتِ أَظْلَمَ كِسْرُهُ
تُرَاكِ تَيَمَّمَتِ الثُّرَابَ تُرَاكِ؟
وَيَا زَهْرَةً أَذْوَى الْجِمَامِ رِيَاضَهَا
لَقَدْ فَجَعَتْ كَفُّ الْجِمَامِ رُبَاكَ
سَقَاكِ النَّدَى حَتَّى تَعُودِي نَضِيرَةً
وَمَنْ لِلْقُلُوبِ الْحَائِمَاتِ بِذَاكَ

الْأُتَى فِي عَضْدِ الْحِمَامِ لَقَدْ رَمَى
عَقِيلَةً هَذَا الْحَيِّ يَوْمَ رَمَاكَ
فَدَثُكَ كَرِيمَاتِ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا
رَأَيْتَ قَلِيلًا أَنْ يَكُنَّ فِدَاكَ
وَهَلْ دَافِعٌ عَنْكَ الْفِدَاءُ مَنِئِيَّةٌ
أَهَبْتُ صَبَاهَا فِي رِيَاضِ صَفَاكَ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ مَضَجَعَكَ الثَّرَى
وَمَا يَنْقُضِي حَتَّى الْمَعَادِ كَرَاكَ

عُمَارَةُ الْيَمَنِيِّ

(٥٦٩ هـ = ١١٧٤ م)

عُمَارَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدَانَ الْحَكَمِيِّ الْمَذْحِجِيِّ الْيَمَنِيِّ، أَبُو مُحَمَّدٍ،
نَجْمُ الدِّينِ: مُؤَرِّخٌ ثَقَّةٌ، وَشَاعِرٌ فَقِيهٌ أَدِيبٌ، مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. وَلَدَ فِي
تِهَامَةٍ وَرَحَلَ إِلَى زَبِيدَ سَنَةِ ٥٣١ هـ وَقَدَّمَ مِصْرَ بِرِسَالَةٍ مِنَ الْقَاسِمِ بْنِ
هَشَامٍ «أَمِيرِ مَكَّةَ» إِلَى الْفَائِزِ الْفَاطِمِيِّ «سَنَةِ ٥٥٠ هـ» فَأَحْسَنَ الْفَاطِمِيُّونَ
إِلَيْهِ وَبَالَغُوا فِي إِكْرَامِهِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ، وَمَدَحَهُمْ. وَلَمْ يَزَلْ مُوَالِيًا لَهُمْ
حَتَّى دَالَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمَلَكَ السُّلْطَانُ «صَلَاحُ الدِّينِ» الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ،
فَرَثَاهُمْ عُمَارَةُ وَاتَّفَقَ مَعَ سَبْعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْمَصْرِيِّينَ عَلَى الْفَتْكِ بِصَلَاحِ
الدِّينِ، فَعَلِمَ بِهِمْ فَقَبِضَ عَلَيْهِمْ وَصَلَبَهُمْ بِالْقَاهِرَةِ، وَعُمَارَةُ فِي جُمْلَتِهِمْ.
لَهُ تَصَانِيفٌ، مِنْهَا «أَرْضُ الْيَمَنِ وَتَارِيخُهَا» وَ«النُّكْتُ الْعَصْرِيَّةُ»، فِي أَخْبَارِ
الْوُزَرَاءِ الْمَصْرِيَّةِ وَفِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَخْبَارِهِ، تَحَدَّثَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَقَصَائِدُ
وَمُخْتَارَاتُ أَوْرَدَهَا مِنْ شِعْرِهِ وَنَثَرِهِ^(١).

تَرَكَّتْنِي فَرْدًا^(٢)

فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ أُمِّ سَيْفِ الْمَلِكِ.

نَبَّهْتَنِي حَمَامَةٌ بِسُجَيْرٍ عِنْدَ تَغْرِيدِهَا عَلَى الْأَغْصَانِ

(١) «الأعلام للزركلي» الجزء الخامس ص ٣٧.

(٢) «النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية» لعمارة اليمني اعتنى بتصحيحه =

مَتَّعْتُ بِي وَقَدْ تَحَدَّرَ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّي أَحْمَرًا كَالْجُمَانِ
زِدْتُ هَمًّا يَنْوِجُهَا فَوْقَ هَمِّي وَاعْتَرَانِي حُزْنٌ عَلَى أَحْزَانِي
قُلْتُ مَاذَا التَّعْرِيدُ: قَالَتْ: دَهَانِي فِي خَلِيلِي رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ
قُلْتُ إِنْ كُنْتُ قَدْ عَدِمْتُ خَلِيلًا فَأَنَا قَدْ عَدِمْتُ ظَبِيَّةَ بَانَ
دَعَجَةَ الْمُفْلَتَيْنِ فِي وَجْنَتَيْهَا وَزِدَّةَ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
كَمَلْتُ عِفَّةً وَدِينًا وَفَخْرًا وَبِهَاءَ يَزْهَى عَلَى كَيَوَانٍ^(١)
أَضْلُهَا طَيْبٌ وَفَرْعٌ زَكِيٌّ مُورِقُ الْعُودِ يَانِعُ الْأَغْصَانِ
وَعَدِمْتُ السُّلُوَ وَاعْتَضْتُ عَنْهُ زَفَرَاتِ اللَّهَيْبِ وَالنَّبِيرَانِ
إِذْ دَهْتَنِي فِيهِ خُطُوبُ اللَّيَالِي وَرَمْتَنِي عَنْ قَوْسِهَا الْمِرْنَانِ^(٢)
وَحَلْتُ بَعْدَهَا الدِّيَارُ فَأَضَحَتْ مَوْطِنًا لِلذُّنَابِ وَالْغُرَبَانِ
بَعْدَ عَهْدِي بِهَا أَنْيَسَةَ رَسْمٍ فَرَمَتْهَا الْمَنُونُ بِالشَّنَّانِ^(٣)
غَدَرْتَنَا الْأَيَّامُ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ بَدَّدَتْ شَمْلَنَا مِنَ الْأَوْطَانِ
فَصَغِيرٌ بَاكِ بِقَلْبٍ قَرِينِجٍ وَكَبِيرٌ يَنْوُحُ بِالْأَشْجَانِ
بَعْضُنَا قَدْ قَضَى وَبَعْضٌ سَيَتَلُو وَالْمَنَايَا تَحُثُّنَا بِسِنَانِ
وَيَحَ قَلْبِي لَمَّا حَدَا حَادِي الْمَوْتِ وَسَارُوا يَنْعِشُهَا لِلْمَكَانِ

= هرتويغ دورنبرغ طبعة مكتبة المشى بغداد عن طبعة مطبعة مرسو، في مدينة
شالون على نهر سون سنة ١٨٩٧. ص ٣٧٦.

(١) كيوان: كوكب زحل، وهي لفظة معربة.

(٢) مرنان: مصوت. له رنة.

(٣) الشنان: البغض.

أَنْزَلُوهُمَا فِي التُّرْبِ رَغْمًا بِرَغْمِي	ثُمَّ صَارَتْ رَهِينَةً الْأَكْفَانِ
غَيَّبُوا شَخْصَهَا فَنَابَ صَوَابِي	وَبِهَائِي وَمُهْجَتِي وَجَنَانِي
وَتَمَنَّيْتُ لَوْ قَدَيْتُ نَرَاهَا	بِسَوَادِ الْعُيُونِ مِنْ أَجْفَانِي
رُحْتُ عَنْهَا بِخَبِيَّةٍ وَإِيَّاسٍ	وَلَهَيْتُ بِمِضْ كَالْأَفْعَوَانِ
كَأَنَّ أَنَسِي بِهَا قَدِيمًا وَقَدَمًا	كَيْتُ أَسْطَوْ بِهِ عَلَى الْأَزْمَانِ
تَرَكْتَنِي فَرْدًا أَكَايِدُ شِبْلِي	وَأُرْدُ النُّوَاحِ بِالْأَلْحَانِ
وَأَقْضِي عُمْرِي بِظَنٍّ كَذُوبٍ	وَيَقْلِبِي مَا لَا يُؤَدِّي لِسَانِي
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مَا غَرَّدَ الطَّيْرُ عَلَى أَيْكَةٍ مِنَ الْأَغْصَانِ	دَائِمًا ثَابِتًا مَعَ الْوِلْدَانِ
وَحَبَاكَ إِلَهُ مِنْهُ نَعِيمًا	مَعَ حَرِيمِ النَّبِيِّ فِي رِضْوَانِ

أَبُو الرَّبِيعِ الْمُوَحَّد

(٥٥٣ - ٦٠٤ هـ / ١١٣٧ - ١٢٠٧ م)

سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكوفي الموحد. من أمراء بني عبد المؤمن كان يلي مدينة «سجلماسة» وأعمالها وكان فصيحاً بالعربية والبربرية. وفي المؤرخين من يراه كابن المعتز في بني العباس، وكان يشير على العلماء بتأليف بعض الكتب صَنَّفَ كتاباً في «شيوخ ابن وهب ومناقبه» و«نظم العقود ورقم الحلل والبرود» و«مختصر الأغاني» وله ديوان شعر إصدر جامعة محمد الخامس المغرب. ١٩٧٤ بتحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن العباس القباج، وسعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني، فيه مراتب عدة في زوجته.

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ^(١)

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ كَأَنَّ مَا

عَنَيْنَا: يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ

كَمْ بَيْنَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ مِنَ الْجُيُوبِ

وَبَيْنَ مَشْقُوقٍ عَلَيْكَ مِنَ الْقُلُوبِ

(١) «ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد» تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، محمد بن العباس القباج، سعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني. إصدر جامعة محمد الخامس/المغرب. ١٩٧٤ ص ٤٥.

يُقِنْدُنِي السَّفِينَةُ^(١)

أَسَاكِنَةُ الْفَلَاةِ يَبْطُنِ رَمْسِ فَرِيدُ مَا لَهُ فِي الثَّرْبِ جَارُ
تَظَلُّ بِهِ الشَّوَارِدُ آنَسَاتِ وَلَا دُغْرُ بِهِنَّ وَلَا نِفَارُ
فَكَيْفَ رَضِيَّتِهِ وَتَرَكْتَ قَلْبًا يَكِنُّكَ إِنْ تَعَدَّكَ الْخِيَارُ؟
يُقِنْدُنِي السَّفِينَةُ عَلَى بُكَائِي عَلَيْكَ وَقَدْ نَأَيْتَ فَلَا مَزَارُ
وَحَوْلِي مِنْ بَيْنِكَ، سَقِيَتْ غَيْثًا، فِرَاحُ كَالْقِطَا زُغْبُ صَغَارُ
يُقْطَعْنَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ مَهْمَا ذَكَرْتُكَ وَالْدُّمُوعُ لَهَا انْهِمَارُ
وَمَهْمَا أَبْصَرُوا أُمًّا تَنَادَوْا بِأُمِّهِمْ فَكَيْفَ لِي اضْطَبَّارُ؟
حَلَلْتُ مِنَ النَّعِيمِ مَحَلًّا أَمِنِ وَحَيْثُكَ الْكَرَامَةُ وَالْقَرَارُ
وَسَقَتْ ذَلِكَ الرَّمْسَ الْغَوَادِي حَبًّا مَا أَغَقَبَ اللَّيْلَ النَّهَارُ

لَقَدْ نَقَلْتُ^(٢)

قَبْرَ الْغَرِيبِ سَقِيَتْ الْغَيْثَ مِنْ جَدَثِ
وَجَادَ تُرْبِكَ مَطَّالًا مِنَ الدَّيَمِ
إِنْ كُنْتَ قَدْ خَلَفْتَ نِعْمَى غَيْرَ بَاقِيَةٍ
لَقَدْ نَقَلْتُ لِمَا يَبْقَى مِنَ النُّعَمِ

(١) ديوانه ص ٤٥ .

(٢) ديوانه ص ٤٦ .

تَنَغَّصَتِ الْحَيَاةَ لِفَقْدِهِ^(١)

سَلَّمَ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ لَحْدَهُ
شَخْصاً تَنَغَّصَتِ الْحَيَاةَ لِفَقْدِهِ
وَاسْكُبْ دُمُوعَكَ فِي ثَرَاهُ فَقَلَمَا
لَذْتُ نَضَارَةً عَيْشِنَا مِنْ بَعْدِهِ
يَا قَلْبُ لَوْ أَضْفَيْتَهُ مَخْضَ الْهَوَى
مَا كُنْتَ تَبْرَحُ طَائِعاً مِنْ عِنْدِهِ
حَتَّى نَذُوبَ صَبَابَةً وَتَأْسُفًا
وَنَكُونَنَّ مَلْحُودًا مُجَاوِرَ لَحْدِهِ

الْمُلْتَقَى الْحَشْرُ وَالْمَعَادُ^(٢)

قَدْ شَفَّنِي الْبَيْنُ وَالسَّهَادُ فَحَشْرُ أَجْفَانِي الْقَتَادُ
يَا نَارِحاً وَهُوَ فِي فُؤَادِي إِنْ كَانَ لِي بَعْدَهُ فُؤَادُ
لَوْ بِنْتَ عَنِّي بِحَيْثُ أَرْجُو مَلَقَاكَ مَا شَفَّنِي الْبِعَادُ
لَكِنَّهَا غَيْبَةُ الْمَنَايَا وَالْمُلْتَقَى الْحَشْرُ وَالْمَعَادُ
وَكَيْفَ أَسْلُوكَ أَوْ أَسْلَى وَالْوَجْدُ مَا إِنْ لَهُ نَفَادُ
جَادَتْ بِذَاكَ الثَّرَى الْغَوَادِي وَعَادَ مِنْ بَعْدِهَا الْعِهَادُ^(٣)

(١) «ديوانه» ص ٤٦ .

(٢) «ديوانه» ص ٤٦ .

(٣) العِهَادُ: جمع عهد، وهو أول مطر الربيع .

فِي شُغْلٍ مِنَ الْبُعْثِ^(١)

مَرَرْتُ عَلَى مَعْنَى الْأَحِبَّةِ بَعْدَمَا
مَحَا رَسْمَهُ كَرُّ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
فَنَادَيْتُ: يَا مَعْنَى الْأَحِبَّةِ أَيْنَ مَنْ
عَهْدَتْهُمْ سُكَّانَ هَذِي الْمَنَازِلِ
فَقَالَ: إِلَى دَارِ الْقُبُورِ تَرَحَّلُوا
وَأَيُّ مُقِيمٍ فِي الدُّنَا غَيْرَ رَاحِلٍ؟
فَإِنْ تَسْأَلِ الْأَجْدَاثَ عَنْهُمْ صَبَابَةً
فَحَسْبُكَ مَرَاهَا جَوَابًا لِسَائِلِ
وَكَيْفَ يَرُدُّونَ السُّؤَالَ وَإِنَّهُمْ
لَعَمْرِكَ فِي شُغْلٍ مِنَ الْبُعْثِ شَاغِلِ

فَاسْتَيْقِنُوا الْيَأْسَ مِنْ صَبْرِي^(٢)

يَقُولُونَ: صَبْرًا مَا الْبُكَاءُ بِنَافِعٍ
وَلَا رَاجِعٌ مَنْ قَدْ مَضَى آخِرَ الدَّهْرِ
فَقُلْتُ وَأَجْفَانِي تَجُودُ بِمَائِهَآ:
أَمَا لِي فِي قَوْلِ «الْعَقِيلِي مِنْ عُذْرِي»^(٣)

(١) «ديوانه» ص ٤٧ .

(٢) «ديوانه» ص ٣٧ .

(٣) «القحيف بن خمير بن سليم، المتوفى في العقد الثالث من القرن الثاني
والمذكور في آخر «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام و«الأغاني» للأصفهاني
والبيت من أبيات قالها في رثاء صديق صليب وهي:

لَعَمْرِي لَيْنُ أَضْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدِّ
 طَوِيلِ تُعَفِّيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ
 لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّرًا
 وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
 وَأَقْلَتَ مِنْ ضَيْقِ الشَّرَابِ وَغَمِّ
 وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ؟
 فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَاءِ
 عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

ويلاحظ التخالف في الضميرين في الغيبة والحضور والتأنيث والتذكير
 لاختلاف السياق .

هذا ما ورد في هامش المحققين للديوان، وقد وجدت أن الأبيات تنسب
 لأكثر من «عقبلي» بينهم بشار بن برد وهو مولى بني عقيل وإليهم ينسب،
 راجع الأبيات في ديوانه الجزء الرابع ص ٧٥ بشرح أحمد الطاهر بن عاشور
 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧ . وفي «زهر الآداب» الجزء
 الرابع ص ١٠٩٢ الأبيات للعقبلي دون تفصيل ، وفي «الوافي بالوفيات»
 الأبيات لمحمد بن علي بن أبي حمزة العقيلي الكوفي، وفي «عيون الأخبار»
 لمحمد بن أبي حمزة مولى الأنصار، وفي «أمالى البزدي» ص ١٣٦ للعقبلي،
 ولعله خطأ في التصحيف، في صديق له صلب في الزندقة وتمايم الأبيات التي
 يوردها:

لَعَمْرِي لَيْنُ أَضْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدِّ
 طَوِيلِ تُعَفِّيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ
 لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّرًا
 وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
 وَأَقْلَتَ مِنْ ضَيْقِ الشَّرَابِ وَغَمِّ
 وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ؟
 فَإِنْ كُنْتَ زَنْدِيقًا فَدُقْ عِيبَ مَا جَنَتْ
 بِذَاكَ فَلَا يَبْسُودُ سِوَاكَ أَبَا عَمْرٍو
 وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا وَلَمْ تَكُ ظَالِمًا
 فَلَسْتَ غَنِيًّا بِمَا عُبِّدُ عَنِ الْأَجْرِ

فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكََا
 عَلَيْهَا وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ
 فَخَلُّوا مَلَامِي إِنَّنِي غَيْرُ صَابِرٍ
 عَلَى فَقْدِهَا فَاسْتَيْقِنُوا الْبَأْسَ مِنْ صَبْرِي

عَلَى أَنْ فِي قَلْبِي عَلَيْكَ حَزَازَةٌ =
 تُرَدُّ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدُورِ
 فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكََا
 عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ
 فَطَوَّنَ لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا
 وَلَكِنَّنِي أَبْكِي لِمُقْدِرِكَ فِي سِرِّ

ابنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ

(٥٤٥ - ٦٠٨ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٢ م)

هبة الله بن جعفر بن سناء المَلِك، «القاضي السعيد» شاعرٌ من النبلاء هو الأديب المصري، الكامل المشهور. قال عنه الصفدي كان كثيرَ التَّنعمِ وافرَ السعادة محظوظاً من الدنيا! وهو عندي من الأدباء الكَمَلَة لأنه جَوَدَ التَّرسُّلَ والموشَّحات البديعة، وأما شعرُهُ فَإِنَّهُ في الذروة العُلَيَا كثير الغوص على المعاني، كثير الصناعة، واري زِنَادَ التورية، وقال ابنُ سعيد المَغْرِبِي: كان غالياً في التشيع وله مصنَّفات: منها «ديوان موشحات» وكتاب «دار الطراز»، واختصر «كتاب الحيوان» للجاحظ وسماه «روح الحيوان» وهي تسميةٌ لطيفةٌ، وأحبُّهُ أهلُ الدولة لَدَمَائِهِ كانت فيه وحُسنُ عِشْرَةٍ وتودُّدُ وربُّ المال محبوبٌ، فسار له ذُكْرٌ جميلٌ. هذه القصائد تظهر قصة حب تراجيدية تنتهي برحيل الحبيب، وبقاء المحب باكياً شكايًا يصوغ الأحزان درراً ويبدو أنها مراثٍ لأكثر من امرأة، لكنْ تُنصَفُ جميعُها برقَّة الشَّجن، وجمالية التعبير.

مَرْثِيَةٌ عَيْنِ الشَّمْسِ^(١)

بَكَيْتُكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي أَنْتِ أَخْتُهَا

وَشَمْسُ الضُّحَى تَبْكِيكَ إِذْ أَنْتِ بِنْتُهَا

(١) «ديوان ابن سناء الملك» تصحيح محمد عبد الحق طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية ١٩٥٨ حيدرآباد الهند/ ص ١٢١.

وَتَضَحَّكَ غِرْلَانُ الْفَلَاةِ لِأَنِّي
بِعَيْنَيْكَ لَمَّا أَنْ نَظَرْتُ فَضَحْتُهَا
وَيَا مُنِيَّةُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْزُ بِهَا
وَأُمْنِيَّةُ يَا لَيْتَنِي مَا بَلَغْتُهَا
شَهِدْتُ بِأَنِّي فِيكَ الْأَمُّ تَاكِلُ
لِللَّيْلَةِ بَيْنَ مَتِّ فِيهَا وَعِشْتُهَا
أَفَادِيَّتِي يَا لَيْتَ أَنِّي فَدَيْتُهَا
وَسَابِقَتِي يَا لَيْتَ أَنِّي سَبَقْتُهَا
وَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي نِعْمَةً وَكَأَنِّي
وَقَدْ عِشْتُ يَوْمًا بَعْدَهَا قَدْ كَفَرْتُهَا
وَمَا بَالُ نَفْسِي فِيكَ مَا كَانَ بَخْتُهَا
مَمَاتِي لَمَّا لَمْ يَعِشْ مِنْكَ بَخْتُهَا
نَعَمْ كَبِدِي لَا وَجَنَّتِي مُذْ لَطَمْتُهَا
عَلَيْكَ وَعَيْنِي لَا ثِيَابِي شَقَقْتُهَا
أَيَا دَهْرُ قَدْ أَوْجَدْتَنِي مُذْ وَجَدْتُهَا
فَمَا لَكَ لَا أَغْدَمْتَنِي إِذْ عَدِمْتُهَا
تَطَلَّبْتُهَا مِنْ نَاطِرِي بَعْدَ فَقْدِهَا
فَضَاعَتْ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي وَجَدْتُهَا
نَكَلْتُكَ بَذْرًا فِي فُؤَادِي شُرُوقُهُ
وَقَاكِهَةً فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ نَبْتُهَا

عَلَى رَغْمِهَا خَانَتْ عُهُودِي وَإِنَّهُ
 جَزَاءُ لَأَنِّي كَمْ وَقْتُ لِي وَخُنْتُهَا
 وَأَنْفَقْتُ مِنْ تَبْرِ الْمَدَامِيعِ لِلْأَسَى
 كُنُوزاً لِهَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ ذَخَرْتُهَا
 وَسَالَتْ عَلَى خَدَّيْ مِنْ لَوْعَةِ الْجَوَى
 سَيُولُ دُمُوعِ خُضَّتُهَا ثُمَّ عُمْتُهَا
 لَأَلِي دَمْعِي مِنْ لَأَلِي ثَغْرِهَا
 فَنِي وَقْتُ لَفِي كُنْتُ مِنْهُ سَرَقْتُهَا
 قَدْ اغْتَذَرْتُ نَفْسِي بِأَنْ بَقَاءَهَا
 لَتَنْدُبَهَا، لَكِنِّي مَا عَذَرْتُهَا
 وَجُهِدِي إِمَّا زَفَرَةٌ قَدْ حَبَسْتُهَا
 عَلَيْهَا وَإِمَّا دَمْعَةٌ قَدْ سَكَبْتُهَا
 أَصَارَتْ حَصَاةَ الْقَلْبِ مِنِّي حَقِيقَةً
 حَصَاةً لَأَنِّي بَعْدَهَا قَدْ نَبَذْتُهَا
 وَمَعْشُوقَةٍ لِي لَسْتُ أَغْشَقُ بَعْدَهَا
 نَعَمْ لِي أُخْرَى بَعْدَهَا قَدْ عَشِيقْتُهَا
 عَشِيقْتُ عَلَى رَغْمِ الْحَيَاةِ مَنِيَّتِي
 تَرَانِي لَمَّا أَنْ عَشِيقْتُ أَغْرَتُهَا؟
 أَزُورُ قُوَادِي كُلَّمَا اشْتَقْتُ قَبْرَهَا
 غَرَاماً لَأَنِّي فِي قُوَادِي دَفَنْتُهَا

وَأَشْرَقُ بِالْمَاءِ الَّذِي قَدْ شَرِبْتُهُ
 وَمَا شَرَقِي إِلَّا لِأَنِّي ذَكَرْتُهَا
 وَأَمْنَحُهَا نَفْسِي وَرُوحِي وَأَذْمُعِي
 وَلَوْ طَلَبْتَ مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهَا
 مَحَاسِنُهَا تَحْتَ الثَّرَى مَا تَغَيَّبَتْ
 كَذًا بِجَنَانِي لَا بِعَقْلِي خِلْتُهَا
 وَلَوْ بَلَيْتَ تِلْكَ الْحُلَى وَتَنَكَّرْتَ
 وَأَبْصَرْتُهَا بَعْدَ الْبَلَى لَعَرَفْتُهَا
 يُرِينِي خَيَالِي شَخْصَهَا وَبَهَاءَهَا
 وَتُضَرَّتْهَا حَتَّى كَأَنِّي نَظَرْتُهَا
 غَدَتْ فِي ثَرَاهَا عَاطِلًا وَبِجِيدَهَا
 عُقُودُ لَالٍ مِنْ دُمُوعِي نَظْمَتْهَا
 فَيَا لَحْدَهَا يَا لَيْتَ أَنِّي سَكَنْتُهُ
 وَأَكْفَانَهَا يَا لَيْتَ أَنِّي لَبِسْتُهَا
 فَلَا تَجْحَدِي إِنْ قُلْتُ: قَبْرُكَ جَنَّةُ
 فَرَايِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْهُ شَمَمْتُهَا!

ثَرَاكِ دَفَنْتُ بِهِ نَاطِرِي^(١)

ثَرَاكِ دَفَنْتُ بِهِ نَاطِرِي وَقَالُوا مَدَدْتُ عَلَيْهِ الْحَجَابَا
 بِلَاهُ بِهِ رَمَدٌ لَا يَلِي لِأَنِّي حَثَوْتُ عَلَيْهِ الثَّرَابَا

(١) «ديوانه» ص ٧٧.

وَمَا دُفْتُ أَوْجَعَ مِنْ فَقْدِهَا عَلَى أَنِّي قَدْ ثَكَلْتُ الشَّبَابَا

أَسْتَحْي (١)

أَسْتَحْي أَنْ أَقُولَ لِلنَّاسِ مَا أَضْمِرُ مِنْ حَسْرَتِي عَلَيْهَا وَحُزْنِي
وَأَرَاغِي مَا لَا يَرَى مَا أَعَانِيهِ لَثَلَا يَخِفُّ فِي النَّاسِ وَزْنِي

خَيَالُكَ لَا يَبْلَى (٢)

خَيَالُكَ لَا يَبْلَى وَشَخْصُكَ بَالٍ
وَمِثْلِي مَنْ لَا يَلْتَهِي بِمِثَالٍ
وَإِنْ كُنْتُ فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ قَرِيبًا
حَزَنْتُ لِبُعْدِي لَوْ عَلِمْتَ بِحَالِي
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي ذَا السُّلُوِّ وَإِنَّهَا
عَلَى رَغْمِهَا أَلَّا تُجِيبَ سُؤَالِي
سُكُوتُكَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ تَعَمُّدًا
لِعَيِّ لِسَانٍ أَمْ لِفَرْطِ دَلَالٍ؟
لَعَمْرِي أَمَّا عُمْرُهَا مَا وَقَى لَهَا
وَأَمَّا لِسَانِي بَعْدَهَا فَوَقَى لِي

(١) «ديوانه» ص ٨٤٧.

(٢) «ديوانه» ص ٦٤١.

اسْمَعْ بِعَيْنَيْكَ^(١)

يَا أَيُّهَا الْغَضَنُ الَّذِي قَدْ ذَوَى
بَكَيْتُ مِنْ حُسْنِكَ كَيْفَ اخْتَفَى
كَتَمْتَ ذَاكَ الْوَجْهَ لَمَّا انْتَهَى
بَلَيْتُ فَوْقَ الْأَرْضِ حَزْناً كَمَا
وَمَرَّ بِي يَرْوِي حَدِيثَ الْأَسَى
وَأَوْحِشَةَ الْكَاسَاتِ مِنْ شِبْهَيْهَا
فِيَا جَوَى الْقَلْبِ تَضَاعَفَ فَقَدْ
لَهْفِي عَلَى رَيْقِكَ مِنْ مَوْرِدِ
وَجَمْرَةٍ فِي خَدِّهِ مَا انْطَفَتْ
أَغْيَا دَوَاءُ الطَّبِّ فِي سُقْمِهِ
حَسَدْتُ فِيهِ الثُّرْبَ إِذْ ضَمَّهُ
يَا مَنْ حَوَاهُ فِي الدُّنَا لَحْدُهُ
تَظُنُّنِي أَسْلُوكَ أَوْ أَنَّهُ

بَلْ أَيُّهَا النَّجْمُ الَّذِي قَدْ هَوَى
عَنَّا وَمِنْ شَخْصِكَ كَيْفَ انْطَوَى
حُسْنًا وَذَاكَ الْقَدَّ لَمَّا اسْتَوَى
بَلَيْتَ فِيهَا فَكِلَانَا سَوَى^(٢)
فَاسْمَعْ بِعَيْنَيْكَ الَّذِي قَدْ رَوَى
رَيْقًا وَأَنْفَاسًا تُدَاوِي الْجَوَى
تَرْحَلُ الْحَيِّ وَأَقْوَى اللَّوَى
غَاصَ وَكَمْ صَبَّ بِهِ مَا ارْتَوَى
لَكِنْ قَوَى قَلْبِي بِهَا فَانْكَتَوَى
وَالْمَوْتُ دَاءٌ مَا لَهُ مِنْ دَوَا
دُونِي وَقَبْرًا فِيهِ لَمَّا ثَوَى
وَالْقَبْرُ مَسْرُورٌ بِمَا قَدْ حَوَى
يَنْسَاكَ قَلْبِي؟ لَا وَحَقُّ الْهَوَى

(١) «ديوانه» ص ٨٧٣.

(٢) في الديوان، بُلَيْتُ، والأصح ما أوردناه «بَلَيْتُ» من البلى، لأن الأولى أصلها البلاء تتعدى بالبلاء، فنقول بُلَيْتُ بِهِ.

أَهَذَا صَنِيعُ التُّرْبِ بِالْغُصْنِ الرَّطْبِ^(١)

لَئِنْ كُنْتُ مِنْ عَيْنِي نُقِلْتُ إِلَى قَلْبِي
فَقَدْ صَارَ أَقْصَى الْبُعْدِ فِي أَقْرَبِ الْقُرْبِ
وَإِنْ كَانَ هَذَا الصَّدُّ مِنْكَ تَعْتَبًا
عَلَيَّ فِعْنَدِي أَلْفُ عَشْرِ مِنَ الْعَثْرِ
وَإِنْ كُنْتُ فِي شُغْلٍ فَهَلْ هُوَ شَاغِلٌ
كَشُغْلِكَ قَدَمًا بِالذَّلَالِ وَيَا الْعُجْبِ
وَإِنْ كُنْتُ غَضَبِي مِنْ فِرَاقِي فَإِنَّهُ،
وَلَا تَظْلِمِي، ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ لَا ذَنْبِي
دَعِي ذَا وَقُولِي كَيْفَ خُلِّيتَ لِلرَّدَى
وَأُخْرِجْتَ مِنْ خَلْفِ الْمَقَاصِيرِ وَالْحُجْبِ؟
وَكَيْفَ اغْتَدَى ذَاكَ الْحِمَامُ عَلَى الْجَمَى
وَكَيْفَ سَبَاكَ الْمَوْتُ جَهْرًا بِلَا حَرْبِ؟
وَكَيْفَ أَرَاقُوا مَاءَ وَجْهِكَ فِي الثَّرَى
فَأَفْنَاهُ دُونِي شَرْبُهُ مِنْهُ لَا شُرْبِي
وَكَيْفَ ابْتَلَوْا تِلْكَ الْمَعَاطِفَ بِالْبَلَى
كَمَا امْتَهَنُوا تِلْكَ التَّرَائِبَ بِالتُّرْبِ
بِرَغْمِي قَدْ أَنْزَلْتُ أَضْيَقَ مَنْزِلٍ
فَلَا مَرْحَبًا بِالْمَنْزِلِ الْوَاسِعِ الرَّحْبِ

(١) «ديوانه» ص ٦٢.

وَمَا وَجْهُكَ الْوَجْهَ الَّذِي غَابَ فِي الشَّرَى
وَلَكِنَّهُ الْبَذْرُ الَّذِي غَابَ فِي الْغَرْبِ
فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ حَالِ دَارِكَ وَانْظُرْنِي
إِلَى الشُّعْبِ أَخْلَتْ رَبْعَهُ ظِيئَةُ الشُّعْبِ^(١)
بَكَتْ دُورُكَ اللَّاتِي عَلَيْكَ تَسْلَيْتْ
مِنْ الْحُزْنِ لَمَّا عُوجِلَتْ مِنْكَ بِالسُّلْبِ
وَرَبْعُكَ أَضْحَى خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا
وَسَاخَ إِلَى أَنْ صَارَ أَغْلَاهُ كَالْجُبِّ
وَيَنْدُبُ حَتَّى يَسْمَعَ الْخَلْقُ نَذْبَهُ
مُصَلَّأً بِالتَّسْبِيحِ لَا الْعُودَ بِالضَّرْبِ
وَحَاشَاكَ مِنْ لَغْوٍ وَحَاشَاكَ مِنْ رَدٍ
وَحَاشَاكَ مِنْ لَهْوٍ وَحَاشَاكَ مِنْ لَعْبٍ
وَمَا بَرَحْتَ فِي الْحُسْنِ قِنْدِيلَ قِبْلَةٍ
وَفِي الظُّهْرِ لَا رَيْحَانَةَ الشَّرْبِ وَالشُّرْبِ^(٢)
إِذَا ظَهَرْتَ كَانَ الْحِجَابُ مِنَ الْحَجَى
وَأِنْ سَفَرْتَ نَابَ الْحَيَاءُ عَنِ النَّقْبِ
وَمِنْ طَبْعِهَا ذَاكَ الْعَفَافُ وَكَسْبُهَا
وَمَا أَحْسَنَ الطَّبْعَ الَّذِي زِيدَ بِالْكُسْبِ

(١) الشُّعْبُ: الحي. وقيل أن أصله أن يكون مكاناً بين جبلين.

(٢) الشُّرْبُ بالفتح: الشراب، والشَّرْبُ بالكسر: النصيب من الماء وهو الشربة.

وَقَدْ طَوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْطَوِيَ الصُّبَا
 وَقَدْ بَلَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْوَابِهَا الْقُشْبُ^(١)
 وَأَمَّا حَدِيثِي أَنِّي الشَّاكِلُ الَّذِي
 أَقَامَ زَمَاناً فِيكَ يُعْرِفُ بِالصَّبِ
 وَدَافَعْتُ عَنْكَ الْمَوْتَ بِالطَّبِّ جَاهِداً
 وَذَا غَلَطٌ، هَلْ يُدْفَعُ الْمَوْتُ بِالطَّبِّ؟
 وَحُمَاكَ غَائِثٌ فِي حِمَاكَ وَأَدْخَلْتَ
 عَلَيْكَ الضَّنْنَ حَتَّى أَبَاحَتْهُ لِلنَّهْبِ
 وَزَارَتْكَ غِبًّا كَيْ يُحَبَّ مَزَارُهَا
 وَيَا جَهْلَهَا بِالْمَوْتِ فِي ذَلِكَ الْغِبِّ^(٢)
 وَمَا أَنَا بِمَنْ شَقَّ ثَوْباً وَإِنَّهُ
 لَفِعْلٌ خَلِيٍّ عَنْ تَفْعُلِهِ يُنْبِي
 نَعْمَ كَيْدِي وَالْقَلْبُ مِنِّي شَقُّقَا
 عَلَيْكَ أَسَى، هَذَا شِغَا فِي وَذَا خَلْبِي^(٣)
 وَرُمْتُ نُهَوْضاً إِذْ عَثَرْتُ فَلَمْ أَقُمْ
 عَلَى قَدَمِي لَكِنْ سَقَطْتُ عَلَى جَنْبِي
 وَرَزُوكَ أَشْهَى مِنْ سُهَادِي لِنَاطِرِي
 وَرُوحِي إِلَى جِسْمِي وَأَمْنِي إِلَى قَلْبِي

(١) القُشْبُ: الجديدة.

(٢) الغِبُّ: هو أن ترتفع درجة حرارة المريض في يوم، وتنخفض في اليوم التالي، ثم تعاود الارتفاع.

(٣) الخَلْبُ: اللب، وقيل هو خجابه القلب، وهو هنا كناية عن البواطن.

فَبَا مُهَجَّتِي ذُبِّي وَيَا دَمْعَتِي اسْكُبِي
وَيَا كَبِدِي شَيْبِي وَيَا لَوْعَتِي شُبِّي
وَلَمْ أَتَقِ مِنِّي الْعَيْنَ إِلَّا لَأَنهَا
تُرِيحُ ثَرَاكَ الْحُرِّ مِنْ مِنَّةِ الشُّخْبِ
بَكَى نَاطِرِي بِالنُّورِ مِنْ بَعْدِ دَمْعِهِ
عَلَيْكَ وَهَذَا حَسْبُهُ فَيْكَ لَا حَسْبِي
وَوَاللَّهِ مَا وَقَّاكَ حَقُّكَ مَذْمَعِي
عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْبَتَ الْأَرْضَ بِالعُشْبِ
أَقَامَتْ عَلَيْكَ الْقَفْرُ مَاتَمَ حُزْنُهَا
فَقُومِي انْظُرِي وَسَطَ الْفَلَاحِ مَاتَمَ السَّرْبِ
وَمُذْمُتٌ صَارَتْ سَبْعَةُ الشُّهُبِ سِتَّةً
وَمَاذَا الدُّجَى إِلَّا الْحِدَادُ عَلَى الشُّهُبِ؟
أَجِنُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
حَنِينَ الْحَنَائِي لَا الرُّؤُومِ إِلَى السَّقْبِ^(١)
وَأَسْرَنِي مِنْ بُغْدِمَا طَوْلٍ وَخَشْتِي
وَضَاجَعَتِي فِي مَضْجَعِي بَعْدَهَا كَرْبِي
وَأَيْسَرُ مَا بِي أَنَّنِي مِنْ تَدْلُهِ
أَرْوَحُ بِلَا ذِمِّنٍ وَأَعْدُو بِلَا لُبِّ

(١) السَّب: الذكر من ولد الناقة.

أَغْيِبْ دُحُولاً ثُمَّ أَخْضُرْ فِكْرَةً
 وَأَعْلَمْ مَنْ بِي ثُمَّ أَسْأَلُهُمْ: مَنْ بِي؟
 عَدِمْتُ الصُّبَا مِنْ قَبْلِهَا وَعَدِمْتُهَا
 وَأَوْجَعُ مِنْ فَقْدِ الصُّبَا فَقَدْ مَنْ يُضْبِي
 وَأَشْبَهَ حَالِي حَالَهَا فَتَرَى الرَّدَى
 قَضَى نَحْبَهَا فِيمَا أَرَى أَوْ قَضَى نَحْبِي؟
 عَدَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَيَّ وَأَسْرَفَتْ
 بِفَجْعٍ عَلَى ثُلُمِي وَنَذِبٍ عَلَى نَذْبِ
 أَغَارَتْ عَلَى سَرْجِي أَعَانَتْ عَلَى دَمِي
 أَصْرَتْ عَلَى ثُلُمِي أَقَامَتْ عَلَى ثُلُمِي
 وَسَاعَاتُهَا الْغُرَبَانُ إِذْ كُلُّ سَاعَةٍ
 تُبَشِّرُنِي بِالنَّغْيِ فِيهَا وَبِالنَّغْبِ
 إِلَى كَمْ؟ إِلَى كَمْ؟ نَكْبَةٌ بَعْدَ نَكْبَةٍ
 تُزْعِزُ رُكْنِي مِنْ زَعَارِعِهَا النُّكْبِ
 فَمَالِي وَلِلدُّنْيَا وَمَالِي وَلِلْعَدَى
 وَمَالِي وَلِلْعَذْوَى وَمَالِي وَلِلخَطْبِ؟
 لَقَدْ قَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ وَانْحَطَّ سُمْكُهُ
 وَلَوْ أَنَّهُ بَيْنَ السَّمَائِينَ وَالْقَلْبِ^(١)

(١) السماكان: نجمان كانت العرب توفّق الصَّيْفَ بينهما، والقَلْبُ: منزل من منازل القمر. ويتضح أن الشاعر يستخدم الجنس اللفظي بكثرة في هذه القصيدة، أي: استخدام كلمات متحدة في اللفظ، مختلفة في المعنى.

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الشُّهْبَ يَنْفُذُ حُكْمَهَا
عَلَى ذَا الْوَرَى بِالْخَفْضِ مِنْهَا وَبِالنَّضْبِ
وَإِنْ صَحَّ هَذَا أَنَّ ثَوْرًا وَعَقْرَبًا
أَلْحَا عَلَى ذَا الْجِنْسِ بِالنَّطْحِ وَاللَّسْبِ
أَيَا تُرْبُ مَا أَنْصَفْتَ نُضْرَةَ غُضْنِهَا
أَهَذَا صَنِيعُ التُّرْبِ بِالْغُضْنِ الرَّطْبِ؟
وَيَا عَاطِلًا مِنْ عِقْدِهَا إِنَّ أَدْمِعِي
لَأَكْبَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْحَبِّ
خُذِيهَا وَإِنْ لَمْ تَنْتَظِمِ فَلَرُبَّمَا
تَحَيَّلْتُ فِي تَثْقِيلِهَا لَكَ بِالْهُدْبِ
هَجَرْتُ مَعَانِيكَ الَّتِي كُنْتُ لُبَّهَا
وَعَنِي يَرْضَى بِالقُشُورِ عَنِ اللَّبِّ
وَوَاصَلْتُ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ أَضْمُهُ
لِصَدْرِي بَلْ أَهْدِي الْهَنَاءَ إِلَى النَّضْبِ
وَأَهْدِي إِلَيْكَ الذُّكْرَ مِثْلِي وَإِنَّهُ
سَلَامِي لَا أَهْدِي السَّلَامَ مَعَ الرَّكْبِ
قَدْ اغْتَاضَ يَا بُؤْسَ الَّذِي اغْتَاضَهُ فَمِئِي
بِنَظْمِ الْمَرَاثِي عَنْ مُقْبَلِكَ الْعَذْبِ
فَمَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبِي وَقَبْرِهِ
وَقُلْ لِلَّتِي فِي الْقَبْرِ حَلَّتْ: أَلَا مُبِي

وَيَا نَاصِحِي مَا أَنْتَ بِاللُّؤْمِ نَاصِحِي
وَدَعِ صُخْبِي مَا أَنْتَ فِي الْحُزْنِ مِنْ صَخْبِي
وَلَسْتَ رَفِيقِي فِي طَرِيقِ إِنْشِي
سَأَرْكَبُ مِنْهَا كُلَّ مُسْتَوَعِرٍ صَغْبٍ
وَلَا تَنْهَ شِعْرِي عَنْ رِثَامَا فَإِنَّهُ
مِنْ الْفَرَضِ عِنْدِي نَذْبُهَا لَا مِنْ النَّذْبِ
وَقَدْ بَلَيْتُ تَحْتَ الثَّرَى وَتَغَيَّرْتُ
وَوَجَدِي بِهَا وَخَدِي وَحُبِّي لَهَا حُبِّي

وَجْهُ الدُّوَيْبَةِ الْحَلِيِّ

(٦١٠ هـ = ١٢١٤ م)

هَبَّةُ اللَّهِ بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور
عميدُ الرؤساء اللغويِّ من الحلة المزيديَّة^(١)، كان أديباً فاضلاً نحويّاً
لغويّاً شاعراً، تصدَّر ببلدِهِ وعنه أخذ أهلُها، وكان يُعرف بوجه الدُّويبة
وينسب إلى التطفيل
ومن شعره يرثي زوجته^(٢):

لَمْ تَذْهَبِي

لَمْ تَذْهَبِي فَأَقُولُ الذَّاهِبُ امْرَأَةٌ وَإِنَّمَا ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ وَالْكَرَمُ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ إِلَّا أَنَّ ذَاكَ بَلَى مُغَيَّرٌ وَجْهَكَ الْحَالِي وَذَا سَقَمُ

(١) تنسب الحلة، إلى «بني يزيد» قبيلة سيف الدولة «صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي» وهم الذين مضروها بعد أن أقاموا فيها «معجم البلدان» الجزء الثاني ص ٢٩٤.

(٢) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ ص ٢٥٩.

إِبْنُ جُبَيْر

(٥٤٠ - ٦١٤ هـ = ١١٤٥ - ١٢١٧ م)

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرِ الْكِنَانِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، أَبُو الْحُسَيْنِ: رَحَّالٌ أَدِيبٌ، وُلِدَ فِي بَلَنْسِيَةِ «فَالَنْسِيَا الْحَالِيَةِ» وَنَزَلَ بِشَاطِبَةِ، وَبَرَعَ فِي الْأَدَبِ، وَنَظَّمَ الشُّعْرَ الرَّقِيقَ، أَوْلَعَ بِالْتَرَحُّلِ وَالتَّنَقُّلِ فَزَارَ الْمَشْرِقَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ أَلْفَ فِي إِحْدَاهَا كِتَابَهُ «رَحْلَةُ ابْنِ جُبَيْرٍ» وَمَاتَ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي رَحْلَتِهِ الثَّالِثَةِ.

وَيَقَالُ: أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ كِتَابَ رَحْلَتِهِ وَإِنَّمَا قَيَّدَ مَعَانِي مَا تَضَمَّتْهُ فَتَوَلَّى تَرْتِيبَهَا بَعْضُ الْآخِذِينَ عَنْهُ. وَابْنُ جُبَيْرٍ شَعْرٌ كَثِيرٌ بَيْنَهُ دِيْوَانٌ فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ عَنَوَانُهُ «نَتِيجَةُ وَجْدِ الْجَوَانِحِ فِي تَأْيِينَ الْقَرِينِ الصَّالِحِ» وَلَعَلَّهُ أَوَّلُ كِتَابٍ مُخَصَّصٍ لِرِثَاءِ الزَّوْجَةِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، رَوَى لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَوْلَهُ: وَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى مَجْلَدٍ مُتَوَسِّطٍ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ دِيْوَانِ «أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ» وَمِنْهُ جُزْءٌ سَمَاهُ «نَتِيجَةُ وَجْدِ الْجَوَانِحِ فِي تَأْيِينَ الْقَرِينِ الصَّالِحِ فِي مِرَاثِي زَوْجَتِهِ أُمِّ الْمَجْدِ» وَمِنْهُ جُزْءٌ سَمَاهُ «نَظْمُ الْجَمَانِ فِي التَّشْكِيِّ مِنْ إِخْوَانِ الزَّمَانِ»^(١)

يَبْدُو أَنَّ الْكِتَابَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا لِلْأَسْفِ، لَكِنَّ الْمَقْرِيَّ التَّلْمَسَانِيَّ ذَكَرَ لَهُ بَيْتَيْنِ فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ.^(٢)

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» الجزء الثاني ص ٢٣٤.

(٢) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» الجزء الثاني ص ٤٨٩.

سَكَنُ فِي الثَّرَى

بِسَبْتَةٍ لِي سَكَنُ فِي الثَّرَى وَخَلَّ كَرِيمٌ إِلَيْهَا أَنَى
فَلَوْ اسْتَطِيعَ رَكِبْتُ الْهَوَا فَزُرْتُ بِهَا الْحَيَّ وَالْمَيِّتَا

الناصر إبيّن الله

(٥٥٣ - ٦٢٢ هـ = ١١٥٨ - ١٢٢٥ م)

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله أبو العباس
ابن الإمام المستضيء بن الإمام المستجد، بُويعَ له في سنة ٥٧٥ هـ
وكانت خلافته ٤٧ سنة. ولم يزل الخلافة أحد أطول مدّة من^(١). ومرتبته
هنا في زوجته الخلافة وهي مسجوقي خاتون، ابنة سلطان الروم
وتُعرف بـ«الخلافة» تزوجة لـ«الخطبة الناصر لدين الله العباسي» وكان
يعيها. قُدمت يقيناً تلحج قُدمت للناصر وأُخبرَ بِجَمالها الزائد
وتُكاثرت متزوجةً بِصاحب حصن «كَيْفَاء»^(٢)، فحجّت وعادت إلى بلدها
قُدمت زوجها فتُعيد لـ«الخطبة» من أخيها فزوّجها منه وشُغف الخليفة
بها. وبنت لها راحة وتربية بالجناب الغربي. توفيت سنة ٥٨٤ هـ قبل
فراغ العمارة. وتُحسّ على لـ«الخطبة» من الحزن ما لا يوصف وارتفع
البكاء من الجوارح والنحس وتُحسّ لها العزاء والختمات وتُركت دارها
بجميع ما فيها من الأقمشة والأثاث على حالها سنين عديدة لا يؤخذ
منها شيء ولا يُفتح^(٣).

(١) «الوفاي بالوفيات» الجزء السادس ص ٣١٠ ترجمة رقم ٢٨١٧

(٢) جُش كَيْفَاء: وسُك كَيْفَاء قال ياقوت: وأظنها أرمنية. وهي بلدة وقلعة عظيمة
مشرفة على دجلة بين أمه وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. «معجم البلدان»
الجزء الثاني ص ٢٦٥.

(٣) «الوفاي بالوفيات» ص ٢٩٦ جزء ١٥ ترجمة رقم ٤١٣ باعتناء بيرند راتكه
شتوتغارت ١٩٩١.

كَذِبَةُ النُّحُولِ^(١)

مَنْ قَالَ مُفْتَرِيًا عَلَيَّ: سَلَوْتُ، كَذِبَةُ النُّحُولِ
وَجِدِّي عَلَى مَا تَغْهَدُونَ وَإِنَّمَا صَبَّرِي جَمِيلٌ

(١) «التذكرة الفخرية» ص ٧٣.

ابنُ النُّرْسِي

(٥٤٤ - ٦٢٦ هـ = ١١٤٩ - ١٢٢٩ م)

هو محمد بن محمد بن أبي حرب بن عبد الصمد أبو الحسن ابن النرسي البغدادي الكاتب الشاعر، ولد سنة أربع وأربعين^(١) وتوفي سنة ست وعشرين وست مائة، سَمِعَ وَرَوَى وله ديوان شعرٌ وله نثرٌ ونوادر سائرة، وكان من ظرفاء بغداد وأقعد الزمان ومُسَّهُ الْفَقْرِ وكسدت سوقُهُ، قال ابنُ النجار: كان ناظراً على عقار الخليفة، ومن شعره: يرثي امرأته:

تَعِيشُ أَوْ نَمُوتُ

لَمَّا تَعَذَّرَ أَنْ أَكُونَ بِهَا الْفِدَا فَتَعِيشَ بَعْدِي أَوْ نَمُوتَ جَمِيعَا
أَتَبَعْتُهَا حُلَّ الشَّبَابِ فَمَا بَقِيَ فَسَوَادُ عَيْنِي قَدْ أُذِيبَ دُمُوعَا

(١) هكذا وردت في النص في ترجمته في «الوافي بالوفيات» المجلد الأول باعتناء هلموت ريتز ص ١٤٦ دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن ١٩٦٢ ولعلَّ الصحيح سنة أربع وأربعين وخمسة مائة.

الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ

(٥٨٦ - ٦٦٢ هـ / ١١٩٠ - ١٢٦٤ م)

ولد الصاحب شرف الدين في حي الكشك بدمشق^(١) ونشأ في «حماة» الأيوبية في عهد الملك المنصور الأول حيث كان والده قاضياً عليها، زار بغداد برفقة والده ثم عاد إلى الشام، وتنقّل بين بعلبك والقاهرة والشام ثم عاد إلى «حماة» ثانية. واختاره المظفر الثاني وزيراً. له مجلدٌ كبيرٌ في «لزوم ما لا يلزم» ذكره الصفدي في مقدمة كتابه «كشف المبهم في لزوم ما لا يلزم»، وسماه: «إلزام الضروب بالتزام المندوب». و«نظرة المعشوق إلى وجه المشتوق» وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

. وله ديوان شعر ضخّم طبع بأكثر من ٧٠٠ صفحة، سمي «ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري»، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق.

كان مولعاً بإحدى جواريه وكتب فيها الأشعار مُتَغَزِّلاً، وانتهت تلك القصة بمأساة موت الحبيبة غرقاً في نهر العاصي.

توفي الصاحب شرف الدين في سنة ٦٦٢ هـ ودفن بظاهر حماة.

(١) يقع درب الكشك في حارة اليهود الحالية بين محلتَي باب شرقي والشاغور. . راجع مقدمة الديوان «ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري» تحقيق الدكتور عمر موسى باشا مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٨.

ومن شعره في جارية له غرقت في نهر العاصي. (١)

«غريقان في نهرين»

وَجَارِيَةٍ مُذْ تَعَلَّقَتْهَا	نَبَذْتُ إِلَيْهَا جَمِيعَ الْعِلْقِ
تَمَلَّكْتُهَا فَاعْتَرَانِي لَهَا	غَرَامٌ تَمَلَّكَنِي فَاسْتَرْقِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْرَقُ فِي حُبِّهَا	وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْغَرَقِ
وَكُنْتُ أَخَافُ عَلَيْهَا الْعُيُونَ	فَقَدْ حَقَّقَ النَّهْرُ ذَاكَ الْفَرَقِ

(١) «ديوان الصاحب شرف الدين» ص ٢٥٥.

أَبُو بَكْرِ السَّتَالِي

(٥٨٤ - ٦٧٦ هـ = ١١٨٨ - ١٢٧٧ م)

أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي الستالي. شاعرٌ عُمانِي، من قبيلة بني خروص التي ينحدر منها عددٌ من العلماء ورجال الدين في عُمان. ولد في قرية «ستال» من وادي بني خروص وإليها ينسب وفيها نشأ وترعرع.

انتقل إلى «نزوى» حيث كان يقيم النبهانيون، الذين حكموا عُمان لخمسَ قرون، ومدحهم بقصائد عديدة، ونعتهم بالملوك. كما سافر في فترة من حياته، إلى شرق أفريقيا، ومدح بعض الحكام هناك.

له ديوان شعر طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في عمان، ١٩٩٢، ومنها هذا المقطع من مراثيه لزوجته.

كَأَنَّهَا كُلَّ يَوْمٍ عَرُوسٌ
مقطع

غَدَا كَلَّا اللَّذَاتِ وَهُوَ يَبِيسُ
وَرَبْعُ الْهَوَى مِنْ قَاطِنِيهِ دَرِيسُ^(١)
وَوَلَّتْ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغْبُ بِشَاشَةٍ
وَأَقْبَلَ مِنْ وَجْهِ الزَّمَانِ عُيُوسُ

(١) الدريس: المكان البالي.

فَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَسِيرٍ بَدَتْ لَنَا
بِفُرْقَةٍ زَادَ الْمَالِ فِيهِ نُحُوسُ
وَشَلَّتْ قَنَاتِي عَنُودَ مِنْ حَيَاتِهَا
وَبَرَّ بِهَا عِلْقُ لَدَيَّ نَفِيسُ
إِلَّا إِنَّمَا شَخْصُ الْمَسَرَّاتِ وَالْمُنَى
عَدَا وَهُوَ فِي بَطْنِ التُّرَابِ دَسِيسُ
لِبَاسِي مُوشِي بِهَا وَمُحَبَّرُ
وَوَرْدِي مِنْهَا بَارِدٌ وَمَسُوسُ^(١)
مُنْعَمَةٌ رَيَّا الْبَنَانِ عَزِيزَةُ
تَشْنَى بِرِيعَانِ الصُّبَا وَتَمِيسُ
وَتَهْتَرُ دَلًّا كَالْغَزَالِ فَمَنْ رَأَى
غَزَالًا عَلَيْهِ رَغْشَةٌ وَسَلُوسُ^(٢)
مُرَبَّبةٌ فِي خِذْرِ عِرْ كَأَنَّهُ
بِبَيْشَةٍ لِلْبَيْتِ الْهَضُورِ عَرِيسُ
تَزَايِدُ حُسْنًا وَابْتِهَاجًا كَأَنَّمَا
عَلَى كُلِّ يَوْمٍ فِي الْهَدَاءِ عَرُوسُ^(٣)

(١) الْمَسُوسُ: العذب الصافي.

(٢) الرغشة: طول العنق، والرعشاء طويلة العنق، السلوس: الحلي، وقيل هو القرط.

(٣) الهداء: الزفاف.

وَكَاثُ لِأَهْلِ الدَّارِ زَيْنًا كَأَنَّمَا
تَوَقَّدُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَشُمُوسُ
فَأَضْبَحَ رُبْعُ الدَّارِ مِنَّا كَأَنَّهُ
عَفَاءٌ قَوَاءٌ لَيْسَ فِيهِ أَنْيْسُ
كَأَن لَمْ يَكُنْ لِلْعَيْشِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
مَلَاعِبَ مَا أَضْحَى لَهُنَّ حَسِيسُ
لَيْتَ طَمِسَتْ مِنْ نَاضِرِيَّ عَنْوَدُهَا
فَهُنَّ لِقَلْبِي مَا لَهُنَّ طُمُوسُ
خَلِيلِي زَادُ الْمَالِ لَمْ يُنْسِنِي اسْمَهَا
مِنْ الْغَانِيَّاتِ «زَيْنَبُ» وَ«لَمِيسُ»
وَكُلُّ الَّذِي عِنْدِي مِنَ الْمَالِ بَعْدَهَا
لِعَيْنِي وَقَلْبِي نَاقِصٌ وَخَسِيسُ
كَذَا عَلَّلَانِي كُلَّ يَوْمٍ بِذِكْرِهَا
وَإِنْ شَفَّنِي مِنْهَا جَوَى وَرَسِيسُ
فَوَاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتُهَا وَبَحَقْتُهَا
وَتِلْكَ يَمِينُ لَوْ عَلِمْتَ غَمُوسُ^(١)
لِمَا سَمَعْتَ أَذْنَائِي مِنْ بَعْدِ صَوْتِهَا
غِنَاءٌ وَلَا دَارَتْ عَلَيَّ كُؤُوسُ

(١) الغموس: الشديد.

أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْأَبَاطِيلِ بَعْدَهَا
 وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا لَوْعَةٌ وَرَسِيسٌ^(١)
 وَأَلْزِمُ نَفْسِي ظَاهِرَ الصَّبْرِ إِنَّنِي
 عَنِ الصَّبْرِ عَنْهَا بَاطِنًا لَيُّوْسُ
 أَرُوْضُ مِنَ السُّلُوَانِ صَغْبًا بِعَزْمَةٍ
 وَهِيَ الصَّبْرُ عَنْهَا وَالسُّلُوْ شُمُوسُ^(٢)
 وَلِي كَيْدٌ وَقِفْتُ عَلَى الْوَجْدِ بَعْدَهَا
 وَدَمَعٌ عَلَى طَوْلِ الْبُكَاءِ حَبِيسٌ
 وَكَمْ هَالِكٍ يَبْكِي بِحُزْنٍ وَعَبْرَةٍ
 وَلَا مِثْلُ زَادِ الْمَالِ حِينَ نَقِيسُ
 سَقَى اللَّهُ زَادَ الْمَالِ غَيْثًا وَعُغِّلَتْ
 بِهِ أَغْظَمُ تَحْتَ التُّرَابِ دَرُوسُ
 وَعَاوَدَهَا طَيْبُ السَّلَامِ وَقُدْسَتْ
 سَبَاسِبُ تَحْوِي قَبْرَهَا وَوُعُوسُ^(٣)

(١) الرسيس: الحمى.

(٢) الشموس: الجامع، صعب المطاوعة.

(٣) السباسب: القفار، والوعوس: الأرض الرملية اللينة.

القَاسِمُ بْنُ هُتَيْمِلَ

(٦٩٦ هـ = ١٢٩٧ م)

القاسم بن علي بن هُتَيْمِل الخزاعي: شاعرُ المخلاف
السليمانى «منطقة جازان» في عصره. كان كثير التنقل بين اليمن
والحجاز. مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين
القاسمي الإمام الزيدي المقتول وبعض أشرف مكة وأمراء «المخلاف
السليمانى».

نشأ في «ضَمَد» وإليها ينسب و«ضَمَد» واد باليمن تسكنه خزاعة
وعاش ما يقرب المائة عام^(١).

في شعره رقة واضحة خاصة في قصائد الغزل التي تشكّل إلى
جانب المديح الجزء الأكبر من ديوانه، وله إضافة إلى ذلك، مرات
آسية في زوجته «فاطمة» تحكي قصة حب مجهضة.

لَيْتَ جِلْدِي لَهَا كَفَنٌ^(٢)

في رثاء زوجته فاطمة

يَعِزُّ عَلَيَّ إِنْ عَظُمَ الْمُصَابُ وَلَا صَبْرٌ لَدَيَّ وَلَا اخْتِسَابُ
فَتَخَسَّرُ صَفْقَتِي دُنْيَا وَآخَرَى فَلَا ذَاتِ الْوِشَاحِ وَلَا الثَّوَابُ

(١) «الأعلام» الجزء ٥ ص ١٧٨.

(٢) «ديوان القاسم بن علي بن هُتَيْمِل» دار الكتاب العربى بمصر / الطبعة الأولى
١٩٦١ دراسة وتحليل محمد بن أحمد عيسى العقيلي ص ٨٣.

عَرَفْتُ النَّائِبَاتِ فَكُلُّ حِينٍ
إِذَا اسْتَفْتَحْتُهَا لِلْخَيْرِ بَابًا
يُثَوِّبُ الْغَائِبُونَ وَكُلُّ مَيْتٍ
بِنَفْسِي عَصَرَ يَوْمِ السَّبْتِ نَعَشٍ
تُسَلُّ إِلَى الْحَفِيرَةِ مِنْهُ شَمْسٌ
مِنَ الْخَفَرَاتِ يُخْفِي اللَّيْلَ مِنْهَا
فَفِي الْوَقْدَاتِ كَانُونَ إِذَا مَا
تُكْفَنُ فِي التُّرَابِ فَلَيْتَ جِلْدِي
أَقْلِبِي مُضْغَةً أَمْ طُودُ رَغْنٍ
فَإِنْ تُرْتَنِّي فَلَا وَجْدَ كَوْجِدِي
أَأُمُّ «الْمَعْزِي» أَمْ ابْتِعَادُ
أَهَابُ عَلَيْكَ عَادِيَّةَ اللَّيَالِي

يُجَدِّدُ قَبْرَكَ الْمَغْهُودَ حُزْنِي
وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ أُنْسِي وَبَيْنِي
أُجِبِّي بِالسَّلَامِ فَلَا أَحْيَا
وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَابُ قَوْسٍ

مُطَاوَلَةٌ وَمَنْزِلُكَ الْخَرَابُ
وَبَيْنَكَ مِنْ سِوَى الدُّنْيَا حِجَابُ
وَأُغْلِنُ بِالْكَلامِ فَلَا أَجَابُ
وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْقُرْبُ قَابُ

(١) الرُّغْنُ: التَّوَهُُّ الْبَارِزُ مِنَ الْجَبَلِ.

(٢) أم المعزبي كنية زوجته «فاطمة» ومعنى المعزب: الذي يبتعد عن أهله بإبله
نحو المراعي.

وَلَوْ إِنِّي قَتَلْتُ عَلَيْكَ نَفْسِي
وَلَوْ أَذَيْتُ حَقَّكَ مَا حَلَإِي
أَوْسَدُكَ التُّرَابَ وَكُنْتُ أَخْفَى
وَأَسْمَعُ لِلَّيْلِ بِجَمَالِ وَجْهِ
فَمَا فَعَلَ الثَّرَى وَيَدُ اللَّيَالِي
وَمَا فَعَلْتُ مَحَاجِرُكَ السَّوَاجِي
وَمَا فَعَلَ الصَّبَا الْغَضُّ الْمُبَاهِي
تُجَاذِبُنِي النَّسَاءُ حَبَالٍ وَدِ
فَمَا عِوَضٌ عَنِ الْبَيْضِ الدَّادِي
يَهْوَنُ لَوْعَتِي أَنْ لَا حِسَابُ
وَأَنَّ الدَّهْرَ لَانَ لَهُ الْمُقَاسِي
فَمَا خَلَدَ «الْفَوَاطِمُ» فِيهِ قُدَمَاءُ
سَتَمِضُنِي إِخْوَةٌ كَثُرُوا وَقَلُّوا
وَيَنْصَدِعُ الصَّلَابُ الصَّمُّ حَتَّى
وَلَا يَبْقَى عَلَى أَمَدِ اللَّبَالِي
سَفَاكَ الرَّفْهُ بَعْدَ الرَّفْهِ حَتَّى

(١) الدَّادِي: ثلاثُ ليالٍ من آخر الشهر قبلَ ليالي المحاق، والمحاق آخرُها؛
وسُمِّيَ دَادِي لأن القمر فيها يَدَاوِي إلى الغُيُوب أي يُسْرِعُ، ومنه قول الشاعر:
أَهْدَى لَنَا غُرَّةً وَجْهَ بَادِي، كَزُفْرَةِ النُّجُومِ فِي الدَّادِي
(٢) الرفه: أن يرد الإبل الماء متى ما أرادت.

وَمِنْ ضَعْفِ حَظِّي أَنْتِي مُتَأَخِّرٌ^(١)

عَلَى مِثْلِ مَنْ وَدَّعْتُهُ وَوَسَادُهُ

عَلَى الْمَضْجَعِ الْأَرْضِيِّ كَفْتُ وَمِنْصَمُ

وَمِنْ غَضَبَتِهِ النَّائِبَاتِ وَشَاءَنِي

بِفِرْقَتِهِ يَوْمٌ مِنَ الشُّؤْ أَيْوَمٌ^(٢)

أَحْنُ حَنِينِ الْهَيْمِ ذَادَ خِمَاسَهَا

عَنِ الْوَارِدَاتِ الْبَقَرَةِ الْغَشْمَشَمِ^(٣)

أُمُقْتَصِرِي أَنْ لَا أَحْنُ صَبَابَةً

لِزَوْجِي مَا لِي لَا أَحْنُ وَأَرْزَمُ^(٤)

تُبَاكِرُ لَوْمِي طَيْرُ غَيْرِكَ أَيْمَنُ

بِإِعْرَاضِهِ عَنِّي وَطَيْرُكَ أَشَامُ^(٥)

(١) «ديوانه» ص ٩٥ .

(٢) شاءني: أحزنني.

(٣) الهيم: الإبل العطاش، وذاد خماسها: أي منعت عن الماء خمسة أيام، والبقرة: عين ماء، والغشمشم: الذي يركب رأسه في ما يريد من أمر.

(٤) أرزم، من الرزمة: وهو نوع من حنين الناقة على ولدها حين تراه، وقيل: هو دون الحنين.

(٥) كَانَ الْعَرَبُ إِذَا عَدَا أَحَدُهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ أَمْرًا يُطَيِّرُ أَوَّلَ طَائِرٍ يَرَاهُ، فَإِنْ سَنَحَ عَنْ يَسَارِهِ، فَاجْتَالَ عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: هَذِهِ طَيْرُ «الْأَيَّامِينَ» وَتَبَيَّنَ بِهِ خَيْرًا، فَمَضَى فِي حَاجَتِهِ، وَإِنْ سَنَحَ الطَّائِرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَمَرَّ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: هَذِهِ طَيْرُ «الْأَشَائِمِ» فَارْجِعْ، وَقَالَ: هَذِهِ حَاجَةٌ مُشْتَوِّمَةٌ، وَإِذَا لَمْ يَرَ طَائِرًا سَانِحًا، وَرَأَى طَائِرًا فِي وَكْرِهِ، حَرَّكَهُ مِنْ وَكْرِهِ، لِيَطِيرَ فَيَنْظُرَ مَا يَسْلُكُ لَهُ مِنْ طَرِيقِ «الْأَشَائِمِ» أَوْ «الْأَيَّامِينَ»، وَلِلَّذَلِكَ جَاءَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ، لِيُلْغِيَ هَذَا الطُّفْسَ وَيَنْتَهَى عَنْ زَجْرِ الطَّيْرِ «أَقْرُوا الطَّيْرَ عَلَى مَكَانَتَيْهَا» أَيْ أَمَاكِنَهَا.

وَمَنْ أَنَا إِلَّا نُطْفَةٌ بِشَرِيَّةٌ
تَوَلَّدَ مِنْ أَمْشَاجِهَا اللَّحْمُ وَالْدَّمُ
عَدِمْتُكَ قَلْبًا لَوْ وَفَى بِإِعْتِقَادِهِ
لَكَانَ عَلَى دُونَ الَّذِي كَانَ يَغْدَمُ
فَمَا ذُو الْحِفَاطِ الْحَيُّ بَعْدَ جَلِيلِهِ
وَلَا ذُو الْغَرَامِ الضَّاحِكُ الْمُتَبَسِّمُ
أَمْسُرُورَةٌ مِنْ «أُمِّ حَمْزَةَ» بِالرَّدَى
تَظَلُّ إِلَى غَمٍّ بِهَا تَتَبَعُمُ^(١)
تُراهِنُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَنَشْرُهَا
عَلَى الْفَوْرِ عَمْدًا، وَالضَّمِيرُ يُتَرْجَمُ
بِكَ الرَّيْبُ قَدْ مَاتَتْ هُنَاكَ «خَدِيجَةُ»
و«فَاطِمَةُ أُمِّ الْحُسَيْنِ» وَ«مَرْيَمُ»
كَأَنِّي وَ«أُمِّ الْمُعْزِي» تَقَاصَرَا
عَلَى صِفَتَيْنَا «مَالِكُ» وَ«مُتَمِّمُ»^(٢)

(١) تَتَبَعُمُ: أي لم تُفصح له عن معنى ما تحدّثه به. قال ذو الرمة:

لَا يَنْعَشُ الظَّرْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّنُهُ

داع يناديه باسم الماء مبعومٌ

والمُبَاغَمَةُ: المحادثة بصوتٍ رخيم. قال الكمي:

يَتَقَنَّضُنْ لِي جَاوِزَ كَالدُّرِّ يُبَاغِمُنْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ.

(٢) تقاصر على صفتينا مالك ومتمم: أي لم يشبهنا في علاقتنا سوى «مالك بن

نويرة» وأخيه «متمم» وكان «متمم» قد رثى أخيه «مالك» بعد مقتله بأجمل

المراثي في الشعر العربي. ولعله يشير إلى بيتي «متمم» في تلك المروية:

أَيْبْتُ عَلَى جَنْبِ الْفِرَاشِ كَأَنِّي
 ضَجِبِي مِنْ بَعْدِ الْمَلِيحَةِ أَرْقَمُ^(١)
 أَتَارَكْتَنِي فَرْدًا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ
 وَمَا كُلُّ مَاخُوذِ الْقَرِينَةِ تَوَامُ
 تَنَدَّمْتُ فِيمَا كَانَ مِنْ عَجْرَفِيَّةٍ
 عَلَيْكَ فَمَا أَغْنَى عَلَيَّ التَّنَدُّمُ^(٢)
 وَأَظْمَعَنِي فِيكَ الْمُنَجِّمُ بُرْهَةً
 فَأَكْذَبُ شَيْءٌ مَا يَقُولُ الْمُنَجِّمُ
 فَمَنْ لِي إِنِّي فِي مَكَانِي أَرْمَلُ
 وَأَنْتَ مِنِّي فِي مَكَانِي أَيْمُ^(٣)
 وَمِنْ ضَعْفِ حَظِّي أَنَّنِي مُتَأَخِّرُ
 فَيَا بَرْدَهَا لَوْ أَنَّي مُتَقَدِّمُ

أَمَا بِكَ حَتَّى أَنْ كُلَّ مُحَلَّلٍ
 عَلَيَّ مِمَّا تَعْهَدِينَ مُحَرَّمُ
 كَأَنَّكَ كُنْتَ الْمَاءَ مَا حَلَّ بَعْدَهُ
 عَلَى الْمَرْءِ فِي الْمَفْرُوضِ إِلَّا التَّيْمُ

= وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَلِيمَةً جَفَّةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

(١) الأرقم: الثوبان.

(٢) المعجرفة: من التعجرف، وهي الجفوة في الكلام.

(٣) الأيم: المرأة التي مات زوجها.

وَحَسْبُكَ أَنِّي حَوْلَ قَبْرِكَ كُلَّمَا
هَمَمْتُ كَيْدِي مُسْتَغْفِرٌ مُتَرَحِّمٌ
وَمَا مُغْفِرٌ عَضَمَاءَ فِي مُسْتَقَرِّهَا
مِنَ النَّيْقِ مَجْدُولُ السَّوَامِتِ أَغْصَمُ^(١)
يَكْفُ الضَّوَارِي عَنْهُ أَغْسَرُ شَاهِقٌ
وَيَخْجُبُ عَنْهُ الشَّمْسُ أَغِيْطُ أَيُّهُمْ^(٢)
مَشَى تَحْتَهُ الْمَوْتُ الْوَجِيءُ بِمُعْظَمِ
حِبَالَتِهِ لِلصَّيْدِ قَوْسٌ وَأَسْهُمُ^(٣)
فَأَضَعَدَ فِي الشُّمْرَاخِ مُغْتَصِمًا بِهِ
وَلَا شَيْءَ إِنْ لَمْ يَغْصِمِ اللَّهُ يَغْصِمُ^(٤)
فَطَارَ لَهُ عَنْ قَلْبِ زُرَّاءٍ مَشْقِصٌ
مِنَ الزُّرْقِ مَمْهُوُّ الْجَوَانِبِ وَمُخْذَمُ^(٥)
فَخَرَّ كَانَ النَّضْحَ مِمَّا يُصِيبُهُ
عَلَى الْأَمْعَزِ اللَّابِي حُصٌّ وَعَنْدَمُ^(٦)

-
- (١) المعفر: ولد الناقة الذي تمنعه أمه من الرضاع يومين أو ثلاثة. والنيق: نتوء في الجبل، والسوامت: الطرق، وأغصم: صعب المرتقى.
(٢) أعسر: صعب، وأغيط: مرتفع، وأيهم: الذي يسد الطريق، وهو يريد الجبل.
(٣) الوجيئ: السريع، وحبالته: شراكه..
(٤) الشمراخ: قمة الجبل.
(٥) الزُّرَّاء: القوس، وسميت كذلك لميلها واستدارتها، والمَشْقِصُ من النَّضَالِ: ما طَالَ وَعَرُضَ، والمَمْهُوُّ: المصقول، ومُخْذَمُ: قاطع.
(٦) الأمعز اللابي: الحجارة السوداء، والحص: المزعفران الأحمر - وعندم: صبغة حمراء.

وَمَا أَمْ فَرَدَ لَمْ تَزَلْ فِي صَلَاتِهَا
تَضَرَّعُ فِي إِنْشَائِهِ وَتُهَيِّنُ^(١)
أَنَافَ عَلَى الْعِشْرَيْنِ وَهِيَ لِحْبِهِ
تُعَوِّدُهُ خَوْفَ الرَّدَى وَتُثْمِتُ^(٢)
فَدَبَّ لَهُ تَحْتَ الشَّرَى مُتَغَضِّنُ
مِنَ الرَّقَشِ مَنْفُوشُ الظَّهَارَةِ أَغْظَمُ^(٣)
بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوْعَةً وَصَبَابَةً
عَلَيْكَ، وَلَكِنِّي أَسِرُّ وَأَكْثُمُ
أَبِينَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَسِمُ الْجَوَى
سُوَيْدَاءُهُ أَمْ يَذْبُلُ وَيَلْمَلُمُ^(٤)
تَجَانَّفُ عَنْهَا مِئْتَةً لَوْ أَتَيْتَهَا
أَتَيْتَ إِلَى الرَّأْيِ الَّذِي هُوَ أَحْزَمُ
مَضَتْ غَضَّةٌ وَالْمَوْتُ غَصٌّ فَإِنَّهُ
إِلَى مَنْ تَوَلَّيْتُ مَنْ يَشِبُّ وَيَهْرَمُ

(١) تهينم: تتكلم بصوت خفي وخافت.

(٢) وتثمت: أي تجهل له نعمة.

(٣) التغضن: الخطوط في الجلد، والرقش: النقش، والظهارة: ظاهر الجسد.

(٤) يذبل: جبل في طريق اليمامة من أرض نجد محدود في نواحي اليمامة.

ويلعلم: جبل على مقربة من الطائف.

أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ

(٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م)

أَبُو حَيَّانِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ حَيَّانِ الْغَرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّرَاجِمِ وَاللُّغَاتِ. وُلِدَ فِي إِحْدَى جِهَاتِ «غَرْنَاطَةِ» وَرَحَلَ إِلَى «مَالِقَةِ» وَتَنَقَّلَ إِلَى أَنْ أَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ. وَتَوَفَّى فِيهَا، بَعْدَ أَنْ كَفَّ بِصَرَّةً. وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ خَارِجَ بَابِ النُّصْرِ وَصَلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقَ صَلَاةَ الْغَائِبِ. لَهُ الْعَشْرَاتُ مِنَ الْمَوْلُفَاتِ فِي النُّحُوِّ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ. لَهُ مَرَاثُ عَدِيدَةٌ فِي عَائِلَتِهِ: فإِضَافَةٌ إِلَى رِثَائِهِ زَوْجَتِهِ «زُمُرْدُ» الَّتِي نَوَّرَتْهُ بِمَقْطَعِينَ مِنْ مَرَاثِيهَا هُنَا، فَقَدْ رَثَى كَذَلِكَ ابْنَتَهُ «نُضَارَ» الَّتِي خَصَّهَا بِمَرَاثٍ عَدَّةٍ ثَاكِلَةٍ، وَبِكِتَابِ سَمَاءِ «النُّضَارِ فِي الْمَسَلَةِ عَنْ نُضَارٍ»^(١) وَكَذَلِكَ رَثَى ابْنَهُ حَيَّانَ.

وَزَوْجَتَهُ الْمَرْتِيَّ لَهَا هُنَا هِيَ «زُمُرْدُ بِنْتُ أَيْرُقَ» تَرْجَمَ لَهَا الصَّفْدِيُّ فِي «أَعْيَانِ الْعَصْرِ» وَكَانَتْ عَالِمَةً وَقَدْ تَوَفَّيْتُ، بَعْدَ أَنْ عَاشَتْ مَعَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَقَدْ جَاوَزَتْ الْخَمْسِينَ عَامًا وَكَذَلِكَ سَنَةَ ٧٣٦ هَجْرِيَّةً، وَدَفِنْتُ عِنْدَ ابْنَتِهَا فِي الْبَرْقِيَّةِ دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ^(٢).

(١) «أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَعْوَانُ النُّصْرِ» لِصَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ، تَحْقِيقُ الدَّكَاتِرَةِ: عَلِيٌّ أَبُو زَيْدٍ - نَبِيلُ أَبُو عَمِشَةَ - مُحَمَّدُ مَوْعِدٌ - مُحَمَّدُ سَالِمُ مُحَمَّدٍ قَدَمَ لَهُ: مَازَنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمُبَارَكِ الطَّبَعَةُ الْأُولَى ١٩٩٨. الْجُزْءُ الْخَامِسُ ص ٥٢١.

(٢) «أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَعْوَانُ النُّصْرِ» الْجُزْءُ الثَّانِي ٣٨٣.

أَأَرْجُو حَيَاةً بَعْدَ فَقْدِ زُمْرُدٍ؟^(١)

أَأَرْجُو حَيَاةً بَعْدَ فَقْدِ زُمْرُدٍ؟

وَكَاثَتْ بِهَا رُوحِي تَلَذُّ وَتَغْتَذِي

«زُمْرُدُ» قَدْ خَلَّفَتْ لِلصَّبِّ لَوْعَةً

وَحُزْنًا بِقَلْبِي أَخِذَا كُلَّ مَاخِذٍ

رَمَيْتِ بِسَهْمٍ وَسَطَ قَلْبٍ مُجَرَّحٍ

كَأَنَّ بِهِ وَقَعَ الْحُسَامُ الْمُشْحَذِ

فَحَصَّنَتْهُ بِالصَّبْرِ فَيْكٍ وَعِنْدَمَا

نَبَضْتُ أَتَاهُ السَّهْمُ مِنْ كُلِّ مَنَفَذٍ

فَمِنْ مُقْلَتِي تَسْهَادُ جَفْنٍ كَأَنَّمَا

يَمُرُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ جِلْدَةً قُنْفُذٍ

وَمِنْ مَسْمَعِي صَغُورٌ لِصَوْتِكَ دَائِمًا

وَمِنْ مَغْطِيبِي تَوَقُّ إِلَى عَرْفِكَ الشَّدِي

وَمِنْ مَبْسَمِي أَنْفَاسُ نَارٍ تَرَدَّدَتْ

عَلَى كَبِدٍ حَرَّى وَعَقْلٍ مُؤَخَّذٍ

بِهِ لَمَمٌ قَدْ مَسَّهُ وَتَخَبُّطٌ

فَلَا بِالرُّقْنِ يُهْدَى وَلَا بِالتَّعَوُّذِ

(١) «ديوان أبي حيان الأندلسي» تحقيق د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديشي

مطبعة العاني/ بغداد ١٩٦٩.

تَقَدَّمَهَا بِنْتِي «نَضِيرَةٌ» بِنْتُهَا
وَقَدْ جُمِعَا فِي مُلْحَدٍ لَمْ يُسَرَّدْ^(١)
وَكُنَّا الَّذِي مَعِ وَضَلُّهُ لِي وَعَائِدِ
وَقَدْ حُذِفَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الَّذِي
وَزِينَةُ حِلْمٍ عَقْلُهَا ثَابِتٌ فَلَا
تَأْتُرُ مِنْ إِيْهَامٍ كُلِّ مُشْعَوِذِ
وَحَازَتْ لِحُسْنِ الْخُلُقِ خُلُقًا مُدْمِنًا
وَلَيْنَ كَلَامٍ طَاهِرٍ لَيْسَ بِالْبَذِي
فَمَا دَنَسَتْ قَاهَا بِغَيْبَةِ غَائِبِ
وَلَا مَنَعَتْ رَفْدًا لِمَنْ جَاءَ يَحْتَذِي
وَتَعْرِفُ أَجْنَاسَ الْمَبِيعِ جَمِيعَهُ
وَأَثْمَانَهُ مِنْ فَخْمَةٍ لِلزُّمُرُذِ
وَأِنْ جَاءَ كَحَالٍ وَذُو الطَّبِّ نَحْوَهَا
تُبَارِيَهُمَا فَأَذَعْنَا لِلتَّئْلُمِ
تَغَيَّرَ ذَهْنِي بَعْدَ جِسْمِي
فَعَقْلِي لَمْ يَقْبَلْ عَزَائِمَ عُوْذِ
وَجِسْمِي إِذَا رُمْتُ اضْطَجَاعًا لِرَاحَةِ
يُقَلِّبُ عَلَيَّ جَمْرَ الْعَصَا ثُمَّ يَحْتَذِي

(١) يسرّد: لغة في يسرد، أي يثقب.

وَأِنْ رُمْتُ نَهْضًا لِلْقِيَامِ فَأَخْمَصِنِي
 أَرَاهُ كَأَنْ شَوْكَ الْقَتَادِ بِهِ حُذِنِي
 وَإِنْ أَنَا حَاوَلْتُ الْقُعُودَ تَوَاتَرْتُ
 مُمُومٌ مَتَى تَغْلِقُ بِرُوحِي تَجَبَّدُ^(١)
 فَقَلْبِي فِي حُزْنٍ وَعَيْنِي فِي بُكَاءٍ
 فَيَا لَكَ شَجَوًا بَيْنَ ذَا قَدْ ثَوَى وَذِي
 جَمِيلَةً خَلَقَ سَهْلَةً الْخُلُقِ لَيِّنَةً
 رَقِيقَةً قَلْبٍ ثَائِبٍ الذَّهْنِ أَخَوَذِي
 أَجْدَكَ لَنْ تُضْفِي لِشَاكِ مُوَلِّهِ
 جَرِيحِ قُؤَادٍ فِيكَ ذِي مَدَمَعِ قَذِي^(٢)
 تَبَاخَلْتُ حَتَّى الطَّيْفُ لَيْسَ بِزَائِرٍ
 لَدَى مَجْعَةٍ سَاهِي الْقُؤَادِ مُجَدِّدٍ

.....
 قَضَى اللَّهُ أَنْ عَاشَتْ وَمَاتَتْ سَعِيدَةً
 وَلَيْسَ أَمْرٌ مِمَّا قَضَاهُ بِمُنْفَذٍ
 مَضَتْ وَلَهَا ذِكْرٌ جَمِيلٌ مُخَلَّدٌ
 ثَنَاءٌ كَعَرَفِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الشَّدِيدِ

(١) الجبد: لغة في الجلب، وقيل جبد: ارتفع.
 (٢) أجذك وأجذك معناه: ما لك أجداً منك؟ وقيل: أجذك معناه: أبجد هذا منك؟

إِلَى الْعَالَمِ الْعُلُويِّ رَاحُوا بِرُوحِهَا
لِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةٍ مُغْتَذٍ
وَلَمْ تَكْتَرِثْ يَوْمًا بِلبسٍ وَزِينَةٍ
وَخَلِي فَتَبَدُّو فِي النَّعِيمِ الْمُلَذِّذِ
وَلَكِنْ بِجُودٍ وَاحْتِمَالٍ يَزِينُهَا
بِنَفْحٍ لِذِي فَقْرٍ وَصَفْحٍ عَنِ الْبَذِي
مُظْهِرَةً لَفْظًا وَقَلْبًا وَبَرَّةً
مُبَرَّاةً عَنْ كُلِّ مَا قَادِحٍ رَذِي

حَيَاتِي كَثُوبٌ مُعَارٍ

وَمَنَامِي وَيَقْظَتِي وَسَفَارِي	كَانَتْ أَنَسِي فِي وَخْدَتِي وَاغْتِرَابِي
وَزَمِيلِي فِي حُجَّتِي وَاعْتِمَارِي	وَنَدِيمِي فِي رِخْلَتِي وَمُقَامِي
حِينَ سَقَمِي تَدَوَّرُ بِي وَتُدَارِي	كُنْتُ أَرْجُو بِأَنْ تَعِيشَ وَتَبْقَى
وَأَنَا كَابِنُهَا صَغِيرُ الصُّغَارِ	لَمْ تَكُنْ زَوْجَةً وَلَكِنْ كَأُمٍّ
فَحَيَاتِي صَارَتْ كَثُوبٌ مُعَارٍ	كَانَتْ الرُّوحَ بَيْنَ جَنْبَيَّ رَاحَتْ
فِي حَيَاتِي فِي عِزَّةٍ وَاسْتِتَارِ	دَعَتْ اللَّهَ أَنْ تَمُوتَ سَرِيعًا
وَقَضَّتْ نَحْبَهَا لِذَاكِ الْقَرَارِ	فَأَجَابَ إِلَهُ مِنْهَا دُعَاءَ
وَحَبَاهَا بِدَيْمَةٍ مَذَرَارِ	فَسَقَى اللَّهَ قَبْرَهَا غَيْرَ عَاثِ

الكِرْيَانِي

(٧٤٩ هـ = ١٣٤٩ م)

أحمد بن مُحَمَّد بن شعيب الكرياني شاعرٌ مِنْ أَهْلِ فاس، يَكْنَى أبا العباس، ويُعرفُ بابن شعيب من «كِرْيَانَة» قبيلة من قبائل الرِّيف الغربي. كان من أَهْلِ المعرفة بصناعة الطبِّ، وتدقيق النظر فيها، مشاركاً في الفنون، وخصوصاً في علم الأدب، حافظاً للشعر، والغالب عليه العلوم الفلسفية، وقد مُقِّتَ لذلك، وتهنَّكَ في علم الكيمياء، وخلعَ فيه العِذار، فلم يُحل بطائل، إلا أنه كان تفوّةً بالوصول، شنشنةً المفتونين بها على مدى الدهر. وله شعرٌ رائق، وكتابةٌ حَسَنَة، وخطٌّ ظَرِيفٌ، وتسرى^(١) جارية رومية إسمها «صُبْح» من أجمل الجواري حُسناً، فأدّبها حتى لُقِّنت حفظاً من العربية، ونظّمت الشعرَ وكان شديد الغرام بها، فهلكَتْ أشدَّ ما كان حباً لها، وامتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يُرى إلا في تأوُّه دائم، وأسفٍ مُتَمَادٍ، وله فيها أشعارٌ بديعة في غرض الرثاء^(٢).

يَا قَبْرَ صُبْح

يَا قَبْرَ صُبْحٍ حَلَّ فِيكَ بِمُنْجَرَّتِي أَسْنَى الْأَمَانِ
وَعَدَوْتُ بَعْدَ عَيَانِهَا أَشْهَى الْبِقَاعِ إِلَى الْعَيَانِ

(١) تسرى: إذا اتخذ الجارية المملوكة حليمة له.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء الأول ص ٢٧٢.

أَخْشَى الْمَنِيَّةَ إِنَّهَا تُفْصِي مَكَانَكَ عَنْ مَكَانٍ
كَمْ بَيْنَ مَقْبُورٍ «بَفَاسٍ» وَقَابِرٍ «بِالْقَيْرَوَانِ»

أَيَّاسْتَنِي فَكَأَنَّنِي لَمْ أَيْسَ

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الَّذِي أَعْلَامُهُ دَرَسَتْ

وَأَبَتْ حُبُّهُ لَمْ يَذُرْسِ

مَا الْيَأْسُ مِنْكَ عَلَى التَّصَبُّرِ حَامِلِي

أَيَّاسْتَنِي فَكَأَنَّنِي لَمْ أَيْسَ

لَمَّا ذَهَبَتْ بِكُلِّ حُسْنٍ أَضْبَحَتْ

نَفْسِي تُعَانِي شَجْوَ كُلِّ الْأَنْفُسِ

أَصْبَاحُ أَيَّامِي لَيَالٍ كُلُّهَا

لَا تُنْجِلِي عَنْ صُبْحِكَ الْمُتَنَفِّسِ

أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَزْنَانِي

(٧٥٠ هـ = ١٣٥٠ م)

أبو العباس أحمد بن شعيب الجزناني، تازي المنشأ حيث ولد في مدينة تازة المغربية، وعاش في «فاس» وتوفي بتونس. له شعرٌ عالي الطبقة والجودة وله براعة في مجال في الطب وعلوم الحساب والفلك والفقه، من أصول بربرية لكن براعته بالعربية لا تضاهى كما يقول ابن الأحمر «العجب من بربري الأصل، يذري مدارك الأعراب، ويأتي من الفصاحة اليعربية بالإعراب». ومن شعره في جارية توفيت^(١):

يَا غَائِبًا فِي الضَّمِيرِ

يَا غَائِبًا فِي الضَّمِيرِ مَا بَرَحَا	دَانِي مَحَلُّ الْهَوَى إِذَا نَزَحَا
لَمْ تَضْمُرِ الصَّبْرَ عَنْكَ جَارِحَةً	وَلَا فُؤَادِي لِسَلْوَةٍ جَنَحَا
مُسْتَغْبِرُ الْمُزْنِ فِيكَ أَذْمَعُهُ	يَظَلُّ يَبْكِيكَ كُلَّمَا سَفَحَا
وَلَا أَرَى الْبَرْقَ عَادَ مُبْتَسِمًا	بَعْدَكَ، بَلْ زَنْدُ شَوْقِهِ قَدَحَا
وَمَا تَغْنَى الْحَمَامُ مِنْ طَرَبٍ	بَلْ يُغْلِنُ النَّوْحَ كُلَّمَا صَدَحَا

(١) «نثر فرائد الجمال في نظم فحول الزمان» لأبي الوليد اسماعيل بن الأحمر، توفي ٨٠٧ هـ تحقيق محمد رضوان الداية / بيروت / عالم الكتب، ١٩٨٦.

القَاضِي عِلْمُ الدِّينِ

(٦٧٧ - ٧٤٤ هـ = ١٢٧٩ - ١٣٤٤ م)

سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعْرُوفِ بِالْقَاضِي عِلْمِ الدِّينِ أَبُو الرَّبِيعِ، وَالْمَشْهُورُ بِابْنِ كَاتِبٍ «قَرَا سَتَقَرَّ»، فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ. وَكَانَ فِي الشَّامِ يَعْرِفُ بِالْمُسْتَوْفِي، وَوَرَدَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَوَّلًا مُسْتَوْفِي النِّظَرِ بِدَمَشَقَ، ثُمَّ عُزِّلَ فِي أَيَّامِ الصَّاحِبِ أَمِينِ الدِّينِ، «كَانَ مِنْ ذَوِي الْمَرْوَاتِ، وَأَوَّلِي الرِّغْبَةِ فِي الْفَتَوَاتِ، يَخْدُمُ النَّاسَ بِجَاهِهِ وَمَالِهِ، وَيُؤَلِّي الْإِحْسَانَ قَبْلَ سُؤَالِهِ. وَكَانَ النَّظْمُ عِنْدَهُ أَهْوَنَ مِنَ التَّنْقِيسِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَطْرِ عِنْدَ التَّبَجُّسِ، فَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَحْصُلُ لِي نَشْوَةٌ مِنْ كُؤُوسِ خَمْرِهِ، مَعَ أَنَّهُ نَظَّمَ عَذْبَ أَمْضَى مِنْ عَضْبٍ، قَدْ خَلَا مِنَ التَّعْقِيدِ وَالتَّعَاطُلِ الْمَكْرُوهِ، وَانْسَجَمَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ كَلْفُ تَكَلُّفٍ، وَلَا يَعْرُوهُ. وَكَانَ فَصِيحًا فِي اللُّغَةِ التَّرْكِيَّةِ»^(١)

وَكُنْتُ أَغَارُ^(٢):

إِنِّي لِأَعْجَبُ لِاضْطِبَّارِي بَعْدَمَا قَدْ غُيِّبَتْ بَعْدَ التَّنْعِيمِ فِي الثَّرَى
هَذَا وَكُنْتُ أَغَارُ حَالَ حَيَاتِهَا مِنْ مَرٍّ عَاطِفَةِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى

(١) «أعيان العصر وأعيان النصر» الجزء الثاني ص ٤١٣.

(٢) جاء «أعيان العصر وأعيان النصر» الجزء الثاني ص ٤١٨: «وانشدني من لفظه

لنفسه، وقد توفيت زوجته»

لا حيلة

أَقُولُ لِقَلْبِي حِينَ غَيَّبَهَا الثَّرَى: تَسَلَّ فَكُلَّ لِلْمَنِيَّةِ صَائِرُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لِلْفَتَى أَلْفُ حِيلَةٍ وَلَا حِيلَةَ فَيَمُنْ حَوْتُهُ الْمَقَابِرُ

ابن هذيل التجيبي

(٧٥٣ هـ = ١٣٥٢ م)

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي^(١) ويكنى أبا زكريا، أرجدوني الأصل، كان آخر حَمَلَة الفنون العقلية بالأندلس، وخاتمة العلماء بها، من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب، إلى إمتاع المحاضرة، وحسن المجالسة، وعموم الفائدة، وحسن العهد، وسلامة الصدر، وحفظ الغيب، والبراءة من التصنع والسمت، مؤثراً للخمول، غير مبالٍ بالناس، مشغولاً بخاصة نفسه.

وله عدة مؤلفات في شتى حقول المعرفة منها: ديوان شعره المسمى «بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل» ومنها شرحه لكراسة الفخر، وهو غريب المأخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين. وكتابه المسمى «الاختيار والاعتبار في الطب» وكتابه المسمى «التذكرة في الطب»

وعن شعره جاء في «التاج المحلي»^(٢): درة بين الناس مغفلة، وخزانة على كل فائدة مقفلة، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة. أبدع من رتب التعاليم وعلمها، وركض في الألواح قلمها، وأتقن من صور الهيئة ومثلها، وأسس قواعد البراهين وأثلها، وأعرف من زاول

(١) ترجمته في «الإحاطة في أخبار غرناطة» المجلد الرابع ص ٣٩٠.

(٢) «التاج المحلي في مساجلة القدح المعلى» كتاب للسان الدين بن الخطيب.

شكاية، ودفع عن جسم نكابة، وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب،
والأدب نقطة من حوضه، وزهرة من زهرات روضه.

ويقول لسان الدين بن الخطيب: أصيب التجيبي بالفالج فالتزم
المنزل عندي لمكان فضله، ووجوب حقّه، وقد كانت زوجته توفيت،
وصحبه عليها وجدٌ شديدٌ، وحزنٌ مُلازم، فلمّا ثَقُلَ، وقربت وفاته،
استدعاني، وقد كان لسانه لا يبين القول، وأملى عليّ فيما وصاني به
من مهمّ أمره هذه القصيدة التي يطلب فيه أن يدفن إلى جوار زوجته،
ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعماية،
ودفنته عصره بباب «البيرة» حذاء حليته كما عهد^(١).

ادْفِنِّي مَعَهَا

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي حِذَاءَ حَلِيلَتِي
يُخَالِطُ عَظْمِي فِي الثُّرَابِ عِظَامَهَا
وَلَا تَدْفِنْنِي فِي الْبَقِيعِ فَإِنِّي
أُرِيدُ إِلَيَّ يَوْمَ الْحِسَابِ التِّزَامَهَا
وَرَتَّبْتُ ضَرْبِي كَيْفَمَا شَاءَ الْهَوَى
تَكُونُ أَمَامِي أَوْ أَكُونُ أَمَامَهَا
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَجْبِرُ صَدْعَتِي
فَيُغْلِي مَقَامِي عِنْدَهُ وَمَقَامَهَا

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» المجلد الرابع ص ٤٠٠.

صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفْدِيِّ

(٦٩٦ - ٧٦٤ هـ ١٢٩٦ - ١٣٦٣ م)

صلاح الدين، أبو الصفاء، خليل ابن الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الصفدي المولد، الدمشقي المنزل والوفاء. أديب، مؤرِّخ، كثيرُ التصانيف المُمْتعة. كان والدُه من أمراء المماليك في «صفد» بفلسطين وفيها وُلد خليل وإليها نسبته. وتعلَّم في دمشق الرسم فمهرَ به، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولَّى ديوان الإنشاء في «صفد» و«مصر» و«حلب» ثم وكالة بيت المال في «دمشق» فتوفي فيها. له زهاء مئتي مصنف، أشهرها «الوافي بالوفيات» في التراجم و«الشعور بالعمور» في تراجم العمور وأخبارهم و«نكت الهميان في نكت العميان» ترجم به فضلاء العميان و«ألحان السواجع» و«التذكرة» و«جنان الجناس» و«نصرة الشاعر في نقد المثل السائر» و«تشنيف السمع في انسكاب الدمع» و«لوعة الشاكي دمة الباكي» و«أعيان العصر وأعوان النصر» وغيرها^(١).

وهذه الأبيات منتقاة من كتابه «الرَّوضُ البَاسِمُ والعَرَفُ النَّاسِمُ»^(٢) الذي جمع فيه مقطوعات من أشعاره وكذلك كتابه «أعيان العصر وأعوان النصر» حيث يستشهد بشعره عند ترجمته للشعراء الآخرين.

(١) «الأعلام» الجزء ٢ ص ٣١٥.

(٢) «الرَّوضُ البَاسِمُ والعَرَفُ النَّاسِمُ» لصلاح الدين الصفدي دار الآفاق العربية

وقلت في جارية لي توفيت^(١) :

دَفَنُهَا

دَفَنُهَا كَالْبَذْرِ تَحْتَ الثَّرَى وَمِنْ شَقَائِي مُدَّتِي مُدَّتِ
كَأَنْتِ إِذَا مَا سَيْفُ أَجْفَانِهَا الْمُرْهَفُ يَدْعُو لُبَّتِي لَبَّتِ
مَا سَجَعْتُ فِي الْأَيْكَ وَرَقُ الْحِمَى لَكِنَّهَا فِي عِزَّتِي عَزَّتِ

أَذُوقُ الْمَوْتِ أَلْوَانَا

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبْلَى مَحَاسِنُهُ
اللَّهُ يُؤَلِّيكَ غُفْرَانَا وَإِحْسَانَا
إِنْ كُنْتَ جُرَّعْتَ كَأَسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً
فَكُلُّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتِ أَلْوَانَا

بَقَايَا الْكَرَى

يَا دُرَّةً أَوْدَعْتُهَا فِي الثَّرَى وَيَا هِلَالاً غَابَ إِذْ أَقْمَرَا
قَدْ ذَابَ قَلْبِي فَجَرَى أَدْمَعَا يَغْسِلُ مِنْ جَفْنِي بَقَايَا الْكَرَى

بَرَقُ تَالِقٍ ثُمَّ انْطَوَى

مَا لَاحَ فِي أَفْقِ الشَّيْبَةِ طَالِعَا كَالْبَذْرِ لَيْلُ تَمَامِهِ حَتَّى هَوَى
غَابَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَكَانَهَا بَرَقُ تَالِقٍ بِالْحِمَى ثُمَّ انْطَوَى

(١) : «أعيان المعصر» الجزء الرابع ص ٢٧٠.

كُفُضَ تَحْتَ الْأَرْضِ
بِنَفْسِي حَبِيبًا كَانَ لِيَنْ قَوَامِهِ
كُفُضَ نَقًا فَوْقَ الْكَثِيبِ يَمِيلُ
فَأَصْبَحَ تَحْتَ الْأَرْضِ غُضًا مُنْعَمًا
عَلَيْهِ كَثِيبٌ لِلتَّرَابِ مَهِيلُ

وَجْهٌ لَا يَصْلَحُ لِلتَّغْذِيْبِ
يَا مَوْتُ حَبَبْتَنِي عَنِ الْمَحْبُوبِ
ظُلْمًا وَمَنْعَتَنِي مِنَ الْمَطْلُوبِ
يَا قَبْرُ تَجَافَ الْأَرْضَ عَنْ مَضْجَعِهِ
مَا يَصْلَحُ ذَاكَ الْوَجْهَ لِلتَّغْذِيْبِ

اسْوَدَّ قَلْبِي
أَيَا نُورَ عَيْنِي صِرْتُ فِي ظُلْمَةِ اللَّحْدِ
وَبَالَغْتُ مَعَ قُرْبِ الْمَنَازِلِ فِي الْبُعْدِ
كَأَنَّكَ لَمْ يَعْطِفْ مَعَاطِفَكَ الصَّبَا
كَمَا رَنَحَتْ رِيحُ الصَّبَا مَائِسَ الرَّنْدِ
وَلَا بَاتَ ذَاكَ الْوَجْهَ يَنْبِسُ ثَغْرُهُ
وَيَفْتَرُّ عَنْ دُرِّ تَنْضُدٍ فِي عِقْدِ
لَقَدْ ظَلِمْتُ نَفْسِي لِرَشْفِ رِضَابِهِ
وَهَيْهَاتَ وَأَسْهَدِي عَلَى ذَلِكَ الشَّهْدِ

إِذَا اسْوَدَّ قَلْبِي فِيكَ مِنْ نَارِ حُزْنِهِ
فَمَا تَغْسِلُ الْأَجْفَانُ مِنِّي سِوَى خَدِّي
وَقَدْ صِرْتُ أَبْكِي كُلَّ شَيْءٍ بِمِثْلِهِ
لَأَنِّي فَرَدْتُ فِي الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ
فَتَغْرُكَ أَبْكِيهِ بِأَبْيَضٍ أَذْمَعِي
وَأُخْمَرِهَا أَبْكِي بِهِ خَدَّكَ الْوَرْدِي

لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

(٧١٣ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٤ م)

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ السَّلْمَانِيِّ، الْغُرْنَاطِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّهِيرُ بِلسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ.

وَزِيرٌ مُؤَرِّخٌ أَدِيبٌ نَبِيلٌ. كَانَ أَسْلَافُهُ يُعْرِفُونَ بِنِي الْوَزِيرِ. وُلِدَ وَنَشَأَ بِغُرْنَاطَةِ. وَاسْتَوَزَرَهُ سُلْطَانُهَا «أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ» ثُمَّ ابْنَهُ «الْغَنِي بِاللَّهِ» مِنْ بَعْدِهِ. وَعَظُمَتْ مَكَانَتُهُ. وَشَعَرَ بِسَعْيِ حَاسِدِيهِ فِي الْوَشَايَةِ بِهِ، فَكَاتَبَ السُّلْطَانَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ الْمِينِيَّ، بِرَغْبَتِهِ فِي الرَّحْلَةِ إِلَيْهِ.

وَتَرَكَ الْأَنْدَلُسَ خَلْسَةً إِلَى جَبَلِ طَارِقٍ، وَمِنْهُ إِلَى سَبْتَةِ فَتَلَمَّسَانَ وَاسْتَقَرَّ بِفَاسَ الْقَدِيمَةِ. وَاشْتَرَى ضِيَاعاً وَحَفِظَتْ عَلَيْهِ رَسُومَهُ السُّلْطَانِيَّةَ. وَمَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمِينِيُّ، فَتَوَلَّى الْمَغْرِبَ السُّلْطَانُ «الْمُسْتَنْصِرُ»، وَقَدْ سَاعَدَهُ «الْغَنِي بِاللَّهِ» صَاحِبُ غُرْنَاطَةِ مُشْتَرِطاً عَلَيْهِ شُرُوطاً مِنْهَا تَسْلِيمَهُ «ابْنَ الْخَطِيبِ» فَقَبِضَ عَلَيْهِ «الْمُسْتَنْصِرُ» وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى «الْغَنِي بِاللَّهِ» فَأَرْسَلَ هَذَا وَزِيرَهُ «ابْنَ زَمْرَكَ» إِلَى فَاسَ، فَعَقَّدَ بِهَا مَجْلِسَ الشُّورَى، وَأَحْضَرَ ابْنَ الْخَطِيبِ، فَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ تَهْمَةُ «الزُّنْدَقَةِ» وَ«سُلُوكِ مَذْهَبِ الْفَلَّاسَةِ» وَأَفْتَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِقَتْلِهِ، فَأَعِيدَ إِلَى السِّجْنِ.

وَدَسَّ لَهُ رَئِيسُ الشُّورَى بَعْضَ الْأَوْغَادِ مِنْ حَاشِيَتِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ السِّجْنَ لَيْلاً، وَخَنَقُوهُ. ثُمَّ دَفَنَ فِي مَقْبَرَةِ «بَابِ الْمُحْرَقِ» بِفَاسَ. وَكَانَ يَلْقَبُ بِذِي الْوَزَاتَيْنِ: الْقَلَمُ وَالسِّيفُ؛ وَيُقَالُ لَهُ «ذُو الْعَمْرَيْنِ» لِاشْتِغَالِهِ

بالنصيف في ليله ، وبتدبير المملكة في نهاره .

فَقُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَقَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً^(١) .

وعن قصيدته في رثاء زوجته يقول لسان الدين بن الخطيب^(٢) «في
السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة المذكور، طرقتني ما
كدر شربي ونغص عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل
بين ذكران وإناث في بلد الغربية وتحت سرادق الوحشة، ودون أذيال
النكبة، فجَلَّتْ عليها حسرتي واشتد جزعي، وأشفيت لعظم حزني، إذ
كانت واحدة نساء زمانها جزالة وصبراً ومكارم أخلاق، حازت بذلك
مزية الشهرة حيث حَلَّتْ من القطرين، فدفنتها بالبستان المتصل بالدار
بمدينة «سلا» ووقفت على قبرها الحبس المغل لمتولي القراءة دائماً
عليها، وصدر عني مما كتب على ضريحها وقد أغرى به التنويه
والاحتفال :

وَمَهْدِي لِي لَدَيْكَ مُضْطَجِعاً

رُوعَ بَالِي وَهَاجَ بَلْبَالِي وَسَامَنِي الشُّكْلَ بَعْدَ إِقْبَالِ
دُخَيْرَتِي حِينَ خَانَنِي زَمَنِي وَعُدَّتِي فِي اشْتِدَادِ أَهْوَالِ

(١) «الأعلام» الجزء السادس ص ٢٣٥ .

(٢) «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» للسان الدين بن الخطيب تحقيق :
الدكتور أحمد مختار العبادي مراجعة : الدكتور عبد العزيز الالهواني / دار
الشؤون الثقافية بغداد . وهذا الكتاب ألفه لسان الدين بن الخطيب في أواخر
أيامه في منفاه في المغرب بعد هروبه من الأندلس ، ومن هنا جاءت تسميته
ورغم أن هذا الكتاب ألف في أربعة أجزاء ، إلا أنه لم يصلنا منها إلا جزء
واحد ، حيث أحرقت كتب ابن الخطيب بعد قتله بفاس القديمة .

حَفَرْتُ فِي دَارِي الضَّرِيحَ لَهَا
وَعِبْطَةً تُؤْهِمُ الْمُقَامَ مَعِي
سَقَى الْحَيَا قَبْرَكَ الْغَرِيبَ وَلَا
قَدْ كُنْتُ مَالِي لَمَّا اقْتَضَى زَمَنِي
أَمَّا وَقَدْ غَابَ فِي تُرَابٍ «سَلَا»
وَاللَّهُ حُزْنِي لَا كَأَنَّ بَعْدُ عَلَيَّ
فَانتَظِرُنِي فَالشُّوقُ يُقْلِقُنِي
وَمَهْدِي لِي لَدَيْكَ مُضْطَجِعًا
وَاسْمُكَ مَقْلُوبُهُ يُبَيِّنُ لِي

تَعَلَّلًا بِالْمُحَالِ فِي الْحَالِ
وَكَيْفَ لِي بَعْدَهَا بِإِمْهَالٍ؟
زَالَ مُنَاخًا لِكُلِّ مَطَالٍ
ذَهَابَ مَالِي وَكُنْتُ آمَالِي
وَجْهَكَ عَنِّي فَلَسْتُ بِالسَّالِي
ذَاكَ الشَّبَابِ الْجَدِيدِ بِالْبَالِي
وَيَقْتَضِي سُرْعَتِي وَإِعْجَالِي
فَعَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ تَرْحَالِي
مَالَ أَمْرِي فِي مَغْرَضِ الْقَالِ

قَبْرُ بَجْنَبِ الدَّارِ (١)

صِحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
وَبَجْنَبِ الدَّارِ قَبْرُ خَصِيبُ
غَابَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التِّمَاحِي
لَا تَسْلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّلْتُ نَفْسِي

لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيبُ؟
مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
قُلْتُ: هَذَا الْقَبْرُ فِيهِ الْحَيْبُ
إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمٌ عَصِيبُ
بَعْدَ إِلْفِي كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

(١) «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي القاهرة / الطبعة الأولى ١٩٨١ الجزء الثاني ص ٤٤١.

ابنُ نَبَاتَةِ الْمِصْرِيِّ

(٦٨٦ - ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ - ١٣٦٦ م)

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْجَذَامِيِّ الْفَارَقِيِّ الْمِصْرِيِّ
أَبُو بَكْرٍ جَمَالُ الدِّينِ.

شاعرٌ عصره «العصر المملوكي» ولد في القاهرة «زقاق القناديل»
وتوفي فيها، سكن الشام لفترة ورجع إلى القاهرة، قال عنه الصفدي:
تفرَّد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة
الكلام وانسجام التركيب، وأما نثره فإنه الغاية في الفصاحة، في شعره
نبرة حزن واضحة يجسدها الرثاء حيث لم يعيش له ولد «كلهم إذا ترعرعَ
وبلغ خمساً أو ستاً أو سبعاً يتوفاه الله تعالى فدفن فيما أظن قريباً من
سنة عشر ولداً» كما يذكر الصفدي، فيجد لذلك الآلام المبرحة ويرثيهم
بالأشعار الرائقة الرقيقة، ومراثيه هنا، ويبدو أنها لأكثر من شريكة
واحدة لا تنقطع عن تلك النبرة الخلاقة وإن كانت صعبة.

بُكَائِيَّةٌ لِسِتِّ الْجِهَاتِ^(١)

أَقِيمَا فُرُوضَ الْحُزَنِ فَالْوَقْتُ وَقْتُهَا

لِشَّمْسٍ ضَحَى عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا

(١) «ديوان ابن نباتة المصري» مطبعة التمدن بعبادين مصر ١٩٠٥ ص ٧٣. وقال
برني جارية له: «ويلاحظ هنا تماثل قصيدة ابن نباتة مع قصيدة ابن سناء الملك
في عناصر عدّة.

وَلَا تَبْخَلَا عَنِّي بِإِنْفَاقٍ أَذْمَعِ
مُلَوَّنَةٌ أَكْوَى بِهَا إِنْ كَنَزْتُهَا
لِغَائِبَةٍ عَنِّي وَفِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا
كَأَنِّي مِنْ عَيْنِي لِقَلْبِي نَقَلْتُهَا
يَقُولُونَ: كَمْ تُجْرِي لِجَارِيَةٍ بُكْيٌ؟
وَمَا عَلِمُوا النُّعْمَى الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا
مَلَكَتِ جِهَاتِي السُّتُّ فِيكَ مَحَبَّةٌ
فَأَنْتِ، وَمَا أَخْطَا الَّذِي قَالَ، سِتُّهَا
إِلَّا فِي سَبِيلِ اللّهِ شَمْسُ مَحَاسِنِ
وَلَا لَمْ تَكُنْ شَمْسُ النَّهَارِ، فَأُخْتُهَا
تَعْرِفُهَا دَهْرًا يَسِيرًا فَأَغْقَبَتْ
دَوَامَ الْأَسَى يَا لَيْتَنِي لَا عَرَفْتُهَا
وَقَالَ أَنَسٌ إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً
وَتِلْكَ لِعَمْرِي رَاحَةٌ قَدْ نَكَّرْتُهَا
هَلِ الدَّمْعُ إِلَّا مُقْلَةٌ قَدْ أَذْبَتُهَا
عَلَيْكَ وَإِلَّا مُهْجَةٌ قَدْ غَسَلَتْهَا
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُغْدِكَ لِلدُّجَى
وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْكَرَى فَرَفَعْتُهَا
وَقَالَ زَمَانِي: هَاكَ بَعْدَ تَنَنُّمِ
كُؤُوسِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ مَلَأَى قَلْبُكَ: هَا

بَكَيْتُكَ لِلْحُسْنِ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ
وَلِلشَّيْمِ الْغُرِّ الَّتِي قَدْ عَهِدْتُهَا
وَرَوْضَةٍ لَحْدٍ حَلَّهَا غُضُنُ قَامَةٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ طَابَتْ وَقَدْ طَابَ نَبْتُهَا
وَحُزْنِ فَلَاقٍ يَمُمُّهُ وَإِنَّمَا
دِيَارُ الظُّبَا حُزْنُ الْفَلَاقِ وَمَوْتُهَا
كِلَانَا طَرِيحُ الْجِسْمِ بَالٍ فَلَوْ دَرْتُ
إِذَا نَدَبْتَنِي فِي الشَّرَى مَنْ نَدَبْتُهَا
بِرُوحِي مَنْ أَخْفِي إِذَا زُرْتُ قَبْرَهَا
جَوَايَ وَلَوْ أَغْلَمْتُهَا لَعَقَقْتُهَا
خَبِيَّةٌ حُسْنٍ كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهَا
وَلَكِنْ بِرَغَمِي فِي الثَّرَابِ دَفَنْتُهَا
وَأَنَسْتُ قَدْ كَانَ لِي لَيْنٌ عَظْفُهَا
فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا نِدَاهَا وَنَعْتُهَا
أَنَادِي ثَرَى الْحَسَنَاءِ وَالثَّرْبُ بَيْنَنَا
وَعَزَّ عَلَى صَمْتِ الْمُتَيَّمِ صَمْتُهَا
كَفَى حُزْنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
سِوَى أَنَّنِي تَحْتَ الظُّلَامِ بَعَثْتُهَا
وَتَنَمِيْقِ الْفَاطِ عَلِيكَ رَقِيْقَةٌ
كَأَنِّي مِنْ نَشْرِ الدُّمُوعِ نَظَّمْتُهَا

قَضَيْتِ فَمَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
وَلَا فِي أَمَانٍ لَوْ بَقَيْتِ بَلْعُثُهَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِي
تَطْلُبُتُهَا مِنْ أَجْلِهِ وَأَرَدْتُهَا
لَقَدْ تَأَنَّقَ فِيكَ الْمَوْتُ وَاحْتَفَلَ^(١)

حَاشَاكَ مِنْ وَخْشَةٍ تَحْتَ الشَّرَى وَجَلَا
يَا سَائِرًا صِرْتُ فِي حُزْنِي لَهُ مَثَلَا
سَفِيًّا لِقُرْبِكَ وَالْأَيَّامُ عَاطِفَةٌ
وَالْقَلْبُ يَسْحَبُ أَذْيَالَ الْهَنَا جَدَلَا
وَالسَّمْعُ قَدْ صَمَّ عَنْ نَجْوَى عَوَازِلِهِ
وَسَيْفُ جَفْنِكَ عِنْدِي يَسْبِقُ الْعَدَلَا
حَيْثُ التَّبَسُّمُ طَلَّاعُ الشُّنَيْيَةِ مِنْ
فَرْطِ السَّرُورِ وَيَشْرُ الطَّلَعَةِ بِنُ جَلَا
فَبَيْنَمَا أَنَا مَغْطُوفٌ عَلَى سَكَنِ
حَتَّى تَحَرَّكَتِ الْآيَّامُ فَاثْتَفَلَا
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بَيْنًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ
وَرِخْلَةً لِلنَّوَى لَا تُشْبِهُ الرُّحْلَا
بَيْنًا أَرَى فِيهِ لِلنَّعْشِ انْبِعَاطَ سُورَى
لَا نَاقَةَ لِلسُّرَى فِيهِ وَلَا جَمَلَا

(١) وقال برقي جارية: «ديوانه» ٥٥٧.

قَلَيْتَ أَنْ بَنَاتِ النَّعْشِ تُسَعِدُنِي
 بِأَذْمُعِ النَّوْءِ لِلْبَذْرِ الَّذِي أَفْلَا
 لَهْفِي عَلَيْكَ وَهَلْ لَهْفٌ بِنَافِعَةٍ
 إِذَا تَحَدَّرَ دَمْعُ الْعَيْنِ وَانْهَمَلَا
 لَمْ يَشْرُكَ الدَّهْرُ مِنْ أَوْقَاتِ مُنْتَظِرِي
 إِلَّا وَآخِرُ عُمْرٍ تَنْدُبُ الْأَوَّلَا
 وَتُرْبَةٌ يَتَلَقَّى الْحُزْنَ زَائِرَهَا
 كَأَنَّهَا تُنْبِثُ التَّبْرِيحَ وَالْوَجَلَا
 حَدِيثُهُ الظُّهْرَ إِلَّا أَنْ بَاطِنَهَا
 قَدْ اسْتَجَنَّ جَنَانَ الرُّوضَةِ الْخَضَلَا
 اسْتَوْقِفُ الْجَسَدِ الْمُضْنَى لَانْدُبَهَا
 يَا مَنْ رَأَى نَادِبًا يَسْتَوْقِفُ الطَّلَلَا
 مُتَيْمًا نَصَلَتْ قُوْدًا شَيْبَتُهُ
 وَقَلْبُهُ مِنْ حِدَادِ الْحُزْنِ مَا نَصَلَا
 يَا غَائِبًا ذَهَبَتْ أَيْدِي الْجِمَامِ بِهِ
 بُغْدًا لِيَوْمِكَ مَاذَا بِالْحَشَا فَعَلَا؟
 إِنْ يَنَّا شَخْصُكَ إِنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
 أَذْنَى وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا
 أَوْ يَنْقُضِي لِمَنَايَا بَعْدَنَا شُغْلُ
 فَقَدْ تَرَكْنِ بِقَلْبِي لِلْأَسَى شُغْلَا

أَمَّا لِعَظْفٍ مَعَانٍ فِيكَ ذِي نَسَقٍ
جَعَلْتُ مِنْ بَعْدِهِ نَارَ الْأَسَى بَدَلًا
هَلَّا بِغَيْرِكَ الْقَى الْمَوْتُ جَانِبَةً
لَقَدْ تَأَنَّقَ فِيكَ الْمَوْتُ وَاحْتَفَلَا
هَلَّا قَضَى غُضُنُكَ الزَّاهِي شَيْبَتَهُ
فَمَا تَرَعَرَعَ حَتَّى قِيلَ قَدْ ذَبَلَا
أَفِدِي الَّذِي كَانَ لِي عَيْشًا أَلَدُّ بِهِ
فَمَا أَبَالِي أَجَادَ الْعَيْشِ أَمْ بَخَلَا
دَعَا التَّجَلُّدُ قَلْبِي يَوْمَ رَحَلْتَهُ
فَقُلْتُ: لَا وَدَعَا سُقْمِي فَقَالَ: هَلَا!
سُقْمٌ مَلَكَتْ بِهِ مَعْنَى التَّحُولِ فَإِنْ
جَاءَ الْخِلَالِ بِسُقْمٍ جَاءَ مُنْتَحَلَا
وَمُقْلَةً قَدْ طَعَنَ إِنْسَانٌ نَاطِرَهَا
فَكَانَ أَكْثَرَ شَيْءٍ بِالْبُكََا جَدَلَا
لَا نِلْتُ قُرْبَكَ مِنْ دَارِ النُّعِيمِ غَدَاً
إِنْ كَانَ قَلْبِي الْمُعْنَى عَنْ هَوَاكَ سَلَا
يَا مُنْيَةَ الصَّبِّ أَمَّا تَكُلُ مُهَجَّتِهِ
فَقَدْ أَقَامَ، وَأَمَّا صَبْرُهَا فَخَلَا
مَا أَحْسَنَ الْعَيْشِ فِي عَيْنِي وَأَنْتَ بِهِ
أَمَّا وَأَنْتَ بِأَكْنَافِ التَّرَابِ فَلَا

سَقَى ضَرْيَحَكَ رِضْوَانٌ وَلَا بِرَحَتْ
رَكَائِبُ السُّحْبِ فِي أَقْطَارِهِ ذُلًّا

دَفَنْتُكَ وَقُلْتُ: إِنَّكَ دَافِنِي^(١)

مَجَرْتُ بَدِيعَ الْقَوْلِ هَجَرَ الْمُبَايِنِ
فَلَا بِالْمَعَانِي لَا وَلَا بِالْمُعَايِنِ
وَكَيْفَ أَعَانِي سَجْعَةً أَوْ قَرِينَةً
وَقَدْ فُقِدَتْ مِنِّي أَجَلُ الْقَرَائِنِ

ثَوْتُ فِي مَهَاوِي الثُّرْبِ كَالثُّبْرِ خَالِصًا
فَحَقَّقْتُ أَنَّ الثُّرْبَ بَعْضُ الْمَعَادِنِ

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي لِحَسَنِ خَلَائِقِي
تَسِحُّ جُفُونِي أَمْ لِخَلْقِ مَحَاسِنِ
دَفَنْتُكَ يَا شَخْصَ الْحَبِيبِ وَقَدْ بَدَا

لِعَيْنِكَ حَالِي قُلْتُ: إِنَّكَ دَافِنِي
كِلَانَا عَلَى الْآيَامِ بَاكِ وَإِنَّمَا

أَشَدُّ الْبَلَا بَيْنَ الْحَشَا كُلِّ كَامِنِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَوْمَ فَقْدِكَ إِنَّهُ

عَلَيَّ لَيَوْمُ الْحَشْرِ يَوْمُ التَّغَابُنِ
وَكُنْتُ أَخَافُ الْبَيْنَ قَبْلَكَ وَالنُّوَى

فَأَضْبَحْتُ لَا آيِسِي عَلَى إِثْرِ بَائِسِي

(١) «ديوانه» ٥١٦ «وقال يرثي زوجته».

كَأَنَّكَ بَادَرْتَ الرَّحِيلَ تَخَوُّفًا
عَلَيَّ مِنَ الْحُسْنِ الَّذِي هُوَ فَاتِنِي
فَدَيْتُكَ مَنْ لِي مِنْ سَنَّاكَ بِلَمْحَةٍ
وَيَنْزِلُ بِي مِنْ بَعْدِهَا كُلُّ كَائِنٍ
أَأْنَسَى قِرَامًا أَثَقَفَ الْحُسْنَ رُمَحَهُ
فَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ يُعَدُّ لِبَطَاعِنِ
وَوَجْهًا حَكَى عَنْ حُسْنِهِ كُلُّ مُقْمِرٍ
وَلَحْظًا رَوَى عَنْ طَرْفِهِ كُلُّ شَادِنٍ
فَوَا أَسْفَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثَّرَى
وَيَدُنِّي الرَّدَى مِنَّا مُقِيمًا لِبَطَاعِنِ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي فِي الْقِيَامَةِ هَلْ أَرَى
مَحَاسِنَهَا مَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ؟
رَشَاقَةُ ذَاكَ الْقَدِّ فَوْقَ صِرَاطِهِ
وَدِينَارُ ذَاكَ الْحَدِّ بَيْنَ الْمَوَازِنِ
سَقَّتْكَ غَوَادِي الْمُزْنِ إِنِّي ظَامِيٌّ
إِلَى الثَّرْبِ طَوْعًا لِلزَّمَانِ الْمُحَارِنِ^(١)
شَكُوْتُ زَمَانًا خَانَ بَعْدَ أَحِبَّتِي
وَبَالَغَ فِي الْعَدَوَى وَبَثَّ الضُّعَائِنِ
فَلَوْ طَابَ لِي طَابَتْ حَيَاتِي بَعْدَهُمْ
وَكُنْتُ الْأَقْبَهُمْ بِطَلْعَةِ خَائِنِ

(١) المُحَارِنُ: العنيد.

شَرَفُ الدِّينِ الْمُتَوَكِّلِ

(٨٧٧ - ٩٦٥ هـ = ١٤٧٣ - ١٥٥٨ م)

يحيى «شرف الدين» بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسنى العلوي، الإمام المتوكل على الله: له اسمان أحدهما «شرف الدين» الذي اشتهر به، والآخر «يحيى» ولم يشتهر به، وهو من أئمة الزيدية في اليمن، ومن فقهاءهم وشعرائهم، ولد بحصن «حُضُور» وبويع بالإمامة في جبال صنعاء، بعد وفاة أبيه وعظم أمره، فكانت له وقائع مع الترك، وأطاعته قبائل كثيرة، ونشب خلافٌ بينه وبين ابنه المطهر «محمد بن يحيى» أدى إلى استيلاء الترك على كثير من جهات اليمن ثم اتَّفَقَا على أن يحتفظ الأب بالإمامة ويتولَّى الابنُ سياسةَ البلاد، وضربت السكة باسم «المطهر» في حياة أبيه، واستقر المتوكل في «حصن كوكبان» ثم انتقلَ إلى «ظفير حجة» وفقد بصره، وتوفي بالظفير، له كتب، منها «الأثمار في فقه الزيدية» و«الرَّسالة الصَّادعة» و«الجوابات والرسائل» وغيرها.^(١)

أما زوجته التي يرثيها فهي كما جاء في ترجمتها^(٢): فاضلة،

(١) ترجمته في «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ حَقَّقَهُ وعلق عليه محمد حسن حلاق منشورات دار ابن كثير / دمشق / بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م الجزء الأول ص ٣١٨.

(٢) «الملحق التابع للبدر الطالع» لمحمد بن محمد بن يحيى زيارة الحسنى اليمني الصنعاني «المتوفى»: ١٣٨١ هـ طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٩٢٩ ص ١٨٥.

فقيهة، متكلمة. تزوجت «يحيى بن شمس الدين» قبل توليه الإمامة، وكانت أول زوجاته. وابتليت آخر عمرها بأمراض عديدة لازمتها من سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٩٠ م، حتى توفيت بعيدة عن زوجها الذي ذهب إلى حصن «كوكبان». وكانت غاية في الجمال والكمال، لها ذكاء وفطنة. وقد رثاها زوجها بقصيدة ومنها هذه الأبيات^(١):

مِنَ الْخُورِ

هِيَ النَّفْسُ حَنَّتْ مِنْ شَجَاهَا وَأَنْتِ
فَفِيمَ تَلُومُ الْعَيْنَ إِنْ هِيَ شَنَّتِ
مَرَايِلُ حُزْنٍ فِي فُؤَادِي أَوْقَدَتْ
فَمِنْ فَيْضِهَا تِلْكَ الدُّمُوعُ اسْتَهَلَّتِ
وَهَلْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَرَى الْيَوْمَ سَالِيًا
وَ«فَاطِمَةُ» فِي بَاطِنِ اللَّحْدِ سُلَّتِ؟
عَقِيلَةُ آلِ الْمُضْطَفَى الطُّهْرِ وَالَّتِي
بِكُلِّ الْأُمُورِ الصَّالِحَاتِ تَحَلَّتِ
فَلَيْدَةُ قَلْبِي بَلْ سُوَيْدَاءُ مُهَجَّتِي
وَمُطَّلَبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمُنْبِتِي
وَمَا «فَاطِمَةُ» إِلَّا مِنَ الْخُورِ أَخْرَجَتْ
لِنَعْرِفَ قَدَرَ الْخُورِ، ثُمَّتْ رُدَّتْ

(١) القصيدة في «الملحق التابع للبدر الطالع» ص ١٨٦.

جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

عبد الرَّحمن بنُ أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى
السُّيُوطِي، جلال الدين. إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠
مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة.

نشأ في القاهرة يتيماً «مات والده وعمره خمس سنوات» ولما بلغ
أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة «المقياس» على
النيل، مُنزوياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألّف
أكثرَ كُتُبِهِ، وكان الأغنياء والأمرء يزورونه ويعرضون عليه الأموال
والهدايا فيردّها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه
هدايا فردّها. وبقي على ذلك إلى أن توفي.

من كتبه «الإتقان في علوم القرآن»، و«الأحاديث المنيفة»، و«الأرج
في الفرج» و«الأذكار في ما عقده الشعراء من الآثار»، و«إسعاف المبتطأ
في رجال الموطأ»، و«الأشباه والنظائر» في العربية، و«الأشباه
والنظائر» في فروع الشافعية.^(١)

(١) «الأعلام» جزء ٣ ص ٣٠١.

المَطْوَّق^(١)

يَا مَنْ رَأَيْتَنِي بِالْهُمُومِ مَطْوَّقًا
وَضَلَلْتُ مِنْ فَقْدِي «غُصُونًا» فِي شُجُونِ
أَتْلُومُنِي فِي عِظَمِ نَوْحِي وَالْبُكَاءِ؟
شَأْنُ الْمَطْوَّقِ أَنْ يَنْوَحَ عَلَى غُصُونِ!

(١) «شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان» جلال الدين السيوطي «وقلت
في ذلك أرثي غصوناً أم أولادي» ص ١١٧.

اللَّوَّاحُ الْخَرْوصِيّ

(٩٨١ هـ = ١٥٧٣ م)

سالمُ بنُ غَسَّان بنُ راشد الخروصي، وَلُقِّبَ بِاللَّوَّاحِ، لِعَمَلِهِ فِي
صِنَاعَةِ الْأَلْوَاحِ «السُّبُورَاتِ» مِنَ الرِّخَامِ الْأَسْوَدِ وَيَبِيعُهَا لَطُلَّابِ
الْمَدَارِسِ.

وُلِدَ بِقَرْيَةِ «ثَقَب» مِنْ وَادِي بَنِي خَرْوصٍ. وَتَنَقَّلَ مِنْ «الرَّسْتَاقِ» إِلَى
«بِهْلَا» ثُمَّ رَحَلَ إِلَى نَزْوَى لِلتَّعَلُّمِ.

سَيِّدُ أَهْلِ الْحُزْنِ^(١)

- مَقْطَعٌ -

فَوَادُ بِزَيْرَانَ الْمُصَابِ مُفَادُ
وَعَيْنُ سَمَاهَا مُبْرِقُ الْمُزْنِ مُرْعِدُ^(٢)
وَجِسْمُ بَرَاهُ الْحُزْنِ كَالْبَرْيِ بِالْمُدَى
فَصَارَ كَمِثْلِ السُّلُوكِ فِي الْحَرْبِ تُسْرَدُ

(١) «ديوان اللواح» أبو حمزة سالم بن غسان بن راشد بن محمد الخروصي حقه:
محمد علي الصليبي/ وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان سنة
١٩٨٩، الجزء الثاني ص ١٤٥.

(٢) مفاد: مكتوب بالجمز ومشوي.

طَرِيحاً عَلَى فَرْشِ الضَّنَى لَمْ يَزَلْ لَقَى
 وَلِي كَبِدٌ حَرَّى وَطَرْفٌ مُسَهَّدٌ^(١)
 وَأَنَّهُ قَدْ قَدَّتْ ضُلُوعِي وَزَفَرَةٌ
 تَكَادُ بِرُوحِي لِلْخَيَاشِيمِ تَضَعْدُ
 وَقَدْ عَبَّدَتْ مِنِّي الرِّزَايَا خَلَائِقاً
 وَعَهْدِي بِهَا مِنْ قَبْلُ ذَا لَا تُعَبَّدُ^(٢)
 وَكُنْتُ أَمِراً جَلِداً عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
 فَقَدْ صَارَ لِي أَغْدَى الْأَعَادِي التَّجَلُّدُ
 لِكُلِّ أَنَاسٍ سَيِّدٌ يَفْتَدِي بِهِ
 وَإِنِّي لِأَهْلِ الْفَقْدِ وَالْحُزْنِ سَيِّدُ
 لَدَيَّ عَجِيبٌ أَنْ أَرَى مُتَبَسِّمًا
 وَمَا سَرَّيْنِي إِلَّا الْبُكَاءُ وَالتَّوَجُّدُ
 فَلَيْتَ فَمِي إِنْ أَكْثَرَ السَّنُ ضَاحِكًا
 سُرُورًا يُرَى كَالطَّغْنَةِ الرُّمَحُ أَدْرُدُ
 وَقَدْ لَذَّتِ الْأَحْزَانُ عِنْدِي لَأَنَّهَا
 غَدَتْ دَيْدَنَا حَيْثُ الْأَسَى يَتَجَدَّدُ
 وَقَدْ أَتَلَقَّى النَّاسَ وَالْعَقْلُ عَازِبٌ
 وَلَمْ أَذِرْ إِصْدَارِي مِنْ حَيْثُ أَوْرُدُ

(١) لَقَى: مُلَقِيَ وَمَطْرُوحٌ بِهَوَانٍ.

(٢) عَبَّدَتْ: أَخَضَعَتْ وَذَلَّتْ.

مَصَائِبُ شَتَّى جَمَعَتْ لِي مُصِيبَةً
وَعِدَّةُ حُزْنٍ أَكْثَفَتْ لَا تُعَدُّ
عَلَى تَالِدِ الْأَيَّامِ لِي طَارِفُ الْأَسَى
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي مِنَ الْحُزْنِ مَشْهَدُ
كَأَنَّ اللَّيَالِي طَالَبَتْنِي بِشَارِهَا
وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ حَيْثُ مِنِّي يُوجَدُ
وَلِنْ دَامَ هَذَا الْحُزْنُ عِنْدِي قَلِيلُهُ
فَقَدْتُ مَعَ الْمَفْقُودِ مِنْ حَيْثُ يُفْقَدُ
وَمِنْهَا لَا حُزْنَ كَحُزْنِي لِأَنِّي
أَقُومُ بِهِ مِنْ غَيْرِ عَقْلِ وَأَقْعُدُ
أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِكَامِلَةِ الْحَجَى
وَطَاهِرَةِ الْأَعْرَاقِ وَالْعِرْضِ أَمَجْدُ
كَرِيمَةِ قَوْمٍ مَا بِهَا عَضُّ مُجَنَّةٍ
يُقَدِّسُهَا صِيَتْ وَمَجْدُ وَمَحْتَدُ
حِصَانًا كَسَا أَخْلَاقَهَا رَوْنُقُ الْحَيَا
وَمَا هِيَ إِلَّا فِي الْمُلِمَّاتِ جَلَمَدُ
خَدِيرًا تَمَنَّى النُّجْمُ إِسْقَاطَ لَفِظِهَا
وَيَسْقُطُ إِجْلَالُهَا وَيَمَجْدُ
تَبَيَّتْ خَمِيصَ الْبَطْنِ غَرَّتْ مِنَ الطَّوَى
وَجَارَاتُهَا فِي عَيْشِهَا الرُّغْدِ رُغْدُ^(١)

(١) الطَّوَى: الجرع.

عَقِيمٌ مِنَ الْفَحْشَا وَلَوْدٌ مِنَ الثَّنَا
 سَبُوقٌ إِلَى الْحُسْنَى لَهَا الْفَضْلُ وَالْيَدُ
 بَقِيَّةُ نِسْوَانٍ مَضَتْ لَسَبِيلِهَا
 فَلَا دَهْرَهَا يُرْجَى وَلَا هِيَ تُوجَدُ
 هِيَ الزَّوْجَةُ الْمِعْوَانُ فِي السُّخْطِ وَالرُّضَى
 وَفِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا وَجَدَّكَ مُسْعَدُ
 إِذَا حَلَّتِ الْأَضْيَافُ بِاللَّيْلِ سَاحَتِي
 وَنَامَ عَلَى لَبَنِ الْفِرَاشِ الْمُزْنَدُ
 تَطَوُّفٌ عَلَى خَفْضِ الْقُدُورِ وَرَفْعِهَا
 وَجَارَاتُهَا فَوْقَ الْمَطَارِحِ هَجْدُ
 وَتُمْلِي جِفَانًا كَالْجَوَابِي لِضَيْفِهَا
 ثَرِيدًا وَذُو الْإِحْسَانِ لِلضَّيْفِ يَثْرُدُ^(١)
 وَكَانَتْ عَلَى الدُّنْيَا الْحَنِيفِي حَافِظًا
 عَلَى أَنَّهَا فِيهِ تَنْصُرُ وَتَسْنُدُ
 وَكَانَتْ عَلَى فَقْدِي تُحَاذِرُ قَبْلَهَا
 وَتَدْعُو بَأَنِ أَبْقَى لِنَسْلِي وَتُفْقَدُ

(١) وجفاناً كالجوابي: أي قدور كبيرة تشبه الأحواض، جاء في القرآن «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَايِلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» «سبا ١٣»، وقرئت «وجفانٍ كالجوابي» بالباء.

لَيْسَتْ قَشِيبَ الدَّهْرِ مُنْذُ لَيْسَتْهَا
فَلَا الْمَاءُ مُغَبَّرٌ وَلَا الْعَيْشُ أَنْكَدُ
زَمَانِي بِهَا غَضٌّ وَعُودِي بِهَا يَدٌ
وَحِلْمِي بِهَا كَهْلٌ وَخَدْيِي أَمْرُدُ

.....
يَقُولُونَ لِي: يَوْمُ الْخَمِيسِ مُبَارَكٌ
لَهُ الْمُشْتَرِي سَعْدٌ وَمَا فِيهِ أَشْعَدُ
إِذَا مَرَّ لِي يَوْمُ الْخَمِيسِ وَلَيْلُهُ
تَمَرَّرَ شُرْبِي وَهُوَ عَذْبٌ مُبَرَّدُ
وَإِنْ عَرَضَتْ فَوْقَ الرُّقَابِ جِنَازَةٌ
تَحَيَّرْتُ أَوْ أَنِّي عَلَى الْحُزَنِ أَوْجَدُ
وَإِنْ نَظَرْتُ عَيْنِي «غَرِيبًا» وَ«حَمَزَةً»
وَإِخْوَتَهُمْ حَوْلِي وَهُمْ يَتَوَجَّجُوا^(١)
يَقُولُونَ لِي: قُلْ مَنْ لَنَا بَعْدَ أَمَّنَا
وَمَنْ غَيْرُهَا نَأْوِي إِلَيْهَا وَنَقْصِدُ
أَجُودُ بِنَفْسِي فِي عَزَاهُمْ كَأَبَةً
وَهُمْ بِالنُّفُوسِ لِلْكَأَبَةِ أَجُودُ
أَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ
وَلَكِنْ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ تَنْفَدُ

(١) غريب وحمزة: أسما ولديه.

وَكُلُّ لَهْ وَفَتْ فَمَا عَنْهُ مَرْحَلُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ يَوْمِهِ الْفَرْدُ مُفْرِدُ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا تَعِلَّةُ
وَمَا الدَّارُ إِلَّا مَا قَنَاهَا الْمُخَلَّدُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فَالصَّبْرُ حُلَّةُ
مُعَظَّمَةِ الْمِقْدَارِ مِنْ حَيْثُ تُوجَدُ
سَقَى أُمَّكُمْ فِي قَبْرِهَا كُلَّ سَاعَةٍ
مِنْ الْمُزْنِ رَجَّاسُ الْعَشِيَّاتِ مُلَبِّدُ^(١)
وَصَلَّى عَلَيْهَا اللَّهُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
فَخَيْرُ صَلَاةٍ خُصَّ فِيهَا مُحَمَّدُ

(١) الرَّجَّاسُ: الرعد الشديد.

مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الزُّبَيْدِيِّ «صاحب تاج العروس»

(١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ - ١٧٩١ م)

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، ينتهي نسبه إلى زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني الواسطي العراقي الحنفي، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت. لغويٌّ وكاتبٌ وشاعرٌ ومؤرّخٌ، أصلُهُ من العراق وقيل من الهند. نشأ في «زبيد» من بلدان اليمن، ثم رحل عنها، وتنقّل في الحجاز بين مكّة والمدينة والطائف، وقصد أخيراً إلى مصر فطاب له فيها المقام حيث أمضى في رحابها بقية حياته، وقد وجد في مكتباتها كلّ ما يحتاج إليه من أمّهات الكتب التي أعانته في تأليف كتبه الكثيرة، فذاع صيته واتجهت إليه الأنظار، وأذن له بالتدريس في القاهرة فسعى إلى سماعه كثيرٌ من رجالات الأزهر وطلاب العلم، وكان معجّبه الكبير الذي أسماه «تاج العروس من جواهر القاموس» أهم مؤلفاته وبه اشتهر، ويعد من أوسع المعاجم العربية، ولا يضارعه في حجمه أو بفرقه إلا «لسان العرب» لابن منظور وقد أمضى في تأليفه أربعة عشر عاماً كان يواصل فيها عمله من دون انقطاع.

بلغت أعمال الزبيدي أكثر من ١٠٠ بين كتاب ورسالة، منها «أمّهات الرسول»، و«الميسر والقдах»، و«شجرة الدخان»، و«قهوة اليمن». وكان المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي أبرز تلاميذه.

وتوفي بالطاعون عام ١٧٣٢ هـ = ١٧٩١ م^(١)

كان لطيف الشكل حَسَنَ الصفات بشوشاً وقوراً محتشماً عارفاً
بالفارسية والتركية، وقد تزوج من «زبيدة بنت ذي الفقار الدمياطي»
وعاش سعيداً معها. ثم فُجِعَ بوفااتها سنة ١١٩٦ هجرية فحزن عليها
حزناً كثيراً، ودفنها عند مشهد السيدة رُقِيَّة، وعمل على قبرها مقاماً
ومقصورة، وستوراً وفرشاً وقناديل، ولازم قبرها أياماً كثيرة، تجتمع
عنده الناس والقراء والمنشدون، واشترى مكاناً بجوار المقبرة وعمَّره
بيتاً صغيراً، وفرشه وأسكن به أمها، وكان يبيت به أحياناً، ورثها
بقصائد، على طريقة شعر مجنون ليلي^(٢).

سَحَرُ زُبَيْدَةَ

أَعَاذِلُ مَنْ يُرْزَأُ كَرُّزِي لَا يَزَلُ
كَثِيباً وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

(١) مقدمة كتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي / تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف محمد
خطيب / سلسلة التراث العربي / الكويت ٢٠٠١.

(٢) «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي ١١٦٧
- ١٢٣٧ هـ تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم / مطبعة دار
الكتب المصرية / القاهرة ١٩٩٧ / عن طبعة بولاق / الجزء الثاني ص ٣١٠.
وقد نسخ عبد الرزاق البيطار نص كلام الجبرتي في ترجمته للزبيدي واكتفى
بالقول: «قال صاحب عجائب الآثار في ترجمة هذا السيد المعداد من
الأخبار»، راجع «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» عبد الرزاق البيطار
١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ / دار صادر / حققه ونسقه وعلّق عليه: حفيده محمد بهجة
البيطار / الطبعة الثانية ١٩٩٣ / الجزء الثالث ص ١٥٠١.

أَصَابَتْ يَدُ الْبَيْنِ الْمُشِثُ شَمَائِلِي
وَحَاقَتْ نِظَامِي عَادِيَاتُ النَّوَائِبِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ «زُبْدًا» سُحْبِرَةً
أَعُوذُ إِلَيَّ رَحْلِي بِطِينِ الْحَقَائِبِ
أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَذْنُو بَعِيدَهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ غَيْرِ الْكَوَاعِبِ^(١)
فَتَاةُ النَّدَى وَالْجُودِ وَالْحِلْمِ وَالْحَيَا
وَلَا يَكْشِفُ الْأَخْلَاقَ غَيْرُ التَّجَارِبِ
فُذِيتُ لَهَا، مَا يَسْتَذِمُّ رِذَاوَهَا
عَمِيْدَةٌ قَوْمٍ مِنْ كِرَامِ أَطَايِبِ
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَيَضْحَبُهُ الرُّضْوَانُ فَوْقَ الْمَرَاتِبِ
مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاحَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةٍ
بِشَجْوٍ يُثِيرُ الْحُزْنَ مِنْ كُلِّ نَادِبِ
إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ^(٢)
يَقُولُونَ لَا تَبْكِي «زُبْدَةً» وَاتَّيْدِ
وَسَلِّ مُمُومَ النَّفْسِ بِالذُّكْرِ وَالصَّبْرِ

(١) الخفرات: العذارى. الكواعب: الفتيات اللواتي ظهرت أنداؤهن للنو.

(٢) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

وَتَأْتِي لِي الْأَشْجَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
بِمُخْتَلِفِ الْأَخْزَانِ، بِالْهَمِّ وَالْفِكْرِ
وَمَنْ لِي تَسْلُ مِنْ فِرَاقِ حَبِيبَةٍ
لَهَا الْجَدْتُ الْأَعْلَى «يَشْكُر» مِنْ مِصْرِ^(١)
أَبَى الدَّمْعُ إِلَّا أَنْ يُعَاهِدَ أَعْيُنِي
بِمُخَجَّرِهَا وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
فَأَمَّا تَرَوْنِي لَا تَزَالُ مَدَامِعِي
لَدَى ذِكْرِهَا تَجْرِي إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
مَضَتْ بِهَا كُلُّ لَذَّةٍ^(٢)
خَلِيلِي مَا لِلْأَنْسِ أَضْحَى مُقْطَعًا
وَمَا لِفَوَادِي لَا يَزَالُ مُرَوَّعًا؟
أَمِنْ غَيْرِ الدَّهْرِ الْمُشِيتُ وَحَادِثُ
أَلَمْ يَرْخِلِي؟ أَمْ تَذَكَّرْتُ مَضْرَعًا؟
وَلَا فِرَاقُ مِنَ الْبِقَةِ مُنْجَتِي
«زَيْدَةُ» ذَاتِ الْحُسْنِ وَالْفَضْلِ أَجْمَعَا
مَضَتْ فَمَضَتْ عَنِّي بِهَا كُلُّ لَذَّةٍ
تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَاِنْقَطَعَا مَعَا

(١) يشكر: وتسمى أيضاً جبل يشكر مضبة في القاهرة قريبة من السيدة زينب بنتي
عليه جامع أحمد بن طولون المشهور.

(٢) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

لَقَدْ شَرِبْتُ كَأْسًا سَنَشْرَبُ كُلُّنَا
كَمَا شَرِبْتُ، لَمْ يُجِدْ عَنْ ذَاكَ مَذْقًا
فَمَنْ مُبْلِغُ صَاحِبِي بِمَكَّةَ أَنْبِي
بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِعَيْنَيَّ مَذْمَعًا
مَاذَا أَدْرَجُوا^(١)

خَلِيلِي هَلْ ذَكَرَى الْأَحِبَّةَ نَافِعُ
فَقَدْ خَانَنِي الصَّبْرُ الْجَمِيلُ الْعَوَاقِبِ
وَهَلْ لِي عَوْدٌ فِي الْحِمَى أَمْ تَرَاجُعُ
لِيُضِلَّ بِتِلْكَ الْآنِسَاتِ الْكَوَاعِبِ
لَقَدْ رَحَلْتُ عَنِّي الْحَبِيبَةُ غُدْوَةً
وَسَارَتْ إِلَى بَيْتٍ بِأَعْلَى السَّبَاسِبِ^(٢)
أَقُولُ وَمَا يَذِرُنِي أَنَاسٌ غَدَا بِهَا
إِلَى اللَّحْدِ: مَاذَا أَدْرَجُوا فِي السَّبَاسِبِ
فَأَخْرُتُ عَنْهَا فِي الْمَسِيرِ وَلَيْتَنِي
تَقَدَّمْتُ لَا الْوَيْ عَلَى حُزْنٍ نَادِبِ

(١) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

(٢) السباسب: الفلوات.

طَبْلُ السَّمَاءِ^(١)

رُبِيدُهُ شَدَّتْ لِلرَّحِيلِ مَطِيَّهَا
غَدَاةَ الثَّلَاثَا فِي غَلَائِلِهَا الْخُضِرِ
وَطَافَتْ بِهَا الْأَمْلاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَدُقَّ لَهَا طَبْلُ السَّمَاءِ بِلا نُكْرِ^(٢)
تَمِيسُ كَمَا مَاسَتْ عَرُوسٌ بِدَلَّهَا
وَتَخْطُرُ تَيْنَهَا فِي الْبَرَانِسِ وَالْأُزْرِ^(٣)
سَابِكِي عَلَيْهَا مَا حُيِّتَ وَإِنْ أُمْتُ
سَتَبِكِي عِظَامِي وَالْأَضَالِعُ فِي الْقَبْرِ
وَلَسْتُ بِهَا مُسْتَبْقِيَا فَيُضَرَّ عَبْرَةٌ
وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ

هَجَرَتْ فَهَلْ مِنْ سَبَبٍ؟^(٤)
نِعْمَ الْفَتَاةُ بِهَا فُجِغَتْ غُدِيَّةٌ
وَكَذَاكَ فِعْلُ حَوَادِثِ الْإِيَامِ
شَدَّتْ مَطَايَا الْبَيْنِ ثُمَّ تَرَحَّلَتْ
وَتَمَايَلَتْ أَكْوَارُهَا بِسَلَامٍ

(١) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

(٢) الأملاك: الملائكة.

(٣) تميس: تميل، بدلها: بدلالها.

(٤) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

رَحَلْتُ لِرِخْلَتِهَا غَدَاةً تَجَمَّلْتُ
أَخْلَامُنَا مِنْ قَاعِدٍ وَقِيَامِ
مَا خَلَّفْتُ مِنْ بَعْدِهَا فِي أَهْلِهَا
غَيْرَ الْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَالْإِيْتَامِ
يَا لَهْفَ نَفْسٍ حُسْنُ أَخْلَاقٍ لَهَا
جُبِلَتْ عَلَيْهِ وَوُضِلَتْ الْأَرْحَامِ
وَإِطَاعَةٌ لِلْبَغْلِ ثُمَّ عِنَايَةٌ
صُرِفَتْ لِإِطْعَامِ وَلِيِّنِ كَلَامِ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ فَأَبْكِيهَا مَا رَنَّنْتُ
رِيحُ الصَّبَا سَحَرًا غُصُونُ بِشَامِ^(١)
يَا وَارِدًا يَوْمًا عَلَى قَبْرِ لَهَا
قِفْ ثُمَّ رَاجِعْ مِنْ شَجٍ بِسَلَامِ^(٢)
وَقُلْنَ لَهَا قَدْ كُنْتُ فِيمَا قَدْ مَضَى
تَاتِي لَهُ عِنْدَ الْإِلْقَا بِمَقَامِ
وَالْيَوْمَ مَا لَكَ قَدْ هَجَرْتَ فَهَلْ لِيذَا
سَبَبٌ؟ فَقُولِي يَا ابْنَةَ الْأَغْلَامِ

(١) رننت: هزئت، وأما لى، والبشام: شجرة طيبة الرائحة.

(٢) شج: حزين.

بَيْرَمُ الثَّانِي

(١١٦٣ - ١٢٤٧ هـ = ١٧٤٩ - ١٨٣١ م)

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ. ولد في تونس «العاصمة»، وفيها توفي. ويعرفُ والده ببيرم الأول.

نشأ في كنف العائلة، وتأدَّبَ بأدبها، ثم تلقَّى تعليمه بالكتاب، وجامع الزيتونة، عمل مدرساً بالمدرسة الباشية، ثم بالجامع الأعظم إلى جانب قيامه على الخطابة بجامع «يوسف داي»

كان نقيباً للأشراف إلى جانب ولايته لخطة الإفتاء ثم رئاسته للفتوى. وقد قصر نشاطه على التدريس والقضاء والإفتاء.

يعدُّ من أعلم أهل عصره، فهو حافظٌ وفقيهٌ من حاملي المذهب الحنفي، حتى دعي بحامل لواء المذهب النعماني، إلى جانب توليه لمشيخة الإسلام عام ١٨٠٠م، فقام بأعبائها إلى أن توفي.^(١)

قصيدته هنا هي مرثية لعائلته وهم «عشرون نفساً» كما يقول في قصيدته، بينهم أولاده الخمسة وأهمهم بوباء بالطاعون الجارف الذي أصاب البلاد عام ١١٩٩ هـ = ١٧٨٥م.

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين/ الكويت ٢٠٠٨.

رثاء العائلة

قِفْ بِالذِّيَارِ وَسَلِّهَا عَنْ أَهَالِيهَا
وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنْ حَادِثٍ فِيهَا
وَقُلْ عَهْدُكَ يَا أَرْضَ الْبِلَى فَلَكَا
تَجْرِي الْكَوَاكِبُ مِنْهُ فِي مَجَارِيهَا
وَرَوْضَةٌ أَنْفًا تَسْبِي جَاذِرُهَا
بِمَا حَوَتْ مِنْ بَهَاءٍ لُبِّ رَائِيهَا^(١)
فَأَيْنَ تِلْكَ الشُّمُوسُ النَّيِّرَاتُ وَمَا
يَسْتَوْقِفُ الظَّرْفَ حُسْنًا مِنْ مَعَانِيهَا؟
وَأَيْنَ تِلْكَ الطُّبَّاءُ الْآنِسَاتُ وَمَا
صَارَتْ بِهِ نَافِرَاتٍ مِنْ مَرَاعِيهَا؟
تُجَبِّكَ: نَادَى بِهَا دَاعِي الْوَبَا سَفَرًا
إِلَى الْفَنَاءِ فَلَبَّثَ مَنْ يَنَادِيهَا
وَصَاحَ فِيهَا غُرَابُ الْبَيْنِ فَاثْتَرَتْ
فَمَا تَمَرَّقَ مِنْ سِلْكِ لَائِيهَا
فِي نَحْوِ سَبْعِينَ يَوْمًا لَمْ تَجِدْ أَثَرًا
لَهُمْ كَأَن لَمْ يَكُونُوا سَاعَةً فِيهَا
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَوْلَادِي وَوَالِدَتِي
وَزَوْجَتِي ثُمَّ أُخْتِي مَعَ حَوَاشِيهَا

(١) الجاذر: جمع جؤذر وهي البقر الوحشية.

عُشْرُونَ نَفْسًا أَرَانِي اللَّهُ مَضَرَعَهُمْ
مُصِيبَةً أَرَانِي خَطْبًا يُدَانِيهَا؟
فَقَدْتُ فِيهَا دُمُوعَ الْعَيْنِ إِذْ عَظُمَتْ
وَأَيُّ قَدَرٍ تَرَاهُ كَانَ يَكْفِيهَا
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قَلْبِي وَقَسَوْتِهِ
أَنْ لَمْ يَذُبْ إِذْ حَدَا بِالسَّفْرِ حَادِيهَا
وَكَيْفَ لَمْ يَتَصَدَّعْ بَعْدَمَا لَمَسَتْ
كَفَّايَ كَبِيدِي فِي تَرْبٍ أَوَارِيهَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبِي أَنْ يُطَاوِعَنِي
وَكَيْفَ يَا قَلْبُ ذَاتًا مِنْكَ تَغْصِيهَا؟
مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالْأَحْبَابُ قَدْ ظَعَنُوا
وَحَلَفُوكَ لِأَنْكَادٍ تُقَاسِيهَا
يَا مَرْكَبَ أَلْهَمْ مَاذَا كُنْتَ حَامِلَةً
وَكَمْ مَرَائِرَ أَحْوَالٍ تُعَانِيهَا؟
وَيَا خَزَانَةَ أَنْكَادٍ قَدْ اخْتَلَفْتَ
طَالَ التَّعَجُّبُ مِنْكَ كَيْفَ تَحْوِيهَا؟
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، آجَالُ مُقَدَّرَةٌ
لَا الْخَيْرُ يُبْعِدُهَا لَا الشَّرُّ يُذْنِبُهَا
فَأَسْأَلُ اللَّهَ لُطْفًا فِي الْقَضَاءِ وَلَا
أَرْجُو سِوَاهُ لِأَخْزَانِي يُجَلِّيهَا

عَلِيّ نَقِيّ الْإِحْسَائِي

(١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م)

عليّ نَقِيّ المعروف «ببدر الإيمان» والده الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المعروف «بالشيخ الأوحد» والمؤسس الأول لتيار الشيخية. وَلَدَ في الإحساء «هجر»

ذكره كلُّ من تعرض لترجمته بالإكبار والإجلال، وعظم المنزلة، ورفعة الشأن، وقيل عنه أنه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث مع السند، وما يتلى عنده شعر إلا قرأه من أوله إلى آخره.

وقال السيد كاظم الرشتي: كان من العلماء المبرزين، والفضلاء المتبحرين، وكان من حملة الأسرار رافق أبيه في أكثر أسفاره إلى العراق وإيران، وحصلت له أسفار بمفرده إلى بعض المدن العراقية والإيرانية نظم في بعضها أبياتاً.

من مؤلفاته: «نهج المحجّة» في مجلدين و«منهاج السالكين» في السلوك والأخلاق و«مشرق الأنوار» في الحكمة. له ديوان شعر حقّقه محمد كاظم الطريحي وطبع في طهران ١٩٥٥.

مات بمرض الطاعون سنة ١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م في كرمشاه بإيران ودفن هناك^(١).

(١) الشيخ عليّ نَقِيّ الأحسائي. لمحات من سيرته وأدبه عقيل بن ناجي المسكين / مجلة الواحة / ٢٠ / ٢ / ٢٠١١م العدد «١٦».

ومما قال في رثاء «زوجته» من قصيدة طويلة:

نَوَارُ يَا نَوَارُ
فَيَا لَهْفَ نَفْسِي حِينَ قُرْبَ نَعْشُهَا
وَيَا وَنَحَ رُوحِي كَمْ تُقَاسِي مِنْ الشَّرِّ
جَرَتْ لِي الْأُمُورُ الْحَادِثَاتُ فَرَوَّعَتْ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ فَرَقَاكِ مَا يَجْرِي
تَجَوُّدُ الْغَوَادِي الْمُدْلِجَاتُ بِمَائِهَا
وَتَنْهَلُ عَيْنِي مِنْ مَدَامِعِهَا الْحُمْرِ
«نَوَارُ» لَقَدْ حَلَّتْ بِتُرْبِكَ رَحْمَةٌ
تَعْطَرُ مِنْهَا سَاكِنُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
«نَوَارُ» خُذِيهَا بِالتَّحِيَّةِ وَاعْلَمِي
بِأَنَّ اللَّيَالِي وَضَلُّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
سَقَى اللَّهُ قَبْرًا يَا «نَوَارُ» اكْتَنَفْنِيهِ
هَوَاطِلَ غَيْثِ ضَمِّ قَلْبِي مِنْ قَبْرِ

مُحَمَّدُ الْبُخَارِيُّ عُثْمَانُ

(١٢٠٩ - ١٢٢٦ هـ = ١٧٩٤ - ١٨٤٩ م)

مُحَمَّدُ الْبُخَارِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ فُودِيٍّ. أَحَدُ رَوَّادِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي نِيجِيرِيَا، وَلَدَ فِي مَنَاطِقَةِ صُكْتُو «الْغَرْبِ مِنْ نِيجِيرِيَا» وَتَوَفَّى فِي مَدِينَةِ «تَمْبُول» إِيَّانَ إِمَارَتِهِ لَهَا فِي عَهْدِ خِلَافَةِ أَخِيهِ أَبِي بَكْرٍ الْعَتِيقِ.

أَحَدُ أَبْنَاءِ عُثْمَانَ بْنِ فُودِيٍّ مُؤَسِّسِ دَوْلَةِ «صُكْتُو» فِي غَرْبِي أَفْرِيقِيَا. بَرَعَ فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَحَفِظَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَخُطَبَهُمْ وَأَسْجَاعَهُمْ وَأَيَامَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ.

لَهُ دِيْوَانُ شَعْرِي «قِصَائِدُ مُحَمَّدِ الْبُخَارِيِّ»
إِضَافَةً إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى مِنْهَا: «كَفَ الْإِخْوَانُ مِنْ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»، وَمَجْمُوعٌ «إِنْ وَأَنْ»^(١).

لَا حِقُّ بِهَا عَمَّا قَلِيلٍ

مَرثِيَةِ أُمِّ مُحَمَّدٍ

أَيَا رُزْءَ بِنْتِ الْخَيْرِ أُمِّ مُحَمَّدٍ

أَسَلْتَ مَعَ الدَّمْعِ النَّجِيعِ عَلَى نَحْرِي

(١) «معجم البابطين».

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكِ مَا حَنَّ عَاشِقُ
 وَطَرَّبَ ذَا الطَّيْرِ الْمُسْبِحُ بِالْفَجْرِ
 حُبِّتِ مَعَ الْإِجْمَالِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ
 حَيَاءَ عَلَيْنَا لِلْحَبِيبِ وَلِلْغَيْرِ
 وَأَعْطَيْتِ مَعَ حُسْنِ التَّبَعْلِ عِفَّةً
 وَقَارًا وَحُسْنَ الْعَهْدِ وَالصُّورِ
 لَيْتَ غَبَّتْ عَنِّي يَا مُنَايَ وَبُغَيْتِي
 فَعَهْدُكَ مَحْفُوظٌ وَإِنْ كُنْتُ لَا تَذَرِي
 وَلَوْلَا النَّاسِي وَالْحَيَاءُ وَخَوْفُ مَا
 أَتَى مِنْ قَوَاتِ الْأَجْرِ فِي عَدَمِ الصَّبْرِ
 وَعِلْمِي بِلُطْفِ اللَّهِ بِي وَيَأْنِي
 بِهَا لَاحِقٌ عَمَّا قَلِيلٍ مِنَ الدَّهْرِ
 بَكَيْتُ عَلَيْهَا بِالَّذِي هِيَ أَهْلُهُ
 وَطَوَّحْتُ نَفْسِي فِي الْمَهَامِ وَالْقَفْرِ
 وَلَكِنِّي رَاضٍ بِرَبِّي وَحُكْمِهِ
 وَمِقْدَارِهِ فِي خَلْقِهِ الْحُلِيِّ وَالْمُرِّ
 فَلَا زَالَ غَيْثُ الْعَفْرِ وَالصَّفْحِ وَالرِّضَا
 عَلَى قَبْرِهَا يَهْمِي مِنَ الْمَلِكِ الْبِرِّ

صَالِح الصَّائِفِي

(كان حياً عام ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ م)

شاعرٌ جزائري أقام في تونس وفي الآستانة. له قصيدة نشرت في جريدة «الجوائب». هي مرثية قصيرة، قالها الشاعر في امرأة عالمة تقية رفيعة النسب، يذكر من دلائل سموها، حبّها، وزيارتها للمسجد الأقصى، ولدار الخلافة أيضاً، ويذكر أنها توفيت في المدينة المنورة، ودفنت بمقابر الأنصار، ينهي مرثيته بالتأريخ للوفاة بحساب الجُمْل. ^(١)

دُرَّةُ الْإِيْمَانِ

في رثاء زوجته

حَيَّا الْحَيَا لَحْدًا حَوْتُهُ دُرَّةُ

كَانَتْ تُضِيءُ بِجَوْهَرِ الْإِيْمَانِ

ذَاكَ التُّقَى وَالْبِرَّ «أَمِنَةُ» الَّتِي

قَضَتْ الْحَيَاةَ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

شَهِدَتْ لَهَا بِصَلَاحِهَا وَقِلَاحِهَا

أَفْعَالُهَا فِي خَلْوَةٍ وَعِيَانِ

وَعَلَتْ عَلَى كُلِّ النِّسَاءِ بِعِلْمِهَا

وَتَمَيَّزَتْ بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

مِنْ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نَسَبًا وَفِي
 حَسَبِ صَحِيحٍ مِنْ مُلُوكِ عَنَانٍ
 كُتِبَ الْحَدِيثُ عَلَى صَحَائِفِ قَلْبِهَا
 بِإِذَادِ إِيمَانٍ مَعَ الْقُرْآنِ
 حَجَّتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَبَعْدَهُ
 لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِحُسْنِ أَمَانٍ
 زَارَتْ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ أَتَتْ
 دَارَ السَّعَادَةِ مَنْزِلَ السُّلْطَانِ
 فِيهَا قَضَتْ أَجَلًا وَفِي «أَيُّوبَ» قَدْ
 دُفِنَتْ مَعَ الْأَنْصَارِ وَالْأَغْوَانِ
 فَأَبْكُوا عَلَى تِلْكَ الْغَرِيبَةِ وَانْدُبُوا
 يَا أَهْلَ «تُونُسَ» أَفْضَلَ النُّسْوَانِ
 لَا تَحْسَبُوهَا فِي الثَّرَى لَا وَالَّذِي
 خَلَقَ الْوَرَى بَلْ فِي نَعِيمِ جَنَّاتٍ
 قَضَتْ الْفُرُوضَ وَمُذْ قَضَتْ أَرْخُتْهَا
 «كَذَحَتْ لِحَنَّةَ رَبِّهَا الْمَنَانِ»^(١)

(١) نتيجة حساب الجمل لهذا الشطر تؤرخ لوفاة زوجته في العام ١٢٩٥هـ =

١٨٧٨م

صَالِح مَجْدِي

(١٢٤٢ - ١٢٩٨ هـ = ١٨٢٧ - ١٨٨١ م)

محمّد بن صالح بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن الشريف
مجد الدين المشهور بصالح مجدي بك: باحث، مترجم، وشاعر. وُلِدَ
بقرية «أبو رجوان» وهي من قرى الجيزة بمصر، وكان جدّه قد هاجر من
مكّة إلى مصر، بدأ بالدراسة في «الكتاتيب» ثم انتقل ليدرس في مدرسة
الألسن بالأزبكية وتعلم اللغة الفرنسية وكان أستاذه رفاعة الطهطاوي،
وعمل في الترجمة.

نشأ نشأة عسكرية ووصل إلى رتبة بكباشي «مقدم» ولما ولي
الخديوي إسماعيل، انتدبه لترجمة القوانين الفرنسية المعروفة باسم
«كود نابليون» فترجمها إلى العربية، ثم أنتقل إلى القضاء.
ونقل الزركلي عن علي مبارك أن لصالح مجدي من التراجم
والمؤلفات ما يزيد على ٦٥ كتاباً ورسالة^(١).

تُوفي في العام ١٨٨١ م ودفن في مقبرة الإمام الشافعي.
أمّا زوجته وأمّ وَلَدِهِ الوحيد فقد كانت توفيت عام ١٨٦٤
ميلادي^(٢)، وهي شابة فرثاها بواحدة من أجمل قصائده.

(١) «الأعلام» للزركلي: الجزء السادس ص ١٦٥.

(٢) أرخ الشاعر لسنة وفاة زوجته «عائشة» في عجز البيت الأخير من القصيدة:
«العبوشة دار النعيم بناها» وهي تساوي في حساب الجمل ١٢٨١ هجرية أي
١٨٦٤ ميلادية.

أُنُوحُ كَثُكَلَى

«تفاصيل موت عائشة^(١)»

بِرُوحِي مَنْ رَبُّ الْمُنُونِ رَمَاهَا
بِصَائِبِ سَهْمٍ سَالَ مِنْهُ دِمَاهَا
وَعَادَرَنِي مِنْ بَعْدِ شَرْخِ شَبَابِهَا
أُنُوحُ كَثُكَلَى جَفَّ مَاءُ بُكَاهَا
أُنُوحُ كَثُكَلَى عِنْدَ فَقْدِ وَجِيدِهَا
تَقَطَّعُ فِي يَوْمِ الْوَدَاعِ حَشَاهَا
أُنُوحُ كَثُكَلَى عِنْدَ فَقْدِ وَجِيدِهَا
قَضَى بَعْلُهَا قُورًا وَخَابَ رَجَاهَا
أُنُوحُ كَثُكَلَى مَاتَ بَعْدَ حَلِيلِهَا
أُخُوَهَا وَبَاقِي قَوْمِهَا وَفَتَاهَا
«أَعَائِشُ» لَوْلَا أَنَّنِي لِمُحَمَّدٍ
وَلِيِّ وَأَخْشَى أَنْ يَضِيعَ سَفَاهَا
لَشِيعَ نَعْشِي قَبْلَ نَعْشِكَ صَارِمُ
يُبْلَغُ نَفْسِي سُؤْلَهَا وَمُنَاهَا
«أَعَائِشُ» لَوْ تُفْدَى بِبَعْلِ حَلِيلَةٍ
لَكَانَ لِنَفْسِي فِي الْفِدَاءِ رِضَاهَا

(١) «ديوان صالح مجدي» طبعة بولاق ١٣١١ هجرية = ١٨٩٣ ميلادية ص ٢٤٧
قصيدة «مرثية حليف الأحزان».

فَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو قَبْلَ مَوْتِكَ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ: مَاتَ الْمَجْدُ وَهُوَ فِدَاهَا
«أَعَائِشُ» إِنَّ الْعَيْشَ بَعْدَكَ مَا صَفَا
لِمَنْ طَلَّقِ الدُّنْيَا وَحَلَ وَكَاهَا^(١)
أَظْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتُ مَعِيَ بِهَا؟
وَأَنْتِ لِعَيْنِي نُورُهَا وَضِيَاءُهَا
«أَعَائِشُ» حِفْظِي لِلْعُهُودِ سَجِيَّةً
أَقُومُ وَإِنْ خَانَ الْوَرَى بِوَفَاها
فَيَا طَالَمَا عَايَنْتِ مِنِّي مَوَدَّةً
يَدُومُ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ بَقَاها
«أَعَائِشُ» صَبْرِي عَيْلَ مُذْ بَنَتْ وَانْقَضَتْ
لِيَالِي مَسَرَّاتٍ مَضَتْ بِسَنَاهَا^(٢)
وَكَيْفَ تُطِيقُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ سَاعَةً
حُشَاشَةُ صَبٍّ فِي الْمَنُونِ شِفَاهَا
«أَعَائِشُ» أُمِّي حِينَ مَاتَتْ تَخَرَّبَتْ
دِيَارُ أَبِي قَبْلَ انْقِضَاءِ عَزَاهَا
وَعَاشَ قَلِيلًا بَعْدَهَا بَيْنَ أَهْلِهَا
عَلِيلًا حَلِيفَ الْحُزْنِ ثُمَّ تَلَاهَا

(١) الركاء: ما يشدُّ به رأس القربة.

(٢) عيل صبره: أي غلبَ على أمره.

وَمَهِيَّاتٍ أَنِّي لَا أَمُوتُ بِحَسْرَةٍ
سَرِيعًا عَلَى شَمْسِ الْعُلَا وَضَحَاهَا
«أَعَائِشُ» إِنَّا عَنْ قَرِيبٍ سَنَلْتَقِي
عَلَى حَوْضِ يَاسِينَ الْمُشْفَعِ طَاهَا
وَأَنَا سَنَنْسَى مَا لَقِينَا مِنَ الْعَنَا
وَنَذْكُرُ فِي الْجَنَّاتِ حُسْنَ صَفَاهَا
«أَعَائِشُ» إِنِّي عَنْكَ رَاضٍ فَسَارِعِي
إِلَى رَوْضِ جَنَّاتٍ يَفُوحُ شَذَاهَا
وَفُوزِي بِرِيحَانٍ وَرَوْحٍ وَنَعْمَةٍ
وَفَاكِهَةٍ لَذَّةٍ وَطَابَ غِذَاهَا^(١)
وَبِالْوَضْلِ نَحْطِي فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ
لَكَ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ بَنَاهَا
فَلَا كَانَ حَبْسُ الظَّمْثِ أَوْدَى بِجَسْمِهَا
إِلَى ذَاتِ جَنْبٍ فِيهِ عَرٌّ دَوَاهَا
وَلَا كَانَ لَيْلُ السَّبْتِ مِنْ رَجَبٍ أَتَى
بِصَرْعٍ وَهَتْ فِي الْحَالِ مِنْهُ قَوَاهَا
وَلَا كَانَ بَعْدَ الصَّرْعِ خَالَطَ عَقْلَهَا
ذُهُولٌ طَوَى مَنْشُورَ نُورٍ حِجَاهَا

(١) الروح: الرائحة الطيبة، ومن معانيها كذلك: الراحة.

وَلَا كَانَ بَذْرٌ جَاءَ يُخْبِي مَوَاتَهَا
 بِطَبِّ عَسِيفٍ كَانَ فِيهِ أَذَاهَا
 فَإِنَّ انْصِبَابَ الْمَاءِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهَا
 عَلَى رَغَمِ أَنْفِي كَانَ فِيهِ بِلَاهَا
 وَفِي الْأَخْذِ مِنْهَا لِلدَّمَاءِ مَدَامِعِي
 رَوَتْ كُلَّ أَرْضٍ لَا يُقَاسُ فَضَاهَا
 وَفِي الْخَرْدَلِ الْمَوْضُوعِ مِنْ فَوْقِ سَاقِهَا
 شَوَاطِظُ بِقَلْبٍ فِيهِ شَيْدٌ جَمَاهَا^(١)
 وَفِي نَزْعِهَا إِثْلَافٌ مُهْجَةٌ سَامِعٍ
 مُطْبِعٍ مُجِيبٍ بِالْقَبُولِ نَدَاهَا
 وَلَا كَانَ شَهْرُ اللَّهِ سَابِعُ عَشْرِهِ
 بَدَتْ شَمْسُهُ إِلَّا بِغَيْرِ عَنَاهَا
 وَلَا كُنْتُ يَا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ مُشْرِفًا
 بِفَقْدِ فَتَاةٍ لَا أَحَبُّ سِوَاهَا
 وَلَا كُنْتُ يَا يَوْمَ الْوَدَاعِ أَتَيْتَنِي
 بِمَا فِيهِ عِنْدِي لِلنُّفُوسِ شِفَاهَا
 وَلَا كُنْتُ يَا صُبْحَ الْقَطِيعَةِ مُسْفِرًا
 بِنَزْعِ الثَّرِيَّا مِنْ نُجُومِ سَمَاهَا

(١) الشواظ: اللهب.

وَلَا كُنْتُ يَا لَيْلَ الْفِرَاقِ مُفَاجِئًا
 بِنَعْيِ الْتِي لِي مَسَاغَ بَتْ ثَنَاهَا
 فَلَيْتَ سُهَادِي طَوْلَ لَيْلِي بِالَّذِي
 لَهَا كَانَ عَنْهَا رَدٌّ بِأَسْرَ رَدَاهَا
 وَلَيْتَ إِهْتِمَامِي بِالْبُخُورِ أَفَادَنِي
 لَهَا صِحَّةٌ فِيهَا يَطْوُلُ مَدَاهَا
 وَلَيْتَ إِعْتِنَائِي بِالثَّمَائِمِ عَمَّهَا
 بِنَفْعٍ وَعَنْهَا قَدْ أَزَالَ عِيَاهَا
 وَلَيْتَ رِضَاهَا بِالْعِلَاجِ إِطَاعَةً
 لِأَمْرِي بِالْعُمْرِ الطَّوِيلِ حَبَاهَا
 وَلَيْتَ غُرَابَ الْبَيْنِ قُصَّ جَنَاحُهُ
 وَلَا كَانَ لِي قَبْلَ الْأَوَانِ نَعَامَا
 وَلَيْتَ زَمَانِي مَا سَقَانِي لِفَقْدِهَا
 بِكَاسِ فِرَاقِ الْهَوَانِ مَلَاهَا
 وَلَيْتَ الْمَنَايَا حِينَ فُوقَ سَهْمُهَا
 إِلَيَّ نَخَرَهَا شُلْتُ بِمَضَرٍ يَدَاهَا
 وَلَيْتَ الرُّدَى مَا كَانَ جَرَّدَ سَيْفُهُ
 وَشَقَّ بِهِ أَحْشَاءَهَا وَكِلَاهَا
 وَكَانَ رَمَانِي مِنْ كِنَانَةِ نَبْلِهِ
 بِمَا فِيهِ لِي حَتْفِي وَفِيهِ نَجَاهَا

وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ بِأَفْرَاحٍ نَجَّلَهَا
«نَظِيمٍ» تَحْلَى جِنْدُهَا بِحُلَاهَا
وَكَانَتْ رَأَتْ مِنْ نَسْلِهِ نَحْوَ عَشْرَةٍ
بِهِمْ يَزْدَهِي بَيْنَ النِّسَاءِ بِهَاهَا
وَكَانَتْ بِهِمْ عَنِّي إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا
تَسَلَّتْ وَعَاشَتْ مَعَهُمْ بِخَبَاهَا
وَكَانَتْ تَرَى فِي النَّوْمِ رُوحِي تَزُورُهَا
كَمَا تَشْتَهِي فِي صُبْحِهَا وَمَسَاهَا
فَلَسْتُ عَلَيْهَا بِأَخْلًا بِحُشَاشَةٍ
بَرْتَهَا مَوَاضِي صَدُّهَا وَجَفَاهَا
وَيَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ حَمَلِ سَرِيرِهَا
وَقَفْتُ مَعَ الْأَمْوَاتِ تَحْتَ لَوَاهَا
وَلَا مَحَى رَسْمِي لَدَى قَبْضِ رُوحِهَا
وَسَرْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَرَاهَا
وَهَالُوا عَلَى جِسْمِي وَجِسْمِ حَلِيلَتِي
تُرَابِ الرُّضَا كَيْمَا بِهَا أَتْبَاهِي
وَأَظْفَرُ مِنْهَا فِي الضَّرِيحِ بِقُرْبِهَا
وَأَرْشَفُ مِنْهَا ثَغْرَهَا وَلَمَاهَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي وَهِيَ رُوحِي وَرَاحَتِي
بِأَنِّي أَخِيَا بَعْدَ يَوْمٍ فَنَاهَا

وَلَكِنَّ أَمْرَ اللّٰهِ فِي الْخَلْقِ نَافِذٌ
وَلَيْسَ لِنَفْسٍ أَنْ تَرُدَّ قَضَاءَهَا
فَطُوبَى لَهَا حَيْثُ الْمُتَّهِمِينَ خَصَّهَا
بِرَحْمَتِهِ لَمَّا أَرَادَ لِقَاءَهَا
وَسَارَتْ إِلَى جَنَّاتٍ عَذْنٍ فَقَابَلَتْ
بِهَا فِي نَعِيمٍ أُخْتَهَا وَأَبَاهَا
وَحَالَتَهَا مَعَ بِنْتِهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ
بِهَا إِزْدَادٌ فِيهَا أَنْسَهَا وَمَنَاهَا
وَرِضْوَانٌ مُذْ وَافَتْهُ قَالَ مُورِّخًا:
لِعَيَّوشَةَ دَارَ النَّعِيمِ بَنَاهَا

حَنَّا الْأَسْعَدُ

(١٢٣٥ - ١٣١٥ هـ = ١٨٢٠ - ١٨٩٧ م)

حَنَّا بن أسعد بن جريس أبي صعب اللبناني المعروف بحنا بك الأسعد، من أسرة المشايخ الموارنة أبي الصعب الشهيرين بنواحي «البترون» كان أبوه أمين سرّ عسكر الأمير «بشير الشهابي الكبير» فنشأ صغيراً على حبّ الآداب فاتخذه الأمير في خدمته فتعلّم العلوم اللسانية وبرع في الخط العربي حتى ضُربَ المثل في خطّه البديع. ولما سار الأمير بشير إلى «مالطة» اختاره بصفة كاتب لأسراره فرافقه إلى تلك الجزيرة ثم إلى «الآستانة» وانتهاز الفرصة ليتعلم لغات عدّة كـ«الإيطالية» و«الفرنسية» و«التركية» ودرس الفنون العصرية حتى أصاب له شهرة واسعة. ولما عاد إلى وطنه انتدبته الحكومة لعدة مناصب مُدَّة أربعين سنة، وكان أوّل من حاز لقب «البيك» بين مسيحيي لبنان وبرّ الشام. توفي في أواسط سنة ١٨٩٦. ولحنا بك الصعبي رسالات وشروح لم تطبع وله شعرٌ كثيرٌ تفتّن فيه وأجاد وقد جمعه في ديوان طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت^(١).

(١) «تاريخ الآداب العربية ١٨٠٠ - ١٩٢٥» لويس شيخو ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ دار المشرق بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩١ الجزء الثاني ص ٢٨٥.

مَاسَةُ التُّرَابِ (١)

أَصَاقَ الْفَضَا الْمَوْهُومُ تِلْقَاءَ مُقْلَتِي
أَمْ الطَّالِعُ الْمَشْرُومُ أَعْمَى بِصِيرَتِي؟
أَمْ الْفَلَكَ الْغَدَّارُ أَرْخَى سُدُولَهُ
فَحَجَّبَ نُورَ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ
أَرَانِي كَمَا الْعُشَوَاءُ فِي حَوْمَةِ الضُّحَى
أَخَابِطُ بِالذَّهْيَاءِ فِي جَوْفِ ظُلْمَتِي
أَطُوفُ مَفَازَاتِ الدَّوَاهِي مُشْتَتَاً
وَقَدْ بَثُّ جَوَاباً بِأَوْعَارِ حَيْرَتِي
وَقَدْ صَالَ ذُو الْكَيْسَانِ بِالضُّرِّ وَالْأَسَى
عَلَيَّ بِجَيْشِ الْغَدْرِ كَرَّارَ صَوْلَةٍ (٢)
دَعَانِي وَقَوْدًا لِلسَّعِيرِ مُقْلَباً
بِقَلْبِي لَطَى الْإِحْرَاقِ فِي كُلِّ حُرْقَةٍ
رَمَانِي بِأَوْصَابِ صَرِيحاً إِلَى الْبَلَا
وَقَدْ ذَكَ بِالْأَشْجَانِ أَطْوَادَ رِفْعَتِي
تَلَقَّفَ مِنِّي الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَغْتَةً
وَمَا زَالَ فِي جَدٍّ إِلَى خَطْفِ مُهْجَتِي

(١) هو تاريخ وفاة زوجته كما يتضح من حساب الجمل في عجز البيت الأخير من القصيدة.

(٢) الكيسان: الغدر، والعرب تكني عن الغدر بأبي كيسان.

دَعَانِي وَحِيدًا فَاقِدَ الرُّشْدِ وَالْهَدَى
وَقَدْ بَثُّ فِي الْأَرْزَاءِ أَبْكِي بِوَحْدَتِي
أَمَاتَ الْبَهَا وَاللُّطْفَ وَالظُّرْفَ وَالزَّهَى
وَصَبَّرَ مَاسَ الْحُسْنِ ثُرْبًا بِثُرْبَةٍ
لَفَيْتُ الْوَلَا الْمَقْرُونُ أَمْسَى مُفَرَّقًا
وَبَثُّ قَرِينِ الْبُؤْسِ بَعْدَ الْقَرِينَةِ
أَذْلَكَ مِنْ دَهْرِ ظُلُومٍ عَلَى الْمَلَا
يُفَاخِرُ فِي ظُلْمٍ بِوَقْعِ الْبَلِيَّةِ
أَهْدِي فِعَالٍ بِالْمَنْوُنِ لَقَدْ نَمَتْ
وَقَدْ ضَيَّعَتْ مَنِي الْمُنَى بِالْمَنِيَّةِ
بَوَارُ أَرَاشِ الْقَلْبِ فِي سَهْمِ غَدْرِهِ
فَشَقُّ بِهِ خَلْبِي بِمِخْلَابِ نَبْلَةٍ^(١)
أَذَارَ رَحَى الْكَيْسَانِ وَالْجَوْرِ وَالرَّدَى
وَفَتَّتْ أَغْطَامِي بِفَقْدِ الْعَظِيمَةِ
دُرُوجُ دَعَا مَاسِي ثُرَابًا بِبَغْيِهِ
وَأَحْمَدُ نُورَ الْحُسْنِ مِنْ صُبْحِ طَلْعَةٍ
أَيَا غَاشِمَا أَغْشَى الْغَزَالَهَ فِي الضُّحَى
غَيَاهِبَ بَرْدٍ أَغْرَبَتْهَا بِغُرْبَةٍ

(١) الْخَلْبُ: حِجَابُ الْقَلْبِ.

أَيَا ظَالِمًا بَتُّ الْمَظَالِمِ دَابَّةُ
عَلَى الْبَغْيِ مَفْطُورٌ بِأَفْبَحِ فِطْرَةٍ
أَيَا بَاغِيًا يَبْغِي مُلَاشَاءَ عَالِمِ
لَعَلَّكَ مَجْبُورٌ بِطِينِ الضَّغِينَةِ
أَمَا لَكَ فِكْرٌ يَخْتَشِي دَوْرَ غَائِلِ
وَلَا قَلْبٌ مَخْلُوقٍ بِأَنْسِ الطَّبِيعَةِ؟
أَيَا قَاسِيًا قَلْبًا فَهَلْ جَازَ أَنْ تَرَى
حَلَالًا يَقْتُلُ الْعَمْدَ مِنْ دُونِ زَلَّةِ
«فَالْمَاسْتِي» كَانَتْ عَلَى الظُّهْرِ وَالتَّقَى
تُتَابِعُ أَمْرَ اللَّهِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
ظَهُورُ حَكَّتْ شَمْسَ النَّهَارِ نُعُوتُهَا
تُجَلُّ بِأَنْوَارٍ إِذَا مَا تَجَلَّتْ
مَحَاسِنُهَا الْغُرَاءُ يُبْهِرُ نُورُهَا
بَصَائِرَ مَنْ خُصُّوا بِحُسْنِ الْبَصِيرَةِ
بَدِيعَةُ أَوْصَافٍ تَسَامَتْ بِوُضُفِهَا
بَرِيعَةُ الْطَافِ سَبَتْ كُلُّ مُقْلَةٍ^(١)
لِظُلُغَتِهَا الْحَسَنَاءِ تَرْنُو كَوَاكِبُ
كَمَا سَجَدَتْ لِلْفَرْقِ شَمْسُ الْمَجَرَّةِ

(١) البريعة: المرأة الفايقة الجمال والعقل.

وَمُقْلَتْهَا الْوُسْنَاءُ لَمْ تُبْقِ وَاسِنًا
 وَهَلْ شَيْمَ نَعْسَانٌ يَجُودُ بِبِقْظَةٍ^(١)
 وَكَمْ أَخَجَلَ الْجُورِيَّ زَهَوًا خُدُودَهَا
 وَقَدْ بَاتَ مَخْفُورًا وَأَيَّةَ خَجَلَةٍ
 وَكَمْ بَاتَ عِقْدُ الدَّرِّ يَبْغِي تَسْتُرًا
 بِإِسْفَارِهَا تِلْكَ الدَّرَارِي بِضِحْكَةٍ^(٢)
 سَمَا جِيدُهَا صَافِي اللَّجَيْنِ ضِيَاءُهُ
 فَبَاتَتْ ظَبَا الْأَوْجَارِ فِي غَارٍ وَجَرَةٍ^(٣)
 وَمُذْ ضَارَعَ الْخُطْيَ لَيْنًا قِوَامُهَا
 غُصُونُ النَّقَا خَرَّتْ سُجُودًا بِحِشْمَةٍ^(٤)
 وَكَمْ قَدْ سَمَتْ دُرًّا جَوَاهِرُ ثَغْرِهَا
 أَصِيغَتْ مِنَ الْأَلْمَاسِ فِي صُنْعِ قُدْرَةٍ
 مُكَمَّلَةٌ الْأَلْطَافِ بِالْحُسْنِ وَالْبَهَا
 مُجَمَّلَةٌ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ لَهْجَةٍ
 فَرِيذَةُ خَلْقٍ أَحْكَمَ اللَّهُ خَلْقَهَا
 حَمِيدَةُ خُلُقٍ فَاقَ حَمْدَ الْخَلِيقَةِ

(١) شَيْمٌ، مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، مِنْ شَامَ: أَيِ نَظَرَ، قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ «أَمَوِي»:

وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنَيَّ تَفَرُّسًا
 كَمَا شَيْمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ.

(٢) الدَّرَارِي: جَمْعُ مَنْشُوبٍ لِلدَّرِّ.

(٣) الْأَوْجَارُ: جَمْعُ وَجَرَةٍ وَهِيَ الْحُفْرَةُ الَّتِي تَنَامُ فِيهَا الظُّبَاءُ وَالْوَحُوشُ.

(٤) الْخُطْيُ: الرَّمْحُ، وَسَنِيْبٌ إِلَى الْخَطِّ بِالْبَحْرَيْنِ.

أَنْارَتْ سَمَا الْبُنَّانَ مِنْ نُورِ بَذْرِهَا
 وَقَدْ شَهِدَ الْآفَاقُ فِي ذَا وَقَرَّتِ
 وَحَارَتْ ثَنَاءً فَاقَ وَضْفِي سَنَاؤُهُ
 عَفَافاً سَمَا طُهِراً وَكُلَّ قَضِيلَةٍ
 وَلَهَجَتْهَا مَذْحُ الْأَنَامِ تَعَشَّقَتْ
 وَلَمْ تَأْتِ فِي هَجْوٍ وَلَفْظِ النَّبِيْمَةِ
 وَضِيْعَةُ قَلْبٍ وَالسُّمُورُ مَقَامُهَا
 كَرِيْمَةُ قَنْسٍ سَادَ سُنُكَ الْبَسِيْطَةِ^(١)
 وَلَوْ فَاخَرَتْ كُلَّ الْعِبَادِ بِحُسْنِهَا
 لَقَرُّوا وَكُلُّ قَالَ: أَنْتِ مَلِيْكُنِي
 فَوَيْحَكَ يَا هَذَا الْبَوَارِ فَهَلْ يُرَى
 جَوَازاً تُجَازِي الْخَيْرَ شَرّاً بِنَقْمَةٍ
 أَقْلُبُكَ جُلْمُودٌ وَلَسْتُ بِبَاصِرٍ
 أَمْ الطَّبَعُ مَطْبُوعٌ بِصَدْرِ الْمَضْرُوءِ؟
 أَلَا الْكُفْرُ أَنْ تُلْقَى الطَّرِيقَةُ فِي الثَّرَى
 وَهَلْ جَازَ دَفْنُ الْمَاسِ دَهْراً بِحُفْرَةٍ؟
 أَمَا رَقٌّ مِنْكَ الْقَلْبُ حِينَ نَظَرْتَهَا؟
 بَرْقَةُ الْطَافِ حَكَّتْ حُورَ جَنَّةٍ

(١) الْقَنْسُ: الْأَضْلُ.

أَمَا لَانَ مِنْكَ الطَّبْعُ مِنْ لَيْنِ طَبْعِهَا
وَمِنْ قَرِطِ إِنْسَانٍ وَحُبِّ السَّكِينَةِ؟
أَمَا خَجَلْتَ عَيْنَاكَ حِينَ تَفَرَّسْتَ
بِرُؤْيَا مَلَاكِ فَاقٍ فِي حُسْنِ صُورَةٍ
أَمَا ارْتَعَشْتَ يُمْنَاكَ حِينَ مَدَدْتَهَا
إِلَى قَبْضِ هَاتِيكَ الِیْمَنِ الطَّرِيقَةِ؟
وَهَلَّا أَبَى نُطْقًا لِسَانُكَ حِينَمَا
تَلَوْتَ: اتْرُكِي صَحْبًا تَعَالَى بِصُحْبَتِي؟
تَلَقَّفَتْهَا يَا ذَا الْبَغْيِ بِبَغْتَةٍ
فَلَيْتَكَ لَمْ تَظْفَرْ لَدَيْنَا بِبُغْيَةٍ
وَصَيَّرْتَ رَبْعًا كَانَ بِالْأَنْسِ زَاهِيًا
بِشَوْبِ سَوَادٍ مِنْ دِيَاغِي الدُّجْنَةِ
وَبِثْنَا حَيَارَى بِالشَّجُونِ بِلَا هُدًى
نَجُوبُ مَفَازَاتٍ بِغَمٍّ وَلَهْفَةٍ
فَيَا لَهْفِي مَا الْبَدْرُ قَدْ غَابَ وَانْثَنَى
وَمَالِي إِلَى بَذْرِي رَجَاءٌ بِعَوْدَةٍ
فَيَا لَهْفِي مَا الشَّمْسُ ذَرَّتْ بِشَرْقِهَا
وَيُفْعِمُنِي نَوْحِي غَصِيصًا بِشَرْقَةٍ^(١)

(١) ذَرَّتِ الشَّمْسُ: طَلَعَتْ.

فَبَا حُزْنِي مَا الْوَرْدُ قَدْ لَاحَ زَاهِيَا
كَأَوْزَادِ هَاتِيكَ الْخُدُودِ النَّصِيرَةِ
فَبَا شَجْنِي مَا الْمَاسَ ضَاءَتْ عُقُودُهُ
تُضَارِعُ ثَغْرًا مِنْ دَرَارِ نَفِيسَةٍ
فَأَنَّى وَلَا أَبْكِي دُمُومًا عَلَى النَّبِيِّ
تَجَلَّتْ بِذِي الدُّنْيَا بِذَاتِ فَرِيدَةٍ
فَأَنَّى وَلَا أَبْكِي عَلَى مَنْ تَسَرَّبَلَتْ
مِنْ الْحُسْنِ وَالتَّقْوَى بِأَبْهَجِ حُلَّةٍ
فَأَنَّى وَلَا أَبْكِي عَلَى مَنْ تَجَلَّلَتْ
جَمَالًا بِأَخْلَاقٍ سَمَتْ كُلَّ خِلْقَةٍ
تَجَمَّعَ حُسْنُ الْكَوْنِ طَرًّا بِوَجْهِهَا
وَحَازَتْ كَمَالًا مُذهِشًا كُلَّ فِكْرَةٍ
أَيَا حَرَّ قَلْبِي زِدْ سَعِيرًا حُشَاشَتِي
وَلَا تَتَّيِدْ مِنْ هَثَنِ أَمْطَارِ عِبْرَتِي
أَيَا لَهَجَتِي زِيدِي حَنِينًا وَأَنْشِدِي
رِثَاءَ عَلَى طُولِ الْمَدَى لِلْحَبِيبَةِ
أَيَا آلَ بَيْتِي بِالْجَدَادِ أَلَا الْبُسُورَا
سَوَادًا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ الْمَدِيدَةِ
أَلَا أَيْنَ هَاتِيكَ الْمَلِيكَةُ لَنْ تُرَى
أَغَادَرَتْ الْأَوْطَانَ عَنَّا بِرِخْلَةٍ؟

أَلَا أَيْنَ مَنْ كَانَتْ إِلَى الْقَلْبِ سَلْوَةٌ
 تُزِيلُ كُرُوبِي مِنْ هُمُومٍ وَغُصَّةٍ
 وَأَيْنَ الَّتِي كَانَ الصُّرُوحَ مَقَرُّهَا
 وَتَخْطُرُ فِي أَسْمَى خُدُورِ سَنِيَّةٍ
 فَهَلْ جَازَ أَنْ تَتَوَيَّ الرُّمُوسَ ضَجِيعَةً
 بِجَوْفِ الثَّرَى مَنْ بَعْدَ نَوْمِ الْأَسِرَّةِ
 أَيَا لَائِمِي خَلِّ الْمَلَامَ فَهَلْ تَرَى
 حَلَالاً سُلُوبِي أَنْجِلَالَ الْحَلِيلَةِ
 فَحَاشَا فَمَا السُّلُوانُ بِالْحُرِّ لَائِقُ
 وَهَلْ يَتَّبِعِي السُّلُوانَ صَافِي السَّرِيرَةِ؟
 فَإِنِّي لَا بَكِيَّهَا مَدَى الدَّهْرِ نَائِحاً
 وَأَهْمِي دُمُوماً مِنْ عُيُونِ قَرِينَةٍ
 وَهَلْ أَتَنِي عَنْ حِفْظِ عَهْدٍ لِمُهَجَّتِي
 وَحِفْظِ الْوَلَا وَالْعَهْدِ دَائِي وَشَيْمَتِي
 فَإِنِّي عَلَى حِفْظِ الْعُهُودِ لَثَابَتُ
 وَلَمْ أَتَّصِفْ، عُمْرِي، بِنَقْصِ الْمُرُوءَةِ
 وَإِذْ قُلْتُ يَا مَوْلَايَ بِالرُّحِمِ حِفَّتُهَا
 دِهَاراً بِأَخْذَارِ النَّعِيمِ بِنِعْمَةٍ
 وَنَادَيْتُ: يَا بِكْرًا طَهُورًا كَرَامَةً
 لَهَا مِنْ كَرِيمٍ بَاذِلٍ كُلِّ رَحْمَةٍ
 فَقَالَتْ لِقَلْبٍ بَاتَ أَرْخَ بَوَاجِدِهِ
 لِحْنًا حَنِينُ النُّوحِ فِي طَوْلِ غَيْبَتِي

حَسَنُ الطُّوَيْرَانِي

(١٢٦٧ - ١٣١٥ هـ = ١٨٥٠ - ١٨٩٧ م)

حسن حسني الطُّوَيْرَانِي بن حسين عارف بن حسن سهراب بن محمود، شاعرٌ تركيُّ الأصل مُستعرب، تعود أصوله إلى تويران «من قضاء سالونيك وهي إحدى مدن اليونان حالياً» وُلِدَ في مصر وتوفي في الآستانة «اسطنبول» نشط منذ حداثة في العلم والأدب حتى برز بين كُتَّاب زمانه وقضى قسماً من عمره في السباحة في أفريقيا وآسيا وبلاد الروملي «رومانيا» وأنشأ عدة جرائد كـ «الزمان» و«الإنسان» و«النيل» و«العدل» و«مجلة المعارف» و«المجلة الزراعية» وألف تأليف عديدة دينية واجتماعية وأدبية بعضها تركية وبعضها عربية. وله ديوان شعر سمَّاه «من ثمرات الحياة» اختار قسماً منه عبد الغني العريسي وطبعه في مصر سنة (١٣٢٥هـ)^(١).

وله مسرحية بعنوان «مدهشات» وله مؤلفات عدة أخرى مطبوعة منها «الحقُّ روحُ الفضيلة» و«خطُّ الإشارات» و«مصباح الفكر في السير والنظر» و«النَّثر الزهري في رسائل النسر الدهري»

يَا حَامِلِي نَعَشِ الْحَبِيبِ

قِفْ نَحْوَ أَظْلَالٍ دَرَسْنَ خَوَالِيَا

وَأَنْدُبَ زَمَانًا مَرَّ قَلْبَكَ خَالِيَا

(١) تاريخ الآداب العربية/ لويس شيخو/ الجزء الثاني ص ٢٢٨.

وَادْكُرْ لَنَا عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالصُّبَا
 وَلَذِيذَ أَنْسٍ كُنْتَ تَغْنَمُ صَابِيَا
 أَوْ جُرَّ أَذْيَالِ الْخَلَاعَةِ رَافِلًا
 أَوْ جِنْدَ عُمُرٍ بِالْمَسَرَّةِ حَالِيَا
 وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا وَكَيْفَ تَقَلَّبَتْ
 وَمَحَتْ رُسُومَ أَحِبَّةٍ وَمَعَانِيَا
 مَنْ كَانَ يَأْمَنُهَا وَيَأْمَنُ مَكْرَهَا
 نَبَّهَهُ أَنْ يَلْقَى الَّذِي لَاقَانِيَا
 نُثِرَتْ ثُرَيَّاها وَغَابَ مُنِيرُها
 وَخَلَّتْ سَمَاها فَاثْدَهَيْنَ لِمَا بَيَا
 فَاسْتَقْصِرَ فَيْضَ الدَّمْعِ بَعْدَهُمَا فَمَا
 تَبَغَّيَ مِنَ الدُّنْيَا وَتَخَضَّعُ رَاجِيَا
 وَاجِرِ الْعُيُونِ عَلَى جَنَانِ مَعَاهِدِ
 فِيهَا عَهْدَتِ الْقُرْبِ كَأَسَا صَافِيَا
 وَاحْرُقْ قُودًا كَانَ مَنْزِلَ وَدْهِمِ
 كَيْ لَا تَرَاهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ آوِيَا
 وَإِذَا اسْتَعَاثَ تَجَاهُلًا مِمَّا جَرَى
 قُلْ مَاتَ رَبُّعُكَ عَادَ رَبُّعُكَ فَايِيَا
 يَا قَلْبُ أَيْنَ أَحِبَّةٌ آوَيْتَهُمْ
 حَفُظُوا الْعُهُودَ وَلَمْ يَزُلْنَ غَوَالِيَا

يَا قَلْبُ أَيْنَ الْبَذْرُ أَنْ مَحَافُهُ
أَمْ بَاتَ فِي التُّرْبِ الدَّوَارِسِ خَافِيَا؟
يَا قَلْبُ أَيْنَ ذُرُو الْبَشَاشَةِ وَالْبَهَا
وَالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ، مَاتَ وَدَادِيَا؟
يَا قَلْبُ جَدِّدْ لِي عُهُودَ تَشْوُقِي
كَانَتْ لَهُمْ وَالْيَوْمَ تِلْكَ كَمَا هِيَ
يَا قَلْبُ لَمْ يَبْقَ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ
تَرْجُو وَفَاءً وَلَا يُجِيبُ مُنَادِيَا
أَسْفِي عَلَى حُسْنِ تَكَنَّفِهِ الرَّدَى
حَتَّى هَوَى فِي التُّرْبِ فَرْدًا ثَاوِيَا
أَسْفِي عَلَى غُضَنِ تَمَائِلَ لَا صَبَا
تَهْفُو وَلَا مَاءُ الْبَشَاشَةِ جَارِيَا
أَسْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ شَانُهَا
أَسَفٌ عَلَى مَنْ عَاشَ عَنْهَا رَاوِيَا
يَا خَيْرَ حَافِظَةِ الْوِدَادِ قَدَيْتُهَا
مِنْ نَازِلِ أَوْجِ النَّعِيمِ وَرَاقِيَا
أَبْكِي عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَمَا عَسَى
يُجِدِّي الْبُكَاءُ وَمَا يَجِيرُ ثَبَاتِيَا
أَتَمُوتُ قَبْلِي فِي الْمَقَابِرِ فَايَا
وَأَعِيشُ بَعْدَكَ فِي الْمَحَافِلِ بَاقِيَا؟

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ زَمَانِي وَالنَّوَى
مَا كَانَ أَغْظَمُهُ ظُلُومًا بَاغِيَا
مَنْ لِلْخَلَاةِ وَالتَّنَادُمِ بَعْدَهَا
مَنْ لِلْبَشَاشَةِ إِذْ تَشَرَّفْتُ نَادِيَا
مَنْ لِلسَّتَائِرِ وَالْقُصُورِ وَقَدْ نَرَى
حُكْمَ الْخَفَاءِ عَلَى الْمَعَالِينِ بَادِيَا
فَلْيَبْكِيهَا نَوَى السَّمَاءِ عَلَى الثَّرَى
وَلْيَرْعَهَا طَرْفُ الثَّوَابِتِ سَاهِيَا
وَلْيُضْرِمِ النُّيْرَانَ قَلْبٌ كَانَ فِي
مَا قَدْ مَضَى مَغْرَى الْجَمَالِ وَلَا هِيَا
بَانَتْ كَبَانِ رَنَحْتُهُ صَبَا النُّوَى
لَوْ «يَذِرُ» حَامِلُ نَعَشِهَا لَنَعَانِيَا
يَا رَوْضَ حُسْنٍ أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ
جَفَّتْ مَنَاهِلُهُ فُجْدَنَ مَاقِيَا
يَا شَمْسَ حُسْنٍ كُنْتَ أَضْبَحَ مَا أَرَى
لَا كَانَ أَضْبَحَ يَوْمَ حَانَ فِرَاقِيَا
يَا مَوْتُ مَالِكَ قَدْ عَبَثْتَ بِمُهْجَتِي
وَسَلَبْتَ أَنْسِي وَاسْتَبَيْتَ رَشَادِيَا؟
عَادَرْتَنِي عَنْهَا وَكَأَنْتَ جَنَّتِي
فَتَرَكْتَ مَاءَ الْعَيْنِ نَهْرًا جَارِيَا

قَدْ كُنْتُ شَهْمًا فِي الْعَظَائِمِ قَبْلَهَا
 وَالْيَوْمَ أَتَيْنَ تَجَلُّدِي وَعَزَائِيَا
 يَوْمٌ عَلَيَّ ضِيَاءٌ ثَغْرِ صَبَاحِهِ
 أَذْمَى وَأَخْلَكَ مِنْ ظَلَامَةِ حَالِيَا
 وَالصَّبْرُ قَدْ زَلَزَلْتُهُ فَتَرَكْتُهُ
 هَبًا وَكَانَ الصَّبْرُ طَوْدًا رَاسِيَا
 يَا عَيْنُ جُودِي بَعْدَهُمْ بِمَدَامِ
 تَسْقِي الشَّرَى لِنَرَى الْعُيُونُ سَوَاقِيَا
 يَا عَيْنُ مَنْ بَعْدَ الْحَبِيبِ تَرَيْنَهُ
 حُسْنًا وَمَنْ يُدْعَى سِوَاكَ مُوَالِيَا؟
 يَا عَيْنُ غُضِّي بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ ذِي
 نِيهِ وَدَلَّ فِي الْجَمَالِ تَنَاهِيَا
 يَا عَيْنُ قَدْ غَابَتْ بَوَاعِثُ نُورِنَا
 فَبَايَ نُورٍ تَنْظُرِينَ الْفَانِيَا
 يَا عَيْنُ هَذَا يَوْمٌ صَبَّ مَدَامِ
 تَدْعُ الْفَيَافِي كَالْبُحُورِ طَوَافِيَا
 يَا عَيْنُ هَذَا يَوْمٌ أَوَّلُ حَسْرَةٍ
 تَبْقَى لِأَخِرِ مَوْعِدٍ بِلِقَائِيَا
 يَا عَيْنُ مَنْ مِنْ بَعْدِهَا تَبْكِينَهُ
 أَوْ مَنْ عَلَيْهِ بَعْدَهَا قَدْ تَبَاكِيَا؟

يَا عَيْنُ فَاذْكُرِي نَمَّ فَاذْكُرِيهِمْ فَمَنْ
تَبْكِيهِمْ عَنِّي وَمَنْ تَتَوَالِيَا
يَا عَيْنُ إِنَّ لَمْ تُسْعِدِيْنِي بِالْبُكَا
فَمَنْ الَّذِي يُدْعَى سَوَانَا بِاِكِيَا
يَا عَيْنُ وَدَّعْنَا الْأَحِبَّةَ وَالْهَوَى
يَا عَيْنُ أَوْدَعْتُ الشَّهَادَ مَنَامِيَا
يَا عَيْنُ لَا تَنْسِي الْجَمَالَ وَإِنْ مَضَى
فَالْقَلْبُ لَيْسَ مَدَى الْأَذَاهِرِ سَالِيَا
كَمْ مَرًّا مِنْ عَيْشٍ بِهِنَّ غَنِمْتُهُ
وِظْلَالُ هَاتِيكَ الْغَوَايَةِ ضَافِيَا
وَالدَّهْرُ يَضْحَكُ وَالْمَعَالِمُ تَرْذَهُنِي
وَالْقُرْبُ دَانٍ وَالتَّنَائِي نَائِيَا
وَالْيَوْمُ وَجْهٌ ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ
وَاللَّيْلُ سَاتِرُهُ لِشَمْلِي وَاقِيَا
فَإِذَا غَدَوْتُ، غَدَوْتُ ظَاهِرَ غِبْطَةٍ
أَوْ رُحْتُ كَانَ مَعَ الشَّرُّورِ رَوَاجِيَا
وَالْعُمْرُ نُورٌ وَالشَّيْبَةُ نَضْرَةٌ
يَا حُسْنَ ذَا نَادٍ وَذَلِكَ زَاهِيَا
سَلَكَ الْهَوَى مَا بَيْنَنَا فِي مُهْجَتِي
ذِي خُلَّةٍ عَلِمَا الْهَوَى فَتَصَافِيَا

فِي مَهْدٍ وَدَّ قَدْ رَبَّيْنَا صُحْبَةً
 وَعَلَى كَذَا مَضَتْ السُّنُونُ تَهَادِيَا
 وَلَكُمْ ظَنُّنَا الْوَدَّ يُسْعِدُهُ الْبَقَا
 وَاحْشَرْنَا مَاتَتْ وَعِشْتُ بِمَا بِيَا
 وَيَايَ عَزَمَ لِي بِسُوءٍ تَسْتُرِي
 وَيَايَ حَزَمَ اسْتَزِيلُ عَنَائِيَا
 وَيَايَ صَبَرَ اسْتَطِيعُ فِرَاقَهَا
 وَيَايَ مَاءٍ تَنْظِفِي نِيرَانِيَا
 فَعَزَاءُ يَا نِعَمَ الْخَلِيلَةِ لَا عَزَا
 وَتَأْسِيًّا، حَاشَا، وَلَيْسَ تَأْسِيَا
 فَلَيْتَ مَحَتْ كَفُّ الثَّرَابِ مَحَاسِنَا
 فَلَقَدْ مَحَتْ صُورُ الصِّفَا عَنْ بَالِيَا
 وَالْقَلْبُ مِنِّي لَمْ يَزَلْ لَكَ مَنْزِلًا
 وَالطَّرْفُ مُنْتَظِرًا لِقَاكَ وَهَامِيَا
 وَالْوَدَّ مِنِّي دَائِمٌ لَا تَنْتَهِي
 أَنَاؤُهُ حَتَّى أَجُوبَ حَيَاتِيَا
 حُكْمُ الْإِلَهِ بَأَن يُفَرِّقَ جَمْعَنَا
 فَأَمَادَ مِنْ مَعْنَى الْحُبُورِ مَبَانِيَا
 أَبْكِي عَلَيْهَا حَسْرَةً وَتَلَهْفًا
 لَوْ أَنَّهَا تَذَرِيهِمَا لَبَكَّتْ لِيَا

يَا عَزَمَ قَلْبٍ كُنْتُ فِيهِ عَلَى النَّوَى
مَا كَانَ أَفْسَاهُ وَلَمْ يَكُ قَاسِيَا
يَا وَنَحَ صَبَّ بَانَ عَنْهُ حُبُّهُ
وَتَنَاهَبَتْ مِنْهُ الْفُرَادَ دَوَاعِيَا
إِنْ أَنْ قَالُوا: أَيْنَ مَنْ تَبَكِّيهِمْ؟
وَإِذَا بَكَى قَالُوا: نَرَاكَ مُرَائِيَا^(١)
يَشْتَاقُ أَحْبَابًا لَهُ لَوْ أَنَّهُمْ
طَلَبُوا الْفِدَاءَ لَكَانَ عَنْهُمْ فَادِيَا
وَكَذَا زَمَانُ السُّوءِ يَفْعَلُ بِالْوَرَى
كَمْ جَارٍ فِي قَوْمٍ وَخَانَ مُوَافِيَا
وَلَوْ أَنَّي خَيْرْتُ كَانَتْ بُغْيَتِي
أَنْي أَرَى مَا بِالْأَحِبَّةِ مَا بِبَا
لَكِنَّهَا حَكَمَ بِأَيْدِي قَاهِرٍ
فَهَرَّ الْعِبَادَ بِعِزَّةٍ وَيَكْبِرِيَا
وَلَقَدْ قَضَى أَنْ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ
فَإِنْ وَيُضْبِحُ لِلْفَنَاءِ مُوَافِيَا
وَهُوَ الَّذِي يَبْقَى فَجَلَّ جَلَالُهُ الْ
فَرْدُ الْمُهَيَّمِينَ غَالِيَا مُتَعَالِيَا
كَمْ مَرًّا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ مَعَاشِرُ
وَتَرَى الَّذِي يَمْضِي يُصَافِحُ آتِيَا

(١) أَنْ: يَنْ مِنْ الْآنِينَ.

مَلَكُوا الدُّنَا وَتَبَرَّأُوا مِنْ رَحْبِهَا
 مَلِكًا وَجَالُوا فِي الْغَرَامِ مَجَالِيَا
 سَلْ شَمْسَهَا كَمْ أَبْصَرْتَ مِنْ غَادَةٍ
 وَسَلِ الْأَهْلَةَ كَمْ صَحَبْنَ مُبَاهِيَا
 بَادُوا جَمِيعًا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ
 فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا سَحَابًا غَادِيَا
 وَسَلِ الثَّرَابَ فَكَمْ طَوَى مِنْ عَادِلٍ
 جُورًا وَكَمْ أَخْفَى مُنِيرًا هَادِيَا
 وَفَرَّادٍ صَارَ الثَّرَابُ مَرَاقِدًا
 فِيهَا ارْتَضَيْنَ الْعَيْشَ صَغْبًا جَافِيَا
 أَلِفْتَ تَفَرُّدَهَا عَلَى حُكْمِ الْقَضَا
 وَتَنَاسَتْ الْمَفْنَى الْعَزِيزُ تَنَاسِيَا
 وَلَوْ أَنَّهَا الدُّنْيَا صَفَتْ لِمَعَاشِرٍ
 مَا فَرَّقْتَ جَمْعَ الْكِرَامِ الْأَنْبِيَا
 فَعَلَامَ أَزْجُو الْبُرءِ مِنْ دَاءٍ نَمَا
 وَبَلَاءُ أَيُّوبَ أَرَاهُ شَفَائِيَا
 عَدَمَ الرُّسُومِ وَضَوْلُهُ مَا بَيْنَنَا
 فَمَنْ الْمُجِيبُ إِذَا يَطُولُ نِدَائِيَا
 يَا حَامِلِي نَعَشِ الْحَبِيبِ فَدَيْتُكُمْ
 سِيرُوا رُؤَيْدًا وَانْصِتُوا لِدَوَاعِيَا

وَتَمَهَّلُوا فِي سَيْرِكُمْ، لَا تَعْجَلُوا
مَا تِلْكَ إِلَّا سَاعَةٌ أُولَى بِمَا
وَقِفُوا بِنَا نُعْطِيَ الْوَدَاعَ حُقُوقَهُ
فَنَذِيعَ مَكْتُومًا وَنُظْهَرُ خَافِيَا
يَا رَحْمَةَ الْمَوْلَى عَلَى ذَاتِ الْبَهَا
يَا فَضْلَهُ بِالصَّبْرِ ثَبَّتْ رَإِثِيَا
وَسَقَاهُ مِنْ جَدِّ يَضُمُّ قِوَامَهَا
كَالْغُضَنِ مَيْلَ عَظْفِهِ خَمَرُ الْحَيَا
لَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى بَعْدَ النَّوَى
يَخْلُو مَذَاقًا أَوْ يَمُرُّ بِبَالِيَا
لَعْدَاكَ عَيْشٌ مِثْلُ عَيْشِي آسِفًا
إِنِّي ذَكَرْتُ عَلَى الزَّمَانِ تَدَانِيَا
يَا مُسْتَرِيحًا فِي الثَّرَى أَتَعَبْتَنِي
يَا غَافِيَا فِيهِ أَطَلْتَ سُهَادِيَا
لَقَّاكَ مَوْلَاكَ النَّعِيمَ قَدُمُ بِهِ
وَلِيَرْضَ عُدَالِي عَلَيْكَ شَقَائِيَا
فَكَفَى مُجِيبُكَ حَسْرَةً مِنْ قَوْلِهِ:
قِفْ نَحْوَ أَظْلَالِ دَرَسْنَ خَوَالِيَا^(١)

(١) أرخ لتاريخ وفاة زوجته في هذه الجملة، وهي تساوي في حساب الجمل: سنة

١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م

لِلْهَمِّ وَقْتُ

فِي رِثَاءِ حَبِيبَةٍ: (١)

لِلْهَمِّ وَقْتُ وَلِلْأَفْرَاحِ أَوْقَاتُ

فَلْيُضْرَمِ الْقَلْبُ أَوْ فَلْيَجْرِ عِبْرَاتُ

فَكَيْفَ صَبْرٌ وَهَلْ لِلْبَيْنِ مُضْطَبَّرٌ؟

وَكَيْفَ نَوْمٌ وَبَيْنَ الصَّدْرِ جَمْرَاتُ؟

شَكَّتْ يَدُ الْبَيْنِ مَاذَا تَبْتَغِي أَبَدًا

أَمَا كَفَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ لَوْعَاتُ؟

أَبْكِي عَلَى فَقْدِهَا بَيْنَ الْوَرَى وَلَهَا

مَا دَامَتْ الْأَرْضُ تَغْلُوهَا السَّمَاوَاتُ

حَتَّى النَّسِيمُ عَلِيلٌ فِي الْجَنَانِ سَرَى

وَالْظَّلُّ أَدْمَعُهُ وَالزُّهْرُ وَجَنَاتُ

وَلَوْ نَظَّمْتُ الثُّرَيَّا فِي الرِّثَاءِ لَهَا

أَفْنَى، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ

مَا لِلنَّوَى وَفُؤَادِي كَمْ يُعَرِّضُهُ

نَحْوَ الْجَوَى وَلَكُمْ تَرْمِيهِ آفَاتُ؟

زَفَفْتُهَا نَحْوَ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَهَلْ

يُهْدَى - فَدَيْتُكَ - لِلْجَنَاتِ جَنَاتُ؟

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ مَا لَاقَيْتُ مِنْ زَمَنِي

أَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ الصَّبْرُ الْجَمَادَاتُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَالْمَرْءُ فِي قَبْضَةِ الْأَيَّامِ عَادِيَةً
تَهْوِي بِحَالَاتِهِ فِي الدَّهْرِ حَالَاتٌ
كُلُّ النَّوَى هَيِّنٌ يَفْوَى لِصَدْمَتِهِ
مَا دَامَ لِلْقُرْبِ بَعْدَ الْبُعْدِ مِيقَاتٌ
أَرْجُو الْبَقَا رَائِيًا حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ
نَفْسِي الْإِلْقَا عَلِقْتُ بِالْمَوْتِ شَهَوَاتٌ
حَسْبُ الْفَتَى عَيْشَةٌ يَهْوَى الْحِمَامَ بِهَا
وَوَيْحَ حُبِّي يُبَكِّئُهُ الْأَلَى مَاتُوا
قِفْ مَوْقِفَ الدُّلِّ مَا بَيْنَ الْقُبُورِ وَقُلْ
يَا مَنْزِلَ الْقَفْرِ قَدْ وَافَقْتُكَ سَادَاتٌ
فَرُبَّمَا عَاشَ أَقْوَامٌ رُثُوا سَلَفًا
وَلَوْ دَرَّتْ رَثَتْ الْأَحْيَاءُ أَمْوَاتٌ
وَلِنَّمَا الْمَوْتُ خَطْبٌ يَنْجَلِينِي وَتَرَى
مَا قَدَّمَ يَدُ تَدْعُوهَا غَايَاتٌ
وَفَاقِدُ الْخِلِّ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ
فِي عَيْنِهِ فَلَهَا فِي الْقَلْبِ صُنْعَاتٌ
يَا نَفْسُ هَذَا سَبِيلٌ سَوْفَ نَسْلُكُهُ
وَذَاكَ دَنْ سَتُمْلَأُ مِنْهُ كَاسَاتٌ
إِذَا عَلِمْنَا فَلَا نَأْسَى عَلَى أَحَدٍ
فَالدَّهْرُ مَيِّدَانُنَا وَالْعُمْرُ كَرَّاتٌ
وَاللَّهُ يَبْقَى وَيَفْنَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ
فَاضْبِرْ، أَوْ اجْزَعْ، فَقَدْ يَمُحُوكَ إِبْنَاتٌ

مَحْمُود سَامِي الْبَارُودِي

(١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ = ١٨٣٩ - ١٩٠٤ م)

محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي، وكان أبوه من أمراء المدفعية، شركسي الأصل نسبته إلى «إيتاي البارود» بمصر، وكانت لأحد أجداده في زمن الالتزام^(١)، يُعَدُّ البارودي رائد عصر النهضة في الشُّعر العربي. دخل المدرسة الحربية في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى «الآستانة» فأتقن الفارسية والتركية، ولما اندلعت الثورة العراقية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقبضَ عليه وسُجِنَ وحُكِمَ بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة «سيلان». حيث أقام سبعة عشر عاماً، أكثرها في «كندي» تعلَّم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكفَّ بصره وعُفِّيَ عنه سنة «١٨٩٩م» فعاد إلى مصر وتوفي فيها بعد خمس سنوات.

مرثيته هذه كتبها في زوجته الثانية «عديلة يكن بنت المشير أحمد يكن باشا» وهي زوجته الثانية تزوجها «١٨٦٧م» وله منها ابنٌ واحدٌ وأربع بنات وتوفيت في القاهرة ١٨٨٣، وهي في السابعة والثلاثين من عمرها ونعيث له وهو كان منفيّاً بـ«سرنديب» في جزيرة سيلان.

(١) نظام الالتزام: نوع من النظام الإقطاعي بمصر خلال الحكم العثماني، يقوم على جباية الأموال والضرائب من عامة الشعب لإرسالها إلى السلطان العثماني، وقد تولى الالتزام طبقة من الأثرياء الذين كانوا يتعهدون بجمع الضرائب من الفلاحين.

يَدُ الْمُنُونِ^(١)

أَيْدِ الْمُنُونِ قَدَحَتْ أَيْ زَنَادٍ
وَأَطْرَبَتْ أَيْ شُغْلَةً بِفُؤَادِي؟
أَوْمَنْتِ عَزْمِي وَهَوَّ حَمْلَةً فَبَلَقِي
وَحَطَمْتَ عُودِي وَهَوَّ رُمَحُ طِرَادٍ
لَمْ أَذِرْ هَلْ خَطَبْتُ أَلَمَ بِسَاحَتِي
فَأَنَاحَ أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي؟
أَقْدَى الْعُيُونِ فَأَسْبَلْتُ بِمَدَامِعِ
تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ^(٢)
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَرَاغُ لِحَادِثِ
حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنْ آدِي^(٣)
أَبْلَثْنِي الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ
جِسْمِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُودِ
أَسْتَنْجِدُ الزُّقَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ
وَأُسْفُهُ الْعَبَرَاتِ وَهِيَ بِوَادِي
لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ وَلَا يَدِي
تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي

(١) «ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي» شرح: علي عبد المقصود دار
الجيل ١٩٩٥ ص ١٣٢، وكذلك في «ديوانه» طبعة دار العودة/ بيروت ١٩٩٨
تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف ص ١٥٣.

(٢) الفرصاد: الصبغ الأحمر.

(٣) آدي: قوتي.

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ
 كَانَتْ خُلَاصَةً عُذَّتِي وَعَتَادِي
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا
 أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي؟
 أَفَرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمُنْ تَوَجُّعًا
 قَرَحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
 أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ
 دُرِّ الدُّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
 يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
 كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الْإِسْعَادِ^(١)
 فَخَذُوهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةً
 وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِي
 أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيعَةٍ
 حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِي؟
 أَغَرَزَ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِيْنَةً
 فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَانِمِ الْأَسْدَادِ
 أَوْ أَنْ تَبِيْنِي عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلِ
 كُنْتُ الضُّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ

(١) الحَفِيَّةُ: الكثيرة الحفاوة التي تظهر الإكرام والسعادة بمن حولها.

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِذِيَّةً
 بِالنَّفْسِ عَنْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَاذِي
 أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةَ مِنْ فَاتِكَ
 لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ^(١)
 لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ
 فِيهَا سِوَى التَّسْلِيمِ وَالْإِخْلَادِ
 فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الْأَسَى
 عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانُ رَشَادِي؟
 أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهُوَ قَسَاوَةٌ
 أَمْ أَضْحَبُ السُّلْوَانَ وَهُوَ تَعَادِي؟^(٢)
 جَزَعُ الْفَتَى سِمَةً الْوَفَاءِ وَصَبْرُهُ
 غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْأَخْقَادِ
 وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى
 رَغْيَ التَّجَلُّدِ وَهُوَ غَيْرُ جَمَادِ
 هِنَهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي
 أَسْفًا لِبُعْدِكَ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي^(٣)

(١) الحارث بن عباد البكري: كان من سادات العرب وشعرائهم وأبطالهم في
 الجاهلية، ومن أيامه المشهورة «يوم قضّة» وهي موضع كانت فيه وقعة كبيرة
 بين قبيلتي بكر وتغلب، انتصر فيه لقومه بني بكر من بني صهم تغلب «قوم
 كليب» في حرب البسوس الشهيرة.

(٢) التعادي: التباعد.

(٣) المهاد: الفراش.

وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي
 وَالذَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي
 فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي
 وَإِذَا أَوْنْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي
 أَمْسَيْتُ بَعْدَكَ عِبْرَةً لِدَوِي الْأَسَى
 فِي يَوْمٍ كُلُّ مُصِيبَةٍ وَجَدَادٍ
 مُتَخَشِّعاً أَمْشِي الضَّرَاءَ كَأَنِّي
 أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي^(١)
 مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا
 بِلَهَيْبِ سَوْرَتِهِ وَسُقْمِ بَادِي
 وَرَدِّ الْبَرِيدِ بِغَيْرِ مَا أَمَلْتُهُ
 تَعِسَ الْبَرِيدُ وَشَاءَ وَجْهُ الْحَادِي
 فَسَقَطْتُ مَغْشِياً عَلَيَّ كَأَنَّمَا
 نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَبَّةُ وَادِي
 وَيَلُمُّهُ رُزْءٌ أَطَارَ نَعِيُّهُ
 بِالْقَلْبِ شُغْلَةٌ مَارِجٍ وَقَادٍ^(٢)
 قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّمَا
 كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَهَا بِقَتَادٍ^(٣)

(١) مشي الضراء: مشيمستخفياً والصيال: الصولة.

(٢) المارج: النار المستمرة التي لا دخان لها وإنما لهب فقط.

(٣) القتاد: شجر له شوك كالإبر.

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا
 عَظُمَتْ لَدَيَّ شِمَانَةُ الْحُسَادِ
 لَاؤُوا عَلَيَّ جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا
 أَنَّ الْمَلَامَةَ لَا تَرُدُّ قِيَادِي
 فَلَيْنَ «لَيْدٍ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ
 فِي الْحُزْنِ فَهُوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادٍ^(١)
 لَيْسَ الزَّمَانُ عَلَيَّ اخْتِلَافٍ صُرُوفِهِ
 دُولًا وَقَلَّ عَرَائِكَ الْآبَادِ^(٢)
 كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمُرُهُ
 حَقْبًا وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ
 هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ
 تَبْلُغْ شَيْبَةَ عُمُرِهَا الْمُعْتَادِ

(١) لَيْدٍ: هو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المخضرم، ولعل البارودي يشير إلى أبيات «لَيْدٍ» مخاطباً ابنته لما حضرته الوفاة:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا
 وَمَنْ أَنَا إِلَّا مِنْ «رَبِيعَةٍ» أَوْ «مُضَرٍّ»
 فَإِنْ خَانَ يَوْمٌ أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمَا
 فَلَا تَحْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرَ
 وَقُولَا: هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ لَهُ
 أَضَاعَ، وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا عَذَرَ
 إِلَى الْحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْنُكُمَا
 وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ

(٢) العرائك: جمع عريكة، وهي الطبيعة أو النفس، والآباد جمع أبد: الدهور.

فَعَلَامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ؟ وَحُكْمُهُ
لَا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الْأَضْدَادِ
سِرُّ يَا نَسِيمُ قَبْلُغِ الْقَبْرِ الَّذِي
بِحِمَى الْإِمَامِ تَحِيَّتِي وَوِدَادِي^(١)
أَخْبِرُهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَغْشَرٍ
يَسْتَجْلِبُونَ صَلَاحَهُمْ بِفَسَادِي
طَبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمْ
مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصْحَاءَ الْأَجْسَادِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى
لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ
كُلِّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقِي رَبِّهِ
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادِ
وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا
لِلْعَافِلِينَ لَوْ اكْتَفَوْا بِعَوَادِي
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ
لِمَصَارِعِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ
فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنَجَادِ

(١) حمى الإمام: المقصود مقبرة الإمام الشافعي بالقاهرة حيث دفنت زوجته
(عذيلة).

دَهْرُ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سُلْمِهِ
 فِي حَرِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَجِلَادِ
 أَفْنَى الْجَبَابِرِ مِنْ مَقَاوِلِ «حَمِيرِ»
 وَأُولَى الزَّعَامَةِ مِنْ «ثُمُودَ» وَ«عَادِ»
 وَرَمَى «قُضَاعَةَ» فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا
 بِالسُّخْطِ مِنْ «سَابُورَ» ذِي الْأَجْنَادِ
 وَأَصَابَ عَنْ غُرْضٍ «إِيَادَ» فَأَضْبَحَتْ
 مَنكُوسَةَ الْأَغْلَامِ فِي «سِنْدَادِ»^(١)
 فَسَلِ «الْمَدَائِنَ» فَهِيَ مَنجَمُ عِبْرَةٍ
 عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
 كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدْعُ
 إِلَّا بِقَايَا أَرْسَمِ وَعِمَادِ
 وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا
 «بَلْهَيْبَ» فَهُوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي^(٢)
 تُثَبِّتُكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى
 فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِنْجَادِ
 أَمَّمْ خَلَّتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا
 حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الْإِسْنَادِ

(١) سنداد: منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف، وهو أسفل سواد الكوفة،

سميت باسم «سنداد» من ملوك الفرس.

(٢) لهيب: تمثال أبو الهول في جيزة مصر.

فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ
أَوَلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادٍ؟
نَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى
أَنَّ الْمَمُوتَ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ
فَاسْتَهْدِ يَا «مَحْمُودُ» رَبَّكَ وَالتَّمِمْ
مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهُوَ نِعَمَ الْهَادِي
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الشَّرَى
بِالْأَمْسِ فَهُوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي
هِيَ مُنْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا
نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ
تَالِلِهِ مَا جَفْتُ دُمُوعِي بَعْدَ مَا
ذَهَبَ الرَّدَى بِكَ يَا ابْنَةَ الْأَمْجَادِ
لَا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكَ مَعَ الْهَوَى
هَيْهَاتَ مَا تَرُكُ الْوَفَاءِ بِعَادِي
قَدْ كَذْتُ أَقْضِي حَسْرَةَ لَوْ لَمْ أَكُنْ
مُتَوَقِّعًا لِقِيَاكَ يَوْمَ مَعَادِي
فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا
نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْأَغْوَادِ

مَاجِدُ بْنُ صَالِحِ الْخَلِيفِي

(١٢٩٠ - ١٣٢٥ هـ = ١٨٧٣ - ١٩٠٧ م)

ماجد صالح ماجد الخليفي. شاعر قطري، وُلِدَ في «الدوحة» وتوفي في منطقة «أم الكتيب» جنوبي جزيرة حالول، عاش في قطر، وزار الحجاز.

تعلَّم مبادئ القراءة والكتابة وقسطًا من التعليم الديني في الكتاب على يد «المطوَّع» بمدينة الدوحة، ثم درس علوم الدين واللغة على يد بعض العلماء.

عمل في مهنة الغوص لاصطياد اللؤلؤ، والتجارة فيه، وظل في هذه المهنة حتى وفاته غرقاً في رحلة غوص. صدر له ديوان «الخليفي» وله قصائد «نبطية» عديدة تضمن ديوانه بعضها، ولها تأثير واضح في تسرُّب بعض مفرداتها إلى شعره الفصيح.^(١)

يَا عَيْنُ جُودِي

في رثاء زوجته

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ مِذْرَارٍ

وَإِخْكِي السَّحَابَ إِذَا هَلَّتْ بِأَمْطَارٍ

(١) «مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين» الجزء الثالث إصدار مؤسسة عبد العزيز البابطين ٢٠٠١. ومحمد احمد القضاة/ الشاعر القطري: ماجد صالح الخليفي الفروسية والمغامرة/ مجلة نزوى العدد الثالث حزيران /يونية ١٩٩٥.

وَابْكِي عَلَى جَنَّةِ طَافُ الْمَنُونُ بِهَا
قَضَيْتُ مِنْهَا فَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي
يَا عَيْنُ هَذَا أَوَانُ الدَّمْعِ فَاَنْسَكِي
وَابْكِي عَلَيْهَا وَسُحِّي دَمْعِكَ الْجَارِي
فَلَوْ بَكَيْتُ عَلَيْهَا الدَّهْرَ فَيُضْ دَمٍ
فِي حَقِّهَا مَا بَلَغْتُ رُبْعَ مِغْشَارِ
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ هَذَا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فَالآنَ يَا بَيْنُ قَدْ حَقَّقْتُ أَخْذَارِي
يَا دَهْرُ مَا لَكَ قَدْ كَذَّرْتَ عِشَّتَنَا
بَعْدَ الصَّفَاءِ فَقَدْ شَيَّبَتْ بِأَكْذَارِ
أَبْقَيْتَنِي وَاحِدًا فِي الدَّارِ مُنْفَرِدًا
مِنْ بَعْدِ أَنْسِي بِهَا يَا طُولَ إِخْسَارِي
إِنْ كُنْتُ أَسْقَيْتَهَا كَأْسَ الرَّدَى فَلَقَدْ
أَسْقَيْتَنِي بَعْدَهَا كَأْسَاتِ إِمْرَارِ
وَقَفًّا عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا خَفَقَتْ فِي الْجَوِّ أَظْيَارِي
وَمَا نَأَوَّهَ قَلْبِي ثُمَّ مَا ذَرَقْتُ
عَيْنِي عَلَيْهَا بِأَصَالٍ وَإِنْكَارِ
إِنِّي لِأَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ يَجْمَعُنَا
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ فِي ظِلِّ وَأَشْجَارِ

أَمِينُ يُوْسُفَ الْخُوْرِي

(١٢٦٩ - ١٣٣٨ هـ = ١٨٥٢ - ١٩١٩ م)

أمين يوسف إبراهيم أسطفان، شاعرٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في بلدة بكاسين «جنوبي لبنان» وفيها توفي.

عاش في لبنان، ومصر، والسودان.

تلقَّى علومه الابتدائية في مدرستي البطريركية، والآباء اليسوعيين في «غزير» ثم سافر إلى مصر عام ١٨٧٤ ليدرس الطب في مدرسة القصر العيني، ونال شهادة الطب عام ١٨٨٠.

عمل طبيباً أول في مستشفيات السودان، ثم عاد إلى مصر، فالتحق بالعمل طبيباً بمدينة المنصورة، فعاش بها حتى توفيت زوجته، فعاد إلى مسقط رأسه «بكاسين» ليستريح من عناء رحلته^(١).

نَقَاشَاتُ مَضْدُورٍ

يُفَاجِئُنَا الزَّمَانُ بِكُلِّ خَطْبٍ	وَتَفْجَعُنَا الْمَنُونُ بِكُلِّ غَالٍ
وَلَسْنَا بِالْكَوَارِثِ نَازِلَاتٍ	بِغَيْرِ الْمَوْتِ إِنَّ فَدَحْتَ نُبَالِي
وَلَوْ غَيْرُ الْمَنُونِ غَزَا حِمَانَا	حَمِينَاهُ بِمَا تُحْمَى الْمَعَالِي
بِآدَابٍ وَإِثْرَاءٍ وَعِلْمٍ	وَجَاءَ وَالْمُثَقَّفَةِ الْعَوَالِي
فَهَلْ عَرَفْتَ بِجَذْوَانَا الْمَعَالِي	فَمَدَّتْ نَحْوَنَا كَفَّ السُّوَالِ؟

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَمَا اخْتَارَتْ كَعَادَتِنَا دَوَامًا
أَمَائِلُ مَنْ ذَوِينَا كُلُّ فَرْدٍ
وَكُلُّ مَصُونَةٍ خَوْذِ نَوَارٍ
كَمَنْ هَابَتْ بِهَا أَيْدِي الْمَنَايَا
مَضَتْ لِلَّهِ تَارِكَةً ذَوِينَهَا
يُجَدِّدُ حُزْنُهَا فِي غَيْرِ بَالٍ
لَقَدْ فَجَعَتْ بَيْنَهَا بِالتَّنَائِي
وَكَانَتْ خَيْرَ مَنْ رَأَتْ بِوُلْدٍ
لِسَائِلِ جُودِنَا إِلَّا اللَّالِي
بَعِيدِ الذِّكْرِ مَفْقُودِ الْمِثَالِ
تَنَامَتْ بِالْجَمِيلِ وَبِالْجَمَالِ
فَكَانَ تَتِمَّةَ الْخَطْبِ الْعُضَالِ
بِمُهْجَةٍ مُوجِعِ وَجُفُونِ سَالٍ
وَمِنْهُ مَا نُقَاسِي غَيْرَ بَالٍ
وَجَافَتْ خَيْرَ كُفٍّ بِالزِّيَالِ
وَأُضِدَّقَ مُخْلِصَاتِ لِلْبِعَالِ

ابن شهاب العلوي

(١٢٦٢ - ١٣٤١ هـ = ١٨٤٦ - ١٩٢٣ م)

أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد العلوي الحسيني، عالم موسوعي جامع مصلح. ويعرف بابن شهاب، وهو جدّه السابع شهاب الدين أحمد الذي ينتسب إلى الإمام جعفر الصادق.

وُلِدَ في «حضر موت» وتوفي في «حيدر آباد» في الهند نظم في الثامنة عشرة من عمره أرجوزة. رحل إلى مكة، ثم عاد إلى حضر موت، وأقام مدّة، ثم ذهب إلى «عدن» وما جاورها، وتوثقت صلته بأمرأء الحج. وانطلق من عدن ليقضي سنوات في بلدان الشرق مثل «سنغافورة» و«جاوة» واشتغل بالعمل التجاري، وقد اشتهر هناك بوصفه عالماً يدعو إلى الإصلاح.

ولما عاد إلى بلده بذل جهوداً للوساطة بين أمرأء شبه الجزيرة العربية، خلال الحروب الداخلية التي كانت ناشبة هناك، فأثمرت جهوده عن إخماد نيران الحرب.

ثم سافر إلى مصر والشام وبيت المقدس واسطنبول. بعدها توجه إلى «حيدر آباد» وأقام بها حتّى وفاته.

له مؤلفات كثيرة، عُرف منها ما يقرب من ٣٠ كتاباً. ومن كتبه المطبوعة: «إسعاف الطلاب ببيان مساحة السطوح وما يتوقّف عليه من الحساب» و«إقامة الحجّة على ابن حجّة في نقد بديعية ابن حجّة الحموي» و«تحفة المحقق بشرح نظام المنطق» و«الترياق النافع بإيضاح

وتكملة مسائل جمع الجوامع» وغيرها إضافة إلى «ديوان شعر» «يعتقد السيد محسن الأمين أن طائفة من شعره قد حُذفت عند طبع الديوان^(١)».

وله من قصيدة يرثي بها أم أولاده «سيدة بنت علي بن عبد الله بن شهاب الدين» وجاءه الخبر بوفاتها وهو بمصر سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م) والقصيدة طويلة وفيها استطرادات نختار منها مقطعين.

أَسَى فِي الْبَرِيدِ

وَحُزْنٌ دَائِمٌ وَجَوَى يَزِيدُ	أَسَى وَاقٍ بِحَادِثَةِ الْبَرِيدِ
بِكَارِثِ خَطْبِهِ الرُّكْنُ الْمَشِيدُ	مُصَابٌ هَذَا مِنْ جَلْدِي وَصَبْرِي
وَإِنْ حُشِدَتْ مِنَ الدَّهْرِ الْجُنُودُ	عَلَى أَنِّي رَبِيطُ الْجَاشِ ثَبْتُ
بِمُوجَعَةٍ يَذُوبُ لَهَا الْجَلِيدُ	وَلَكِنَّ اللَّيَالِي فَاجَأَتْنِي
فَحَمَّ بِسُمِّهَا الْجَسَدُ الْجَلِيدُ ^(٢)	كَأَنَّ ضَيْئِلَةً لَسَعَتْ فُؤَادِي
لَدِيَّ وَكُلُّ ذِي خَطَرٍ زَهِيدُ	فَكُلُّ مُصِيبَةٍ جَلَلٌ سِوَاهَا
مَحَلُّ غَرَاسِي قَلْبِي الْعَمِيدُ	لَقَدْ قَطَفْتُ يَدُ الْإَيَّامِ غَضًّا
نَضَارَةٌ عُودِهِ الزَّمَنُ الْعَتِيدُ	أَحَالَ الدَّهْرُ رَوْثَهُ وَأَذَوَى
فَكَادَ الْحَيُّ مِنْ جَزَعٍ يَمِيدُ	وَأَنْشَبَتِ الْمَنِيَّةُ فِيهِ ظُفْرًا
تُعْظِمُهُ لِسَاكِينُهُ اللَّحُودُ	فَيَا لَوْ مِنْ قَمَرٍ بِقَبْرِ

(١) «أعيان الشيعة» السيد محسن الأمين العاملي ١٢٨٢ - ١٣٧١ هـ / دار

التعارف للمطبوعات / بيروت / ١٩٨٣ المجلد الثاني ص ٢٩٤.

(٢) الضَّيْلَةُ: الحبة الصغيرة.

وَكَمْ يَا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ عَفَافٍ تَضْمَنَ ذَلِكَ الْجَدْتُ الْجَدِيدُ

لَقَدْ أَوْدَى فَأَذْوَعَ نَارَ وَجْدٍ	لَهَا مَا بَيْنَ أَضْلَاعِي وَقُودُ
فَقَدْتُ بِفَقْدِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا	بِرُوحِي ذَلِكَ الْإِلْفُ الْفَقِيدُ
أَقَامَ لِعِشْرَتِي عِشْرِينَ عَامًا	وَكُلُّ أَوْلِيكَ الْإِيَّامِ عِنْدُ
بِهِ ابْتَهَجَتْ سُمَيَّاتُ الْمَغَانِي	وَتَاءَ بِعِزِّهِ الْقَضَرُ الْمَشِيدُ
دَعَتْهُ الْغَيْدُ سَيِّدَهُنَّ طَوْعًا	وَمَنْ ذَا بَعْدَ غَيْبَتِهِ يَسُودُ؟
أَيَحْسَنُ بَعْدَهُ فِي رَأْيِ عَيْنِي	مِنَ الدُّنْيَا طَرِيفٌ أَوْ تَلِيدُ؟
وَهَلْ أَسْلُو؟ بَلَى أَسْلُو سُلُوبِي	إِلَى يَوْمٍ يَقُومُ بِهِ الْهُجُودُ
وَهَلْ يَتَدَاوِلُ الْإِيَّامُ حُزْنِي	يَقِلُّ لِفَقْدِهِ؟ لَا بَلْ يَزِيدُ
وَهَلْ يَبْلَى، مَعَاذَ اللَّهِ، وَدُّ	لَهُ بِالْقَلْبِ مُنْتَزَجٌ أَكِيدُ
فَلَا عَيْشِي يَطِيبُ وَلَا شَرَابِي	يَرُوقُ وَلَا كَرَى جَفْنِي يَعُودُ
سَيَبْدُو لِي خَيَالٌ مِنْهُ مَهْمَا	تَرَاءَتْ غُرَّةٌ لِلْعَيْنِ خُودُ
وَمَالِي فِي الْحَيَاةِ هَوًى وَلَكِنْ	قَضَى بِيَقَايَ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ

مُحَمَّدُ كَمَالِ الدِّينِ الْأَدَهْمِي

(١٢٩٦ - ١٣٥٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٣٤ م)

مُحَمَّدُ كَمَالِ الدِّينِ بن محمد الأدهمي، أديبٌ من أعيان طرابلس الشام. كان نقيب أشرافها. وذكّر في سيرته آخر كتابه «مرآة النساء فيما حُسِّنَ منهنَّ وساء» أنه وُلِدَ في منزل والده بسوق العطارين في محله المهاترة بطرابلس الشام في سنة ١٢٩٦ هجرية = ١٨٧٨ م. وفيها أيضاً أنَّ له عدداً من المؤلفات في حقول ثقافية شتى، منها «لوامع الإِسعاد في جوامع الأعداد» و«تخميس لامية ابن الوردي» و«كتاب التذكير في المرجع والمصير» و«كتاب الفوائد الكمالية في المنافع الدينية والدنيوية»

وجاء في خاتمة الكتاب الذي تضمّن المراثي^(١)، كذلك، ترجمة لزوجتيه اللتين يرثيهما في الكتاب: وهما ترجمتان مفصلتان خلاصتهما: أن زوجته الأولى «قدسية رشيدة» ذات أصول ونشأة تركية، أقامت معه ثلاث عشرة سنة وماتت عن «واحد وثلاثين عاماً» عاماً بمرض القلب وهي حامل بولدها السادس لثمانية أشهر من الحمل، أما زوجته الثانية «حميدة» فقد تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى، وماتت وهي في «التاسعة والعشرين». توفي الأدهمي في العام ١٩٣٤.

(١) «مرآة النساء فيما حُسِّنَ منهنَّ وساء» للشيخ محمد كمال الدين الأدهمي دار التوفيق / بيروت ٢٠٠٤.

امراة الضياء

«رثاء قُذِيبَةٍ»

عُيُونِي لَا تَجِفُّ مِنَ الْبُكَاءِ	وَقَلْبِي لَا يَكْفُ عَنِ الْعَنَاءِ
وَحُزْنِي لَا يَخْفُ بِرَغَمِ صَبْرِي	وَمَنْ لِي بِالتَّصَبُّرِ وَالْعَزَاءِ؟
وَلَمْ أَحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ كَحُزْنِي	عَلَى «قُذِيبَةٍ» امراة الضياء
لَقَدْ مَاتَتْ فَهَدَّتْ صَرْحَ صَبْرِي	وَكَانَ مُمَرِّدًا عَالِي الْبِنَاءِ
فَقَدْتُ حَيَاتَهَا أَبْهَى فَتَاءِ	وَمَا أَنْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْفَتَاءِ
تَمُرُّ بِي السَّنُونَ وَإِنَّ حُزْنِي	عَلَيْهَا دَائِمٌ دُونَ انْقِضَاءِ
وَزَادَ تَحْسِرِي أَبَدًا عَلَيْهَا	مُصَابِي بِالْحَمِيدَةِ فِي النِّسَاءِ
فَأُضْحَى عَنِّي بَعِيدًا	كَبُعْدِ الْأَرْضِ مِنْ أَفْقِ السَّمَاءِ
عَلَيْهَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ تَثْرَى	وَجَادَ ضَرْبُهَا صَوْبَ الرِّضَاءِ

كَأَنَّنِي لَسْتُ فِي الْحَيَاةِ

يَا طُولَ حُزْنِي وَيَا شَتَاتِي	مِنْ بَعْدِ «قُذِيبَةٍ» الْفَتَاءِ
كُنْتُ بِهَا فِي مَنَاءٍ عَيْشٍ	مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا شَكَاةِ
لَمْ أَذِرْ مَا قَدَرُهَا إِلَيَّ أَنْ	عَالَجَهَا اللَّهُ بِالْوَفَاةِ
فَبَدَّلَتْ حَالَتِي بِعَكْسٍ	أَحَاطَ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ
ضَاقَتْ عَلَيَّ الْحَيَاةُ حَتَّى	كَأَنَّنِي لَسْتُ فِي الْحَيَاةِ

يرثي زوجته «حميدة» ويذكر زوجته المتوفاة قبلها «قدسية» :

سَلَامٌ عَلَيْهَا

وَرَحْمَةُ رَبِّ فَضْلُهُ لَيْسَ يُخَسِّمُ	سَلَامٌ عَلَى ذَاتِ الْكَمَالِ «حَمِيدَةٍ»
عَلَى قَبْرِهَا كَالْغَيْثِ يَهْمِي وَيَسْجُمُ	سَلَامٌ عَلَيْهَا بَلْ وَالْفُ تَحِيَّةُ
حَيْنًا بِهِ قَلْبِي الشَّجِي مُحَطَّمُ	أَجْنُ إِلَيْهَا كُلُّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
فَقَلْبِي بِهِ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ تُرْسَمُ	لَيْتَ غَابَ عَنِ عَيْنِي مَحْبُوبٌ شَكْلُهَا
وَيَسْقِي ثَرَاهُ مِنْ دُمُوعِي عِنْدَمُ ^(١)	إِلَى قَبْرِهَا أَسْعَى لِأَلْتَمُ ثَرْبَهُ
حَزِينٌ كَحُزْنِي بَاكِيًا يَتَأَلَّمُ؟	أَكُلُّ أَمْرِي، أَوَاهُ، يَفْقِدُ زَوْجَهُ
فَتِيَّةُ عُمَرِ مِثْلُ دُرٍّ يُنَظَّمُ	وَمِنْ قَبْلِهَا مَاتَتْ كَمَا هِيَ زَوْجَهُ
كَأَنَّهُمَا فِي الدِّينِ وَالْخَلْقِ مَرِيَمُ	وَكِلْتَاهُمَا دُونَ الثَّلَاثِينَ حُجَّةَ
بِهَا كُلُّ شَخْصٍ صَالِحٍ يَتَنَعَّمُ	فَأَسْكُنُهُمَا رَبِّي بِفَضْلِكَ جَنَّةَ
فَعَفُوكَ يَا رَبِّي أَجَلٌ وَأَعْظَمُ	وَنَوْلُهُمَا يَا رَبِّ عَفْوًا وَرَحْمَةً

(١) العندم: الأحمر، وقيل هو الدم.

مُحَمَّدُ الْأَزْهَرِيُّ

مُحَمَّدُ أَفْنَدِي الْأَزْهَرِيُّ الْمَحَامِي فِي مِصْرَ يَرِثِي زَوْجَتَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ^(١)

مَا كَانَ عَهْدِي
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا غَبَتِ «زَيْنَبُ»
فَمَا كَانَ عَهْدِي أَنْ يَطُولَ التَّغَيُّبُ
لَقَدْ كُنْتُ مَمْلُوءَ الْفُؤَادِ بِأَنْسِهَا
وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْبَيْنَ يَوْمًا يَشْعَبُ
تَعَجَّلَهَا رَبِّبَ الْمَنُونِ عَلَى الصَّبَا
وَلَيْسَ لَهَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ
فَضَائِلُهَا شَتَّى وَمَنْ كَانَ مِثْلُهَا
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَمُوتَ وَيَصْعَبُ
سَقَى قَبْرَهَا صَوْبُ مِنَ الْمَرْنُ وَاكِفُ
وَيَرْحَمُهَا الرَّحْمَنُ مَا ضَاءَ كَوْكَبُ

(١) «مرآة النساء فيما حُسنَ منهنَّ وساءَ».

مُحَمَّدُ النَّخْلِي

(١٢٨٦ - ١٣٤٣ هـ = ١٨٦٩ - ١٩٢٤ م)

محمد بن محمد بن حمودة النخلي القيرواني. شاعر تونسي ولد بمدينة القيروان «تونس» وتوفي في تونس «العاصمة» قضى حياته في تونس.

تلقى تعليمه الأولي بكتاب مدينته، وعمل مدرساً، ثم عمل مُدرّساً للأدب العربي في معهد الخلدونية.

له عدة مؤلفات منها: «منظومة في علم العروض»، ورسالة بعنوان «حياة اللغة العربية» وكتاب علم المنطق، وتعليق على كتاب المزهري لجلال الدين السيوطي، وألفية في الجغرافيا، وأرجوزة في المساحة، وتراجم بعض الأعلام التونسيين، ودراسة حول الوليد بن عبد الملك والمنصور والمأمون^(١).

من قصيدة: تَجَرَّعْتُ كَأْسَ الصَّبْرِ

تَجَرَّعْتُ كَأْسَ الصَّبْرِ كَالصَّبْرِ مِنْ دَهْرِي
وَسَاوَزْتُ أَحْزَاناً تَكْبِدَهَا عُمْرِي
فَوَا أَسْفَاً مِنْ حَظِّي الْأَسْوَدِ الَّذِي
بِهِ ابْيَضَّ قَوْدِي وَالْهُمُومُ بِلَا حَضَرِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

كَمَا اخْمَرْتُ دَمْعِي هَامِيًا فَوْقَ وَجْنَتِي
فَيَا مُقْلَتِي جُودِي بِدَمْعِي كَيْ يَجْرِي
أَمَّا بَعْدَ فَقْدِ الْإِلْفِ فِي الْعَيْشِ لَذَّةٌ
قَرِينَةُ أَغْوَامِ تَدَانِينَ مِنْ عَشْرِ
حَلِيلَةٍ خَيْرٌ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ بَرَّةٍ
وَعَيْرَ وَدُودِ عَفَّةِ السَّرِّ وَالْجَهْرِ
وَصَادِقَةِ الْأَقْوَالِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَحَيْرَةِ الْأَفْعَالِ سَامِيَةِ الْقَدْرِ
وَطِيبَةِ الْأَنْفَاسِ طَاهِرَةِ الرَّدَا
وَعَاطِرَةِ الْأَخْلَاقِ صَائِبَةِ الْفِكْرِ
وَقُرَّةِ عَيْنِي وَالْحَنُونِ الَّتِي رَبَا
حَنَائِهَا عَنْ أُمٍّ وَعَنْ وَالِدِ بَرٍّ
مَضَتْ فَمَضَى صَفْوُ الْحَيَاةِ وَعَهْدُنَا
فَعَيْشُ طَلِيقِ الْوَجْهِ مُبْتَسِمِ الشُّغْرِ
لَعَمْرِي لَقَدْ حُمِلْتُ عِبَاءَ رَزِيَّةٍ
وَلَكِنِّي وَاللَّهِ نَاءٌ بِهَا ظَهْرِي
لَقَدْ أَوْحَشْتُ دَارًا تُحِبُّ قَرَارَهَا
وَأَنَسْتُ الْقَبْرَ الْوَحُوشَ وَلَا تَذِيرِي
فَيَا ظُلْمَةَ الدَّارِ الَّتِي كَانَ بَذَرُهَا
مُضِيئًا بِهَا دَفْرًا وَيَا بَهْجَةَ الْقَبْرِ

وَيَا قَلْبُ قَدْ أَصْبَحْتَ بَعْدَ فِرَاقِهَا
قَرَارَةً أَحْزَانٍ كَمُضْطَرِمِ الْجَمْرِ
هَمِيئَةً لِرَمْسٍ ضَمَّ خَيْرَ عَفِيفَةٍ
طَهُورًا مِنَ الْأَحْقَادِ وَالشَّرِّ وَالضُّرِّ

إبراهيم عبد القادر المازني

(١٣٠٨ - ١٣٦٨ هـ = ١٨٩٠ - ١٩٤٩ م)

إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني: أديبٌ وشاعرٌ وقاصٌّ وكاتبٌ مقالة مصريٌّ من الرواد. وُلِدَ في «كوم مازن» من المنوفية بمصر، امتاز بأسلوب السخرية في كتاباته رغم حياته المأساوية إذ فَقَدَ والده في سنٍّ مبكرة وتكفَّلت والدته بتربيته، فدخل المدرسة ثم التحق بالطب، لكنه لم يكد يدخل حجرة التشريح حتى أغمي عليه، فانصرف عنها، وحال ضيق يده دون دخوله مدرسة الحقوق، فدخل مدرسة المعلمين العليا. وعمل بعد تخرُّجه بالتدريس في المدارس الحكومية، ثم تركها إلى المدارس الحرة، ثم ترك التدريس إلى الصحافة وظل يعمل فيها حتى توفي عام ١٩٤٩م.

اشترك مع العقَّاد في كتاب «الديوان» الذي هاجما فيه شعر حافظ وشوقي، وضمَّناه دعوتهما إلى التجديد في الشعر، كما كتب في مجال النقد السياسي، فاشترك مع الدكتور محمد حسين هيكل ومحمد عبد الله عنان في وضع كتاب «السياسة المصرية والانقلاب الدستوري» هاجموا فيه حكم «صدقي باشا»

وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. من أعماله: «حصاد الهشيم - مقالات» و«إبراهيم الكاتب - رواية» و«قبض الريح» و«صندوق الدنيا» و«ديوان شعر» و«رحلة إلى الحجاز» و«بشار بن برد - دراسة» و«ميدو وشركاه - رواية»

«ثلاثة رجال وامرأة» و«غريزة المرأة» و«عَ الماشي» و«شعر حافظ - نقد» و«الشعر، غاياته ووسائله - دراسة» وترجم عن الإنكليزية «مختارات من القصص الإنجليزي» و«الكتاب الأبيض الإنجليزي»
كان ضئيلَ الحجم، وسقط من فوق السلم في صغره فأصيب إصابة انتهت به إلى العرج بقية حياته، تزوّج في عام ١٩١٠م وبعد ١١ عاماً رحلت زوجته وتركت له آلاماً نفسية مبرحة، كما تركت له ابنة اسمها «مندورة» وقد تفرغ لرعايتها سبع سنوات ثم رحلت هذه البنت بشكل مفاجئ ليدخل الرَّجُلُ في دوامة من الحزن وكتب فيها مراثيات باكية.
تزوَّج المازني بعد رحيل ابنته وتمنى أن ينجب بنتاً أخرى إلى جانب أولاده الذكور، وقد جاءت الابنة بالفعل لكنها سرعان ما رحلت كذلك لتتركه أطلال إنسان.
من مراثيه في زوجته :

أَيْنَ أُمُّكَ؟ مُحَاوَرَةٌ مَعَ ابْنِي مُحَمَّدٍ^(١)

وَلَكِنَّتُ!
لَمْ أَكَلِّمُهُ وَلَكِنْ نَظَرْتَنِي
سَاءَ لَتُهُ: أَيْنَ أُمُّكَ؟
أَيْنَ أُمُّكَ
وَهُوَ يَهْدِي لِي عَلَى عَادِيهِ

(١) «المازني شاعر النفس والحياة» الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد الدار المصرية / اللبنانية ١٩٩٨ ص ٨٧ و«حصاد الهشيم» إبراهيم عبد القادر المازني / الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة مكتبة الأسرة ص ١٨.

- مُذْ تَوَلَّيْتُ - كُلَّ يَوْمٍ!

كُلَّ يَوْمٍ!

فَانْتَنَى يَسُطُّ مِنْ وَجْهِي الْغُصُونُ!

وَلَعَمْرِي كَيْفَ ذَاكَ!

كَيْفَ ذَاكَ!

قُلْتُ لَمَّا مَسَحْتُ وَجْهِي يَدَاةَ:

«أَتُرَى تَمْلِكُ حَبْلَهُ؟»

أَيَّ حَبْلَهُ»

قَالَ: «مَا تَعْنِي بِذَا يَا أَبْتَاهُ؟»

قُلْتُ: «لَا شَيْءَ أَرَدْتُهُ»!

وَلَشَمْتُهُ!

لَيْسَ الْأَسَى^(١)

بَكَيْتُكَ بِالذَّمِّ السَّجِينِ وَلَمْ أَزَلْ

بِقَلْبِي، وَإِنْ جَفْتُ مَا قِيَّ، بَاكِيًا

وَلَسْتُ أَرَى الدُّنْيَا الَّتِي كُنْتُ رَوْحَهَا

وَرَيْنَحَانَهَا تَأْسَى عَلَيْكَ وَلَا لِيَا

وَلَيْسَ الْأَسَى أَنْ تَذْرِفَ الْعَيْنُ دَمْعَةً

يُبْرِدُ مَهْوَاهَا الْقُلُوبَ الصَّوَالِيَا

وَلَكِنَّهُ عَظْفٌ، وَلَهْفٌ، وَحَسْرَةٌ

وَتَقْلِيلُكَ الْأَخْلَامَ حُمْرًا دَوَامِيَا

(١) «حصاد الهشيم» ص ١٨.

صُورَتُهَا^(١)

تَأْمَلْتُهَا حَتَّى تَحَرَّكَ سَاكِنُ
مِنَ الثُّغْرِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالرَّأْسِ وَالصَّدْرِ
أَيُضِيحُ هَذَا الْحُسْنَ قُبْحًا وَجِيفَةً؟
بَلَى، وَيَسَدُّ الْأَنْفَ مِنْ نَشْوِ الْمَرْزِي
وَيُمْسِي صَدِيدًا كُلُّ مَا كَانَ مِنْ قَوَى
وَمَاءِ شَبَابٍ مُسْتَحِيرٍ وَمِنْ سِخْرِ^(٢)
فِيَا بُؤْسَ لِلْبَوْغَاءِ يَغْفِرُ وَجْهَهَا
وَيَكْحُلُ جِفْنَيْهَا وَيَلْصِقُ بِالنُّخْرِ^(٣)
وَلِلدُّودِ يَفْتَاتُ، الْيَالِي، بِحُسْنِهَا
وَيَشْرُكُهَا كَوْمًا مِنَ الْأَعْظَمِ النُّخْرِ
هَاتِفٌ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ^(٤)
جَمَالِكَ.. لَا تَحْزَنُ عَلَيَّ وَلَا تَأْسَا
فَإِنِّي تَحْتَ الْأَرْضِ لَا أَخْفَلُ الْحَبْسَا^(٥)

(١) «حصاد الهشيم» ص ١٩.

(٢) استحار الشباب: تجمّع ودار، مثل الماء إذا تحيّر: أي تجمّع في العين أو الحوض.

(٣) البوغاء: التربة الرخوة، ويريد بها هنا تربة القبر.

(٤) «حصاد الهشيم» ص ١٥ «قبض الريح» إبراهيم عبدالقادر المازني / دار الشعب القاهرة ١٩٧١ ص ٧٥.

(٥) جمالك: أي صبرك، تجمّل.

طَوَّانِي الرَّدَى عَنْ نَاطِرِكَ فُجَاءَةً
وَمَا كَانَ ظَنِّي قَطُّ أَنْ أَسْكُنَ الرَّمْسَا
أَرَانِي الصُّبَا شَمْسِي بَعِيدًا مَغِيبُهَا
فَسُرْعَانَ مَا وَلَّى النَّهَارُ وَمَا أَمْسَى
وَكُنْتُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
فَأَضْبَحْتُ أُذِي الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالنَّفْسَا
وَلَا تَتَجَسَّمْ لِي الْحِفَاطُ فَإِنِّي
وَقَدْ مِتُّ .. لَا أُولِيكَ شُكْرًا وَلَا حِسًا
وَأَدْخِلْ إِلَيْكَ الشَّمْسَ مِنْ كُلِّ كُوَّةٍ
فَمَا يَتَمَلَّى الْعَيْشَ مَنْ يَخِجِبُ الشَّمْسَا
سَتُسْلِيكَ عَنِّي كُلُّ زَهْرَاءَ نَاهِدٍ
وَإِنْ بَقِيَتْ ذِكْرَايَ... تَهْمُسُ بِي هَمْسَا
فَمَا أَنْتَ بِالْبَاكِ عَلَيَّ وَإِنَّمَا
عَلَى فَقْدِ مَا قَدْ كُنْتَ طِبْتَ بِهِ نَفْسَا

إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي «أَبُو أُمَيَّة»

(١٣٠٣ - ١٣٧٢ هـ = ١٨٨٦ - ١٩٥٣ م)

ويُعرف كذلك بإسماعيل صبري الصَّغير تمييزاً له عن معاصره
الشاعر المعروف إسماعيل صبري باشا (١٨٥٤ - ١٩٢٣ م) شاعرٌ
مصري ولد في القاهرة وتوفي فيها. ولم ينل شهرة في عصر ازدهر به
الشُّعر المصري واكتظَّ بالأسماء الكبيرة والتيارات التجديدية.
عُرِفَ بالقصائد الدينية ذات النكهة العرفانية والنَّفس الطويل،
كالنونية الكبرى التي تقع في ألف بيت، والهمزية الكبرى التي تقع في
ستمائة بيت.

رَدَاءُ الضِّيَاءِ .. (١)

إِلَى زَوْجَةِ رَاحِلَةٍ

حَوْلَ رَمْسٍ تَظَلُّهُ الْأَوْفِيَاءُ وَعَلَيْهِ تُرْفَرُ الْوُرَقَاءُ
وَعُصُونُ الْأَرَاكِ مُنَحْنِيَاتٌ كَالْبَوَاكِي وَالْأَذْمُعُ الْأَنْدَاءُ
وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَخْجُبُهَا الشُّحْبُ وَتَبْدُو كَأَنَّهَا رُقَبَاءُ
وَقَفْتُ غَادَةً سَمَاوِيَّةً الْوَجْهَ عَلَيْهَا مِنَ الضِّيَاءِ رَدَاءُ

(١) «ديوان إسماعيل صبري» - أبو أمية، تحقيق الدكتور محمد القصاص وعامر
محمد بحيري والدكتور أحمد كمال زكي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت /
لبنان ص ١٥٦.

يَسْتَبِي النَّاطِرِينَ مِنْهَا جَمَالٌ لَمْ تَصِفْ بَغْضَ حُسْنِهِ الشُّعْرَاءُ
إِنْ بَدَا الْوَجْهُ فَالْمَسَاءُ صَبَاحٌ أَوْ بَدَا الشَّعْرُ فَالْصَّبَاحُ مَسَاءُ!
يَحْسَبُ الْقَلْبُ حِينَ تَرْنُو بِعَيْنٍ أَنَّ مَا فِي عُيُونِهَا كَهَرَبَاءُ
وَلَهَا مِنْ شَجْوَنِهَا زَفَرَاتٌ مُحْرِقَاتٌ مِنْ دُونِهَا الرَّمْضَاءُ
تَلْطِمُ الْجِيدَ تَارَةً وَتَدُقُّ الصَّدْرَ طَوْرًا كَأَنَّهَا الْخَنَسَاءُ
وَتُرِيْقُ الدُّمُوعَ جَمْرًا عَلَى الْأَرْضِ فَتُرَوِّى أَغْشَابُهَا الْخَضْرَاءُ
وَشَكَّتْ حَالَهَا الطَّبِيعَةُ حَتَّى رَكَدَ الْمَاءُ وَاسْتَكَنَّ الْهَوَاءُ
وَعَلَا ذَلِكَ الْمَكَانَ وَقَارٌ أَنْزَلَتْهُ عَلَى الضَّرِيحِ السَّمَاءُ
لَهَفَ قَلْبِي عَلَى شَرِيكَةِ عُمْرِي ذَهَبَ الْعِزُّ بَعْدَهَا وَالْوَفَاءُ^(١)
لَيْسَ لِي بَعْدَ نَائِيهَا مِنْ حَبِيبٍ أَرْتَجِيهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْعَزَاءُ
كُنْتُ لِي فِي الْوَرَى أَعَزُّ مَقَامٍ دُونَهُ الْفَرْقَدَانِ وَالْجَوَزَاءُ
كُنْتُ لِلْعَيْدِ خَيْرَ مَنْ عَفَّ طَهْرًا وَلَهَا جِلَّةُ الْوَرَى أَضْفِيَاءُ
يَا زَمَانَ الشَّقَاءِ لَوْ عَاتَبَ اللَّهُ زَمَانًا لَكُنْتُ أَنْتَ الشَّقَاءُ
لَا يُرَى فِي بَنِيكَ وَافٍ بِعَهْدٍ أَوْ صَدِيقٌ إِنْ حَقَّتِ الْأُصْدِقَاءُ
ذَاكَ يَسْعَى فِي قَلْبِهِ أَرْقَمُ الْحَقْدِ وَهَذَا تَهْزُهُ الْكِبَرِيَاءُ
حَسَدٌ زَائِدٌ وَخُبْتُ شَدِيدٌ وَخِدَاعٌ وَعَيْبَةٌ وَرِيَاءُ
يَتَوَارُونَ فِي النَّزَاهَةِ وَالصُّدُقِ كَمَا يَسْتُرُ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ

(١) في هذا البيت إشارة إلى أن الشاعر يرثي زوجته بهذه القصيدة ولعلها الزوجة الأولى، وقد أشار في آخرها إلى أن اسمها زينب «الهامش من الديوان».

وَيُشِيرُونَ بِالدَّوَاءِ عَلَى مَنْ حَازَ فَضْلًا، كَأَنَّمَا الْفَضْلُ دَاءٌ
بِكَ ضَاعَ الْجَمِيلُ وَاشْتَهَرَ النَّكْتُ كَثِيرًا وَعَمَّتِ الْبَلَاءُ
وَالْمُرَاوُونَ فِيكَ حَطَّهْمُ الْوُدِّ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاوُوا
وَإِذَا كَانَ مِنْكَ بَغْضٌ كِرَامٍ «كَانَ أَهْلَ الْحَبِيبَةِ الْأَوْفِيَاءُ»
يَا حَيَاتِي قَدْ عِيلَ بِغَدِّكَ صَبْرِي وَدَهَشْنِي الْمَصَائِبُ الدَّهْمَاءُ
أَبْتَغِي الْمَوْتَ وَهُوَ غَايَةُ مَا يُرَى جَى دَوَاءٌ وَلَيْسَ فِيهِ الدَّوَاءُ
أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالًا وَمَلَكَاءَ قَدْ اخْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
فُتِحَ الرَّمْسُ فِيهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ كَيْفَ يَا رَمْسُ مِنْكَ يَبْدُو الضِّيَاءُ؟
وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ صَوْتُ رَجَّعَتْهُ الْجِبَالُ وَالْأَذْوَاءُ^(١)
إِنَّ هَذِي هِيَ الْأَمَانَةُ ضُمَّتْ فِي ضَرْيَحٍ بِهِ أَخُوهَا الْوَفَاءُ
إِنَّ صَبْرِي حِيَالٌ هَذَا يُنَادِي: يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعَزَاءُ؟

(١) الصواب: دوى، بالتشديد، والشاعر كثيراً ما يجري على هذا الاستعمال في شعره، ولعله يريد بالأدواء: جمع دوى، وهي الصحراء مترامية الأطراف «الهامش من الديوان».

خَلِيلُ السَّكَاكِينِي

(١٢٩٥ - ١٣٧٢ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٣ م)

خليل السكاكيني مثقّف فلسطينيّ مقدسيّ مسيحيّ اهتمّ باللغة والثقافة العربية، ويعدّ أحد رواد التربية الحديثة في الوطن العربي. حيث أسهم في تأسيس المدارس الحديثة في فلسطين، ولد في القدس وتوفي في القاهرة ١٩٥٣. نشر اثني عشر كتاباً في حياته. عاش في فترات متلاحقة في كلّ من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وسوريا ومصر.

كان عضواً بالمجمع اللغوي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة. ومراثيه لزوجته «سلطانة عبده» هي جزء من ديوان كامل في رثائها بعنوان لذكراك، وكانت سلطانة حبيبته قبل أن تصبح زوجته وكان يرسلها من مغتربه في أمريكا بأجمل الرسائل^(١).

وقد دوّن تفاصيل رحيلها شعراً ونثراً في يومياته وكانت وفاتها عام «١٩٣٩م» وقد صادف بعد أن بنى بيتاً جديداً. فقال حينها: لَمَّا عَشْنَا متنا. وكتب في يومياته أنه مات يوم ماتت زوجته وحبيبته «سلطانة» فهي بالنسبة له «ملء القدس وملء فلسطين» ولم ينقطع عن زيارة قبرها، لستين كاملتين بعد وفاتها. ولم تخلُ من ذكرها معظم يومياته التي كتبها حتى وفاته في العام «١٩٥٣م».

(١) «يوميات السكاكيني» الجزء السابع خليل السكاكيني تحرير: أكرم مسلم مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية الطبعة: الأولى ٢٠٠٩.

قَفَا نَبْكَ

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي أَذَابَتْ حُشَاشَتِي
وَلَا تَبْخَلَا بِالذَّمِّ فَالذَّمُّ حَاجَتِي
قَفَا اسْعِفَانِي فِي مُصَابِي فَإِنِّي
أَرَاهُ مُصَابًا قَدْ تَجَاوَزَ طَاقَتِي
لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسَبُ أَنِّي
صَبُورٌ عَلَى الْأَرْزَاءِ يَفْرَعْنَ سَاحَتِي
وَأَنِّي كَبِيرُ الْقَلْبِ لَا تَسْتَخِفُّهُ
حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ إِمَّا تَوَلَّتْ
فَلَمَّا دَهَانِي مَا دَهَانِي وَجَدْتَنِي
ضَعِيفًا جَزُوعًا ذَا شَجَى وَكَأَبَةٍ
تَلَفْتُ عَلَيَّ أَنْ أَرَامَا فُجَاءَةً
وَأَضَعَيْتُ عَلَيَّ أَنْ أَفُوزَ بِنَآمَةٍ^(١)
وَقُلْتُ: هُنَا عَاشْتُ وَهَذَا مَكَانُهَا
وَكَيْدْتُ أَنْادِيَهَا عَلَى مِثْلِ عَادَتِي
فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا خُدْعَةً بَعْدَ خُدْعَةٍ
وَلَمْ أَلْقَ إِلَّا مَا يَشُقُّ مَرَارَتِي
وَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْ سَلْوَةٍ غَيْرُ قَبْرِهَا
الْبُهِ أَوَالِي، مَا حَبِيبْتُ، زِيَارَتِي

(١) الثَّامَةُ: الصُّورُ الضَّعِيفُ الَّذِي يُشَبِّهُ الْآلِينَ.

يَوْمَ كُنَّا

أَسْعَفَانِي بِالْبُكَاءِ وَدَعَا كُلُّ عَزَاءٍ
لَا تَقُولَا الصَّبْرَ يُجِدِي حِينَ يَشْتَدُّ الْبَلَاءُ
إِنْ يَجِلُّ الْخَطْبُ لَا تُجِدِي عِظَاتُ الْحُكَمَاءِ
أَهْ وَاشْقِي إِلَيَّ أَيَّامِنَا الْغُرُوضَاءِ
يَوْمَ كُنَّا نَعْنَمُ الْأَنْسَ صَبَاحاً وَمَسَاءً
يَوْمَ كُنَّا لَا نَرَى مِنْ دَفَرِنَا إِلَّا الْوَلَاءُ
كُنْتُ يَا «أُمُّ سُرَى» نَجْمَتِي ذَاتِ الْجَهَاءِ
تُرْسِلِينَ النُّورَ يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْعَلَاءِ
أَوَلَوْ أَنَّ الْمَنَآيَا قَبِلَتْ عَنْكَ الْفِدَاءِ
كُنْتُ أَفْدِيكَ بِرُوحِي أَنْتَ أَوْلَى بِالْبَقَاءِ

لَيْتَنِي فِي الدَّاهِيَيْنِ

لَكَ الْوَيْلُ يَا سَنَتِي الْمَاضِيَةَ لَكَ الْوَيْلُ مِنْ سَنَةِ جَانِيَةِ
لَقَدْ كُنْتُ مَذْ كُنْتُ بَيْنَ السَّنِينَ عَلَى بَيْتِي الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةَ
مَشَيْتُ إِلَيْهِ عَلَى غِرَّةٍ وَلَيْتَكَ مَا كُنْتُ بِالْمَاشِيَةِ
مَشَيْتُ إِلَيْهِ فَجَجَعَتْنِي بِرَبَّتِهِ الدُّرَّةَ الْغَالِيَةَ
كَأَنَّكَ غَاطَّكَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ الصَّفْوِ وَالْعَيْشَةِ الرَّاضِيَةِ
نُبْتُ السُّرُورَ هُنَا وَهُنَاكَ وَنَحْسُو كُؤُوسَ الْهَنَا صَافِيَةِ
فَزَغَزَغْتَ أَرْكَانَهُ الرَّاسِيَةَ وَضَغَضْتَ جُذْرَانَهُ الْعَالِيَةَ

يَوْمَ كُنَّا

أَسْعَفَانِي بِالْبُكَاءِ وَدَعَا كُلُّ عَزَاءٍ
 لَا تَقُولَا الصَّبْرَ يُجِدِي حِينَ يَشْتَدُّ الْبَلَاءُ
 إِنْ يَجِلُّ الْخَطْبُ لَا تُجِدِي عِظَاتُ الْحُكَمَاءِ
 آهَ وَاشْوَقِي إِلَيَّ أَيَّامَنَا الْغُرَّ الْوِضَاءِ
 يَوْمَ كُنَّا نَغْنَمُ الْأَنْسَ صَبَاحاً وَمَسَاءً
 يَوْمَ كُنَّا لَا نَرَى مِنْ دَهْرِنَا إِلَّا الْوَلَاءُ
 كُنْتُ يَا «أُمَّ سُورَى» نَجْمَتِي ذَاتِ الْبَهَاءِ
 تُرْسِلِينَ النُّورَ يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْعَلَاءِ
 أَوْ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا قَبِلَتْ عَنْكَ الْفِدَاءُ
 كُنْتُ أَفْدِيكَ بِرُوحِي أَنْتَ أَوْلَى بِالْبَقَاءِ

لَبَّتْنِي فِي الدَّاهِيَيْنِ

لَكَ الْوَيْلُ يَا سَنَتِي الْمَاضِيَّةَ لَكَ الْوَيْلُ مِنْ سَنَةِ جَانِيَّةَ
 لَقَدْ كُنْتُ مَذْ كُنْتُ بَيْنَ السَّنِينَ عَلَى بَيْتِي الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَّةَ
 مَشَيْتُ إِلَيْهِ عَلَى غِرَّةَ وَلَيْتَكَ مَا كُنْتُ بِالْمَاشِيَّةَ
 مَشَيْتُ إِلَيْهِ فَفَجَّعْتَنِي بِرَبَّتِهِ الدُّرَّةَ الْعَالِيَّةَ
 كَأَنَّكَ عَاطِلٌ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الصَّفْرِ وَالْعَيْشَةِ الرَّاضِيَّةَ
 نَبْتُ السَّرُورَ هُنَا وَهُنَاكَ وَنَحْسُو كُؤُوسَ الْهَنَا صَافِيَّةَ
 فَرَزَعْتَ أَرْكَانَهُ الرَّاسِيَّةَ وَضَعَضْتَ جُذْرَانَهُ الْعَالِيَّةَ

وَأَظْفَاتِ أَنْوَارَهُ السَّاطِعَاتِ وَصَوِّخْتِ أَزْهَارَهُ الزَّاهِمَةِ
وَهَذِي الْقُلُوبُ غَدَتْ دَامِيَةً وَهَذِي الْعُيُونُ غَدَتْ بَاكِيةً
أَلَا إِنَّ ذَا لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِي وَلَمْ يَكْ يَخْطُرْ فِي بَالِيهِ
فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِي الذَّاهِبِينَ وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْبَاقِيَةَ

عَبْدُ الْحَقِّ رِفَاقَتْ

(١٣٠٥ - ١٣٧٤ هـ = ١٨٨٧ - ١٩٥٤ م)

عبد الحق بن رفاقت علي المدني . شاعرٌ من أصول هندية وُلِدَ في المدينة المنورة، كان أبوه طبيباً هنديّاً يعمل هناك، فتلقّى تعليمه الأولي فيها .

قَصَدَ الشام وعملَ فيها بالتدريس قرابة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى بلاده «١٩١٩» حيث عمل بالتدريس في «ديوبند» عدة أشهر، قصد بعدها «دار العلوم» في كراتشي، فعمل بتدريس التفسير والحديث بها .

توفي في مدينة ديوبند «الهند»

كان متزوّجاً قبل هجرته إلى «الهند» بامرأة من أهل المدينة اسمها «زينب بنت حسن دفتردار»

اضطر إلى طلاقها عند هجرته ، وبعد عام توفيت فرثاها .

الدَّهْرَ شَتَّتْ دُنْيَا ذَلِكَ الْبَلَدِ^(١)

الْيَوْمَ بُدِّلَ صَفْوُ الْعَيْشِ بِالنَّكَدِ

وَفَتَّتَ الْحَادِثَاتُ السُّودُ فِي عَضْدِي

وَأَفْشَنِي الْيَوْمَ أَنْبَاءُ شَقِيئُ لَهَا

مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْهَى ذِكْرُهَا جَلْدِي

(١) «الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» إبراهيم الفوزان/ القاهرة/

مكتبة الخانجي/ ١٩٨١ الجزء ١ ص ٢٠٧ .

فَقَدْتُ «زَيْنَبَ» لَا أَنْسَى فَضَائِلَهَا
رُزِيتُ فِيهَا بِفَقْدِي خَيْرَ مُفْتَقِدِ
اللَّهُ فِي قَلْبِي الْمَضْدُوعِ مِنْ جَزَعِ
عَلَى فِرَاقِ حَبِيبٍ بِالْبَقِيعِ رَدِ
لَوْ عَالَجَ الْعَقْلُ فِي لُظْفٍ قَضَيْتَهَا
لَمَا انْتَهَى أَمْرُهَا لِلشَّرِّ وَالنَّكَدِ
لَكِنَّهُ عَنِ قَضَاءٍ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَنْ يُعَارِضُ حُكْمَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ؟
مَنْ أَشْتَكِي الْمَوْتَ إِذْ أَوْدَى بِسَيِّدَةٍ
كَانَتْ مَنَاقِبُهَا أَنْشُودَةَ الْبَلَدِ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا عَزَّيْتُ وَالِدَهَا
وَقَدْ بَكَاهَا سِوَى أَنِّي أَقُولُ: زِدْ
كُنَّا إِلَيْنِيفَيْنِ قَدْ قَرَّتْ بِلَابِلُهُ
وَالدَّهْرَ شَتَّتَ دُنْيَا ذَلِكَ الْبَلَدِ
جَرَى بِهَا الْخُلُقُ الْعَالِي إِلَى أَمَدِ
مِنْ الْقَنَاعَةِ وَالتَّذْيِيرِ وَالرُّشْدِ
تَرَعَى حُقُوقِي وَلَمْ تُرْهِقْ مَطَالِبُهَا
نَفْسِي وَقَدْ مُنِيَتْ بِالْفَقْرِ ذَاتِ يَدِ
لَوْ يُظْفَى الدَّمْعُ نَارِي كُنْتُ أَشْرَبُهُ
لَا يُظْفَى الدَّمْعُ نَارَ الْحُزَنِ وَالْكَمَدِ

صَبْرًا وَلَوْ لَا اضْطَبَّارِ كُنْتُ أَمْلِكُهُ
هَلْ يُرْجِعُ الدَّمْعُ مَفْقُودًا إِلَى الْأَبَدِ؟
أَبَا «عَلِيٍّ» وَأَنْتَ الْيَوْمَ وَالِدُنَا
إِزْفَعْ يَدَيْكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَاجْتَهَدِ
وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوَلِّيَ بَوَاكِيهَا
صَبْرًا يُحَلِّلُ مَا اسْتَعْصَى مِنَ الْعُقَدِ
وَسَلْ لَهَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِ خَالِقِهَا
فَهُوَ الرَّحِيمُ لِمَنْ نَادَاهُ بِالْمَدَدِ

أَحْمَدُ زَكِيَّ أَبُو شَادِي

(١٣٠٩ - ١٣٧٤ هـ = ١٨٩٢ - ١٩٥٥ م)

وُلِدَ أحمد زكي أبو شادي بحَيٍّ «عابدين» بالقاهرة من أسرة ميسورة، كان والده نقيباً للمحامين وأحد أعضاء حزب الوفد البارزين. سافر عام «١٩١٣م» إلى إنجلترا لدراسة الطب، حيث أتقن اللغة الإنجليزية واطلع على آدابها، أسس في سنة ١٩٣٢ مجلة «أبوللو» وجماعة أبوللو الأدبية ودعا فيها إلى التجديد في الشُّعر العربي، وكانت مدرسة ذات سمة رومانسية وكان أبرز رموز هذه الدعوة إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم، ودخلت الجماعة في صراع مع التيار المحافظ في الشُّعر المصري متمثلاً بجماعة الديوان «العقاد والمازني تحديداً»

اتسمت تجربته بغزارة الإنتاج في مختلف حقول الأدب والمعرفة، ومن بين إصداراته: الشفق الباكي «١٩٢٦» روح الماسونية وآمال الإنسانية «١٩٢٦» إحسان «١٩٢٧»؛ أشعة وظلال «١٩٢٨» الشعلة «١٩٣٣» فوق العباب «١٩٣٥». وله مؤلفات مسرحية منها: الآلهة «١٩٢٧» إخناتون فرعون مصر «١٩٣٣».

هاجر إلى نيويورك سنة ١٩٤٦، واصطدم بموقف شعراء المهجر هناك إذ استقبله إيليا أبي ماضي بمقالة عنوانها «ليس منّا» فأسَّس أبو شادي جماعة أدبية أسماها «رابطة منيرفا» ضمَّت عددًا من الأدباء العرب والأمريكيين، وتوفي في واشنطن عام ١٩٥٥.

مرثيته لزوجته هنا كتبها، قبل أن يغادر إلى أميركا حيث كان يعدُّ
العدَّة للهجرة وهي معه، لكنها رحلت إلى مكان آخر، وزوجته هي من
أصول إنكليزية دفنها بمقابر المسيحيين في الإسكندرية، إذ بقيت على
دينها وهي على ذمَّته.

وكان أبو شادي قد أرسل هذه القصيدة، إلى مجلة الرسالة العدد
٦٦٨ - بتاريخ: ١٩٤٦/٠٤/٢٢ قبل سفره إلى أميركا، ونشرت بعد
سفره بأيام، وصدرها كلمة لرئيس التحرير أحمد حسن الزيات ومما
جاء في كلمته: كان بودي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمه لا هذه
المرثية الحزينة لزوجتي ولكنها أغلى ما أملكه الآن وقد ارتسمت فيها
ذكرياتي وعواطفني وأشجاني.

زَادَ الْمَمَاتُ جَمَالَكَ^(١)

مَاذَا تُفِيدُكَ لَوْعَتِي وَبُكَائِي؟
هَذَا فَنَّاؤُكَ مُؤَذِّنٌ بِفَنَائِي
أَسَدَيْتِ عُمرَكَ لِلْحَيَاةِ فَمَا وَفَتْ
وَمَضَيْتِ لِلأَبْرَارِ وَالشُّهَدَاءِ
لَهْفِي عَلَيْكَ وَقَدْ أَتَيْتُ مُودَّعًا
فَبَكَيْتُ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاءِ
زَادَ الْمَمَاتُ جَمَالَهُ وَتَنَاءَرَتْ
مِنْني الدُّمُوعُ عَلَيْكَ كَالْأَنْدَاءِ

(١) «أحمد زكي أبو شادي» الأعمال الشعرية الكاملة دار العودة / بيروت ٢٠٠٥
قصيدة «رثاء زوجتي» ص ٥٦٣.

كَانَتْ حُشَاشَتِي الْمَذَابَةَ حُرْقَةً
 وَبَقِيَّةَ الْمَكْنُوزِ مِنْ نَعْمَائِي
 فَتَرَنَحْتُ بِفَجِيعَتِي وَتَضَوَّعْتُ
 بِسِرِّيْرَتِي، وَتَلَالَاتِ بِوَفَائِي
 وَرَوْتُ مُحْيَاً كَانَ جَنَّةَ نِعْمَتِي
 وَمَلَاذَ تَفَكِيرِي وَوَحْيَ ذِكَايِي
 وَطَرَحْتُ آلامَ الْحَيَاةِ عَزِيزَةً
 فَبَدَوْتُ بَيْنَ سَمَاحَةٍ وَصَفَاءِ
 وَأَقْبَلُ الْوَجْهَ الْحَبِيبَ، وَطَالَمَا
 أَوْدَعْتُ فِيهِ صَبَابَتِي وَرَجَائِي
 شَمَلَ السَّلَامُ هُدُوَّهُ وَتَبَدَّدَتْ
 غَيْرُ السُّنَيْنِ، وَزَالَ بَرْحُ الدَّاءِ
 وَأَكَادُ أَنْسَى لِلْمَمَاتِ خُشُوعَهُ
 لَمَّا نَسِيتُ تَجَلُّدِي وَمَضَائِي
 كَمْ كُنْتُ أَغْلَقُ بِالْخَيَالِ تَوْهُمًا
 وَارَى الشُّفَاءَ وَلَاتَ حِينَ شِفَاءِ
 وَتَغَالِطَ الْقَدَرِ الْعَتِي تَفَاؤُلِي
 وَأَنَا الْخَصِيمُ لِحُدْعَةِ وَرِيَاءِ
 أَبِي اغْتِرَافًا بِالْمَمَاتِ كَأَنِّي
 لَمَّا بَكَيْتُكَ قَدْ أَضَلُّ بُكَائِي

أَو أَنَّ هَذَا الْمَوْتَ حَقٌّ ثَابِتٌ
إِلَّا عَلَى الْأَحْبَابِ وَالْخُلَصَاءِ؟
أَو أَنَّ عَيْشِي أَنْ أَرَكَ بِجَانِبِي
مَهْمَا هَزِلْتُ فَلَا يُهْدُ بِنَائِي
اغْتَاضُ بِاللَّمَحَاتِ عَنْ أَغْنِيَّةِ
وَعَنِ الْحَدِيثِ الْعَذْبِ بِالْإِيمَاءِ
وَأَعُدُّ أَنْفَاسًا، وَهَبْتِ، ذَخِيرَتِي
وَحَفِيفَ الْفَاطِ، هَمَسْتِ، رَخَائِي
وَأَمْرُهُ الْأَلَمَ الدَّفِينِ وَأَتَّقِي
عِلْمًا بِهِ وَأَصُدُّهُ بِغَبَائِي
وَأَكَادُ أَفْسُو فِي مُجَانِبَةٍ لَهُ
أَوْ لَيْسَ جِسْمُكَ رَمَزَ كُلِّ نَقَاءِ؟
مُتَنَزِّهَا عَنْ كُلِّ مَا شَانَ الْوَرَى
مُتَرَفِّعًا عَنْ عِلَّةٍ وَعَفَاءِ^(١)
حَتَّى صُدِمْتُ وَلَا كَصَدْمَةِ شَاهِقِ
مُتَحَطِّمٍ بِصُخُورِهِ الصَّمَاءِ
فَجُنِنْتُ مِنْ حُزْنِي وَعِفْتُ حَصَانَتِي
وَدَفَنْتُ كُلَّ رَجَاحَتِي الْعَمِيَاءِ

(١) شان: عاب، والعفاء: الموت.

لَهْفِي عَلَيْكَ زَمِيلَتِي فِي رِخْلَتِي
وَشَرِيكَتِي فِي الصَّفْرِ وَالضَّرَاءِ
لَمْ أَرْضَ غَيْرِي أَنْ يَسِيرَ مُشِيعاً
أَوْ أَنْ تُوزَّعَ حُرْقَتِي وَعَنَائِي
وَكَتَمْتُ نَعْيِكَ، كَمْ أَضْنُ بِذِكْرِهِ
وَأَحْوَطُهُ بِنُهَايَ وَاسْتِيحَائِي^(١)
لَبِيتُ رَغْبَتَكَ الرُّكْبَةَ دَائِماً
وَوَعَيْتُهَا نُبْلاً وَلُظْفَ حَيَاءِ
وَجَعَلْتُ مَا تَمَكَّ الرَّهِيْبَ عَوَاطِفِي
وَبَخَلْتُ بِالتَّنْوِينِ وَالْإِفْضَاءِ
حَتَّى تَفَجَّرَ بِي الْأَنْيُنُ مَلَا حِمَاً
وَجَرَى النَّظِيمُ بِأَذْمُعِي وَدِمَائِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ يَوْمَكَ سَابِقِي
أَوْ أَنَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَرَائِي
كُنَّا نَهْيِي لِلرَّحِيلِ مَتَاعَنَا
وَنُنَسِّقُ الْأَمَالَ غَيْرَ بَطَاءِ^(٢)
وَنُهِبُ بِالدُّنْيَا لِتَشْهَدَ حَظَّنَا
وَنَهْشُ لِلْأَيَّامِ وَالْأَنْبَاءِ^(٣)

(١) النهي: العقل.

(٢) الرحيل: يقصد به السفر إلى أميركا، وغير بطاء، غير بطيات.

(٣) نهش: نرتاح ونفرح.

وَنَرُدُّ عَادِيَةَ الْأَنَامِ تَسَامُحاً
مُسْتَغْفِرِينَ لِجَاحِدٍ وَمُرَائِي
مُتَسَابِقِينَ لِنَمْلٍ الدُّنْيَا سَنَى
بِالْحُبِّ وَالْإِثَارِ وَالْإِيْحَاءِ
فَإِذَا رَحِيلُكَ لِلنَّوَى وَوَدَاعُنَا
لِلْحَظِّ وَالْبَاقِي الْكَلِيمُ ذِمَائِي^(١)
غَدَرْتُ بِبِي الدُّنْيَا كَأَنِّي لَمْ أَصْغُ
فِيهَا الثَّنَاءَ، فَمَا أَفَادَ ثَنَائِي
وَوَهَبْتُهَا - كَرَمًا - عَزِيزَ مَوَاهِبِي
فَجَنَّتْ عَلَيَّ شَهَامَتِي وَعَظَائِي
الْيَوْمَ أَذْرِكُ أَيَّ عَبٍّ فَادِحٍ
عَنِّي رَفَعْتَ وَمَا مَدَى أَغْبَائِي
كَمْ كُنْتُ أَخْلُمُ بِالْهَنَاءِ وَالرُّضَا
لَكَ فِي نِهَآيَةِ عُمرِكَ الْمُتَنَائِي
وَأَوْدُ مِنْ قَلْبِي بَقَاءَكَ بَعْدَمَا
أَفْنَى وَأَخْسَبُ فِي هَوَاكِ بَقَائِي
وَأَعْدُ عُمرَكَ، وَخَدَهُ، عُمرِي وَمَا
أَرْضَى سِوَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ جَزَائِي

(١) الكليم: المجروح: والدماء: بقية الروح في المذبوح.

فَتَنَائِرَ الْحُلُمِ الْجَمِيلُ وَأَقْفَرَتْ
 دُنْيَايَ مِنْ حُلُمٍ وَمِنْ أَضْوَاءٍ
 وَبَقِيتُ وَخَدِي لَأَعَزَّاءِ أَرْوَمُهُ
 وَالذُّكْرِيَّاتُ تُزِيدُ مِنْ بُرَحَائِي^(١)
 يَا طَالَمَا نَاجَيْتُهَا فِي نَشْوَتِي
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَضْبَحْنَ مِنْ أَغْدَائِي
 مَا نِعْمَتِي فِيهَا وَأَنْتِ هِيَ الَّتِي
 جَعَلْتَ بِصِحْبَتِهَا الْأَسَى نَعْمَائِي؟

يَا مَنْ فُتِنْتَ بِكُلِّ مَا هُوَ رَائِعٌ
 وَخَلَقْتَ أَلْوَانَ الْجَمَالِ إِزَائِي
 وَرَسَمْتَ لِي الدُّنْيَا مُنَوَّعَةَ الشَّدَى
 قُدْسِيَّةَ الْأَلْحَانِ وَالْأَصْدَاءِ
 وَبَثَّتَ بَيْنِي حُبَّ «الطَّبِيعَةِ» فَاعْتَدَتْ
 أُمِّي، أَضْعَفَ عَزَاءَهَا وَعَزَائِي
 يَا مَنْ غَنَاؤُكَ شَدُوها وَحَنِينُهَا
 وَصَدَاهُ فِي قَلْبِي الشَّجِي غِنَائِي
 لَمَّا سَكَّتْ نَقَاطِرُ عَبْرَاتِهَا
 وَاسْتَسَلَمَتْ لِلْوَعَةِ الْخُرْسَاءِ

(١) البرحاء: الحمى الشديدة.

وَمَضَى الرَّبِيعُ مَعَ الشَّتَاءِ فَلَمْ أَجِدْ
إِلَّا مَظَاهِرَ وَخْشَةً وَخَلَاءِ
تَبْكِيكَ أَخْلَصَ مَنْ وَقْتُ لِرَوَائِهَا
وَتَصَوَّفْتُ بِمُرُوجِهَا الْغَنَاءِ
وَرَأْتُ بِهَا الْخَيْرَ اللَّبَابَ فَمَا شَكْتُ
مِنْهَا وَنَاجَيْتُهَا أَرْقًى نَجَاءِ
وَتَنَاوَلْتُ أَلْقَ النُّجُومَ فَأَنْرَعْتُ
مِنْهُ دِنَانُ الْحُبِّ لِلشُّعْرَاءِ^(١)
كَمْ أَلْهَمْتَنِي مِنْ عُيُونِكَ صُورَةً
جَمَعْتُ أَحَبَّ عَوَاطِفٍ وَمَرَائِي^(٢)
وَتَبَسُّمُ تَبَسُّمِ الدُّنْيَا لَهُ
وَيَغِيبُ عَنْ مَعْنَى وَعَنْ خِيَلِ^(٣)
وَرَشَاقَةِ مَغْشُوقَةٍ مَلْحُوزَةٍ
كَقَصِيدَةِ خَلَابَةِ عَضْمَاءِ
كَمْ كُنْتُ أَهْتَفُ بِالنَّشِيدِ وَلَمْ يَكُنْ
إِلَّا خُطُوطُ جَمَالِكَ الْوَضَاءِ
تَجْرِي الْيَرَاعَةُ فِي يَدَيِ مَرْهُوَّةٍ
بِتَغْزُلِي وَيَهْزُلِي إِمْلَائِي

(١) انرعت: ملأت.

(٢) مرالي: جمع مرلي: وهو المشهد.

(٣) الخيلاء: الزهو والكبرياء.

مُتَرْتِمًا بِالْحُبِّ بَيْنَ وَلَائِمٍ
 لِلزَّهْرِ وَالْأَمْوَاءِ وَالْأَضْوَاءِ^(١)
 وَأَخَالَ فِي دَعَةِ الْمُرُوجِ جَنَانَنَا
 وَأَشْنِمُ فِي أَلْقِ الْغَدِيرِ سَمَائِي^(٢)
 أَيَّامَ كُنَّا وَالشَّيْبَةَ وَالْهَوَى
 حُلَفَاءَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْغُرَمَاءِ
 أَيَّامَ كُنَّا نَسْتَعِيدُ ثَرَاءَنَا
 قُبَلًا، وَنَضْحَكُ مِنْ غِنَى وَثَرَاءِ
 أَيَّامَ كُنَّا حَاكِمِينَ بِأَمْرِنَا
 السَّاكِنِينَ مَنَازِلَ الْجَوَازِ
 أَيَّامَ كُنَّا ذَاهِلِينَ عَنِ الرَّدَى
 نَجْرِي وَنَمْرُحُ فِي الرَّبَى الْفَيْحَاءِ^(٣)
 وَنَخُوضُ مَوْجَ الْبَحْرِ مِلءَ دُعَابَةٍ
 مُتَعَانِقِينَ عَلَى هَدِيرِ الْمَاءِ
 مُتَحَمِّسِينَ كَأَنَّمَا خَمَرُ الصُّبَا
 خَمَرُ الْأُلُوهَةِ مِنْ أَعَزِّ سَمَاءِ
 مُتَلَمِّسِينَ بِكُلِّ شَيْءٍ لَذَّةً
 وَمُطَوِّعِينَ الْمُسْتَحِيلَ النَّائِي

(١) الأمواه: المياه.

(٢) شام البرق والسحاب: إذا نظر أين يقصد وأين يخطر.

(٣) ذهل عن الأمر: نسيه وأغفل عنه.

وَإِذَا غَضِبْنَا عَادَ حُبُّكَ غَافِرًا
وَتَعَثَّرْتُ شُكُوكَ عِنْدَ نِدَائِي
وَفَرِحْتَ بِي فَرَحَ الْحَبِيبِ بِإِلْفِهِ
قَدْ عَادَ بَعْدَ مَخَاطِرِ هَوَجَاءِ
عِشْنَا السُّنِينَ كَأَنَّهَا أَنْشُودَةٌ
عُلُوبِيَّةٌ جَلَّتْ عَنِ الصُّوْضَاءِ
مُتَجَدِّدِينَ، وَإِذْ فَقَدْتُكَ لَمْ يَكُنْ
فَقْدِي لِغَيْرِ فَتَاتِي الْهَيْفَاءِ
مَنْ رَامَهَا أَهْلُ الْفُنُونِ نَمُودَجًا
لِلْمُبْدِعِينَ وَمَنْ لَهَا أَهْوَائِي
مَنْ صَوَّتَهَا الْخُلُوعُ الشَّجِيءُ سُلَاقَتِي
وَحَنَانُهَا الْعَذْبُ السَّخِيءُ دَوَائِي
مَنْ لَمْ تَدْعُ غَيْرَ الْبَشَاشَةِ وَخَدَهَا
تُفْشِي خَوَاطِرَهَا لِنَقْدِ الرَّائِي
مَنْ أَشْرَبَتْ حُبَّ الدَّعَابَةِ سَمْحَةً
وَاسْتَضَحَّكَتْ لِمَصَاعِبِ الْأَشْيَاءِ
مَنْ لَمْ تَرَ الدُّنْيَا سِوَى تَغْرِيدَةٍ
فَأَبَتْ هَوَاجِسَهَا أَشَدَّ إِبَاءِ
مَنْ لَمْ تُرَدِّدْ غَيْرَ آمَالِ الصُّبَا
لِتَرُدَّنِي لِطَلَاقَتِي وَرِضَائِي

مَنْ عِشْتُ أَفْدِيهَا بِكُلِّ جَوَارِحِي
 فَإِذَا الْفِدَاءُ يَهُونُ وَهِيَ فِدَائِي
 مَنْ عَلَّمْتَنِي أَنْ أَقْدُسَ وَاجِبِي
 مَهْمَا شَقِيتُ فَأَسْتَطِيبُ شَقَائِي
 مَنْ لَمْ تُودِّعْ فِي السَّقَامِ وَفَاءَهَا
 لِلنَّاسِ حِينَ مَضَوْا بِكُلِّ وَفَاءٍ
 مَنْ لَمْ تُفَارِقْهَا الشَّجَاعَةُ مَرَّةً
 حَتَّى الْمَمَاتِ، شَجَاعَةُ الْعُظَمَاءِ
 فَمَضَتْ وَخَلَّتْنِي وَحِيداً عَابِراً
 فَفَرَ الْحَيَاةُ أَنْوًءَ بِالْأَنْوَاءِ
 هَيْمَانَ، قُرْبُكَ وَخَدُّهُ مُسْتَنْقِذِي
 ظَمَانَ، لَيْسَ سِوَاكَ رِيَّ ظَمَائِي
 أَفْتَاتُ بِالْحُزَنِ الْمُبَرِّحِ رَاضِياً
 وَأَعَاكَ كُلَّ مَلَا حَةٍ وَسَنَاءِ
 وَاضَعْتُ فَنِّي بَعْدَ مَوْتِكَ فِي الْأَسَى
 وَكَأَنَّمَا صُورُ الْجَمَالِ بِلَائِي
 مَنْ طَالَمَا نَاجَيْتُهَا مُتَغَرِّلاً
 غَرِداً، فَمَاتَ بِهَاؤُهَا وَبِهَائِي
 كَأَنْتَ لِرُوحِي مِنْكَ أَنْسَ مَدَامَةً
 وَمَجَالَ أَشْوَاقِي وَنَبْعَ صَفَاءِ
 وَمَثَلِي أَنْتَ بِكُلِّ مَا أَحْبَبْتُهُ
 فَالآنَ ابْنُ تَهَائُتِي وَنَجَاتِي؟

أَيْنَ ابْتِسَامَتُكَ الشَّدِيدَةُ بِالْمُنَى
 وَالنُّورِ حِينَ أَهَيْمُ فِي الظُّلُمَاءِ؟
 أَيْنَ ابْتِدَاعُكَ لِلْحَدِيثِ تَفَنُّنًا
 وَتَسْلُسُلًا يُغْنِي عَنِ النُّدْمَاءِ؟
 أَيْنَ اغْتِبَاطُكَ بِالْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى
 وَالْعَظْفِ وَالْغُفْرَانِ وَالْإِسْدَاءِ
 قُبِرَتْ كَمَا غَابَ النَّهَارُ أَشِعَّةً
 وَكَأَنَّمَا أَشْلَاوَهَا أَشْلَانِي
 وَتَرَكْتُ فِي دُنْيَا الْقَسَاوَةِ وَالْأَذَى
 مُتَهَالِكًا أَمْشِي عَلَى الرَّمْضَاءِ!

قَالُوا تَبَصَّرْ! إِنَّ حَوْلَكَ رِفْقَةً
 مِنْهَا وَحَسْبُكَ صَفْوَةُ الْأَبْنَاءِ
 وَرِثُوا مَكَارِمَ خَلْقِهَا وَسِمَاتِهَا
 إِزْنًا تُدِلُّ بِهِ عَلَى الْآبَاءِ
 يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا شُمُولَ عَوَاطِفِي
 وَوَفَاءَ وَجْدَانِي وَصِدْقَ وَلَائِي
 شَيْمٌ شَقِيتُ بِهَا، وَمَا عَفَّ الْوَرَى
 فَأَنَارَهُمْ شَمِي وَفَرَطُ إِبَائِي^(١)

(١) النعم: الأنفة.

وَبَقِيتُ أَشْخَرُ مِنْ جِرَاحِي هَازِنًا
بِفَوَاجِعِ الْأَلَامِ وَالْأَرْزَاءِ
مُسْتَلْهِمًا مَنْ لَمْ تَدْعِنِي مَرَّةً
فِي الْحَادِثَاتِ أَضِيقُ بِالْأَحْيَاءِ
فَالآنَ بَعْدَ ذَهَابِهَا وَمُصَابِهَا
لَمْ يُغْنِنِي شَمَمِي وَلَا اسْتِغْلَائِي

تَمْضِي الْحَوَادِثُ وَالسُّنُونُ وَتَنْقُضِي
أُمَمٌ عَلَى أُمَمٍ صَبَاحَ مَسَاءٍ
وَيَظِلُّ قَلْبِي هَيْكَلًا لَكَ خَالِدًا
أَبَدًا يُرْتَلُّ لَوَعَتِي وَرِثَائِي

ماءُ العَيْنَيْنِ بنُ العَتِيقِ

(١٣٠١ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٣ - ١٩٥٦ م)

ماءُ العَيْنَيْنِ بنُ مُحَمَّدٍ العَتِيقِ الحَسَنِيِّ. شاعرٌ مُوريتاني وُلِدَ شمالي غرب موريتانيا، وعاش في جنوبي المغرب «السمارة» وتوفي في مدينة مراكش.

تنقَّلَ ما بين موريتانيا والمغرب والحجاز وليبيا ومصر. عملَ بالتدريس في الجامعة اليوسفية في مدينة مراكش «المغرب»، وعمل قاضياً في مدينة طنطان «المغرب»^(١)

من قصيدة: صَفْوُ الْجَدِيدَيْنِ

صَفْوُ الْجَدِيدَيْنِ مَمْرُوجٌ بِأَكْثَادِ
وَالدَّهْرُ يُرِدِفُ إِقْبَالاً بِإِدْبَارِ
وَالْمَوْتُ عُقْبَى بَنِي الدُّنْيَا وَإِنْ رُزِقُوا
وَعُمُّرُوا أَيَّ أَرْزَاقٍ وَأَغْمَارِ
وَاللَّهُ فِي الْأَزَلِ الْأَجَالَ قَدَّرَهَا
فَلَمْ تَزَلْ أَبَدًا تَأْتِي بِأَقْدَارِ
وَالْمَرَّةُ مِنْ مَبْدَأِ الْإِنْجَادِ مُنْتَقِلُ
إِلَى الزَّوَالِ وَمِنْ طَوْرِ الْأَطْوَارِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَلَئِنَّمَا يَنْتَقِي الْمَوْتُ الْخِيَارَ وَلَمْ
يَأْسَفْ لِمَوْتِ خِيَارٍ غَيْرِ أَخْيَارٍ
وَمَا يُصِيبُ عَظِيمَ الْأَجْرِ غَيْرُ فِتْنٍ
مَهْمَا يُصَبِّ بِعَظِيمِ الرُّزْءِ صَبَّارٍ
وَخَيْرُ نَفْسٍ لِّتِلْكَ الدَّارِ ذَاهِبَةٌ
مَنْ سَعِيْهَا حَسَنٌ فِي هَذِهِ الدَّارِ
وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عَاشَتْ مُطَهَّرَةً
مَشْكُورَةً السَّعْيِ فِي جَهْرِ وَإِسْرَارٍ
مَنْ أَرْضَعَتْهَا التَّقَى أَلْبَانَهَا وَرَبَّتْ
فِي حَجَرٍ عِلْمٍ وَأَدَابٍ وَأَذْكَارٍ
بُنَتْ الْأَسَاتِذَةُ الْغَيْرَى الَّتِي سَلَفَتْ
مَا فِي الْوَرَى تَرَكُوا مِنْ حُسْنِ آثَارٍ
سَرَى لَهَا مِنْهُمْ الطَّلَبُ الْكَرِيمُ فَسَا
رَثَ تَرْتَقِي كَرَمًا فِي طَبْعِهَا السَّارِي
تِلْكَ ابْنَةُ الشَّيْخِ «حَسَّان» الَّتِي سَبَقَتْ
شَاوَ الْحَسَّانِ فَلَمْ تُلْحَقْ بِمُضْمَارٍ
مَنْ كَانَ مَرَأًى مُحْيَاةً الْحَيِّ بِهِ
تَخْلُو الْحَيَاةُ بِأَخْيَاءٍ وَأَمْصَارٍ
أَوْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ آمِي بِنَافِعَةٍ
لِمَا أَكَابِدُ أَصَالِي وَإِنْكَارِي

لِفَقْدِهَا مِنْ سَقَامٍ وَاخْتِرَاقٍ حَشَاً
وَبَرْحِ شَجْوٍ وَتَهَيَّامٍ وَتَذْكَارِ
لَا لَوْمَ فِي زَفَرَةِ الشَّجْوَى عَلَى نَفْسِي
وَلَا عَلَى مُقْلَتِي فِي الْمَذْمَعِ الْجَارِي
إِنْ أَسْطَحِ الصَّبْرَ فَالِلَهُ الْمُعِينُ وَإِنْ
أَجْزَعُ فَبِئْسَنَةٌ فِي الْبَثِّ أَغْذَارِي
لِمَا غَدَا الْيَوْمَ مِنْ مَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ
وَرِفْعَةٍ وَسَنَاءٍ تَحْتَ أَحْجَارِ
وَمِنْ خُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَعْرِفَةٍ
وِحِكْمَةٍ وَكَرَامَاتٍ وَأَنْوَارِ

عَبْدُ اللَّهِ نَوْفَل

(١٢٩٤ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٧ - ١٩٥٧ م)

عبد الله بن حبيب نوفل، شاعرٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في مدينة طرابلس الشام، وفيها توفي. عاش في لبنان.

تلقى علومه في مدارس طرابلس، وعلى يد علمائها.
كان عضواً معيناً في المجلس النيابي إبان الانتداب الفرنسي
(١٩٢٩ - ١٩٣٢).

أهدى مكتبته وما يتعلق بها - قبيل وفاته - إلى الجامعة الأمريكية في بيروت.

من مؤلفاته «تراجم علماء طرابلس وأدبائها» «المجاهد العربي الأمين - رياض الصلح»^(١)

كَرِيمَةٌ

«في رثاء زوجته»

كَرِيمَةٌ، إِنَّ رَحَلَتْ فَمَا نَسِينَا	لِيَالِي كُنْتُ بِهِجَتَهَا سِينَا
كَرِيمَةٌ، رَاشَتْ الْأَيَّامُ سَهْمًا	سَمِعْنَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ رَيْنَا
سَلِينَا كَيْفَ نُخَيِّبِ اللَّيْلَ نَحْبًا	وَكَيْفَ نُصَارِعِ الْبَلَوَى سَلِينَا
فَيَا أُمَّ الْحَبِيبِ وَلَا أَغَالِي	بِمَوْتِكَ مَاتَتِ الْأَمَالُ فِينَا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَيَا أُمَّ الْحَيِّبِ، «حَيِّبُ» أَضْحَى
وَلِمَ يَا قَلْبُ حِينَ ثَوْتُ بِلَحْدِ
أَمَا كَأَنَّكَ تُخَفِّفُ عَنْكَ وَقَرَأَ
«كَرِيمَةُ» فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ كَأَنَّكَ
تُجِيلُ الظَّرْفَ آوَنَةً وَ
وَتَبْغِي أَنْ تَفُوتَ عُقَيْبَ صَمْتِ
فَتَذِرُفُ مِنْ مَاقِيهَا دُمُوعاً
وَتَسْأَلُ خَالِقَ الْأَكْوَانِ عَوْناً
وَمَاتَتْ وَهِيَ بِاسِمَةِ الْمُحْيَا
فَمَا يَوْمُ الْحِسَابِ أَشَدُّ هَوْلًا
وَكُنْتُ أَرَى بِهَا الدُّنْيَا جَمِيعاً
فَهَلْ تَقْوَى يَدُ الْحَدَثَانِ تَمْحُو

وَحِيداً لَا رَفِيقَ وَلَا مُعِينَا
«كَرِيمَةُ» رُحْتَ بَيْنَ الْخَافِقَيْنَا؟
وَتُدْهَشُ فِي مُحْيَاهَا الْعِيُونَا؟
تَفِيضُ مَحَاسِنَا لِلنَّاطِرِينَا
تُحَدِّقُ فِي وَجْهِهِ الْعَايِدِينَا
فَيَمْنَعُهَا السَّقَامُ بَأَن تَبِينَا
وَتَبْسِمُ مَرَّةً لِلْحَاضِرِينَا
لِفَتْيَتِهَا الصُّغَارِ الْبَائِسِينَا
تُحَدِّقُ بَابِنِهَا نَظْراً حَزِينَا
وَأَكْثَرُ مِنْ نُوحِ النَّائِحِينَا
وَكَأَنَّ لِي مِنَ الدُّنْيَا مُعِينَا
هَوَى فِي الْقَلْبِ نَحْفَظُهُ سِينَا؟

مُحَمَّدُ الْخَضِرِ حُسَيْنِ

(١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٨ م)

مُحَمَّدُ الْخَضِرِ بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم إسلامي وأديب وباحث، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممَّنْ تولوا مشيخة الأزهر. وُلِدَ في «نفطة» بتونس وهو من أصول جزائرية، انتقل إلى تونس مع أبيه وتخرج بجامع الزيتونة، ودرَّسَ فيه. وأنشأ مجلة «السعادة العظمى» وولي قضاء «بنزرت» رحل إلى «دمشق» ومنها إلى «الآستانة» ثم استقرَّ في «دمشق» مدرِّساً في المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى.

ولما احتلَّ الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر. وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها وتحرير مجلتها. ثم كان من «هيئة كبار العلماء» وعُيِّنَ شيخاً للأزهر عام «١٩٥٢» واستقال «١٩٥٤» ودخل في سجالات مع أدباء ومفكري عصره كطه حسين وعلي عبد الرازق، توفي بالقاهرة. ودُفِنَ بوصية منه في تربة صديقة «أحمد تيمور باشا» له مؤلفات عديدة، منها «حياة اللغة العربية» و«الخيال في الشُّعر العربي» و«مناهج الشرف» و«الدعوة إلى الإصلاح» و«طائفة القاديانية» و«مدارك الشريعة الإسلامية» و«الحرية في الإسلام» و«نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» و«نقض كتاب في الشُّعر الجاهلي» و«خواطر الحياة» ديوان شعره، وصدرت أعماله الكاملة في ٢٧ مجلداً، عن دار النوادر دمشق - بيروت - الكويت ٢٠١٠.

وهذه المراثية كتبها في رثاء زوجته «زينب» التي توفيت في القاهرة
١٩٥٢ وكان عمره آنذاك تسعاً وسبعين سنة.

طَائِرُ الْمَوْتِ «مقطع»^(١)

أَعَاذِلْ غُضَّ الظَّرْفِ عَنْ جَفْنَيْ الْبَاكِينِ
فَخَطَبْتُ رَمَى الْأَكْبَادِ مِنِّي بِأَشْوَاكِ
وَلِي جَارَةٌ أَوْدَى بِهَا سُقْمٌ إِلَيَّ
نَوَى دُونَ مَنَامَا الْمُحِيطِ بِأَفْلَاكِ
أَيَا جَارَتَا عَهْدُ الْإِلْقَاءِ قَدْ انْقَضَى
فَصَمْتُكَ إِذْ أَدْعُوكِ آخِرُ مَلَقَاكِ
أَجَارَةُ هَذَا طَائِرُ الْمَوْتِ حَائِمٌ
لِيَذْهَبَ مِنْ زَهْرِ الْحَيَاةِ بِمَجْنَاكِ
وَكَيْفَ يَرُومُ الصَّحْبُ مِنِّي تَصَبُّرًا
وَمَرْكَبَةُ حَذْبَاءِ أُرْسَتْ بِمِيزَانِكِ
وَكُنْتُ أَلَا قِي كُلَّمَا جِئْتُ مُؤْنِسًا
فَمَالِي أَلَا قِي الْيَوْمَ صَبِيحَةٌ مَنَعَاكِ
حَنَانِيكِ هَلْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ
فَأَنْكَرْتَ دُنْيَانَا وَأَثَرْتَ أَخْرَاكِ؟
وَكُنْتُ أَعَزِّي النَّفْسَ مِنْ قَبْلُ إِنِّي
أَفُوتُ قَرِيرَ الْمُقْلَتَيْنِ بِمَحْيَاكِ

(١) ديوان «خواطر الحياة» محمد الخضر حسن ضمن موسوعة الأعمال الكاملة
المجلد ١٣ دار النوادر دمشق / بيروت / الكويت ٢٠١٠.

وَلَمْ أَذِرْ مَا طَعَمُ الْمَنُونِ قَذْفَتُهُ
مَسَاءَ لَفَظَتِ الرُّوحَ وَالْعَيْنُ تَرْعَاكِ
هَوَىٰ بِكَ بَيْنَ لَسْتُ أَرْجُو وَرَاءَهُ
زَمَانًا يَجُودُ الدَّهْرُ فِيهِ بِمَرَاكِ
فَهَيْهَاتَ أَنْ أَنْسَاكِ مَا عِشْتُ وَالْأَسَىٰ
يَمُوجُ بِقَلْبِي مَا جَرَتْ فِيهِ ذِكْرَاكِ
وَهَيْهَاتَ لَا أَنْسَىٰ مَوَاطِنَ كُنْتُ لِي
مُسْلِيَّةً لَا أَنْسَ إِلَّا بِمَغْنَاكِ
وَلَوْلَاكِ لَمْ أَقْضِ الْيَرَاعَةَ حَقَّهَا
كَأَنَّ نَسِيجَ الْفِكْرِ حَيْثُ بِئُمْنَاكِ
لَقَدْ صُنْتُ فِي الْحَالَيْنِ عَهْدًا فَلَا أَرَىٰ
لَدَىٰ عُسْرَةٍ إِلَّا انْطِلَاقَ مُحَيَّاكِ
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتَ لِي الْعَيْشَ بَعْدَمَا
سَنِمْتُ فَطِيبُ الْعَيْشِ بَعْضُ مَزَايَاكِ
وَأَنْ سَامَنِي يَوْمَ شَكَاةٍ تَدَفَّقْتُ
دُمُوعُكَ مِنْ جَفْنٍ يُخَالُ هُوَ الشَّاكِي
يُجَافِي الْكَرَىٰ عَيْنِي إِذَا مَسَّكَ الضَّنَىٰ
وَيَرْتَاحُ مَا بَيْنَ الْحَنَائَا لِمَنْجَاكِ
تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ مُوْضُوءَةً الْمُنَىٰ
فَمَا ضَرَرْنَا إِلَّا نَكُونُ كَأَمْلَاكِ

لِبَالِيكَ أَيَّامٌ بِمَنْزِلَةِ اللَّوِيِّ
وَمَظْلَعُ أَقْمَارِ السَّمَاءِ بِمَأْوَاكِ
أَجَارَةُ لَوْ شَاهَدْتَ كَيْفَ وَقَفْتُ
فِي مَزَارِكِ لَكِنْ مَا ظَفَرْتُ بِنَجْوَاكِ
إِذَا لَرَأَيْتِ الْحُزْنَ يَضْلِي بِنَارِهِ
حَشَاً وَكَأَنَّ الْحُزْنَ شَدَّ بِأَسْلَاكِ
وَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ الْكَثِيبِ كَأَنِّي
خُلِقْتُ فَرِيداً لَسْتُ أَعْرِفُ إِلَّاكِ
أَغْصُ بِشَجْوٍ كُلَّمَا مَرَّ مَوْضِعُ
حَلَلْتِ بِهِ وَالنَّفْسُ مِرَاةً سِيَمَاكِ

زَكِي الطَّوِيل

(١٣١٥ - ١٣٨١ هـ = ١٨٩٧ - ١٩٦١ م)

محمود زكي بن عبد الحميد الطويل. أديبٌ وشاعرٌ مصريٌّ، وُلِدَ في مدينة طنطا «محافظة الغربية وسط الدلتا بمصر»، وتوفي في القاهرة. عاش في مصر وإنجلترا وفرنسا وأمريكا والمملكة العربية السعودية.

تلقَّى تعليمًا نظاميًا، وواصل دراسته حتى التحق بمدرسة المهندسخانة «كلية الهندسة» وتخرج فيها «١٩٢٤» ثم ابتعث إلى جامعة ليفربول بإنجلترا، قسم العمارة.

عمل في مصر مهندساً، وتدرَّج في وظائفه حتى أصبح مديراً عاماً بمصلحة الطرق والكباري بوزارة المواصلات، فوكيلاً برئاسة مجلس الوزراء لشؤون السودان.

سافر إلى السعودية للعمل بمجال تخصصه في الهندسة. كان عضواً بحزب الوفد، وهو والد الملحن المصري «كمال الطويل» الذي قام بتلحين بعض أشعار والده، كما ورث عنه الانتماء إلى حزب الوفد بعد السماح بعودة الأحزاب السياسية في مصر في سبعينيات القرن العشرين^(١).

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

لَيْتَنِي فِزْتُ بِالْعَدَمِ
إِلَى رُوحِ الْعَزِيزَةِ زِينِ

مِنْ صَدْمَةِ الْخَطْبِ أَمْ مِنْ حِدَّةِ الْأَلَمِ
خَانَكَ عَيْنُكَ لَمْ تَدْمَعْ وَلَمْ تَنْمِ
صَنَّتْ بِدَمْعِكَ فِي يَوْمٍ فَرِغَتْ لَهُ
لَمْ تَسْتَطِعْ فِيهِ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى قَدَمِ
صَرَخْتُ وَالنَّاسُ يَقْظَى فِي فِرَاشِهِمْ
وَالسَّفْمُ يَمْلَأُ بِالْآهَاتِ كُلِّ فَمِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَمْ مِنْهُمْ عَلَى سَفَرِ
إِلَى الْخُلُودِ وَكَمْ نَاجٍ مِنَ السَّقَمِ
لَمَّا تَرَنُّنْتَ - فَاضَ السَّيْلُ مُنْدَفِعًا
مِنْ مُقْلَتِكَ، وَهَلْ فِي السَّيْلِ غَيْرُ دَمٍ؟
ظَنُّوكَ - لَمَّا نَعَى النَّاعِي - قَضَيْتَ أَسَى
يَا لَيْتَنِي فِزْتُ بَعْدَ النَّعْيِ بِالْعَدَمِ
سِبَّانَ بَعْدِكَ - يَا رُوحِي وَيَا أَمَلِي
سُكْنَى الْقُبُورِ وَسُكْنَى شَاهِقِ فِخْمِ
رَبِّاهُ رُحْمَاكَ هَلْ أَقْضِي عَلَى كِبَرِ
بَقِيَّةِ الْعُمْرِ فِي كُرْسِيِّ وَفِي سَقَمٍ؟
أَنْتَ الرَّجِيمُ وَعُذْرِي أَنْتَ تَغْرِفُهُ
فَاشْفِقْ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْ صُلْبِي وَمِنْ رَجِيمِي

رَبَّاهُ حُكْمُكَ جَارٍ لَا يُغَيِّرُهُ
طَبُّ الطَّبِيبِ وَلَا مَنْجَى لِمُغْتَصِمٍ
جَعَلْتَ لِلْعَيْشِ آجَالاً مُحَدَّدَةً
وَحِكْمَةَ الْمَوْتِ كَالْإِنْسَانِ فِي الْقَدَمِ
أَهْبْتُ بِالصَّبْرِ وَالسَّلْوَانِ أَنْ يَلْجَا
قَلْبِي فَلَمْ يَفْقَهَا قَضِيٌّ وَلَا كَلِمِي
وَهَلْ أُرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
إِلَّا حَبِيبِي مَهْمَا كَانَ مِنَ أَلَمِي
أَهْبْتُ بِالصَّبْرِ فَاسْتَعْصَى فَوَا أَسْفِي
الدَّارُ خَالِيَةٌ وَالصَّبْرُ فِي صَمٍ
أَمْ كَيْفَ يَضْبُرُ قَلْبٌ لَا حَيَاةَ بِهِ
أَمْ كَيْفَ يَقْوَى وَسْهُمْ الْمَوْتُ فِيهِ رُمِي
حَبِيبَتِي - إِي وَرَبِّي - أَنْتِ مَالِكَتِي
أَنْتِ الْحَيَاةُ وَمَا فِيهَا مِنَ النُّعْمِ
عَشْنَا سَوِيًّا فَلَمْ نَأْبَهُ بِنَازِلَةٍ
وَلَا شَعَرْنَا لَدَى الْأَحْدَاثِ بِالسَّامِ
لَمْ نَلْتَفِتْ لِوِشَاةِ الْحَيِّ حِينَ وَشَوْا
وَلَا تَفَرَّقَ عَقْدٌ غَيْرُ مُلْتَمِ
حَتَّى أَتَى الْمَوْتُ فَاسْتَعْصَى تَفَرَّقْنَا
فَذِكْرُكَ الْحَيِّ فِي قَلْبِي وَمِلءُ قَمِي

فَأَنْتِ يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا
كَالنُّورِ فِي الْعَيْنِ إِذْ تَضْحَكُ وَإِذْ تَنِمُ
يَا رَبِّ جَلَّ مُصَابِي فِي فَقِيدَتِنَا
وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي عَقْلِي وَلَا قَلَمِي
لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَقَاسِ الْهَوْلَ فِي مَرَضٍ
أَغْيَا الْأَطِبَّاءَ وَاسْتَعَصَى عَلَى الْفَهَمِ
لَخَفَّتِ النَّارُ فِي قَلْبِي وَفِي كَبِدِي
وَخَفَّتِ الدَّمَغُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حِمَمٍ
لَوْ أَنَّهَا وَدَّعْتَنِي وَهِيَ رَاحِلَةٌ
لَرَدَّدَ الْقَلْبُ مَا فِي السَّمْعِ مِنْ نَعَمٍ
لَكِنَّهَا سَكْرَاتُ الْمَوْتِ قَدْ عَقَدَتْ
لِسَانَهَا فَحَرَمْنَا مُثْعَةَ الْكَلِمِ
فَبِإِذَا بِهَا وَيَدُ الْأَقْدَارِ تَذْفَعُهَا
دَفْعًا إِلَى الْقَبْرِ لَمْ تَجْزَعْ، وَلَمْ تَلْمِ
بَلْ دَاعَبَتْ بِيَدٍ مِنْهَا مُظْهِرَةٌ
وَجْهَ الصُّغَارِ وَثَغِيرَ عَاطِرِ بَسَمِ
وَأَكْثَتْ حُبَّهَا لِي رَغَمَ شِدَّتِهَا
وَالْحُبُّ أَقْوَى مِنَ الْعِلَاتِ وَالْأَلَمِ
وَاسْتَسْلَمْتُ لِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضِيَةً
وَفِي الرِّضَا رَحْمَةً بَلْ خَيْرُ مُغْتَنِمِ

رُحْمَاكَ رَبَّاهُ لَا تَجْعَلْ فِجْيعَتَنَا
فِيهَا بِدَايَةَ عَهْدِ الْهَمِّ وَالنَّعَمِ
وَأَنْتَ يَا رَبُّ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ فَلَا
تَجْعَلْ قَضَاءَكَ فِيْنَا سَيْفَ مُنْتَقِمٍ
وَالْطُّفِ بِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
وَاذْفَعْ أَذَى كُلِّ أَفَّاكٍ وَمُتَّبِعِهِمْ

عَلِي الشَّرْقِيّ

(١٣٠٩ - ١٣٨٤ هـ = ١٨٩٢ - ١٩٦٤ م)

وُلِدَ الشيخ علي الشرقيّ في مدينة النجف في العراق عام ١٨٩٢ م، ونشأ يتيماً في أحضان أمّه التي أصبحت بعد وفاة أبيه تحت رعاية والدها الشيخ عبد علي بن محمد حسن صاحب الجواهر، وأخيها الشيخ عبد الحسين الجواهري.

درس في الكتاتيب ليتعلّم القراءة والكتابة، ثم درس اللغة العربية والعلوم الشرعية والأصول والفلسفة وهو يعيش تحت رعاية خاله، والد الشاعر محمد مهدي الجواهري، ثم انتقل إلى مدرسة علمية في النجف وتعلّم الفارسية.

واكب مسيرة المقاومة ضد الإنكليز التي قادها علماء الدين عام ١٩١٥ م، وكان إلى جانب السيد محمد سعيد الحُبوبي في معركة «الشعبية» عام ١٩١٥ م. وكان الشرقيّ في صفوف حملة الفكرة العربية في حصار النجف عام ١٩١٨ م.

عين عضواً في محكمة التمييز الشرعي في بغداد. ثم نقل قاضياً شرعياً إلى مدينة البصرة، وأصبح رئيساً لمحكمة التمييز الشرعي الجعفري في العراق، ثم عين عضواً في مجلس الأعيان في العراق عام ١٩٥٧ م.

اختير وزيراً متفرغاً في وزارة علي جودة الأيوبي عام ١٩٤٩ م، ثم تولّى العمل الوزاري في وزارات أخرى كان آخرها وزارة «أحمد بابان»

حيث قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م.
تقاعد عن الوظيفة عام ١٩٥٨ م، واتَّجَه نحو القراءة والبحث وطبع
كتبه.

توفي ظهيرة الثلاثاء الثاني عشر من شهر آب/أغسطس عام ١٩٦٤ م
ودفن في النجف.

طبع مجموعته الشعرية «عواطف وعواصف» في مطبعة المعارف
ببغداد عام ١٩٥٣ م، ونشر ضمنها رباعياته التي أسماها «الشرقيات»
وموشحاته وأشعاره.

ثم أعيد نشر ديوانه الكامل ببغداد عام ١٩٧٩ م جمعه وحققه إبراهيم
الوائلي وموسى إبراهيم الكرباسي.

ومن آثاره النثرية: «الأحلام»: و«ذكرى السعدون أو تاريخ بطل
التضحية والإخلاص» و«العرب والعراق» و«موسوعة الشيخ علي
الشرقية النثرية»

كما قام بتحقيق ديوان السيد إبراهيم الطباطبائي. ونشر كثيراً من
الأبحاث في مجلات «العرفان» و«الاعتدال» و«الهاتف» و«لغة العرب»
و«العلم» و«جرائد العراق» و«النهضة» و«البلاد» مرثيته هنا لامرأته التي
توفيت ليلة عُرْسِها، وتصور القصيدة تراجيديا من نوع خاص ونادر في
الشعر العربي.

شَمْعَةُ الْعُرْسِ^(١)

شَمْعَةُ الْعُرْسِ مَا أَجَذَّتِ النَّاسِي أَنْتِ مَوْقُودَةٌ وَيُظْفَأُ عُرْسِي؟

(١) نظمها الشاعر اثر وفاة عروسة فجأة ليلة الزفاف / ديوان: «عواطف
وعواصف» و«ديوان علي الشرقي» الجمهورية العراقية / وزارة الثقافة والفنون / =

أَنْتِ مِثْلِي مَشْبُوبَةُ الْقَلْبِ لَكِنْ مِنْ سَنَّاكِ الْمَشُؤُومِ ظُلْمَةُ نَفْسِي
يَا رَعَى اللَّهِ لِلزَّفَافِ شُمُوعاً يَتَهَافِثْنَ حَوْلَ نَفْسٍ وَرَمْسٍ
عَكَسَتْ حَظَّهَا اللَّيَالِي فَذَابَتْ خَجَلاً تُرْسِلُ الدُّمُوعُ بِهِمْسٍ
مَكْذَا ذَابَ بِاخْتِرَاقٍ فُؤَادِي هَكَذَا سَوْرَةُ الدُّمُوعِ بِرَأْسِي
جَلُودٌ أَمْ مَنَاحَةٌ لِنُجُومٍ يَتَنَاقِضُونَ بَيْنَ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
كَانَ حَدْسِي تَذْكُورُ الْأَمَانِي شُمُوعاً وَاللَّيَالِي خَيِّبَنَ ظَنِّي وَحَدْسِي
الرَّجَا كَانَ شَمْعَةً وَتَلَاشَى وَانْطَفَأَ صَارِمُ الرَّجَاءِ بِيَاسٍ
أَجْفَلْتُ دَهْشَةَ الْمَصَابِ الْغَوَائِي فَتَطَالَعَنَ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقْسِ
تَتَبَارَى بِخَشَعَةٍ وَانْصِدَاعٍ تَطَأُ الْأَرْضَ بِارْتِبَاكِ وَهَجْسٍ
كُنُجُومٌ تَكْذَّرَتْ فَتَهَاوَتْ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى حَظِيرَةِ قُدْسٍ
فُوجِئْتُ بِالْبُكَاءِ وَمُذْ جَمَدَ الدَّمْعُ تَبَاكَيْنَ بِاخْوِرَارٍ وَلَعْسٍ^(١)
أَبْدَلُوهَا عَنِ الْمَنْصَةِ نَعْشاً طَالَمَا ضَمَّ رَبٌّ عَرْشِي وَكُرْسِي
وَتَرَى نَعْشَهَا كَبَاقَةً وَرَدٍ تَتَهَادَى الْأَكْفُ فِيهَا بِخَلْسٍ
رَقَدَتْ رَقْدَةً النَّدِيمِ بَجَنْبِ الْكَاسِ فِي سَاعَةِ ارْتِيَاكِ وَأُنْسٍ

= دار الرشيد للنشر/ جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ١٩٧٩
ص ١٢٧، و«الأدب المصري في العراق العربي» القسم الأول/ المنظوم/
رفايل بطي المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ الجزء الثاني ص ١١ مع اختلاف في
بعض المفردات بين النسختين

(١) اللَّعْسُ: سَوَادُ اللَّثَّةِ وَالشَّفَّةِ، وَقِيلَ: هُوَ سَوَادٌ فِي حَمْرَةٍ يَعْلُو شَفَّةَ الْمَرْأَةِ
الْبَيْضَاءِ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

لَمَبَاءٍ فِي شَفَتَيْهَا حُرَّةٌ لَعْسٌ وَفِي اللَّثَاتِ، وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ

وَبِحُضْنِ الرَّبِيعِ أَغْفَتْ فَمَاتَتْ مِثَّةَ الْوَرْدِ فِي ذُبُولٍ وَتُبَسِ
رَفَرَتْ حَوْلَهَا الْبَلَابِلُ خُرْسًا وَبَكَاهَا نَزْعُ الْحُلِيِّ بِجَرَسِ
حُزْنٌ وَادٍ وَارَى شَبَابِكَ إِلَّا يَنْبُتَ الْوَرْدُ فِيهِ مِنْ كُلِّ جَنَسِ
أَسْفًا يُخْرِجُ الرَّبِيعُ الرِّيَاحِينَ مِنْ التُّرْبِ وَهِيَ فِي التُّرْبِ تُمَسِي
وَكَثِيرٌ فِي ذَا التُّرَابِ رِيَّاحِينَ، تَعْطَلْنَ عَنْ نَبَاتٍ وَغَرَسِ

صَالِحُ الْحَامِدِ

(١٣٢١ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٣ - ١٩٦٧ م)

صالح بن حامد العلوي، شاعرٌ يمني وُلِدَ في مدينة سيئون «حضر موت اليمن» من أمّ اندونيسية وفيها توفي عام وهو أحد رواد القصيدة الرومانسية في الشُّعر اليمني، نشر نماذج من شعره الرومانسي في مجلة «أبوللو» المصرية بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ وكذلك في مجلة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات، وهو شاعرٌ كثيرُ السفر، إذ سافر مع والده في المرة الأولى إلى سنغافورة عام ١٩٢٣، كما زار اندونيسيا موطن أمّه الأصلي.

صدرت له الدواوين الآتية: «نسمات الربيع» القاهرة ١٩٣٦، «ليالي المصيف» - القاهرة ١٩٥٠، «على شاطئ الحياة» - جدة ١٩٨٤.

اتجه إلى السياسة والعمل الحزبي، وهجر الشُّعر والأدب، وكان قد أسس حزب «الاتحاد الوطني» بسيئون عام ١٩٥٦.^(١)

تزوَّج صالح الحامد من فتاة صغيرة لم تبلغ السابعة عشرة من العمر، لكنّها رحلت بعد أقلّ من عام على زواجهما وهي يافعة في عمر الصبا، وقد رثاها بقصائد عدّة في ديوانه «ليالي المصيف» الذي أهدها

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

لها «إلى تلك الروح الطاهرة الدارجة إلى عالم الخلود أهدي ديواني
هذا»^(١)

كُلُّ الرُّؤَى صُورُكَ

من قصيدة بعنوان ربحانتي

حَبِيبَتِي سَافَرَ السُّلْوَانُ عَنْ خَلْدِي
لَمَّا نَوَيْتَ إِلَى دَارِ الْبَلَى سَفَرَكَ
وَارْحَمْنَا لِكَلِيمِ الْقَلْبِ مُرْتَبِكَ
يُذْرِي الدُّمُوعَ دِمَاءَ كُلِّمَا ذَكَرَكَ
أَضْحَى يُقَلِّبُ كَفِّهِ وَيُلْصِقُهَا
بِخَافِي قَبَرَ الْأَمَالِ إِذْ قَبَرَكَ
مُجَانِبًا كُلَّ شُغْلٍ غَيْرَ عِبْرَتِهِ
وَنَاسِيًا كُلَّ شَيْءٍ مَا عَدَا ذَكَرَكَ
مَا هَمَّ يَسْأَلُوكَ إِلَّا قُمْتَ مَائِلَةً
كَأَنَّمَا حَمَلْتَ كُلَّ الرُّؤَى صُورَكَ
فَيَا مَجَالِسَ أَنْسِي رَاقِبِي شَجَنِي
فَجَنِّبِي الْكَأْسَ عَنِّي وَاقْطِعِي وَتَرَكَ
يَا مَوْتُ أَوْقَعْتَ عِنْدِي أَيَّ فَاجِعَةٍ
مُذْ قِيلَ أَنْشَبْتَ فِي زَيْنِ الصُّبَا ظَفَرَكَ

(١) لم أضع على ديوانه «البالي المصيف» والمختارات هنا وردت في كتاب «علي
أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده» للدكتور عبد الحكيم الزبيدي/
سلسلة كتاب الرافد/ دار الثقافة والإعلام/ الشارقة ٢٠١٠.

لَا كَانَ عَيْشٌ

من قصيدة بعنوان الزهرة الداوية .

لَمْ أَنْسَ سَاعَتَكَ الرَّهِيْبَةَ حِينَمَا
حَلَّ الْقَضَاءُ وَحَالَ مِنْكَ الْمَضْرَعُ
قَالُوا: بِهَا جِنٌّ! فَقُلْتُ: تَخَرَّصُوا
إِنِّي أَخَافُ مِنَ الْحَقِيقَةِ فَادْعُوا
وَلَقَدْ دَعَوْتُكَ فَاسْتَجَبْتَ بِدَعْوَةٍ
خَرَسَاءُ أَرْسَلَهَا حَشَاكَ الْمَوْجَعُ
أَوْدَعَتْ فِيهَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْصُّبَا
وَالْحُبِّ أَبْلَغُ مَا يَقُولُ مُودَّعُ
فَاضَتْ لَهَا عَيْنِي وَخَارَ لِشَجْوِهَا
لَا كَانَ عَيْشٌ بِالْفِرَاقِ مَرَّوْعُ
وَرَغَبْتُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ لَعَلَّنَا
فِي الْخُلْدِ نَحْطِي بِالِلِقَا وَنُتَمِّعُ

كُنْتُ سَعِيدًا

من قصيدة بعنوان المنزل الحزين

لَا تُرْغِ مِنْ جَزَعِي يَا رَبِّعَ أَسْمَارِي وَأُنْسِي
غَلَبْتُ ذِكْرِي لِيَا لَيْلِكَ عَلَى عَقْلِي وَحِسِّي
كَمْ لِحُبِّي وَغَرَامِي فِيكَ عَهْدٌ غَيْرُ مَنْسِي
بِحَبِيبٍ هُوَ آمَالِي وَأَمْنِيَّةُ نَفْسِي

كَانَ بِالْأُنْسِ بِهِ عِنْدِي غِنًى عَنْ كُلِّ أُنْسِي
وَبِهِ كُنْتُ سَعِيداً نَاعِماً أَضْحِي وَأُمْسِي
لِي فِيهِ قُدْسٌ صُوفِيٌّ وَتَأْلِيهَا كُفْسٌ
فَهُوَ رَيْحَانِي وَقَيْنَارِي وَمِضْبَاحِي وَكَأْسِي
وَهُوَ، مَهْمَا أَظْلَمْتُ حَوْلِي دَجَى الْأَحْدَاثِ، شَمْسِي

عَلِي أَحْمَد بَاكْثِير

(١٣٢٨ - ١٣٨٩ هـ = ١٩١٠ - ١٩٦٩ م)

كاتب مسرحي، وروائي، وشاعر، ومترجم من اليمن. وُلِدَ في اندونيسيا لأبوين عربيين من حضرموت، حيث كان أبوه يعمل في التجارة هناك.

وفي العاشرة من عمره، عاد به والده إلى حضرموت لينشأ فيها نشأة عربية، حيث تلقى تعليمه الأولي وظهرت مواهبه الأدبية في وقت مبكر، فبدأ بنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره، ثم عَمِلَ مدرساً بعد تخرجه.

غادر حضرموت عام ١٩٣١، بعد وفاة زوجته الأولى وهي شابة، وتوجّه إلى عدن ومنها إلى الصومال والحبشة واستقرّ زمناً في الحجاز. وخلال هذه الفترة بدأ تأثره بالأفكار الإسلامية الجديدة، خاصة طروحات السيد محمد رشيد رضا في مجلة «المنار» كما كتب فيها مسرحيته الأولى: «همام في بلاد الأحقاف» التي ظهر فيها تأثره بمسرحيات شوقي.

انتقل إلى مصر ١٩٣٤، في مرحلة مثلت انعطافة مهمة في حياته الثقافية، والتحق بجامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة حالياً» حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٩، وخلال دراسته في الجامعة ترجم مسرحية «روميو وجولييت» لشكسبير بالشعر

المُرْسَل، كما كتب مسرحيته «أخناتون ونفرتيتي» بالشعر الحرّ، فكانت تجربة رائدة في هذا المجال.

سافر إلى فرنسا عام ١٩٥٤ في بعثة دراسية.

اشتغل بالتدريس خمسة عشر عاماً ثم انتقل للعمل في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر وظلّ يعمل فيها.

تزوج في مصر من سيدة مصرية، وحصل على الجنسية المصرية بموجب مرسوم ملكي في عام ١٩٥١.

كان يجيد اللغات: الإنجليزية والفرنسية والملاوية.

تنوّع إنتاجه الأدبي بين الرواية - التاريخية بشكل خاص - والمسرحية الشعرية والنثرية، ومن أشهر أعماله الروائية «وا إسلاماه» و«الناثر الأحمر» و«سلامة القسّ» أما أشهر أعماله المسرحية فهي «سرّ الحاكم بأمر الله» و«سرّ شهرزاد» التي ترجمت إلى الفرنسية و«مأساة أوديب» المستوحاة من «أدويب سوفوكليس» وقد ترجمت إلى الإنكليزية.

لم ينشر «باكثير» أي ديوان شعري في حياته لكنّه نشر قصائد مُتفرّقات في الصحف والمجلات.

ونشر له بعد وفاته ديوان «أزهار الربى في أشعار الصبا» الذي ضمّ قصائد من أشعاره التي كتبها عندما كان يعيش في حضرموت، قبل انتقاله إلى القاهرة. ونُشر ديوانه «سحر عدن وفخر اليمن» عام ٢٠٠٨م. توفي في مصر في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩، ودفن بمدافن الإمام الشافعي في مقبرة عائلة زوجته المصرية.

الْحُبُّ وَالْمَوْتُ^(١)

نَسَفَ الْيَأْسُ نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِ حَبِيبِي
كُلَّ حَيْنٍ لِذِكْرَاهُ لَظَى فِي جُنُوبِي^(٢)
نَارُهَا فِي فُؤَادِي دَائِمًا فِي شُبُوبِ
أَوْ أَوْاهُ يَا رَبَّاهُ هَبْ لِي ذُنُوبِي
أَوْ أَوْاهُ يَا رَبَّاهُ بَرِّدْ لِي يَدِي
رَبِّ فَرِّجْ هُمُومِي رَبِّ وَانْشِفْ كُرُوبِي
رَبِّ هَبْ لِي عِزًّا شَافِيًا لِلْقُلُوبِ
كَيْ يَكُونَ ضَمَادًا لِلثَّأْيِ وَالنُّدُوبِ^(٣)
رَبِّ أَنْتَ نَصِيرِي رَبِّ أَنْتَ حَسِيرِي

فَلَا بُدَّ مِنْ لُقْيَا وَإِنْ بَعْدَ السَّفَرِ^(٤)

يُذَكِّرُنِيكَ الْبَدْرُ فِي غَسَقِ الدَّجَى
وَشَمْسُ الضُّحَى تُشْجِي فُؤَادِي بِالذِّكْرِ
أَصْبَرُ عَنْكَ النَّفْسُ وَالنَّفْسُ مَا لَهَا
وَإِنْ أُعْطِيتَ مُلْكُ الدُّنَا، عَنْكَ مُضْطَبَّرُ

(١) هذه المختارات في رثاء زوجته «نور» من ديوان علي أحمد باكثير «سحر عدن وفخر اليمن» تحقيق: د محمد أبو بكر حميد / مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ٢٠٠٨م.

(٢) الْجُنُوبُ: جمع جَنْب.

(٣) الثَّأْي: الجراحات.

(٤) «سحر عدن وفخر اليمن» من قصيدة الحب والذكرى ص ٥٨.

وَلَمْ يُسَلِّنِي إِلَّا شُعُورِي بِأَنِّي
سَأَلْكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ
دَفَنْتُمْ حَبِيبَ الْقَلْبِ أَوَّاهٍ لَيْتَكُمْ
دَفَنْتُمْ «عَلِيًّا» بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخُفَرِ^(١)
لِيَهْنَكَ قَلْبٌ بَيْنَ جَنْبَيَّ ذَاكِرٌ
عُهُودَ هَوَاكِ فِي الْعِشَاءِ وَفِي الْبَكْرِ
حَبِيبَةَ قَلْبِي لَا تَخَافِي وَتَحْزَنِي
فَلَا بُدَّ مِنْ لُقْيَا وَإِنْ بَعْدَ السَّفَرِ
بِحَيْثُ يَطِيبُ الْعَيْشُ خُلْدٌ بِلا فَنَاءٍ
وَأُنْسٌ بِلا هَمٍّ وَصَفْوٌ بِلا كَدَرٍ
يُظَلِّلُنَا الرُّضْوَانُ مِنْ رَبَّنَا فَلَنْ
نَرَى سَخَطًا مِنْهُ وَذَا مُنْتَهَى الْوَطَرِ
إِلَى الْمُلتَقَى يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ وَالرُّضَا
إِلَى الْمُلتَقَى يَا رَبَّةَ الظُّهْرِ وَالْخَفَرِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَرَحْمَتُهُ مَا غَابَ نَجْمٌ وَمَا سَفَرِ

الْيَوْمَ مَائَتُهُ وَبِالْأَمْسِ الرَّفَافُ وَمِهْرَجَانُهُ
نَبَأَ تَلَقَّاهُ الْفُؤَادُ فَأَنْشَبَتْ فِيهِ سِنَانُهُ
فَمَضَى يَنْوُءُ كَمَظْعُونٍ يَنْوُءُ بِوَحْصَانُهُ

(١) عَلِيًّا: يقصد نفسه «علي أحمد باكثير»

مُتَمَيِّزٌ مِنْ حَسْرَةٍ فَيَكَادُ يَلْفُظُهُ لَبَانُهُ^(١)
أَوْ عَلَى ذَاكَ الْحَبِيبِ جَلَاءُ أَبْصَارِي عِيَانُهُ
مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمرُهُ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ لُبَانُهُ^(٢)
الْيَوْمَ مَائِثُهُ وَبِالْأَمْسِ الزَّفَافُ وَمِهْرَجَانُهُ

الْحُبُّ وَالْإِنْتِظَارُ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَنِ الْهَمِّ مَزْحَلُ
وَهَلْ عَنِ تَبَارِيحِ الْجَوَى مُتَحَوِّلُ^(٣)
أَيَغْبُرُ عَامٌ بَعْدَ آخَرٍ بِي وَلَمْ
يَزَلْ حُلُمًا ذَاكَ الْوِصَالُ الْمُؤَمَّلُ
أَأَقْضِي زَمَانِي هَكَذَا فِي تَعَلُّلِ
وَمَاذَا يُفِيدُ الْمُسْتَهَامَ التَّعَلُّلُ؟
إِذَا مَا بَدَا صُبْحُ الرَّجَاءِ لِنَاظِرِي
تَعَرَّضَ لِي لَيْلٌ مِنَ الْيَاسِ أَلِيلُ
فَوَا رَحْمَتًا لِلصَّبِّ يَخْلُو بِنَفْسِهِ
إِلَى سَرَحَةِ الْوَادِي فَيَبْكِي وَيُعُولُ^(٤)

(١) اللَّبَانُ: بالفتحة صدر الحصان.

(٢) اللَّبَانُ: بالضم الحاجة، والمراد.

(٣) مَزْحَلُ: مَبْعَدُ، ومالي عنه مزحل، أي ما لي عنه مبعَد.

(٤) السَّرَحَةُ شجرة واسعة الظلال، والسَّرَحَةُ أيضاً الفيء والظل نفسه.

تُهَيِّجُهُ الذُّكْرَى وَيَخْنُقُهُ الْبُكَاءُ
وَتَغْلُو حَشَاهُ بِالنَّشِيجِ وَتَسْفِلُ
وَمِنْ دِيلُهُ فِي كَفِّهِ لَيْسَ بَارِحاً
تُجَفِّفُهُ الْآهَاتُ وَهُوَ مُبَلَّلُ
مَرِّيَّةٌ مُعَارَةٌ (١)

حَبِيبِي مَالِي فِي رِثَائِكَ مِقُولُ
كَأَنَّ فَمِي شُكَّتْ بِرُمُحٍ لَهَا تُهْأَنُ
رِثَاؤُكَ فِي قَلْبِي يَهْدُ أَضَالِعِي
وَتَذْفَعُ فِي أَخْنَائِهَا ضَرْبَاتُهُ
وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّعْرُ وَضْفاً لِهَوْلِهِ
وَتَقْصُرُ عَنْ تَضْوِيرِهِ خَطَوَاتُهُ
عَلَى أَنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي الشَّعْرُ دُونَهُ
سَرَتْ فِي الْوَرَى مَسْرَى الضُّحَى بَيْنَاتُهُ
وَأَنْ قَرِيضاً أَنْتَ مَضْدَرٌ وَخِيهِ
لَتَسْجُدُ «عُزَّاهُ» لَهُ وَ«مُنَاتُهُ»
يَمِيلُ بِعِظْفِ الْكَوْنِ قَدْسِي لَحْنِهِ
وَتَغْذُبُ فِي سَمْعِ الدُّنَا نَعْمَاتُهُ

(١) من مسرحية «همام في بلاد الأحقاف» علي أحمد باكثير طبعة مكتبة مصر
القاهرة بدون تاريخ ص ١١٠ على لسان همام بطل المسرحية.

تَقَطَّعُ أَغْنَاقُ الْبَلَاغَةِ دُونَهُ
وَتُزْهِى بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ رُؤَاؤُهُ
تَغْصُ بِهِ حُسَادُهُ وَهُوَ سَائِغٌ
وَأَقْتَلُ مَاءٍ لِلْحُسُودِ قُرَاؤُهُ
وَلَكِنَّهُ الْخَطْبُ الَّذِي الْخَطْبُ دُونَهُ
تَلَقَّاهُ قَلْبٌ لَا تَلِيْنُ صِفَاتُهُ
وَلَوْ غَيْرُهُ أَضْحَى بِهِ بَغْضُ ثِقْلِهِ
لَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءِ نُعَاتُهُ
فَهَا هُوَ ذَا قَلْبِي كَسِيرًا مُحْطَمًا
تَفِيضُ دَمًا ثَجَّاجَةً جَنَبَاتُهُ^(١)
لِمَنْ أَظْلَبُ الْعَلِيَاءِ بَعْدَكَ؟ إِنَّمَا
حَدَّثَنِي إِلَيْهَا مِنْ سَنَّاكَ حُدَاتُهُ
وَأَيْنَ سَبِيلُ الْمَجْدِ بَعْدَكَ؟ إِنَّمَا
بُنُورُ مُحْيَاكَ انْجَلَتْ ظُلُمَاتُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَ نَفْسِي رُكُوبَهُ
وَلَوْلَاكَ مَا ذَلَّتْ لَهُ صَهَوَاتُهُ
وَلَقَنْتَهَا حُبَّ الْهُدَى وَجِهَادِهِ
وَلَوْلَاكَ مَا اجْتَبَزَتْ لَهَا عَقَبَاتُهُ

(١) الشجاعة: المنهمر.

أَتَمُضِي وَمَا جَفْتُ رِيَّاحِينَ عُرْسِنَا
وَمَا بَرَحْتُ بِسَامَةً زَهْرَانَهُ؟
أَتَمُضِي وَلَمَّا يَشْفِ قَلْبِي أَوَامَهُ
وَمَا شَقَّقْتُ أَكْمَامَهَا صَبَوَانَهُ
سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ
وَعَيْثُ رَضَى مَا تَنْتَهِي قَطْرَانَهُ
لَئِنْ كَانَ أَنْسِي فِي الْحَيَاةِ لِقَاؤُهُ
فَأَنْسِي وَهَمِّي بَعْدَهُ ذِكْرِيَّانَهُ
كَأَنِّي بِالشَّعْرِ الْجَمِيلِ عَلَى فَمِي
تَرِفٌ بِهِ فِي نَشْوَةِ قُبْلَانَهُ
كَأَنِّي بِالْفَرْعِ الْجَمِيلِ بِمَنْكِبِي
تُدَاعِبُنِي فِي عُرْفِهَا خُصْلَانَهُ
كَأَنِّي بِيُمْنَاهُ تَجُولُ بِمَفْرِقِي
فَتَلْتُمُهَا فِي نَشْوَةِ شَعْرَانَهُ
لَئِنْ حَالَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَقُدِّرَ لِلشَّمْلِ الْجَمِيعِ شَتَانَهُ
فَفِي جَنَّةِ الْمَأْوَى غَدًا سَوْفَ نَلْتَقِي
بِفَضْلِ كَرِيمٍ لَا تُحَدُّ هَبَانَهُ
وَلَا عَزَاءَ الْقَلْبِ إِيمَانُهُ بِهِ
وَقَدْ فَارَقْتُهُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتَهُ

عَزِيزُ أَبَاظَةَ

(١٣١٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٣ م)

وُلِدَ عزيز أباطة في «منيا القمح» في محافظة الشرقية. شاعر مصري يُعَدُّ رائداً للحركة المسرحية الشعرية إلى جانب أحمد شوقي، درس القانون وتخرج من كلية الحقوق بالقاهرة عام ١٩٢٣، ثم التحق بالحكومة وشغل عدة مناصب فيها فعمل مساعداً للنياحة فوكيلاً للنياحة في مديرية الغربية.

فاز بعضوية مجلس النواب عام ١٩٢٩، ثم عاد بعدها ليتولَّى عدَّة مناصب إدارية منها وكيلاً لمديرية البحيرة، ومديراً للقلبيوية ثم مديراً للفيوم ثم مديراً للبحيرة، ثم عُيِّن محافظاً لبورسعيد وحاكماً عسكرياً عام ١٩٤٢، ومنها مديراً لأسبوط.

نال رتبة «الباشوية» أثناء خدمته في أسبوط، ثم عُيِّن عُضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٤٧.

أُختير عُضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٥٩ ورئيساً للجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كما عُيِّن عُضواً بالمجمع العلمي العراقي. نشر ديوان «أناث حائرة» عام ١٩٤٣ في رثاء زوجته «زينب أباطة» وهي ابنة عمِّه وكان قد تزوَّجها بعد قصَّة حبٍّ بدأت منذ الطفولة «كان حباً بريئاً نَبَتَ في قلوبهما وهما يلعبان معاً في حديقة منزل أبيها عند شجرة الياسمين التي شهدت على هذا الحبِّ الذي كبر معهما ثم توجَّه زواجٌ كان من أسعد الزيجات. رزقا

بفردوس، ثم عفاف، ثم أخي محمد. كانت حياتنا في ذلك الوقت عبارة عن حبٍّ وفنٍّ وشعر. . كانت أمي مثلاً للحنان والعطف والعطاء. رعت أولادها بحبٍّ غامرٍ وبحزمٍ رحيمٍ وأغدقت عليهم مشاعرهما وأعطتهم من صحتها ووقتها ما لا يخطر على بال. . كان قلبها يتسع للناس جميعاً تستمع إلى شكواهم وتهبُّ إلى مساعدتهم وتبذل ما في وسعها لإسعادهم.

كان أبي إلى جانب حبه المتدفق لها يقدرها ويحترمها ويستأنس برأيها. ولما فقدَها وفقدَ معها حُبَّه الكبير لجأ إلى الشَّعر كمتنفِّس لما يلاقيه من شجنٍ وما يكابده من حزنٍ^(١).

نشر أباطة عشر مسرحيات شعرية هي:

«قيس ولبنى» و«العباسة» و«الناصر» و«شجرة الدر» و«غروب الأندلس» و«شهریار» و«أوراق الخريف» و«قيصر» و«زهرة» وهي آخر مسرحياته.

حصل عزيز أباطة على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام

١٩٦٥.

توفي في ١٠ تموز / يوليو ١٩٧٣.

عهد؟^(٢)

تَرَكْتُ دُنَا الْآلَامِ وَالشَّرِّ فَأَنْعَمِي
وَفُزْتُ بِقُرْبِ اللَّهِ نَاهِيكَ عَنْ قُرْبِ

(١) عفاف أباطة «زوجة أبي امرأة من الزمن الجميل» دار المعارف القاهرة ٢٠٠٥.

(٢) ديوان «أنات حائرة» عزيز أباطة تقديم الدكتور طه حسين الطبعة الأولى دار المعارف ١٩٤٣ ص ١٧.

وَأُقْسِمُ قَدْ أَدَّيْتُ الْفَضْلَ حَقَّهُ
وَلِلْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ وَالزَّوْجِ وَالرَّبِّ
سَأَلَقَاكَ لَمْ يُشْغَلْ فَرَاغٌ تَرَكَتِهِ
بَيْتِي وَلَمْ يَمْلَأْ مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي

الزَّيَّارَةُ الْأُولَى (١)

إِنْ بَعْدَ الْأَحْبَابِ أَغْرَضْتَ عَنْهُمْ
كَمَا أَغْرَضُوا، أَمْ زَائِرٌ فَمُسَلِّمٌ؟
دَعَانِي لَهَا الشُّوقُ الدَّخِيلُ وَهَزْنِي
إِلَى الْمَضْجَعِ الْأَسْنَى حَنِينٌ مُكْتَمٌ
أَفْضْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا جِثْتُ شَفَّنِي
تَهَيُّبٌ، أَوَّاهٌ، يَهُمُّ وَيُحْجِمُ
فَلَا أَنَا أُسْطِيعُ الْقُفُولَ فَأَنْشِينِي
وَلَا أَنَا أُسْطِيعُ الْمُثُولَ فَأَقْدِمُ
وَلَمَّا كَفَفْتُ الدَّمَاعَ إِلَّا أَقْلَهُ
وَنَهْنَهْتُ فِي جَنْبِي نَارًا تُضَرِّمُ
دَخَلْتُ عَلَيْهَا فِي وَضُوئِي وَرَوْعَتِي
كَمَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ الْمُحَرَّمُ مُحَرِّمُ

(١) «أَنَاتُ حَائِرَةٌ» ص ٢٨.

فَوَاللَّهِ مَا آتَيْتُ إِلَّا تَأَلُّفًا
 وَلَا اسْتَفْتُ إِلَّا ذَاكِبًا يُتَنَسَّمُ^(١)
 وَقَفْتُ، يَقْصُ الدَّهْرُ تَارِيخَ غَابِرٍ
 مِنَ الْعُمَرِ، وَالْعُمَرُ ابْتِسَامٌ وَأَنْعَمُ
 تَمُرُّ لِيَالِي الذُّكْرِيَّاتِ كَرِيمَةٍ
 كَمَا مَرَّ بِالْمَمَطُورِ طَيْفٌ مُسَلَّمُ
 تَمَثَّلَتْهَا مَنْضُورَةُ الْحُسْنِ طِفْلَةٌ
 يُضِيءُ الدُّجَى مِنْهَا جَبِينٌ وَمَبَسَمُ
 وَطَاوِيَّةٌ عَهْدَ الدَّرَاسَةِ كَاعِبًا
 تَرُوعُكَ فِيهَا نُضْرَةٌ تُتَوَسَّمُ
 وَمَجْلُورَةٌ لِلْعُرْسِ وَضَاءَةٌ السَّنَا
 تَأَوَّدُ فِي وَشْيِ الشَّبَابِ وَتَنْعَمُ
 وَجَامِعَةٌ فِي بَيْتِهَا شَمْلَ بَيْتِهَا
 تَوَسَّطَهُمْ كَالْبَذْرِ حَقْنُهُ أَنْجُمُ
 فَمَحْمُولَةٌ مِنْهُ إِلَى سَاحِ مُنْعَمٍ
 يُثِيبُ وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَيَرْحَمُ
 وَقَفْتُ أَنْادِيَهَا وَأَهْتَفُ بِاسْمِهَا
 وَالْحِفْتُ، حَتَّى أَوْشَكْتُ تَتَكَلَّمُ

(١) استفتت: شعثت، وذاكبا ساطع النور.

وَقُلْتَ لَهَا: «يَا زَيْنُ» مَا مِنْ فَجِيعَةٍ
تَعَظِمُنِي إِلَّا وَفَقْدُكَ أَغْظَمُ
فَأَنْتِ لِعَيْنِي مُذْ تَرَأَيْتُكَ قُرَّةً
وَأَنْتِ لِنَفْسِي مُذْ تَمَلَّيْتُكَ تَوَامُ
وَحَبَّبَ فِيكَ النَّفْسَ عَلِيًّا خَلَائِقِي
إِذَا لَمْ تَحْبِبْهَا الْوَشَائِجُ وَالْدَّمُ
سَأَكْرِمُ أَكْبَادًا تَرَكْتِ فَإِنْ أُمْتُ
فَإِنَّ إِلَهَ النَّاسِ بِالنَّاسِ أَكْرَمُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ «يَا أُمَّ وَأَثِقِي»
وَوَالَاكِ مِنْ جَذْوَاهُ هَتَّانُ يَشْجُمُ^(١)
سَيِّبِكِيكَ، لَا يَفْنَى دُمُوعًا وَلَا دَمًا
مَدَى الْعُمُرِ، مَكْلُومُ الْجَوَارِحِ أَيُّمُ^(٢)
قَدْ ذُقْتُ بِغَدَاكِ يَتَمَّأُ^(٣)
أَقُولُ وَالْقَلْبُ فِي أَضْلَاعِهِ شَرَقٌ
بِالدَّمْعِ: لَا عُذَّتْ لِي يَا يَوْمَ مِيلَادِي
نَزَلَتْ بِي وَدَخِيلُ الْحُزْنِ يَنْصِفُ بِي
وَفَادِحُ الْبَثِّ مَا يَنْفَكُ مُعْتَادِي

(١) يَشْجُمُ: يَهْطِلُ.

(٢) الْأَيُّمُ: الْأَرْمَلُ، مَنْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ.

(٣) «أَنَا حَاتِرَةٌ» قَصِيدَةُ «يَوْمَ مِيلَادِي» ص ١٨.

وَكُنْتُ تَحْمِلُ لِي وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
أُنْسًا يَفِيضُ عَلَى زَوْجِي وَأَوْلَادِي
فَانْظُرْ تَرِ الدَّارَ قَدْ هِنَضَتْ جَوَانِبُهَا
وَانْظُرْ تَجِدْ أَهْلَهَا أَشْبَاحَ أَجْسَادِ
فَقَدْتُهَا خَلَّةً لِلنَّفْسِ كَافِيَةً
تَكَادُ تُغْنِي غِنَاءَ الْمَاءِ وَالزَّادِ^(١)
وَمَوْئِلًا أَجْدُ الْأَمْنِ الْكَرِيمَ بِهِ
إِذَا تَعَاوَرَنِي بِالْبَغْيِ حُسَايِ
تَحْنُو عَلَيَّ وَتَرْعَانِي وَتَبْسِطُ لِي
فِي غَمْرَةِ الرَّأْيِ رَأْيَ النَّاصِحِ الْهَادِي
مَا لَ الزَّمَانُ بِنَا لَمَّا أُحِيطَ بِهَا
فِي سَاعَةٍ لَا غِنَى يُغْنِي وَلَا فَادِي
وَكُلُّ عُمْرٍ فَمَضْرُوفٌ إِلَى أَجَلٍ
وَكُلُّ أُنْسٍ فَمَرْدُودٌ لِمِيعَادِ
وَكُلُّ مَنْ حَمَلَتْهُ الْأَرْضُ بِالِغَةِ
بِهِ مَنَاوِي أَبَاءٍ وَأَجْدَادِي
وَنَحْ ابْنِ حَوَاءَ وَالْدُّنْيَا تُسَاوِرُهُ
بِالشَّرِّ مِنْ طَامِعٍ بِالعُمْرِ مُزْدَادِ

(١) خَلَّةٌ: حاجة.

أَمَا دَرَى وَهَوَّ هَاوٍ فِي مَبَاذِلِهِ
وَسَادِرٌ فِي هَوَاهُ أَنَّهُ رَادٍ؟
مَا فُسْحَةُ الْعَيْشِ إِلَّا لَمَحَّةٌ عَرَضَتْ
ثُمَّ انْطَوَتْ بَيْنَ أَمَادٍ وَأَبَادٍ
يَا أُخْتَ ذِي الرُّوْنَقِ الْمَوْشِيِّ مِنْ عُمْرِي
وَعِذْلَ نَفْسِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَوْلَادِي
قَدْ ذُقْتُ بِعَدْلِكَ يُتَمَّ حَزٌّ فِي كِبْدِي
وَذَاقَهُ فِي رَبِيعِ الْعُمْرِ أَكْبَادِي
كُنَّا عَلَى أَيْكَةِ الدُّنْيَا وَرَفَرَفَهَا
نَخْتَالُ فِي نَشْوَةٍ مِنْهَا وَإِسْعَادٍ
وَالدَّارُ حَالِيَّةٌ تَزْهُو بِرَبَّتِهَا
كَمَا ازْدَهَى بِالنَّمِيرِ السَّلْسَلُ الْوَادِي
تَضُمُّنَا بِجَنَاحِي رَحْمَةً وَهُدًى
كَالطَّيْرِ تَخْشَى عَلَى أَفْرَاحِهَا الْعَادِي
مَنْ تَرَاءَتْ فَلَمَّا نِلْتُهَا انْقَشَعَتْ
وَحَلَفْتَنِي لِبَرْحٍ رَائِحٍ غَادِي

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى عِيْدًا فَمُذْ ذَهَبَتْ
أَضْبَحْتُ أَشْقَى بِأَيَّامِي وَأَعْيَادِي
كَأَنَّ مَا غَاضَ مِنْ نِعْمَاتِنَا نَعْمٌ
مَا كَادَ يَفْرُغُ مِنْ تَجْوِيدِهَا الشَّادِي

لَوْ قَدْ عَلِمْتَ بِمَا نَبَّهْتَ مِنْ شَجَنِ
لَجِثْتَ تَبْكِي دَمًا يَا يَوْمَ مِيلَادِي

٣ اغسطس سنة ١٩٤٢

ذِكْرِيَّاتُ (١)

يَذْكَرُنِيكَ كُلُّ جَلِيلٍ أَمِيرٍ	وَكُلُّ يَسِيرِهِ فَتَذُوبُ نَفْسِي
إِذَا سَكَبَ الصَّبَاحُ فَأَنْتِ هَمِّي	وَإِنْ وَقَبَ الْمَسَاءِ فَأَنْتِ أَنْسِي (٢)
جَمَعْتِ عَلَى الْهَوَى طَرْفِي نَهَارِي	كَأَنِّي لَمْ أَرَعْ بَنَوَاكِ أَمْسِي
رَعَاكِ اللَّهُ مَا فَارَقْتِ رُوحِي	وَإِنْ فَارَقْتِ بَعْضَ الْوَقْتِ حِسِّي
أَرَاكِ كَمَا رَأَيْتُكَ حِينَ كُنَّا	عَلَى حَرَمِ الصَّبَا نُضْجِي وَنُثْمِسِي
نَذُوقَ رَحِيقِهِ طِفْلَيْنِ شَبًّا	عَلَى وَدٍّ وَخَالِصَةٍ وَقُدْسٍ
هُنَاكَ عَلَى مَلَاعِبَ ضَاحِكَاتٍ	وَسَامٍ لَمْ يُرْعَنْ بِيَوْمٍ وَكُسٍ (٣)
بِشَطَطِي عَنَبَرِي الْمَاءِ يَخْنُو	عَلَى وَادِيهِ فِي حَذْبٍ وَهَمْسٍ
جَرَى بَيْنَ الْحُقُولِ رَسُولَ رَفِيهِ	وَمَسَّ زُرُوعَهُنَّ أَبْرَ مَسٍّ
يُبَاكِزُ أَيْنَ سَالَ وَحَيْثُ أَفْضَى	بِمَوْشِي النَّضَارَةِ كُلِّ غَرْسٍ
ذَكَرْتُ الْقَضَرَ ذَا الْأَبْهَاءِ تَغْلُو	قَوَاعِدُهُ عَلَى كَرَمٍ وَتُرْسِي
يَرْفُ رَفَاغَةً وَسَنَى وَيَشْرَأُ	كَمَا رَفَّتْ عَرُوسٌ يَوْمَ عُرْسٍ (٤)

(١) «أناث حائرة» ص ٤٢ والقصيدة مكونة من سبعة مقاطع هنا ثلاثة منها.

(٢) وَقَبٌ: دخل.

(٣) الْوَكُسُ: المكروه.

(٤) الرفاغة: الرغد وسعة العيش والخصب.

وَيَمْرَحُ أَهْلُهُ فِي ظِلِّ سَرِيرٍ
فَمَا زَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي
فَعَالُوا كَالْتُّجُومِ الزُّهْرِ خَمْسًا
حَمَلْتُ مَصِيرَهُمْ فَضْنَيْتِ حُزْنَآ
رَأَيْتُ «الرُّبْعَمَايَةَ» وَهِيَ تَبْكِي
فَلَمْ أَرَهَا كَيَوْمِكَ قَدْ دَهَاهَا
وَشَمَلِ غَيْرِ مُنْشَعِبٍ وَأَنْسِ
بِمَكْرُوفِهِ مِنَ الْأَقْدَارِ نَحْسِ
وَمَا كَانُوا وَحَقِّكَ غَيْرَ خَمْسِ^(١)
فَرُحْتَ شَهِيدَةً تَقْدِيكَ نَفْسِي
مَصَارِعَ خُرْدٍ مِنْهَا وَشُمْسِ^(٢)
أَسَى صَدَعَ النُّفُوسَ عَنِ النَّاسِ

٢

تُذَكِّرُنِيكَ أَشْيَاءَ أَرَاهَا
إِذَا قُمْنَا لِمَائِدَةِ مَسَاءٍ
يُطَالِعُنَا مَكَانُكَ وَهُوَ خَالٍ
نُحِيطُ بِهِ قَنُوسُهُ حَنِينًا
نَرَى بِصَحَافِكَ الْجَدَّ الْعِثَارَا
وَمَا يَفْرِي قُوَادَ أَبٍ حَزِينٍ
نَأَتْ كَالشَّمْسِ أُمُّهُمْ فَأَمْسُوا
وَكَانُوا فِي قَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا
تُذَكِّرُنِيكَ وَغَكَّتُهُمْ فَأَمْسِي
فَيَنْشَطِرُ الْفُوَادُ لَهَا إِنْشِطَارَا
وَأِنْ قُمْنَا لِمَائِدَةِ صَبَاحَا
فَتَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ لَهُ ابْتِدَارَا
وَتَقْدِيسًا لِذِكْرِكَ وَإِدْكَارَا
وَفِي كُرْسِيِّكَ الْأَمَلَ الْقِفَارَا^(٣)
كَأَطْفَالٍ لَهُ نُكِبُوا صِغَارَا^(٤)
وَأِنْ كُنْتُ الْحَفِيَّ بِهِمْ حَيَارَى
فَأُضْحُوا أَدْمَعَا فِيهَا غِزَارَا
أَعَانِي لَوْعَةً وَأَذُوقُ نَارَا

(١) يشير إلى إخوة زوجته الخمسة.

(٢) الربعماية: قرية الشاعر في محافظة الشرقية بمصر، وشمس جمع شمس.

(٣) الصحف: الصحن والوانى.

(٤) يفرى: يتحير ويدهش.

أَذُوبٌ عَلَى فِرَاشِهِمُ اللَّيَالِي وَأَطْوِيهَا طَوَالاً أَوْ قِصَاراً
وَلَوْ أَسَكَنْتُهُمْ حَبَّاتِ قَلْبِي
فَلَا يُغْنِيهِمْ «يَا زَيْنُ» عَظِيمِي
حُنُوءُ الْأُمّهَاتِ حُنُوءُ طَبْعِ
وَتَضَحِيَّةٌ فَكَيْفَ إِذَنْ يُجَارَى؟

٣

تَذَكَّرُنِيكَ أَخْدَاثُ اللَّيَالِي
إِذَا نَزَلْتَ أَشَارَ إِلَيْكَ قَلْبِي
فَدَيْتُكَ مَنْ أَطَالِعُهُ بِهَمِّي؟
وَمَنْ أَقْضِي لَهُ بِحَدِيثِ نَفْسِي
وَمَنْ فِي أُذُنِهِ يَا «زَيْنُ» هَمْسِي
فَقَدْتُكَ زَوْجَةً وَأَخَا وَأُخْتًا
وَنَاصِحَةً تَزُفُّ الرَّأْيَ فَضلاً
وَحَافِزَةً لِكُلِّ عَظِيمِ أَمْرٍ
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ بِقَلِيلِ نَقْصِي
عَرَضْتُ لَهُ بِتَهْذِيبٍ وَتَبِيدٍ
وَكُنْتُ إِذَا جَهِلْتُ بِذَلَّتِ حِلْمًا
وَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ وَضَاقَ صَدْرِي
سَتَفَنَى ذِكْرِيَاثُ الْخَلْقِ عِنْدِي
فَإِنَّكَ كُنْتَ لِي مِنْهَا مَجْنًا
وَأَجْهَشَ فِي أَضَالِعِهِ وَحْنًا
وَمَنْ أَشْكُو لَهُ بَشًّا وَحُزْنًا؟
وَنَجْوَاهَا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
إِذَا عَمَّ جَفَاً وَأَخَّ تَجَنُّي؟
وَأُمًّا بَرَّةً وَأَبًا وَخِذْنًا
إِذَا مَا أَوَّجُهُ الرَّأْيُ اضْطَرَعْنَا
وَهَادِيَةً خُطَايَ إِذَا ضَلَلْنَا
سَوَاءً مَا اسْتَبَانَ وَمَا اسْتَجَنَّا^(١)
وَمَنْ يَهْمُ بِإِضْلَاحِ تَائِنٍ
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُعْتَذِرًا مُعْنَى
سَكَبْتُ عَلَيْهِ أَنْسَكِ فَاظْمَأْنَا
وَذَكَّرَكَ فِي الْجَوَانِحِ لَيْسَ بَقْنَى

(١) استجن: تخفى.

لَيْلَةٌ وَ.. لَيْلَةٌ^(١)

يَا لَيْلَةَ جَمَعْتُنَا بَعْدَ طُولِ نَوَى
ذِكْرَاكِ مَا جِثَ لَنَا الْأَشْجَانُ أَلْوَانَا
ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ عُرْسٍ جَلَوَتْ بِهِ
عَلَيَّ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
بَيْضَاءُ هَيْفَاءُ تَحْكِي الصُّبْحَ مُؤْتَلِفًا
وَالرَّوْضَ مُتَسِقًا، وَالْبَانَ رِيَانَا
بِشْنَا تُضِيءُ ظِلَامَ اللَّيْلِ بِسَمْتُنَا
وَتَسْتَشِيرُ شُجُونَ اللَّيْلِ نَجْوَانَا
قَالَتْ وَقُلْتُ، فَلَمْ تَفْرَغْ مَقَالَتُنَا
إِلَى الصَّبَاحِ، وَلَمْ تَهْدَأْ شَكَاوَانَا
وَحَوْلَنَا اللَّيْلُ يَطْوِي فِي غَلَائِلِهِ
وَتَحْتَ أَغْطَافِهِ نَشْوَى وَنَشْوَانَا
فَمَا رَأَى قَبْلَنَا إِلْفَيْنِ قَدْ فَنِيَا
وَجَدَا، وَذَابَا تَبَارِيحًا وَتَحْنَانَا
نَكَادَ مِنْ بَهْجَةِ اللَّقْيَا وَرَوْعَتِهَا
نَرَى الدُّنَا أَيْكَةً، وَالذُّهْرَ بُسْتَانَا
وَنَحْسَبُ الْكَوْنَ عُشْرَ اثْنَيْنِ يَجْمَعُنَا
وَالْمَاءَ صَهْبَاءَ، وَالْأَنْسَامَ أَلْحَانَا

(١) «أَنَات حائرة» ص ١٠٠.

وَالْعُمْرَ وَضَلًّا، وَأَمَالًا مُذَلَّلَةً
وَالْغَيْبَ مُؤْتَلِقَ الْآفَاقِ مُزْدَانًا
لَمْ نَعْتَنِقْ وَذَهْوُلُ الْعُرْسِ يَغْمُرُنَا
وَكَمْ تَعَانَقَ رُوحَانَا وَقَلْبَانَا
ثُمَّ انْتَنَيْنَا وَمَا زَالَ الْغَلِيلُ لَظَى
وَالْوَجْدُ مُحْتَدِمًا، وَالشُّوقُ ظَلَمَانَا

* * *

يَا لَيْلَةَ شَبَّتِ الذُّكْرَى بِعَوْدَتِهَا
فِي دَوْرَةِ الْعَامِ، مَاذَا هِجَّتْ لِي الْآثَا؟
قَدْ كُنْتُ فِي مَا مَضَى أَنْسًا نَطِيبُ بِهِ
نَفْسًا، فَأَمْسَيْتِ أَوْصَابًا وَأَشْجَانَا
أَضْنَيْتِ أَسْوَانَ مَا تَرْقَى مَدَامِعُهُ
وَهِجَّتِ فَوْقَ حَشَايَا الشَّهْدِ حَيْرَانًا^(١)
يَبِيتُ يُودِعُ سَمْعَ اللَّيْلِ عَاطِفَةً
ضَاقَ النَّهَارُ بِهَا سِثْرًا وَكِثْمَانَا
وَيُرْسِلُ الشَّجْوَ فِي سِرِّ الدُّجَى حُرْقًا
لَوْ الدُّجَى قَدْ مِنْ صَخْرٍ إِذَا لَأْنَا
وَأَذْمَعًا مِنْ حَنَائِيَا الْقَلْبِ سَاكِبَةً
قَدْ يَذْمَعُ الْقَلْبُ دُونَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

(١) أسوان: حزين، وحشاها جمع حشية وهي الفراش الوسادة.

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ يَاسَا مَا أُطِيقَ لَهُ
حَمْلًا وَبَيْتًا وَأَخْرَانًا وَحِرْمَانًا
وَأَنَّهُ عَزَّ فِي عَلِيَا مَشَارِفِهِ
حِينَ ابْتَلَى لَمْ يَهَبْ صَبْرًا وَإِذْعَانًا
أَشْكُو إِلَيْهِ وَفَاءً قَرَّ فِي كَبِدِي
وَحَالَطَ الدَّمَ شِرْيَانًا فَشِرْيَانًا
فَإِنْ جَنَحْتُ إِلَى السُّلُوفِ أَوْسَعَنِي
عَثْبًا وَضَمَّ إِلَى النَّيْرَانِ نِيرَانًا
يَا مَنْ تَعَاهَدْنَا وَدًّا وَخَالِصَةً
وَزَادَنَا بَعْدَ إِثَارًا وَإِحْسَانًا
وَمَنْ تَوَافَتْ لَنَا الدُّنْيَا بِنُضْرَتِهَا
فِي ظِلِّهِ فَإِذَا الْفِرْدَوْسُ دُنْيَانَا
وَمَنْ سَعِدْنَا عَلَى مَوْشِي رَفْرَفِهِ
بِالْعَيْشِ طَلَقًا وَبِالْإِقْبَالِ فِينَانَا^(١)
الْمُؤَيِّقُ الْخَضِصُ الْجَذْلَانُ مَلْعَبُنَا
وَالضَّاحِكُ الْمُشْرِقُ الْمَانُوسُ مَغْدَانَا
أَتَابَكَ اللَّهُ مِنْ مُنْهَلٍ رَحْمَتِهِ
عَنَّا وَجَازَاكَ غُفْرَانًا وَرِضْوَانًا
ظَلَمْتُ وَدِّي مَا أَنْصَفْتُ بِرُكِّ بِي
لَوْ قَدْ وَقَفْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرُ شُكْرَانًا

(١) الرِّفْلَةُ: البَسَاط والمَجْلِس.

فَلَمْ أَبْتَ مِنْكَ مَطْوِيًّا عَلَى غَضَبٍ
وَلَمْ أَبْتَ قَلِقَ الْجَنْبَيْنِ غَيْرَانَا
وَلَا تَمَنِّيْتُ إِلَّا أَنْ تُسَاءِلَنِي
فِيكَ الدُّنَا يَا أَحَبَّ النَّاسِ إِنْسَانَا
قَدْ كُنْتُ حَسْبِي مِنْهَا لَوْ سَلَمْتُ لَنَا
وَزَالَتْ الْأَرْضُ بُلْدَانَا وَقُطَّانَا

المشهد الأخير^(١)

دَفَعْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَأَلْقَتْ رَأْسَهَا عِنْدَ مَوْجِعِ ذِي خُفُوقٍ
ثُمَّ قَالَتْ فِي أَنَّةٍ وَأَنَاةٍ: أَزِفَتْ سَاعَةُ الْفِرَاقِ السَّحِيقِ
لَا تَرَعْ وَاحْمِلِ الْفَجِيعَةَ جَلْدًا لَسْتُ لِلضَّعْفِ دُونَهَا بِخَلِيقِ
وَأَشَارَتْ لِطِفْلَةٍ تَشْهَدُ الْهَوْلَ بِقَلْبٍ دَامٍ وَجَفْنٍ غَرِيقِ
قَالَتْ إِرْعَ الْأَوْلَادَ وَابْقِ كَمَا كُنْتُ مِثَالِ الْأَبِ الْمُحِبِّ الرَّفِيقِ
وَمَضَتْ تَنْزِعُ الْحَيَاةَ وَتُلْقِي فِي زَفِيرِ أَغْبَاءِهَا وَشَهيقِ
فِي سَنَا لَامِحٍ وَعَرْفِ ذِكِّي وَابْتِسَامِ عَذْبٍ وَوَجْهِ طَلِيقِ
لَوْ تَرَاهَا تَقُولُ: قَدْ مَسَّهَا الْبَهْرُ فَأَوْتُ إِلَى سُبَاتٍ عَمِيقِ
وَوَقَفْنَا مُرَوِّعَيْنِ نُجِيلِ الطَّرْفِ بَيْنَ التَّكْذِيبِ وَالتَّضْذِيقِ
ثُمَّ عُدْنَا لِلْحَقِّ عَائِنَيْنِ صَرَعَيْنِ مِنْ مُفِيقِ يَهْدِي وَغَيْرِ مُفِيقِ

(١) «أناث حائرة» مقطع من قصيدة «وحي الغروب» ص ٣٩.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ صِدْقِي

(١٣١٤ - ١٣٩٢ هـ = ١٨٩٦ - ١٩٧٣ م)

وُلِدَ عبد الرحمن صدقي في المنصورة «شمالى مصر» وانتقل مع أبيه إلى القاهرة طفلاً وتعلَّم في مدارسها، وعاش وتوفي بها. عمل في وزارة المعارف مشرفاً على دار الأوبرا، وعُيِّن وكيلاً فمديراً لها، مدَّةَ عشرين سنة. وكان من أعضاء مجلس الفنون مما أتاح له السفر في بعثات فنية إلى بلاد كثيرة.

ينتمي عبد الرحمن صدقي إلى جيل الرِّعيل الأول الذي غدَّى نفسه بالثقافة الرفيعة وتفاعل معها بمجهوده الشخصي بعيداً عن الأجواء الأكاديمية، فشقَّ طريقه بنفسه حتى وصل إلى مراتب مرموقة في عالم الأدب أمثال: عباس محمود العقاد وإسماعيل مظهر وسلامة موسى وغيرهم ممَّن عاصروهم.

تأثر، في بداياته، بالقصائد والمقطوعات الشعرية في كتاب ألف ليلة وليلة، كما تأثر بابن الرومي والمتنبي، ونصححه المازني بقراءة الشريف الرضي، ومختارات من الشُّعر العربي الذي جمع فيه البارودي مختارات من الشُّعر العربي ضمن أغراضه المعروفة.

لم يكن صدقي قد أصدر ديواناً شعرياً، حتى اختطف الموت زوجته و«شريكة درسه» كما كان يسميها «ماري كانيلا» وهي ايطالية الجنسية مصرية المولد ولديها ثقافة جيدة وتجيد اللغات الفرنسية والانكليزية والاطالية وشيئاً من العربية وكانت تساعد زوجها في أبحاثه ودراساته

التي كان يحتاج فيها إلى اللغة الأخرى، يُقرُّ صدقي بأن فجيعة تلك
بموت زوجته «ماري» وكان قد تجاوز سنَّ الأربعين، قد فجَّرت شاعريته
ليكتبَ في رثائها ديواناً كاملاً، أسماه «من وحي المرأة»
وقد تصدرت الديوان بطبعته الأولى عن دار المعارف صورة
شخصية لزوجته وتحتها كتب بيتين:

لَقَدْ كُنْتُ يَوْمًا آيَةَ الْخَالِقِ الْبَارِي
وَكُونًا عَظِيمًا مِنْ شُعُورٍ وَأَفْكَارٍ
فَأَمْسَيْتِ مَنْعَى فِي صَحِيفَةِ أَخْبَارٍ
وَبِضْعَةِ أَشْعَارٍ وَصُورَةٍ تَذْكَارٍ

وتكثر المقارنات الأكاديمية بين ديوان «وحي المرأة ١٩٤٥» لعبد
الرحمن صدقي وديوان «أناث حائرة ١٩٤٣» لعزیز أباظة في كونهما
يمثلان أول ديوانين مخصَّصين لرثاء المرأة في الشُّعر العربي بعد عصر
النهضة.

كما صدرت لعبد الرحمن صدقي كتب أخرى من بينها «بودلير،
الشاعر الرجيم» و«أزهار الشر» و«أبو نواس» و«ألحان الحان»
و«الشرق والإسلام في أدب جوته» و«طاغور والمسرح الهندي» و«ألوان
من الحب» وأصدر كذلك ديوان شعري بعنوان «حواء والشاعر» وهو
لزوجته الإيطالية الثانية.

الأنثى الأولى^(١)

كَانَ لِي فِي أَخْرَيَاتِ الْعُمْرِ بَيْتٌ قَعْدِمْتُهُ
سَنَوَاتٍ أَرْبَعٌ؟ أَمْ كَانَ ذَا حُلْمًا حَلَمْتُهُ؟

(١) «من وحي المرأة» عبد الرحمن صدقي ص ١٧.

لَيْتَهُ طَالَ، وَلَوْ طَالَ، لَمَا كُنْتُ سِئْمَتُهُ
زَوْجَتِي صِنُوبِي، وَمَا لِي غَيْرُهَا صِنُوبِي عِلْمَتُهُ
هِيَ لَمْ تَنْقَمْ عَلَيَّ نَقْصِي، وَلَا شَيْءَ نَقِمَتُهُ
هَمُّهَا هَمِّي، فَلَا تَغْزِمُ إِلَّا مَا عَزِمَتُهُ
هَمُّنَا الدَّرْسُ، وَمَا تَفْهَمُهُ مِنْهُ فَهَمُّهُ
نَظَمْتُ بِالْعَظْفِ وَالتَّفْكِيرِ عَيْشِي وَنَظَمَتُهُ
وَارْتَضَيْنَا مِنْ لِقَانَا عِوَضًا عَمَّا حُرِمَتُهُ
بُرْهَةً، وَأَنْتَبَهَ الدَّهْرُ، فَعَقَى مَا رَسَمَتُهُ
أَتَرَى الرِّضْوَانَ ذَنْبًا أَيْمَتُهُ وَائِمَتُهُ؟
أَحْرَامٌ أَنْ سَعِدْنَا؟ أَمْ خَبَالٌ مَا زَعَمَتُهُ؟
كُلُّ مَا أَغْرِفُ أَنِّي كَانَ لِي بَيْتٌ عَدِمَتُهُ!

خَيَالُكَ فِي التَّابُوتِ^(١)

مَمَاتُكَ فِي الرَّيْعَانِ أَضْمَى مَقَاتِلِي
وَفَقْدِيكَ مِنْ عَيْشِي مُثِيرٌ مَشَاكِلِي
وَكُنْتَ الْغِنَى مِنْ مُشْكِلي بَعْدَ مُشْكِلي
وَعُقْدَاتِ نَفْسٍ تَسْتَدِينُ قَلَابِلِي
مَشَاكِلُ شَتَّى: حَاجَةُ النَّفْسِ لِلْهَوَى
وَحَاجَةُ ذِي حِسٍّ وَحَاجَةُ عَاقِلٍ

(١) «من وحي المرأة» قصيدة «بعد أيام» ص ٢٩.

جَمَعْتَ لِي الدُّنْيَا، فَأَغْنَيْتَ مُغْدَمِي
وَأَمْتَعْتَ مَخْرُومِي، وَزَيَّنْتَ عَاطِلِي

أَدُورُ بِعَيْنِي كَالشَّرِيدِ بَلَا هُدًى
وَلَا مَنْزِلٍ مِثْلِ الْهَوَى وَالْمَنَازِلِ
وَمَا مَنْزِلِي إِلَّا الَّذِي أَنْتَ مِلْؤُهُ
وَمَا مِنْ هَوًى إِلَّا كَ بَيْنَ الْعَقَائِلِ
رَأَيْتُ الْغَوَائِي وَهِيَ لَهْوٌ وَمَظْهَرٌ
وَأَنْتَ مِزَاجٌ مِنْ جَمِيلٍ وَكَامِلٍ
وَرِقَّةٌ إِحْسَاسٍ وَعِفَّةٌ نَظَرَةٌ
وَلَفْظٌ وَتَفْكِيرٌ وَحَفْلٌ قَضَائِلِ
تَعَزَّيْتُ لَوْ أَنِّي كَغَيْرِي مِنَ الْوَرَى
وَأَنَّكَ أَنْثَى كَالنِّسَاءِ الْحَوَائِلِ
وَلَكِنِّي، نَفْسًا وَجِسًا، مُعَقَّدٌ
وَأَنَّكَ طَبٌّ لِلنُّفُوسِ الْعَلَائِلِ
أَقُولُ لِدَهْرِي فِيمَ فِيمَ حَرَمْتَنِي
وَكُلُّ عَزَائِي كَانَ فِيهَا وَنَائِلِي؟
أَسْأَلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَلَنْ يَنْتَهِي مَهْمَا حَيْثُ تَسْأَلُنِي

أَرَانِي مَعَ الْإِيَّامِ تَزْدَادُ لَوْعَتِي
وَعَهْدِي بِهَا لِلنَّقْصِ فِي قَوْلِ قَائِلِ
وَيُوجِشُنِي أَنِّي وَحِيدٌ وَأَنْنِي
مَعَ النَّاسِ أَبْغِي الْأَنْسَ فِي غَيْرِ طَائِلِ
يُزْلِزِلُنِي هَمِّي فَأَخْرُجُ هَائِمًا
أَسْكُنُ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ زَلَايِلِي
فَأَذْهَلُ أَنْ أَلْقَى السَّمَاءَ وَضِيئَةً
تَشِيعُ عَلَى الْآفَاقِ بِسَمَةِ آمِلِ
وَأَنْ تَكْتَسِي الْأَشْجَارُ أَنْضَرَ خُضْرَةٍ
وَيَرْقُصَ مَوْجُ النَّيْلِ رَقْصَةً جَاذِلِ
بِنَا تَسْخَرُ الْأَقْدَارُ: مَوْتُ وَأَذْمُوعُ
وَتَمَّةُ أَنْوَارٍ وَزَهْرُ خَمَائِلِ؟!

خَيَالُكَ فِي الثَّابُوتِ غَيْرُ مُفَارِقِي
يُطَالِ عُنِي فِي وَحْدَتِي وَالْمَحَافِلِ
لَمَخْتُكَ فِيهِ لَمَحَةٌ ثَلَجَتْ دَمِي
وَأَوَدَّتْ بِأَغْصَابِي وَهَدَّتْ مَفَاصِلِي
لَقَدْ كُنْتُ أَذْرِي الدَّمَاعَ مِنْ قَبْلِ هَوْلِهَا
كَمَا شَاءَ حُبِّي وَإِبْلَاءَ بَعْدِ وَإِلِ
فَأَجْمَدَ عَيْنِي أَنْ رَأَيْتُكَ جُثَّةً
وَجِسْمُكَ مَغْرُوقُ الدُّرَى وَالْأَسَافِلِ

وَوَجْهُكَ شَمْعٌ ذُو شُحُوبٍ وَصُفْرَةٍ
كَرَسِمٍ عَتِيقٍ فِي التَّصَاوِيرِ حَائِلٍ
وَشَعْرُكَ غَرِيبٌ، وَمُذْبِكٌ أَسْوَدٌ
كَذَّيْلٍ غُدَافٍ حَالِكِ الرَّيْشِ ذَائِلٍ^(١)
وَمَا عِشْتُ لَا أَنْسَى جِئْنِكَ عَالِيًا
قَوِيًّا عَلَى رَغَمِ الرَّدَى غَيْرَ نَاكِلٍ
كَأَنَّ الرَّدَى قَدْ هَابَ مَا فِيهِ وَطَابِهِ
مِنَ الْعِلْمِ عَضْرِيًّا وَعِلْمَ الْأَوَائِلِ^(٢)
ظَلَلْتُ نَهَارِي جَامِدَ الْعَيْنِ نَاقِمًا
عَلَى قَدَرٍ جَارٍ عَلَى النَّاسِ نَازِلٍ
إِلَى أَنْ دَعَنْتَنِي الذُّكْرِيَّاتُ وَغُلِبَتْ
عَلَى قَلْبِ زَوْجٍ ذَاكِرٍ غَيْرِ غَافِلٍ
فَأَذْكُرُ زَوْجِي كَيْفَ كَانَتْ إِلَى مَدَى
قَرِيبٍ وَمَا اخْتَصَّصْتُ بِهِ مِنْ شَمَائِلٍ
فَأَسْمَعُ دَمْعِي هَامِرًا بَعْدَ حَبْسِهِ
تَفَجَّرَ مُزْنٍ حَافِلٍ هَاطِلٍ
فَكَمْ حِرْتُ فِي شَأْنِ الْحَيَاةِ وَصَرَفْتُهَا
وَكَمْ حِرْتُ فِي شَأْنِ الْمَتُونِ الْمُعَاجِلِ

(١) الغداف: الغراب الأسود، ويقال للشعر الأسود: غداف.

(٢) وطابه: صُفْرته، ويال للإنسان إذا مات: صُفرت وطابه، ويعنون بذلك خروج الدم من الجسد.

وَتَبْلُغُ مِنْ فِعْلِ الْمَقَادِيرِ خَيْرَتِي
 فَأَضْحَكَ كَالْمَفْجُوءِ مِنْ فِعْلِ هَازِلِ
 هُنَا كَانَ إِنْسَانَانِ : شَطْرٌ وَصُنُوهُ
 سَعِيدَانِ فِي قَيْضٍ مِنَ الْعَطْفِ شَامِلِ
 فَفِيهِمُ انْصِدَاعُ الشَّمْلِ شَطْرًا عَلَى الثَّرَى
 وَآخَرَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى وَالْجَنَادِلِ
 لَقَدْ كَانَ لِي فِي الْحُبِّ مَحْيَاً مُضَاعَفٌ
 وَحُبُّكَ بَعْدَ الْبَيْنِ لَا شَكَّ قَاتِلِي

طريقي

طَرِيقِي إِلَى بَيْتِي، نِعِمْتَ طَرِيقِي
 إِلَى خَيْرِ مَحْبُوبٍ وَخَيْرِ رَفِيقِ
 طَرِيقِي إِلَى دُنْيَا غَرَامٍ وَنَشْوَةٍ
 وَفِرْدَوْسِ أَرْضٍ، نَاضِرٍ وَأَنْبِقِ
 وَمِنْ كُلِّ تَفَكِيرِي، وَقُدْسِ عِبَادَتِي
 وَآيَةِ تَوْفِيقِي، وَكَثْرِ حُقُوقِي
 تَقَلَّبْتُ فِي عَيْنِي كَرِيهًا مُعْبَسًا
 وَكُنْتُ تَلَقَّائِي بِوَجْهِ طَلِيقِ
 شَجِيرَاتِكَ اللَّقَاءُ تُفَعِّي كَأَنَّهَا
 أَفَاعٍ عَلَى أَذْنَابِهَا بِمَضِيقِ

نَهَارُكَ مُغْبَرٌ، وَشَمْسُكَ سَمَجَةٌ
 كَأَنَّ شُرُوقًا فِيكَ غَيْرُ شُرُوقٍ^(١)
 وَجَوْكَ خَنَاقٌ أَبَيْتُ لِثِقَلِهِ
 بِأَنْفَاسٍ مَضْغُوطِ الضُّلُوعِ خَنِيقٍ
 كَذَا أَنْتَ مُذْ جَازَتْ سَرَاتَكَ فِي الضُّحَى
 جِنَازَةٌ زَوْجِي، زَوْجَتِي وَصَدِيقِي
 تَسِيرُ وَثِيدًا لِلثَّرَابِ، وَخَلَفَهَا
 أَنَا الْأَزْمَلُ الْبَاكِي أَجْرُ سُوقِي^(٢)
 طَرِيقِي، لَقَدْ جَازَتْكَ أَيَّامُ أَنْسِنَا
 بِخَطْوِ لَهَا حُلُو الْأَنَاءِ رَشِيقٍ
 فَمَا لَكَ، قَدْ مَرَّتْ حَمِيلًا بِنَعْشِهَا
 عَلَيْكَ فَمَا زُلْزِلَتْ غَيْرَ مُطِيقٍ
 طَرِيقِي، وَمَا زِلْتَ الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا
 إِلَيَّ وَخَدَتِي مِنْ بَعْدِهَا وَحَرِيقِي
 إِلَى الْبَيْتِ مَبْنَاهُ، وَأَمَّا صَمِيمُهُ
 فَكَأَلْقَبْرِ مَكْشُوفًا وَغَيْرَ سَحِيقٍ
 طَرِيقِي، طَرِيقِي، كُلُّ دُورِكَ ظُلْمَةٌ
 بِغَيْرِ بَرِيقٍ، وَهِيَ ذَاتِ بَرِيقٍ

(١) سمجة: قبيحة.

(٢) سوقى: سيقانى.

إِذَا سِرْتُ فِيكَ الْيَوْمَ سِرْتُ كَأَنِّي
جَنَازَتُهَا نَحْوَ الْجِمَامِ طُرُقِي
قَطَعْتَ فَأَوْصِلْ شَائِقًا بِمَشُوقِي
وَالْأَى، فَتَغْسَا لِي، وَتَغْسَ طَرِيقِي

الورد الأحمر^(١)

هُوَ الْوَرْدُ، لَا يَجْلُو النَّوَظِرَ كَالْوَرْدِ
لَهُ حُمْرَةُ الْقَانِي مِنَ الدَّمِ فِي الْخَدِّ
أَطَالِعُ مِنْهُ كُلَّ حَمْرَاءَ غَضَّةٍ
تَرِفُ بِمَا ضَمَّتْ مِنَ الْمَاءِ وَالْوَقْدِ
فَتَضْحَكُ لِي الدُّنْيَا وَيُسْفِرُ نُورُهَا
وَيَنْجَابُ عَنْهَا كُلُّ أَدَجَنٍ مُرَبَّدٍ^(٢)
وَيَسْكُرُ حِسِّي بِالصَّبَابَةِ وَالصُّبَا
وَأَسْتَفُ حَوْلِي مِثْلَ رَائِحَةِ الْخُلْدِ
كَذَلِكَ كَانَ الْوَرْدُ وَالْوَرْدُ لَمْ يَزَلْ
عَلَى عَهْدِهِ مَا حَالَ وَرَدَّ عَنِ الْعَهْدِ
فَيَا تَغْسَ نَفْسِي الْيَوْمَ مَا بَالُهَا انْطَوَتْ
عَلَى سَلْوَةٍ عَنْهُ وَبَاتَتْ عَلَى زُهْدِ

(١) «من وحي المرأة» ص ١٨٦.

(٢) الأدجن الغائم، والمريد: المسود.

تُجَانِبُهُ عَيْنِي، فَمَا امْتَدَّ لَحْظُهَا
إِلَى بَاقَةٍ إِلَّا أَشَاحَتْهُ عَنْ قَصْدِ
أَوْسَعُ مِنْ حِمْلَاقِهَا وَهِيَ مُغْرِقُ
أَغْيَضُ فِيهِ الدَّمْعُ مُنْفَرِطَ الْعَقْدِ^(١)
وَأَنْجُو كَأَنَّ الْوَرْدَ أَلْسِنَةُ اللَّظَنِ
وَبَيْنِي مِثْلُ مَسِّ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
هُوَ الْوَرْدُ، إِلَّا أَنَّهُ الْيَوْمَ بَاقَتِي
إِلَى حُبِّي الْغَالِي الْمَغِيَّبِ فِي اللَّحْدِ
إِلَى زَوْجَتِي بِالْحِسِّ وَالرُّوحِ وَالْحِجَا
وَصِنَوِي مِنْ دُونِ النِّسَاءِ وَمُعْتَدِي
أَحْجُ إِلَيْهَا أَخْمِلُ الْوَرْدَ زَاهِيًا
كَمَا كُنْتُ أَغْشَى دَارَهَا خَاطِبَ الْوَدِّ
وَسِيَّانٍ فِي الْحَالَيْنِ وَرَدُّ وَبَاقَةٌ
وَلَكِنَّ هَؤُلَ الْخُطْبِ فِي الْخَاطِبِ الْمُهْدِي
فِيَا بَعْدَ بَيْنِ الْخَاطِبَيْنِ: مُؤَمِّلُ
سَعِيدٌ وَمَشْؤُومٌ الْهَوَى عَائِرُ الْجِدِّ
وَأِنِّي لِأَسْعَى كُلَّ حِينٍ لِقَبْرِهَا
عَلَى قَدَمِي رَسَفَ الْمُكْبَلِ فِي الْقَيْدِ^(٢)

(١) حملاق العين: باطن الجفن.

(٢) رسف المكبل: مسي العقيد.

اشقُّ عَلَى نَفْسِي كَمَا هَانَ حُسْنُهَا
 وَبَاتَ رَهِينَ التُّرْبِ وَالْحَجَرِ الصَّلْدِ
 وَأُخْرِمُهَا أَنْ أَطْرُقَ الْقَبْرَ رَاكِباً
 وَإِنْ كُنْتُ مَهْدُودَ الْقَوَى قَاصِرَ الْجُهْدِ
 وَأَبَى عَلَى الْأَهْلِينَ حَمْلَ تَحِيَّتِي
 فَأَحْمِلْ طُولَ الدَّرْبِ بِأَقْتَهَا وَخُدِي
 إِذَا اسْتَشْرَفْتَ عَيْنِي الْمَقَابِرَ ثَارَ بِي
 حَيْنٌ فَحَشَحْتُ الْخُطَا طَائِرَ الْوُخْدِ^(١)
 وَأَجْهَشُ كَالْمُشْتَاكِ حَانَ لِقَاؤُهُ
 لِمَنْ ذَاقَ فِي أَحْضَانِهَا كَجَنَى الشَّهْدِ
 وَأَفْضِي إِلَى الْمَثْوَى أَضْمُ رُخَامَهُ
 وَأَوْسِعُهُ لَنَمًا كَمُسْتَقْدِحِ الزُّنْدِ
 فَيَلْقَى رُخَامُ الْقَبْرِ ضَمِّي جَافِيَاً
 صَلِيباً، وَيُجْزِي حَرًّا لَثْمِي بِالْبَرْدِ
 وَأَنْظُرُ لِلْوَرْدِ الْجَنِيِّ نَشْرُهُ
 هُنَا كَدَمُ الْقُرْبَانِ فِي الْمَعْبِدِ الْعِدِّ^(٢)
 فَأَرْجُو لَوْ أَنَّ الرَّمْزَ كَانَ حَقِيقَةً
 وَأَنْتِي قُرْبَانُ الْحَبِيبَةِ لَوْ يُجْدِي

(١) الوخد: سعة الخطر وسرعه.

(٢) العد: القديم.

وَأَلَمَسُ مَعْنَى الْوَرْدِ يُهْدَى أَحْمَرَارُهُ
لِمَعْرُوفَةِ الْأَجْلَادِ شَاحِبَةِ الْجِلْدِ
فَأَبْكِي لَهَا مَنَزُوفَةً جَفَّ عُودُهَا
وَمَا كَانَ أَجْرَى الْمَاءِ فِي عُودِهَا الْمَلْدِ^(١)
وَأَبْكِي لَوَرْدِ كَانَ فِي الْخَدِّ وَاللَّمَنِ
وَقَدْ كَانَ أَنْدَى الْوَرْدِ طُرّاً عَلَى كَيْدِي
تَمُرُّ بِي السَّاعَاتُ مَا إِنْ أَحْسَهَا
فَهَذَا الْجَمَى أَلْغَى الزَّمَانَ عَلَى الْخَدِّ
أُطِيلُ مُقَامِي عَازِبَ الرُّشْدِ ذَاهِلاً
فَإِنْ غَرَبَتْ شَمْسُ الضُّحَى ثَابَ لِي رُشْدِي^(٢)
فَأَمْضِي وَشَمْسُ الْغَرْبِ حَمْرَاءُ وَزْدَةٌ
وَقَدْ نَفَضْتُ فَوْقَ الْمَقَابِرِ كَالْوَرْدِ

الرباط الأسود^(٣)

قَدْ عَبَرَ الْعَامُ وَمَا يُحْمَدُ وَحَلَّ عَامٌ مُثْلُهُ أَرِيدُ^(٤)
دُنْيَايَ مِنْ بَعْدِكَ يَا زَوْجَتِي آنَسُ مِنْهَا قَبْرُكَ الْمُؤَصَّدُ
وَكُلُّ أَيَّامِي مَسْئُومَةٌ وَلَوْ طَغَى اللَّهُوْ بِهَا وَالْدُّ^(٥)

(١) الملد: الشاب واللين.

(٢) عازب الرشد: غائب التفكير والعقل. وثاب: عاد.

(٣) مجلة الرسالة العدد ٦٧٠ السنة الرابعة عشرة.

(٤) أريد: أسود ومعتم.

(٥) الدُّ: اللعب والمرح.

يَضُرُّ أَسَى، فِي عُنُقِي رِبْطَةٌ
يَرْتَوِ إِلَيْهَا صَاحِبِي مُنْكَرًا
يَسْأَلُنِي مِنْ رَحْمَةِ لَحْظُهُ
يَا لَوْعَتَا مِنْ خَاطِرِ مُزْجِجٍ
يَرُوعُ نَفْسِي، وَكَأَنِّي بِهِ
كَأَنَّي أَجْحَدُ عَهْدَ الْهَوَى
يَا مُهْجَتِي قَرِّي، وَيَا رُوحَهَا
لَمَّا نَزَلَ عِرْسَيْنِ نَمِشِي مَعَا
أَسْرِي وَتَسْرِينِ عَلَى بَرْزَخٍ
يَرْبُطُ رُوحَيْنَا بِرَغَمِ الرَّدَى
سَوْدَاءُ كَابٍ لَوْنُهَا أَكْمَدُ
وَقَدْ تَوَلَّى الْعَامُ أَوْ أَزِيدُ
أَمَا أَنِّي لِخَلْعِهَا الْمَوْعِدُ؟
يَهْتَاجُ أَشْجَانِي وَيَسْتَوْقِدُ
يَرُوعُ مَنْ تَحْتَ الشَّرَى تَرْقُدُ
وَعَهْدُنَا الْمَوْثُوقُ لَا يُجْحَدُ
قَرِّي، فَمَا انْحَلَّ لَنَا مَعْقَدُ
تَشَابَكْتَ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَدُ^(١)
يَتَّصِلُ الْيَوْمُ بِهِ وَالْعَدُ
هَذَا الرِّبَاطُ الشَّاكِلُ الْأَسْوَدُ

(١) عرس: زوج.

عَبْدُ الْعَظِيمِ قَنَاوِي

(١٣١٨ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٠ - ١٩٧٢ م)

عبد العظيم علي مُحَمَّد قَنَاوِي . شاعرٌ مصريٌّ ولد في قرية بني هاني التابعة لمدينة أهناسيا «محافظة بني سويف» ، وتوفي في القاهرة . عاش في مصر وسورية والسودان .

حفظ القرآن في كُتَّاب القرية قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية في مسقط رأسه «١٩٠٩» وقصد الأزهر «١٩٢٠» ولم يكمل دراسته به ، فالتحق بمدرسة دار العلوم العليا «١٩٢١» لينال شهادتها «١٩٢٦» . عمل معلماً في بعض مدارس أسيوط ، وشارك بوضع مناهج اللغة العربية وتأليف الكتب الدراسية وتبسيط علوم العربية^(١) .

عَلَيْكَ سَلاَمُ الله

عَلَيْكَ سَلاَمُ الله يَا آيَةَ الْعَظْمَى

فَقَدْ كُنْتَ رَمَزَ النُّبْلِ وَالْفَضْلِ وَالطُّهْرِ

عَلَيْكَ سَلاَمُ الله يَا خَيْرَ مَنْ سَعَتْ

إِلَى الله فِي زَهْوِ النَّضِيرِ مِنَ الْعُمْرِ

عَلَيْكَ سَلاَمُ الله مَا ذَرَّ شَارِقُ

وَمَا نَارَتْ الْأَفَاقُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» .

لَقَدْ أَوْهَنَ الْخَطْبُ الْجَسِيمُ عَزِيمَتِي
وَقَوَّضَ مِنْ جِلْمِي، وَبَدَّدَ مِنْ صَبْرِي
وَحَطَّمَنِي الْجِدْثَانِ لَحْمًا وَأَعْظَمًا
فَمَا أَنَا إِلَّا الطَّيْفُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
أَيْتُ أَنَا جِي الْبُؤْسِ وَالْيَأْسِ وَالْجَوَى
أَسْأَلُهُمْ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى قَبْرِي؟
فَلَا كُنْتُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ مُقَدَّرًا
فَإِنَّكَ مَشُؤُومُ الطَّلِيعَةِ وَالْفَجْرِ
أَتَيْتَ فَمَرَّقْتَ الْقُلُوبَ حَوَانِيًا
وَأَخْرَبْتَ بَيْتًا كَانَ يَغْمَرُ بِالْبُشْرِ
أَتَيْتَ لِتَغْتَالَ الْفَقِيدَةَ بَعْدَمَا
حَسِبْنَا الشُّفَا يَسْعَى حَيْثُنَا إِلَى السَّحْرِ
تَقُولُ لَنَا: شَاءَ الرَّحِيمُ سَلَامَتِي
لَأُوفِي بِمَا أَهْدَيْتَ لِلَّهِ مِنْ نَذْرِ
فَكَانَ الَّذِي ظَنَنْتَ سَرَابًا مُخَادِعًا
وَحُمَّ الْقَضَاءُ الْحَقُّ فِي سَاعَةِ الصُّفْرِ
«أَزَيْنَبُ» يَا أُمَّ الْأَعْرَةِ نَظْرَةً
فَأَبْنَاؤُكَ الشُّمُّ الْمَيَامِينُ فِي بُهْرِ
يَبِيتُونَ يَعْكُونَ الشَّكَايَ فَوَاجِعًا
كَأَنَّ مَا قِيَهُمْ فُضُوصٌ مِنَ الْجَمْرِ

وَيَبْدُونَ وَالرُّزْءَ الْفَجُوعَ يَوْدُهُمْ
غُصُونًا تَهَاوَى بِالذُّبُولِ وَيَالْهَضِرِ^(١)
وَأَضْعَرُهُمْ يَبْكِي وَيَنْدُبُ مُغَوِّلاً:
أَجُودُ لِأُمِّي بِالْبَقِيَّةِ مِنْ عُمْرِي
وَأَمَّا يَرَوْنِي يُظْهِرُوا لِي تَجَلِّدًا
وَصَبْرًا وَإِنَّ الْحُزْنَ فِي دَمِهِمْ يَسْرِي
يَقُولُونَ لِي: لَا تَبِكْ حَسْبُكَ إِنَّهُ
سَبِيلُ الْبَرَايَا فَادْخِرْ أَوْفَرَ الْأَجْرِ
عَهْدُنَاكَ ثَبَتًا فِي الْمُلِمَّاتِ مُؤَمِّنًا
تُلَاقِي ابْتِلَاءَ اللَّهِ مُسْتَوْتِقَ الصَّدْرِ
وَإِنَّكَ ذُو تَقْوَى وَصَبْرٍ وَدَعْوَةٍ
إِلَى اللَّهِ بِالتَّسْلِيمِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَإِنَّكَ تَهْدِينَا إِلَى الرُّشْدِ وَالرِّضَا
فَمَا بَالُ هَذَا الرُّزْءِ هَاضَكَ مِنْ وَفْرِ؟
فَقُلْتُ: وَهَلْ أَنْكَرْتُ حَقًّا لِخَالِقِي
أَلَسْتُ بِرَاضٍ بِالْقَضَاءِ وَبِالْقَدْرِ؟
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ مَضَيْنَ وَخَمْسَةٌ
حَظِيتُ بِهَا بِالْخُلُقِ وَالْحُسْنِ وَالْبِرِّ

(١) هضرت الغصن: كسرته.

فَلَا تُؤْنِ عَاماً لَا تَشْكِي وَخَمْسَةً
تُقَاسِمُنِي الْأَغْبَاءَ فِي الْحُلُوِّ وَالْمُرِّ
فَيَا قَبْرُ صُنْ خَيْرَ الْوَدَائِعِ، إِنَّهَا
تُرَآئِي مِنْ رَبِّي وَذُخْرِي مَدَى الدَّهْرِ
وَكُنْ رَوْضَةً غَنَاءَ يَهْمِي سَحَابُهَا
فَيَنْسِجُ أَفْوَافاً عَلَيْهَا مِنَ الزَّهْرِ
وَضُمَّ أَيَا رَبِّي جَنَاحِي مَحَبَّةٍ
عَلَى ذَلِكَ الْجُثْمَانِ فِي رَوْضَةِ الْقَبْرِ
وَنُورَ ضَرِينَحَا ضَمَّ أَنْضَرَ طَاقَةٍ
مِنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
وَكُنْ بِي رَحِيماً لَا تَكِلْنِي لِزَلَّتِي
فَرُزْنِي يَا رَبِّي أَجَلٌ مِنَ الصَّبْرِ

كَمَال خَلِيل

(١٣٤٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٩٢٧ - ١٩٧٣ م)

مُحَمَّد كمال الدين أمين خليل . شاعرٌ مصري وُلِدَ في قرية سحيم
«التابعة لمدينة السنطة - محافظة الغربية - مصر» وتوفي في مدينة طنطا
«عاصمة محافظة الغربية» .

عاش في مصر وليبيا .

حصل على تعليمه في المرحلة الإلزامية بقريته ثم التحق بالتعليم
الأزهري، وحصل على الشهادتين الابتدائية والثانوية من معهد طنطا
الأزهري .

انتقل إلى القاهرة، فالتحق بكلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول
وتخرج فيها «١٩٥٢» .

عمل مدرساً في مدينة بورسعيد، كان عضواً بجماعة الإخوان
المسلمين في آخريات حياته بعد أن كان مناصراً للنهج الجمهوري^(١) .

ذُكِرَ حَيَاةً لَمْ تُعْمَرْ

إلى زوجتي في ذكراها

«نَوَال» قَرِيبَتِي أَنْتِ الْمَنَالُ وَهَلْ يَنْسَاكِ فِي الدُّنْيَا «كَمَالُ»
جَمَالُكَ لَيْسَ يُشْبِهُهُ جَمَالُ فَمَا لَكَ فِي النِّسَاءِ هُنَا مِثَالُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

خَيَالُكَ لَا يَغِيبُ أَمَامَ عَيْنِي
وَصُورَتُنَا «بِبَنْغَازِي» أَمَامِي
بِهَا ذَكَرْتُ حَيَاةَ لَمْ تُعْمَرْ
بِهَا سِتُّ مِنَ السَّنَوَاتِ مَرَّتْ
بِهَا أَجَلٌ تَرَبَّصَ بَعْدَ سِتِّ
بِهَا عَظُفٌ بِهَا وَدٌّ وَحُبٌّ
بِهَا دَمْعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ يَجْرِي
تَرَكْتُ «كَمَالَ» فِي الدُّنْيَا وَحِيداً
لَقَدْ عَفْتُ النِّسَاءَ وَلَسْتُ أَذْرِي
عَلَى الذُّكُورِ سَاحِبَا طُولَ عُمْرِي
مِنَ الزَّوْجِ الْجَدِيدَةِ لِلْعِيَالِ
سَأُصْبِرُ دَائِماً صَبْرِي دَوَائِي

وَلَوْلَا الصَّبْرُ دَاهَمَنِي الْخَبَالُ
تَحِيَّطُ بِهَا الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالُ
طَوِيلًا طَابَ لِي فِيهَا الْوِصَالُ
سَرِيعاً ثُمَّ حَلَّ بِنَا الْوَبَالُ
وَمَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَجَلٍ مُحَالُ
بِهَا أَمَلٌ بَنَاهُ لَنَا الْخَيَالُ
إِذَا ذَكَرَ النِّسَاءَ أَوْ الْحِجَالَ
تَوَرَّقَهُ بِدُنْيَاهِ الْعِيَالُ
سُئِلْتُ لِمَا؟ وَأَغْيَانِي السُّؤَالُ
أَخَافُ مَتَاعِباً فِيهَا الْجِدَالَ
وَيَكْثُرُ مِنْهُمْ عَنْهَا الْمَقَالَ
أَصَمَّ الْأُذُنَ عَمَّا قَدْ يُقَالُ

عُبَيْدُ مَدَنِي

(١٣٣٥ - ١٣٩٦ هـ = ١٩١٦ - ١٩٧٦ م)

عبيد بن عبد الله بن حمزة المدني، شاعرٌ سعودي وُلِدَ في المدينة المنورة، وتوفي في القاهرة، ودفن في المدينة المنورة.
عاش في المملكة العربية السعودية ومصر وزار أوروبا وأمريكا.
التحق بالمدرسة الفيصلية في العهد الهاشمي، فحاز شهادتها الابتدائية، ثم درس في المسجد النبوي على يد مُحمَّد الطيب الأنصاري فنال الشهادة العالمية التقليدية.
تقلَّد وظائف حكومية عدَّة منها: مدير أوقاف المدينة.
له ديوان: «المدنيات في ثلاثة أجزاء» ومجموعة من المؤلفات الأخرى منها: «تاريخ المدينة المنورة في خمسة مجلدات» و«تاريخ مساجد المدينة المنورة» و«تاريخ المسجد النبوي»^(١).

ذِكْرِي

لَا تَحْسَبْنِي أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكَ لَمَّا تَجَاوَزْتَ السُّنُونَ نَوَاكَ
مِنْ أَيْنَ لِلْسُّلْوَانِ يَطْرُقُ وَهْمُهُ قَلْبِي وَقَلْبِي لَمْ يُحِبَّ سِوَاكَ؟
لَمْ يَنْفَتِحْ إِلَّا لِحُبِّكَ وَخَدَهُ يَوْمًا وَلَمْ يَسْكُنْ بِهِ إِلَّاكَ
أَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَوْتُ يَضْدَعُ وَخَدَهُ عَقَدْتَ أَوَاصِرَهَا يَدُ «الإملاك»

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

إِنَّ الرَّدَى أَوْدَى بِكُلِّ سَعَادَتِي
فَلَفَنْتُ أَمَالِي وَعِغْتُ هَنَاءَتِي
مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا زَخَرَتْ بِهِ
أَخِيَا مَعَ الْمَاضِي السَّعِيدِ وَالْتَقِي
أُنْضِي إِلَيْكَ بِمَا تَجِيشُ بِبَيْتِهِ
وَأَعِيشُ مَعَكَ كَأَنَّا لَمْ نَفْتَرِقْ
وَإِذَا تَوَحَّدَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْهَوَى
يَا «أُمَّ عَدْنَانٍ» كَفَانِي أَنَّنِي

وَطَوَى سَلَامَ النَّفْسِ يَوْمَ طَوَاكِ
وَدَرَجْتُ حَظِّي فِي عَيْبِ ثَرَاكِ
مَا دُمْتُ أَنْعَمُ فِي هَوَى ذِكْرَاكِ
بِكَ فِيهِ بَيْنَ مَسَاحِجِ الْأَفْلَاكِ
نَفْسِي وَأَسْمَعُ عِنْدَهُ نَجْوَاكِ
يَوْمًا وَلَمْ يَشْكُ الْفَجِيعَةَ شَاكِي
خَلَدْتُ رَوَابِطَهَا مَعَ الْأَمْلاكِ
لَمْ أَنْسَ ذِكْرَانَا مَعًا وَكَفَاكِ

أَنيسُ المَقْدِسِي

(١٣٠٣ - ١٣٩٨ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٧٧ م)

أنيس إلياس الخوري سابا إلياس نصّار نعمة المقدسي. وُلِدَ في طرابلس «الشام» وتوفي في بيروت. عاش في لبنان، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وإسبانيا، وإيران، والمملكة العربية السعودية، والعراق.

تلقّى دراسته الابتدائية في طرابلس، وتابع دراسته في مدرسة سوق الغرب لمدة سنة واحدة، ثم انتقل إلى مدرسة الفنون في مدينة صيدا، وتابع دراسته الثانوية في الكلية الإنجيلية السورية، في بيروت، ثم حصل على بكالوريوس العلوم، ونال درجة الماجستير من الكلية عينها عام ١٩٠٨.

بدأ نظم الشُّعر عام ١٩٠٠ وكان «جبر ضومط» من بين الموجهين له في هذه المرحلة.

أنشأ إبان دراسته في الكلية الإنجيلية السورية مجلة طلابية باسم «المتهون».

قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت عقب حصوله على الماجستير، وكان رئيس الدائرة العربية في هذه الجامعة لمدة ربع قرن، كان عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة، وعضواً مراسلاً بالمجمع العلمي بدمشق.

من أعماله «تحقيق ديوان ابن الساعاتي» و«تطور الأساليب النثرية

في الأدب العربي، وأمراء الشعر في العصر العباسي، والاتجاهات
الأدبية في العالم العربي الحديث، ومقدمة في دراسة النقد الأدبي،
والمختارات السائرة^(١).

أُنَادِيكَ يَا «سَلَمَى»

تأبين الزوج

لَمَنْ أَشْتَكِي دَهْرِي وَقَدْ رَاشَ لِي سَهْمَا
أَبْنَى غَيْرَ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مَرَمَى
رَمَانِي كَمَا يَزِمُنِي أَخُو النَّارِ خَضَمَهُ
وَلَمْ أَذِرْ أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا لَهُ خَضَمًا
أَبَيْتُ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى كُلَّ لَيْلَةٍ
سَقِيمَ الْحَشَا مَنْ لِي بِمَنْ يُبْرِئُ السَّقَمَا؟
أُنَادِيكَ يَا «سَلَمَى» وَلَيْسَ يُجِيبُنِي
سِوَى رَجْعِ صَوْتِي إِذْ أُنَادِيكَ: يَا سَلَمَى
رَفِيقَةَ عُمْرِي كَيْفَ أَنْسَى حَيَاتِنَا؟
وَنَحْنُ مَعًا بِالْحُبِّ نَرْتَعُ وَالتُّغْمَى
يُحِيطُ بِنَا الْأَخْبَابُ أَهْلٌ وَمَغْشَرٌ
كَرَامٌ بِهِمْ صَفُو الْحَيَاةِ لَنَا تَمًّا
وَتَبْتَسِمُ الدُّنْيَا لَنَا عَنْ صَفَائِهَا
فَلَا كَدْرًا نَخْشَى لَدَيْهَا وَلَا هَمًّا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

لَقَدْ كُنْتُ نَوْرَ الْبَيْتِ رَأِيًّا وَحِكْمَةً
وَعُزْرَتُهُ الْوِثْقَى وَيَهْجَتُهُ الْعُظْمَى
فَأَمْسَى خَلَاءَ مِثْلَ قَفْرِ تَتَابَعْتُ
عَلَيْهِ السَّوَارِي مَا تَرَكْنَ لَهُ رَسْمًا
سَلَامٌ عَلَى عَهْدِ لَنَا كَانَ وَانْقَضَى
وَخَلَفَ لِي مِنْ بَعْدِهِ الْحُزْنُ وَالْغَمَّا
أَقُولُ لِشِعْرِي وَهُوَ مِثْلِي جَارِعُ
وَقَدْ سَجَمْتُ عَيْنَاهُ دَمْعَ الْأَسَى سَجْمًا^(١)
أَيَا شِعْرُ مَنْ نَهَوَى مَضَتْ لِسَبِيلِهَا
فَحَطَّمْ قَبَائِيرًا عَزَفْنَا بِهَا قِدْمًا
وَمَا نَرْتَجِي فِي الْعَيْشِ إِذْ غَابَ نَجْمُهَا
سِوَى ظُلْمَةٍ نَسْرِي بِهَا لَا نَرَى نَجْمًا
فَلِلَّهِ «سَلَمَى» مِنْ رَفِيقِي مُؤَانِسِ
وَيَا حُبَّهَا رَوْحًا وَيَا عَظْفَهَا أُمًّا
حَبِيبَةَ قَلْبِي وَالْحَيَاةُ إِلَى مَدَى
وَمَا لِي فِيهَا بَعْدُ مِنْ غَرَضٍ يُرْمَى
لَئِنْ عِشْتُ حِينًا كَانَ ذِكْرُكَ مُؤْنِسِي
بِدَارِ أَرَاهَا فِي حَقِيقَتِهَا وَمَا

(١) سَجَمَتِ الْعَيْنُ: إِذَا تَقَطَّرَ دَمْعُهَا وَسَالَ.

أَعَدُّ أَيَّامِي صَبَورًا عَلَى الْقَضَا
وَأَحْكَامِهِ مَنْ ذَا يَرُدُّ لَهُ حُكْمًا
وَإِنْ مِتُّ فَالْحُبُّ الَّذِي ضَمَّنَا هُنَا
سَيَجْمَعُنَا مِنْ بَعْدُ فِي عَالَمٍ أَسْمَى

نَدِيمُ الْجِسْرِ

(١٣١٥ - ١٤٠١ هـ = ١٨٩٧ - ١٩٨٠ م)

نديم بن حسين بن محمد الجسر. شاعرٌ ومفتي وباحثٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في طرابلس الشام، وفيها توفي.

عاش في لبنان وسورية، كما زار المغرب والجزائر والعراق. تولى عدداً من المناصب القضائية والإدارية، منها: مستشار محكمة الاستئناف اللبنانية، وعضو المجلس العدلي، وقائمقام منطقة عكار شمالي لبنان «١٩١١» ثم استقال ليعمل بالمحاماة.

تولى منصب القاضي الشرعي «١٩٣٩ - ١٩٤٧»، وانتخب نائباً عن طرابلس «١٩٥٧ - ١٩٦٠».

انتخبه علماء طرابلس ومشايخها مُفتياً لها «١٩٦٠».

له عددٌ من المؤلفات متنوعة الموضوعات، منها: «قانون الجزاء اللبناني» و«موجز الفلسفة العربية» و«تراثنا بين التقدمية والرجعية» و«الإسلام وحقوق الإنسان»^(١)

كَبِدُ حَرَى

في رثاء زوجته فضيلة

لَقَدْ تَرَكْتُ مِنِّي «فَضِيلَةً» مُذْنَفًا

لَهُ كَبِدُ حَرَى عَلِيهَا تَفْطَرُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

فَلَا هُوَ حَيٌّ يُرْتَجَى عِنْدَ أَهْلِهِ
 وَلَا هُوَ مَيِّتٌ يَسْتَرِيحُ فَيُقْبَرُ
 لِفَقْدِكَ بِنْتَ «الرَّافِعِيِّ» تَفَرَّقْتُ
 مَجَامِعُ بَيْتِ «الْجَسْرِ» فَالْبَيْتُ مُقْفَرُ
 يُخَيِّمُ فِي سَاحَاتِهِ الْحُزْنُ وَالْأَسَى
 وَيَجْثِمُ فِي الْقَاعَاتِ مِنْهُ التَّحَسُّرُ
 لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَطُولَ بِنَا الْمَدَى
 لَعَلِّي أَبْدِي كُلَّ مَا كُنْتُ أَضْمِرُ
 وَفَيْتُ وَلَكِنْ لَيْسَ مَا قَدْ فَعَلْتُهُ
 بِجَانِبِ فَضْلٍ مِنْكَ يَا «فَضْلُ» يُذَكِّرُ
 وَشَتَانَ بَيْنَ الْوَدِّ يَأْتِي تَكْرُمًا
 وَوَدٌّ عَلَيْهِ الْقَلْبُ بِالْفَضْلِ يُقَهَّرُ
 إِلَهِي يَا رَحْمَانُ يَا مَنْ وَعَدْتَنَا
 عَلَى الصَّبْرِ بِالْأَجْرِ الَّذِي لَيْسَ يُحْصَرُ
 لَقَدْ صَبَرْتُ «فَضْلُ» عَلَى الضُّرِّ وَالضَّنَى
 بِقَلْبٍ تَلَقَّى حَتْفَهُ وَهُوَ يَشْكُرُ
 فَأَنْجِزْ إِلَهِي وَعْدَكَ الْحَقَّ إِنَّنَا
 بِنِعْمَةِ هَذَا الْوَعْدِ نَرْضَى وَنُصْبِرُ

مُحَمَّدُ زَكِي مُجَاهِدٍ

(١٣٢٢ - ١٤٠١ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٨٠ م)

مُحَمَّدُ زَكِي بن محمد بن حسين بن مجاهد بن إبراهيم الشافعي.
عاش في القاهرة.

له مؤلفات في التاريخ أشهرها: كتاب «الأعلام الشرقية في المائة
الرابعة عشرة الهجرية» وهو معجم في تراجم مشاهير الشرق في أربعة
أجزاء و«الأخبار التاريخية في السيرة الزكية» و«مناقب الإمام الرُّفَاعِي
و«فهرس الكتب الخاصة بمصر والسودان»^(١)

زَيْنُ النِّسَاءِ

في رثاء زوجته

زَيْنَ النِّسَاءِ وَخَيْرَةَ الزَّوْجَاتِ	أَبْكِيكِ بِالْحَسَرَاتِ وَالْعَبْرَاتِ
يَا أُنْسَ أَيَّامِي وَصَرَحَ سَعَادَتِي	وَمَلَاذَ أَبْنَائِي وَحِضْنَ بَنَاتِي
أَبْكِيكِ لَا الدَّمْعُ الْهَتُونُ بِنَافِعِي	فِيمَا فَقَدْتُ وَلَا لَظَى زَفَرَاتِي
قَاسَمْتَنِي حُلُوَ الْحَيَاةِ وَمُرَّهَا	وَحَمَيْتِ آمَالِي مِنَ الْعَثَرَاتِ
وَبَنَيْتِ أُمَجَادِي وَصُنِّتِ كَرَامَتِي	وَقَهَرْتِ حُسَادِي وَكَذَتِ عِدَاتِي
كَمْ كُنْتُ مِغْوَانِي الْوَفِيِّ وَسَاعِدِي	وَحِمَايَ مِنْ نُوبِ الزَّمَانِ الْعَاتِي

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

لَهْفِي عَلَى حُلُو الشَّمَائِلِ وَالتَّقَى
وَعَلَى الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَفِطْرَةِ
قَضَيْتِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ نَقِيَّةً
أَسْفِي لَأَيَّامِ مَضِيٍّ وَعِشْرَةِ
يَا «حِكْمَةُ» كَمْ كُنْتُ خَيْرَ حَكِيمَةٍ
أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَكَ رَهِينَةً
كُنْتُ الْمَنَارَ لِمَنْزِلِي فَتَرَكْتِهِ
فَرَعْتُ حَيَاتِي مِنْكَ حَتَّى أَضْبَحْتُ
أَلَيْتُ لَا أَنْسَاكِ مَهْمَا طَالَ بِي
سَاعِيشُ فِي ذِكْرَاكِ أَرْعَى عَهْدَنَا
فَعَلَيْكَ مِنِّي مَا جِئْتُ تَرْحُمُ
أَسْتَوْدِعُ الرَّحْمَنَ رُوحَكَ فَاغْنِمِي

وَالْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ وَالْخَيْرَاتِ
تَحْكِي نَقَاءَ صَفْحَةِ الْمِرَاةِ
مَمْنُونَةَ الْغَدَوَاتِ وَالرُّوحَاتِ
مَرْتُ عَلَيَّ بِأَسْعَدِ الْأَوْقَاتِ
تَزُنُ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَحَصَاةِ
فِي جَوْفِ قَبْرِ مُوَحِّشِ الظُّلُمَاتِ
كَالْقَبْرِ بَعْدَكَ مُظْلِمَ الْجَنَبَاتِ
عِبْتُكَ عَلَيَّ وَكُنْتُ مِلءَ حَيَاتِي
عُمْرِي وَلَا أَنْسَاكِ مِنْ دَعَوَاتِي
وَأَصُونُهُ حَتَّى تَحِينَ وَفَاتِي
فِي الْجَهْرِ وَالْمَكْنُونِ مِنْ خَطَرَاتِي
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالرَّحْمَاتِ

عَلِي صَالِح إِبرَاهِيم

(١٣٣٧ - ١٤٠٣ هـ = ١٩١٨ - ١٩٨٢ م)

علي صالح إبراهيم. شاعرٌ مصريٌّ وُلِدَ في مدينة الزقازيق «عاصمة محافظة الشرقية»، وتوفي في مدينة أسوان. أمضى حياته في مصر.

تلقى تعليمه الأولي بمدارس مدينة الزقازيق، فحصلَ على الابتدائية، ثم أتمَّ دراسته الثانوية، فنال درجة البكالوريا القديمة أو الثقافة عام ١٩٣٤.

عمل موظفًا بمحطة الري «بمحافظة أسوان»^(١)

أَلَسْنَا لِلتُّرَابِ؟

في رثاء زوجته

صَبْرِي جَلِيلٌ غَيْرَ أَنَّ مُصِيبَتِي

مِنْهُ أَجَلٌ وَمِنْ جَنَائِي الْقَاهِرِ

قَالُوا: أَلَسْنَا لِلتُّرَابِ جَمِيعُنَا؟

هَذَا مَصِيرُ أَصَاغِرٍ وَأَكَابِرِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَهَا أَنَّ الثَّرَى

لِلْأَدَمِيِّ وَلِلْمَلَكِ الظَّاهِرِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

أَبْكَيْكَ بَلْ أَبْكِي الْفُرَادَ لِأَنَّهُ
قَدْ هَامَ بَعْدَكَ فِي ظِلَامٍ زَاخِرٍ
أَبْكَيْكَ بَلْ أَبْكِي صِفَاتِكَ كُلَّهَا
مِنْ نُبْلِ إِحْسَاسٍ وَطَهْرِ مَشَاعِرٍ
أَبْكَيْكَ بَلْ سَاطِلُ عُمْرِي بِأَكْبَا
فَعَلَيَّ كَمَ لَكَ مِنْ يَدٍ وَمَأْيَرَا
قَدْ قُلْتُ لَمَّا قُلْتَ تَمَّ صَفَاؤُنَا:
وَيْلِي وَوَيْلُكَ مِنْ قَضَاءٍ مَاكِرٍ
فَإِذَا دُفِنْتَ وَغَاضَ جِسْمُكَ فِي الثَّرَى
وَسَنَّاكَ مِلءُ الْقَلْبِ مِلءُ النَّظَرِ
أَوْدَعْتُ وَجْدَانِي بِلَحْدِكَ رَاضِيَا
لَأَعِيشَ صَخْرًا لَا بِقَلْبِ الشَّاعِرِ
وَدَفَنْتُ بَعْدَكَ هِمَّتِي وَعَزِيمَتِي
لَأَعِيشَ مَخْذُولًا بِعَزَمِ خَائِرِ
أَنَا لَا أَقُولُ إِلَى الْخُلُودِ بَلْ أَنِّي
أَقْسَمْتُ إِنَّكَ فِي نَعِيمٍ زَاهِرٍ
وَلَكِ الْجَنَانُ تَهَيَّآتْ فَاخْطِي بِهَا
هَلْ لِلْأَزَاهِرِ غَيْرُ رَوْضٍ نَاضِرٍ؟
أَمَّا عَزَائِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقٌ
يَوْمًا فَيَهْدَأُ بِاجْتِلَاؤِكَ خَاطِرِي

عَبْدُ الْجَبَّارِ الْعَبْدَلِي

(١٣٥٥ - ١٤٠٥ هـ = ١٩٣٦ - ١٩٨٤ م)

عبد الجبار منعم العبدلي، وُلِدَ في بلدة الميمونة «محافظة العمارة جنوبية العراق». قضى حياته في العراق. تلقى علومه الابتدائية في قضاء الميمونة، حتى تخرج فيها عام ١٩٤٧، ثم أكمل الدراسة المتوسطة، حتى أتمها عام ١٩٥٠، ثم سافر إلى بغداد فانتسب إلى دار المعلمين، وتخرج فيها عام ١٩٥١. عُيِّنَ مُدَرِّسًا في مدارس ريف العمارة، ثم انتقل إلى قضاء الميمونة، ثم شارك في الحرب الإيرانية العراقية واعتبر مفقوداً^(١).

بُورَةُ الْأَلَمِ

بَيْنَ الْقُبُورِ يَلُوحُ قَبْرُكَ نَيْرًا	كَالْبَدْرِ بَيْنَ نَجُومِهِ يَتَلالا
غَضُّ الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ يُوجِي لَنَا	فَنَكَادُ نَحْسَبُهُ يَقُولُ: تَعَالَا
وَكَأَنَّهُ فِي الْقَفْرِ وَجَنَّةٌ عَادَةٌ	سَكَبَ الْحَيَا فِيهَا سَنَى وَجَمَالَا
وَكَأَنَّمَا نَتَّ الرِّبْعُ بِثَرْبِهِ	نُورًا فَأَلْبَسَهُ بِهِ سِرْبَالَا
وَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْمَقَابِرِ سَاطِعٌ	فَنَخَالُهُ مَا بَيْنَهُنَّ هِلَالَا
وَكَأَنَّهُ فِي الصَّمْتِ مَوْكِبٌ فَاتِحٌ	يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الْقِفَارِ جَلَالَا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

أَنِسْتُ بِهِ هَذِي الْهَضَابُ فَنَاءَ فِي	حُضْنِ الرُّمَالِ مَسْرَةً وَدَلَالاً
وَتَعَانَقْتُ أَيْدِي الْجَدَاوِلِ حَوْلَهُ	فَشَوَى عَلَى جَنَابَاتِهَا يَتَعَالَى
وَجَرَى قَرَاخُ الْمَاءِ بَيْنَ عُرُوقِهَا	وَلَعَلَّهُ أَضْحَى بِهَا سَلْسَالاً
وَتَسَامَرْتُ فِي الْحَقْلِ نَايَاتُ الْهَوَى	فَسَرَى بِعُمُقٍ لُحُونُهَا مَوَالاً
وَإِذَا النَّدَى حَيًّا الْمُرُوجِ بِقَطْرِه	أَمَمَى فَأَضْبَحَ قَطَرَهَا الْمُثَالاً
وَإِذَا الرُّعَاةُ الْعَاشِقُونَ تَهَامَسُوا	فَهَوَ الَّذِي شَرَحَ الْهَوَى وَأَطَالَ
وَإِذَا الْعَنَادِلُ لَفَّهَا جُنْحُ الْهَوَى	فَبَقُرْبِهِ بَاخَ الْمُحِبِّ سُؤَالاً

غَدَا نَلْتَقِي

غَدَا حِينَمَا تَسْمَعِينَ الْبَشِيرَ	يُنَادِي بَأَن قَدْ أَتَى الْمَوْعِدُ
وَيَرْتَاغُ وَجْهُ السَّمَاءِ الْجَمِيلُ	وَتَخْبُو بِهِ الشَّمْسُ وَالْفَرْقَدُ
وَيَمْشِي عَلَى الْأَفْقِ طَيْفُ الْإِلَهِ	فِيْمَرْعُ فِي إِثْرِهِ الْأَجْرَدُ ^(١)
غَدَا فَتَقِي الْأَرْضَ أَهْرُوجَةً	تُنَادِي السَّمَاءَ وَتَسْتَنْجِدُ
وَرَفِي بِأَكْغَانِكَ الْمُخْضَلَاتِ	مَلَكَاً مِنَ الْخُلْدِ يَسْتَرْفِدُ
غَدَا نَلْتَقِي بَيْنَ أَيْدِي الْإِلَهِ	نُرَوِّي مِنَ الْوَجْدِ مَا يُوقَدُ

(١) امرع: اخصب.

نَذِيرُ الْبَيْنِ

نَذِيرُ الْبَيْنِ لَا تَعْجَلْ وَدَعْنِي	قَلِيلًا كَيْ أَقْبِلَهَا طَوِيلًا
أَرَاهَا كَالْفَرَّاشَةِ فِي اخْتِضَارٍ	فَبِعَتَصِرُ الْأَسَى مِنِّي الدَّلِيلَا
وَلَوْ أَشْطِيعَ دَفَعَ الْمَوْتَ عَنْهَا	لَقَدَّمْتُ الْفُؤَادَ لَهَا بِدِيلَا
أَرَاهَا وَالضُّنَى يَمْتَصُّ مِنْهَا	حَيَاةً كَيْ يُعَوِّضَهَا النُّحُولَا
أَرَاهَا وَالْمَنَابَا فِي اضْطِرَاعٍ	تُكَابِدُ أَمْرَهَا الْمُرَّ الثَّقِيلَا

جَعْفَرُ الْخَلِيلِي

(١٣١٩-١٤٠٥هـ = ١٩٠١ - ١٩٨٥م)

جعفر ابن الشيخ أسد الله ابن المولى علي ابن الميرزا خليل الطبيب . قاص وشاعر، ومؤرخ وصحفي عراقي .

ولد في النجف، في بيت دين وأدب ، ونهل العلم من خزانة كتب والده، ودرس في المدينة وانصرف إلى الأدب والكتابة والشعر قبل أن ينتقل إلى بغداد .

زاول الصحافة مدة ربع قرن وكتب الكثير من المقالات والبحوث الأدبية والاجتماعية .

أصدر صحفاً عدة من بواكير المنشورات الصحافية في العراق بينها : جريدة «الفجر الصادق» و«الراعي» و«الهاتف» . وأسس مطبعة «الراعي» في النجف .

انتقل إلى بغداد وواصل نشاطه العلمي والأدبي بشكل واسع فأصدر كتابه الشهير «موسوعة العتبات المقدسة» .

بعد أن نشبت الحرب العراقية / الإيرانية في خريف العام ١٩٨٠ ، وبدء حملات التهجير القسري للعديد من العائلات العراقية بحجة تبعية الإيرانية ، كانت عائلة الخليلي من بين تلك العائلات التي طالتها حملات التهجير، وتحت هذه الظروف القاهرة، اضطرّ الخليلي للمغادرة إلى الأردن، ومن هناك إلى دولة الإمارات حيث أمضى بقية حياته في عزلة شخصية واعتزال ثقافي حتى رحيله عام ١٩٨٥ .

لا أنسأك^(١)

في رثاء زوجته

أنسأك؟ لا والله لا أنسأك

أنسى ومِلْءُ جَوَانِحِي ذُكْرَاكِ؟

الْبَيْتُ بَعْدَكَ مُغْرٍ لَا صَوْتَ فِي

أَرْجَائِهِ إِلَّا عَوِيلُ الْبَاكِ

وَالْبَابُ بَعْدَكَ مُقْفَلٌ لَا زَائِرُ

يَأْتِي وَلَا ضَيْفٌ يَوْمَ حِمَاكِ

(١) «مجلة المرسوم» العدد السابع وكذلك «معجم البابطين».

عَبْدُ الْحَمِيدِ الْعَشْمَاوِي

(١٣٣٩ - ١٤٠٦ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٨٥ م)

عبد الحميد محمود محمد العشماوي. شاعرٌ مصري وُلِدَ في محافظة البحيرة، وتوفي في مركز بدر «مديرية التحرير - غربي الدلتا». قضى حياته في مصر.

تلَّقَى تعليمه الابتدائي بمدارس القاهرة، ثم التحق بكلية الحقوق، وتخرج فيها عام «١٩٤٤»^(١).

أُخْتُ عُمْرِي

أَيُّهَا الْأَخْبَابُ وَالرَّاحَةُ وَالْمَوْتُ هُنَا
أَيْنَ مَنْ كَانَتْ تَرَانَا وَنَرَاهَا حَوْلَنَا؟
أَيْنَ مَنْ كَانَتْ تُحَاكِي نَضْرَةَ الدُّنْيَا لَنَا
غَيَّبَ الثُّرْبُ سَنَاها وَهُوَ فِي أَغْيُنِنَا

أُخْتُ عُمْرِي إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا تَهُونُ
جِئْنَا أذْكُرُ مَا تَصْنَعُ بِالْخَلْقِ الْمُنُونُ
الرُّوحَى الشَّمْطَاءُ مَا تَفْتَأُ تُجْرِيهَا السُّنُونُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَالْبَرَآئَا بَيْنَ شِقَّيْهَا - قُلُوبٌ وَعُيُونُ

طَبَّتْ فِي مَثْوَاكِ مَا شَاءَ إِلَهُ الْمُسْتَعَانُ
وَعَلَى قَبْرِكَ رِضْوَانُهُ نُورٌ وَأَمَانُ
وَعَلَى الْأَكْبَادِ بَعْدَ الْفَقْدِ سُلْوَانُ الزَّمَانِ
«فَاطِمَةُ» فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، وَمَا بَيْنَ الْجَنَانِ

عُبدُ الرَّحْمَنِ الْخَمِيسِي

(١٣٣٩ - ١٤٠٧ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٨٧ م)

عبد الرحمن عبد الملك الخميسي مراد، شاعر مصري روماني متعدّد المواهب في شتى حقول الفنّ والأدب، وله أعمال في الشّعر والقصة والمسرح والتمثيل والصحافة والتأليف الإذاعي والإخراج السينمائي، وعرفَ بأنّه مكتشف لِعَدَدٍ من نجومات السينما المصرية في الستينات والسبعينات.

ولد في قرية «منية النصر» بالمنصورة وانتقل إلى القاهرة في ١٩٣٧، وكان بلا مأوى حتى إنه كان ينام بعض الليالي في المقاهي والحدائق، وعمل في محل بقالة ومحصلاً في الترام ومصحّحاً في مطبعة، قبل أن ينخرط في فرقة مسرحية شعبية، لتبدأ حياته مع الأدب والفن. كما بدأ بنشر نتاجاته الأدبية في مجلة «الرسالة» للزيات.

وللخميسي سبعة دواوين شعرية وسبع مجموعات قصصية وثلاثة أفلام سينمائية من إخراجِه.

ترك مصر في ١٩٧٢ مرتحلاً من بيروت إلى بغداد إلى موسكو، وكان بوهيمياً كثيرَ الزّيجات، توفي في العام ١٩٨٧، ودفن في «المنصورة» ومريثه هذه في زوجته الرابعة «فاتن الشوباشي» التي تزوّج بعدها رحيلها مرّتين! وكانت متخرّجة في كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية عندما اكتشفها الخميسي وتزوَّجها وقَدَّمها للمسرح والسينما، وقد توفيت في العام ١٩٦٨ في حادث حريق بفعل انفجار موقد وهي في الثالثة والثلاثين من العمر.

مقاطع من «ديوان الحب»^(١)

«فَاتِنُ»

يَا زَهْرَةَ أَخْلَامِي
حِينَ يَطُوفُ اللَّيْلُ
بِمَبْخَرَةِ غَمَامِ
وَالزَّمَنُ يَتُّ عَلَى
دَرَجِ الْأَخْلَامِ
أَتَأْتِي يَا قَمَرِي
كَمِي الْفَلَاحِ بِشُرْفَةِ سَهْرِي
أَتَأْتِي يَا قَدْرِي
أَذْهَنُ جِسْمِي بِالْأَطْيَابِ
أَتَخَيَّرُ أَنْهَى الْأَثْوَابِ
فَأَنَا فِي اللَّيْلِ
أَرَاكَ

«فَاتِنُ»

إِنِّي أَمْضِي نَحْوَ الْوَحْدَةِ
فَرَقَ جَوَادِ الظُّلْمَةِ

(١) هذه مقاطع متفرقة منتقاة من كتاب «عبد الرحمن الخميسي الكلمة والموقف»
مجموعة من الكتاب / مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة/ بيروت ١٩٧٥.

فَالْوَحْدَةُ خَيْمَةٌ مُعْتَرِلٌ
مُعْتَرِبُ الْقَلْبِ

كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ رَحِيلِكَ
جَنَّةَ رِضْوَانٍ
كَانَ رَيْبَعٌ حَنَانٍ
كَانَ السِّمْفُونِيَّةُ
كَانَ قَصَائِدُ فِي شِعْرِ الثَّوَارِ
كَانَ «كَائِلَوَارِ»
نَبْضًا شِعْرِيًّا فِي الْأَشْيَاءِ
وَرُؤَى تَتَكَشَّفُ
مَا بَعْدَ الظُّلَمَاءِ
كَانَ رَجِيْقٌ حَضَارَةٌ
كَانَ الْغُضْنَ الْأَخْضَرُ
كَانَ اللَّوْحَةُ أَبْدَعَهَا «سَيَرَانُ»
يَمْرُجُ فِيهِ الشَّعْرُ بِالْوَانِ
كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ رَحِيلِكَ
زَقْرَقَةَ الطَّيْرِ

كُنَّا نُغْلِقُ بَابَ الْبَيْتِ عَلَيْنَا
نَصْنَعُ مِنْ أَحْلَامِ قُودَادِينَا
دُنْيَا أُخْرَى

تَتَفَتَّحُ كَالْوَرْدِ
أَمَامَ الثُّورَةِ فِي الْعَالَمِ
دُنْيَا أُخْرَى
لَا يَأْكُلُ فِيهَا السُّلْطَانُ
لُحُومَ رَعَابِيَاءُ
أَوْ يَقْتُلُ عَسْكَرُهُ
فِي وَهَجِ الشَّمْسِ، ضَحَايَاءُ.

أَوْ يَأْلِي مِنْ إِنْسَانٍ
أَضْعَفُ مِنْ دَمْعِ النَّكَلِ
أَتَفْجُرُ كَالْبُرْكَانِ

أَوْ يَا مَعْبُودَةَ قَلْبِي لَوْ تَذَرِينِ
أَذْفَعُ عَنْ كَتِفِي نَهَارِي
وَأَرْخِزُهُ كَالْأَشْجَارِ
أَنْتَظِرُ اللَّيْلَ كَمَا الرَّحْمَةُ لِلْمُسْكِينِ
يَطْحَنُنِي أَنْ رَجَيْتُكَ
كَانَ وَدَاعًا أَبَدِيًّا
أَقِفْ بِسَاحَةِ فَرَاغِ الزَّمَنِ إِلَيْكَ
تَبْكِينًا مُدُنٌ وَشَوَارِعُ

وَنَهَارِي سِجْنٌ أَهْرُبُ مِنْهُ

إِنِّي حَلَكِ مَأْمُونٍ
أَعْدُو... أَعْدُو...
تَحْتَ جَنَاحِ اللَّيْلِ
أَحْمِلُ غُرْبَةَ قَلْبِي
مِثْلَ الطِّفْلِ
وَأُضِيءُ بِأَشْوَاقِي سَمْعَ الذِّكْرِ
وَعَلَى خَفَقِ سَنَاءِ
يَحْلُمُ قَلْبِي أَنْ يَلْقَاكَ
كُلُّ جُرُوجِي تَبْرَأُ
نَقْشِمُ الْغُرْبَةَ يَا رُوجِي
نُضْبِحُ غَيْمًا... لَيْلًا... فَجْرًا...

رُوجِي مَكْسُورَةٌ
لَيْلُ شُجُونِي مَا أَطْوَلُهُ
قَلْبِي...
صَارَ يَتَسَمَّ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ..

لَمْ تَمُتِ الْأَخْلَامُ
نَحْنُ تَسَاقَيْنَاهَا خَمَرَ أَغَانِ
وَمَوَاوِيلَ مِنْ أَجْلِ أَبَادِ
مُوجِلَةٍ، طَاهِرَةٍ خَشْنَةٍ
تَغْرِسُ فِي الْأَرْضِ بُدُورًا

قَصَبًا وَزُهُورًا
وَزُجَاجَةً عِطْرٍ بِنَفْسِجٍ

رَيْثُكَ عَسَلُ الْحُبِّ وَأَشْهَى
أَنْفَاسِكَ أَغْطَارُ الْوَفِّ الزَّهْرَاتِ
خَطَرُوكَ كَمَا الظَّنِّي
وَأِقْبَالُكَ كَرِيحِ طَلْقِ الْبَسَمَاتِ
شَعْرُكَ كَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ
فَاضَ بَقُوسٍ قُرْخٍ
فِي مِرَاةِ الشَّمْسِ
شَفَتَاكَ عَنَاقِيدُ الْوَجْدِ
وَطَعْمُ الشَّهْدِ
وَقَوَامُكَ غُضْنُ
أَمْلُودِ أَشْقَرِ
رَائِحَتُكَ رَائِحَةُ الزَّهْرِ الْأَخْضَرِ
بِحُقُولِ النَّيْلِ
لَوْنُكَ أَلْوَانُ الطَّيْفِ السَّبْعَةِ
كَزَفَافٍ وَوَدَاعِ حَيَاةٍ
صَوْتُكَ هَمْسُ كَمَنْجَاتٍ
فَرَحٌ جَاشَتْ فِيهِ اللَّوْعَةُ
رِقْرَاقُ النَّعْمَاتِ

«فَاتِنُ» يَا مَعْبُودَةَ قَلْبِي
أَوْ لَوْ تَذَرِينَ
مَنْزِلُنَا الْمِرْأَةَ بِهِ صَدِئْتُ
إِنْ تَحَرَّتْ وَشَطَايَاهَا
لَمْ يَبْقَ أَمَامِي إِلَّاهَا

جَلَسْتُ فِي رُكْنِ الْبَيْتِ
مِضْبَاحٌ يَتَسَمَّعُ فِيهِ النُّورُ
كَلَامَ الصَّمْتِ
وَمَرَايَا . . . وَبَقَايَا مُشِطِ
عَاشَ يُقْبَلُ عِطْرَ ضَفَائِرِكَ
وَحِزَامُ أَسْوَدُ كَانَ يُخَاصِرُكَ
قَدَحٌ يَتَلَألُ كُنْتُ تُحِبُّنِي
وَزِجَاجَةٌ عِطْرُ بَنْفَسَجِ
فَقَدْ كُنتَ يَذْبَحُنِي
يَمْلَأُ بِفِي
طَعْمَ دَمِي

أَجْنَحَةٌ سَوْدَاءُ تَحُومُ
تَنْفُذُ فِي قَلْبِي وَتُدَمِّدُ
مَاتَ الْبَذْرُ وَكَفَّنْتَنِي
لَيْلُ أَبَدِي الْكَفْنِ

«فَاتَيْنُ» رَاحَتْ مِنْ زَمْنِي

يَا «هِنْدُ» يَا طِفْلَتَنَا الْجَمِيلَةَ الصَّغِيرَةَ
يَا فَلَذَّةَ الصَّفَاءِ وَالْأَخْلَامِ
يَا بِنْتَ قَلْبَيْنِ مِنَ الْغَرَامِ
أَغْتَصِرُ الْكَلَامَ مِنْ دَمِي
وَأَنْظُمُ الدُّمُوعَ وَالْآلَامَ
أَزْهَارَهَا تَنْبُتُ مِنْ أَغْطِي
وَتَخْتَبِي الرَّمَقَا
يَا هِنْدُ يَا نُورَ الْحَدَقِ
يَا خَفَقَةَ مِنَ الْأَلْقِ
أَبُوكَ يَخْتَرِقُ
أَنَا أَخْتَرِقُ

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْإِرِّيَّانِي

(١٣٢٦ - ١٤٠٩ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٨٨ م)

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْإِرِّيَّانِي. ولد في إريان «لواء إب - جنوبي اليمن»، وتوفي في صنعاء. عاش في اليمن. تلقى العلم عن والده، ثم رحل إلى صنعاء، ودرس على بعض العلماء بالمدرسة العلمية. عمل بالقضاء في مناطق عدة من اليمن وفي عهد الجمهورية عُيِّنَ حاكماً في قضاء «الحجرية بتعز»، ثم رئيساً للمحكمة الشرعية الاستئنافية، وقدم استقالته من هذا المنصب ١٩٧٢، عُيِّنَ بعدها مُستشاراً لرئاسة مجلس الوزراء لشؤون العدل، وظلَّ فيه حتى وفاته^(١).

كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابِ الْأُفُقِ تَسْتَرُّ
من قصيدة: دَمْعَةُ أَسَى فِي رثاء زوجته
مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ وَنَيْفِ قَدْ أُنِشْتُ بِهَا
فِي خَيْرِ عَيْشٍ فَلَا هَمَّ وَلَا كَدْرُ
إِذَا طَغَى الْخَطْبُ وَاسْتَرَدَّتْ نَوَازِلُهُ
تَبَسَّمْتُ فَتَجَلَّى لَيْلُهُ الْعَكِرُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

كَانَتْ ضَمَادَ جُرُوجِي وَهِيَ دَامِيَّةٌ
 هِيَ الْحَيَاةُ، هِيَ الدُّنْيَا، هِيَ الْعُمُرُ
 يَا نَفْحَةَ مِنْ جَنَابِ اللَّهِ طَيِّبَةً
 مِسْكِيَّةَ الْعَرْفِ يَزْكُو عَرْفُهَا الْعِطْرُ
 قُدْسِيَّةَ الرُّوحِ، أَظْهَارَ عَرَائِقِهَا
 لَمْ يَشْنِ مِنْ عَزَمِهَا سَقَمٌ وَلَا كِبَرُ
 طَهْرُ الضَّمِيرِ فَلَا غِلٌّ وَلَا حَسَدُ
 عَفْ الْلِسَانِ، فَلَا لَغْوٌ وَلَا هَذَرُ
 سَمَحَاءُ طَيِّبَةُ الْأَعْرَاقِ مِنْ نَفْرِ
 سَمَوَا فَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّهَا وَطَرُ^(١)
 أَبَاوَهَا الظُّهْرُ أَحْيَا فِي ضَمَائِرِنَا
 كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَا مَاتُوا وَلَا قُبِرُوا
 لَمَّا تَوَارَتْ وَحَلَّتْ فِي مَضَاجِعِهِمْ
 ضَاءَتْ بِهِمْ وَتَسَامَتْ فِيهِمُ الْحُفَرُ
 كَانَتْ مِثَالاً مِنَ الثَّقَوَى لَهَا صِلَةٌ
 بِاللَّهِ، أَخْلَاقُهَا الْقُرْآنَ تَزْدَهَرُ
 هَالُوا الثَّرَابَ عَلَيْهَا وَهِيَ نَبْرَةٌ
 كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابِ الْأَفْقِ تَسْتَرُ

(١) السَّهَا: كُذِّبَتْ خَفِيٌّ فِي بَنَاتِ نَعَشِ الْكِبَرِ وَالنَّاسِ يَمْتَحِنُونَ بِهِ أَبْصَارَهُمْ.
 وَفِي الْمَثَلِ: أَرِيهَا السَّهَا وَتُرِيَنِي الْقَمَرُ.

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ يَا مِسْكَاءَ بَهْجَتِهِ
الْعَيْشُ بَعْدَكَ مُرُّ كُلِّهِ صَبْرُ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْكَ بِهِ أَثَرُ
إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِ «يُبْكِينِي»^(١)، الْأَثَرُ
كَانَتْ لَنَا فِيهِ أَوْطَارٌ تُعَلِّلُنَا
وَبِاخْتِفَائِكَ عَنْهُ انْتَهَى الْوَطَرُ
وَحَوْلُنَا فِي زَوَايَاهُ، لَنَا شَجَرُ
فُرُوعُهَا أَيْنَعَتْ مِنَّا لَهَا ثَمَرُ
مَا زَالَ مِنْكَ بِأَفْكَارِي وَفِي بَصَرِي
وَفِي سُؤْدَاءِ قَلْبِي تَطْلُعُ الصُّورُ
تَسْوَدُّ فِي عَيْنِي الدُّنْيَا إِذَا خَطَرَتْ
كَأَنَّمَا الْكَوْنُ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ
بَكَّتْكَ «إِرْيَانُ» وَانْهَالَتْ مَدَامِعُهَا
وَكَادَ يَبْكِيكَ مِنْ جُذْرَانِهَا الْحَجَرُ
وَنَاحَ «رَيْمَانُ»^(٢) وَاهْتَزَّتْ جَوَائِبُهُ
وَكَادَ لِلْهَوْلِ وَالْمَاسَاةِ يَنْقَطِرُ
عِشْنَا عَلَيْهِ زَمَانًا فِي شَيْبَتِنَا
وَالدَّهْرُ سِلْمٌ فَلَا خَوْفٌ وَلَا خَطَرُ

(١) ليس من موجب لجزم الفعل هنا .

(٢) رَيْمَانُ: جبل يطل على مدينة «أب» في اليمن .

كَأَنَّ سَاحَاتِهِ الْعُلْيَا لَنَا حَرَمٌ
لَا لَهْوَ فِي عَيْشِنَا فِيهَا وَلَا بَطَرٌ
مَا زِلْتُ أَذْكُرُ فِيهَا خَطْوَنَا وَأَنَا
وَأَنْتِ نَحْبُؤُا إِلَيْنِ أَنْ عَاقَنَا الْكِبَرُ
أَضْدَاءُ أَقْدَامِنَا فِيهَا لَهَا نَعَمٌ
وَخَطْوُنَا لَمْ يَزَلْ فِيهَا لَهَا أَثَرٌ

طاهر أبو فاشا

(١٣٢٦ - ١٤٠٩ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٨٩)

وُلِدَ طاهر أبو فاشا في محافظة دمياط - وتوفي في القاهرة ودفن فيها، شاعرٌ وزجَّالٌ وكاتبٌ إذاعيٌّ وتلفزيونيٌّ. بدأ تعليمه بمدرسة الحزاوي الابتدائية ثم بمعهد دمياط الديني ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني حيث حَصَلَ على شهادة الثانوية ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة ليتخرج بها سنة ١٩٣٩. عمل في بداية حياته المهنية مدرساً بالواحات، لكنه سرعان ما تركها ليعود للقاهرة ويعمل بالفن والصحافة. من أعماله الشعرية: «صوت الشباب» و«القيثارة السارية» و«الأشواك» و«راهب الليل» و«الليالي» و«دموع لا تجفُّ». وقد جمع الأديب السعودي عبد الحميد المشخص بتكليف من الأمير عبد الله الفيصل الأعمال الشعرية الكاملة لطاهر أبو فاشا بعد رحيله وصدرت في العام ١٩٩٢ عن مكتبة الملك فيصل الإسلامية. كتب للإذاعة أكثر من ألفي عمل فني، أشهرها «ألف ليلة وليلة» التي أَلَفَ منها ٨٠٠ حلقة، على امتداد ربع قرن. كما كتب عدداً من الأغاني «لأمِّ كلثوم» غنَّتْ أغلبها في فيلم «رابعة العدوية».

عِنْدَ بِلَا نَازِلِي

إلى زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها. ^(١)

«نازلي المهدي» توفيت في ١٩٧٩/٩/٢٩.

وَعَامَتْ سَمَائِي فَلَمْ تُشْرِقْ	أَتَى الْعِيدُ «نَازِلِي» وَلَمْ نَلْتَقِ
أَجَابَ سِوَى دَمْعِي الْمُهْرَقِ	أَتَى الْعِيدُ يَطْرُقُ بَابِي فَمَا
تُقِيمِينَ تَحْتَ الثَّرَى الْمُطْبِقِ؟	أَعِيدُ وَأَنْتِ بَعِيدُ هُنَاكَ
بِعَيْنِي وَبَاتَتْ بِلَا رَوْقِ	وَكَيْفَ وَقَدْ شَاءَ وَجْهُ الْحَيَاةِ
بِكَاسِ الْمَسْرُوءِ مَنْ يَسْتَقِي؟	أَعِيدُ يَلُمُّ بِنَا سَاقِيَا
وَأَقْفَرَ مِنْ أَنْسِهِ الْمُشْرِقِ	وَكَيْفَ وَقَدْ أَوْحَشَ الْبَيْتُ مِنْكَ

وَأَهْرُبُ مِنْ يَوْمِي الْمُرْهِقِ	لَقَدْ كُنْتُ ظِلًّا أَفْنَى إِلَيْهِ
أَخَافُ أَذَاهُ وَمَا أَتَّقِي	وَقَدْ كُنْتُ أَمْنًا لِرُوجِي مِمَّا
لِغَيْرِ الْمَحَبَّةِ لَمْ يُخْلَقِ	وَقَدْ كُنْتُ قَلْبًا كَبِيرَ الْمُتَنَى
مَخَايِلَ مِنْ سَخْنَةِ الرِّيقِ	وَقَدْ كُنْتُ رَوْضًا، تَخَايَلَ عَيْنِي
بِلَحْنٍ مِنَ الْخُلْدِ لَمْ يُسْبَقِ	وَكُنْتُ هَتُوفًا تُنَاغِمُ سَمْعِي
شَجِيًّا مَعَانِيهِ لَمْ تُظَرَّقِ	وَكُنْتُ قَصِيدًا جَدِيدَ الرُّؤْيِ
عَوَالِمُ مِنْ رُوحِكَ الْمُغْدِقِ	وَكُنْتُ وَكُنْتُ وَكَأَنْتَ لَنَا
سِوَى ذِكْرِيَاتِ الْأَسَى الْمُؤَبِّقِ	مَضَى كُلُّ هَذَا وَلَمْ يَبْقَ لِي
وَيَا لَهْفَ نَفْسِي مَاذَا بَقِيَ؟	فَيَا لَهْفَ نَفْسِي مَاذَا مَضَى؟

(١) من ديوان «راهب الليل» دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص ١٥٣.

دُمُوعٌ لَا تَجِفُّ^(١)

٢

أَبْكِي عَلَى أَيَّامِنَا الْقِصَارِ
وَأَنْتِ - يَا حُزْنِي - غَرِيبَةُ الدِّيَارِ
بَعِيدَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ

كَانَتْ لَنَا الدُّنْيَا كَمَا نَخْتَارُ
وَاللَّيْلُ حَوْلَنَا جَنَى يُشْتَارُ
فِي جَنَّةٍ مِعْطَارُ
صَدَاحَةِ الْأَطْيَارِ
فَرَوَاحَةِ الْأَزْهَارِ
فَمَا الَّذِي جَرَى لَنَا
وَكَيْفَ مَالَتْ اللَّيَالِي بِنَا؟
فَبَدَّلْتَ أَحْوَالَنَا
وَبَدَّدْتَ أَخْلَامَنَا
وَصَبَّرْتَنِي دَائِمَ الْأَوَارِ
فِي لَيْلَةٍ لَيْسَ لَهَا نَهَارُ
أَبْكِي عَلَى أَيَّامِنَا الْقِصَارِ
وَأَنْتِ - يَا حُزْنِي - غَرِيبَةُ الدِّيَارِ

(١) رابع الليل ص ١٥٩.

بَعِيدَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ

يَا نَسَمَةَ الْفَجْرِ الَّتِي نَشَقَّتْهَا

يَا جَنَّةَ الْحُبِّ الَّتِي غَرَسْتُهَا

يَا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي فَقَدْتُهَا

وَرُحْتُ بَعْدَهَا أَعَاتَبُ الزَّمَانَ

وَلَا عِتَابَ لِلزَّمَانِ

فَهَذِهِ حُكُومَةُ الْأَقْدَارِ

وَلَيْسَ لِي فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُ

وَلَا اضْطِبارُ

وَأَنْتِ خَلْفَ هَذِهِ الْأَحْجَارِ

فِي عَالَمِ الْأَسْرَارِ

بَعِيدَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ.

وَسَأَلْتُ عَنْ سِرِّ الْحَيَاةِ

وَمَا لَنِي أَنْيَ ضَلَلْتُ

وَأَنْتِي فِي تَيْهٍ

وَنَظَرْتُ لِلدُّنْيَا وَمَا تَغْنِيهِ

وَأَزَلْتُ صِبْغَ خُدُودِهَا

فَتَكَشَّفَتْ عَنْ مَنْظَرٍ نَحْتِ الصَّبَاغِ كَرِيهِ.

عَبْدُ الْهَادِي الطَّوِيل

(١٣٢٧ - ١٤١١ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٩٠ م)

عبد الهادي محمود عطية الطويل . ولد في قرية ببيان (بمحافظة البحيرة - مصر) وتوفي فيها .
قضى حياته في مصر . حفظ القرآن في كتاب القرية صغيراً ، ثم حصل على أولية التعليم عام ١٩٢٣ .
عمل مُدرّساً في قريته ، ثم ترقى إلى ناظر مدرسة ، وتنقّل بين عدة مدارس حتى أحيل إلى التقاعد .

مَا بَالُ صَبْرِي فَيْكَ لَيْسَ يُطِيعُنِي؟

من قصيدة: عَلَى قَبْرِهَا

سَلِيَ الْقَلْبَ هَلْ فِيهِ لِغَيْرِكَ مَوْضِعُ؟

وَهَلْ لِسَوَى ذِكْرَاكِ يَهْفُو وَيُسْرِعُ؟

وَهَلْ ذَابَ مِنْ طُولِ الْحَيْنِ إِلَى الْإِلْقَا؟

وَهَلْ عَادَهُ عِنْدَ مِنَ الشَّوْقِ مُوجِعُ؟

وَهَلْ حَاوَلَ الْإِفْلَاتَ وَالصَّدْرُ عَاقَهُ؟

وَهَلْ أَمْسَكَتْهُ، حِينَمَا طَارَ، أَضْلَعُ؟

وَهَلْ قَطَّعَتْ كَفَّ الْهُمُومِ نِيَاطَهُ؟

وَهَلْ هُوَ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى يَتَصَدَّعُ؟

وَمَلْ بَاتَ فِي دُغْرِ كَمَا بَاتَ طَائِرٌ
أَنَاهُ الرَّدَى مِنْ حَيْثُ لَا يَتَرَقُّ؟
دَمَتْهُ عُقَابٌ وَهُوَ فِي الْعُشِّ آمِنٌ
فَغَالَتْهُ، وَالذَّنْبَا تَرُوعُ وَتُفْرَعُ
سَلِي سَاكِنَ الْأَضْلَاحِ هَلْ هُوَ رَاهِبٌ
لَهُ فِي حَنَابَاهَا بُكَاءٌ وَتَضَرُّعٌ؟
مُصَلَّاهُ صَدْرِي فِيهِ يَغْبُدُ رَبُّهُ
وَيَسْجُدُ فِيهِ كُلُّ آتٍ وَيَرْكَعُ
وَقُرْآنُهُ شِفَاؤِي يُرَدِّدُ آيَهُ
مَدَى الدَّهْرِ فِي مِخْرَابِهِ وَيُرْجِعُ
يُرَدِّدُهُ وَالْكَوْنُ فِي غَيْلِمِ الدُّجَى^(١)
غَرِيقٌ، وَرَبُّ الْكَوْنِ يَرْتَوُ وَيَسْمَعُ
وَيَتَلَوُّهُ وَالْإِضْبَاحُ يَبْدُو كَأَنَّمَا
هُوَ السَّيْفُ مَسْلُولًا، أَوِ الْبَرْقُ يَلْمَعُ
يُنَاجِي الَّذِي نَاجَاهُ مُوسَى نَبِيُّهُ
وَكَلَّمَهُ فِي الطُّورِ، وَالطُّورُ يَخْشَعُ
حَنَانِيكَ رَبِّي، إِنَّ فِي الصَّدرِ لَوَعَةً
يَضِيْقُ بِهَا طَوْلُ الْمَدَى وَيُرُوعُ

(١) الغيلم: البحر الواسع.

حَنَانِيكَ، هَلْ غَيْرِي يُعَذِّبُهُ الْأَسَى
 وَيَضْنَعُ فِيهِ مِثْلَمَا فِيَّ يَضْنَعُ؟
 حَنَانِيكَ، هَلْ مِنْ بَعْدِ فَقْدِ أَحِبَّتِي
 تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا أَوْ الْعَيْشُ يَنْفَعُ؟
 حَنَانِيكَ، إِنِّي لَسْتُ أَبْصِرُ رَاحَةً
 وَلَا أَنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْعَيْشِ أَظْمَعُ
 حَنَانِيكَ، إِنِّي مُتُّ شَوْقًا إِلَى الرَّدَى
 وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنْزَعُ
 سَلِي الْعَيْنِ هَلْ أَغْفَيْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً؟
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا بِالشُّهَادِ مُمَنِّعُ؟
 وَهَلْ قَرَّحْتُهَا كَثْرَةُ الشُّهْدِ وَالْبُكَاءِ؟
 وَهَلْ جَفَّ لِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ مَذْمَعُ؟
 وَهَلْ قَاضَتْ الْأَمْوَاهُ مِنْهَا كَأَنَّهَا
 أَنِي، حَثِيثُ سَيْرُهُ، مُتَدَفِّعُ^(١)؟
 سَلِي النِّجَمَ هَلْ زَارَ الْكَرَى لِي مُقْلَةً؟
 وَهَلْ قَرَّ جَنْبِي أَوْ هَذَا لِي مَضْجَعُ؟
 وَهَلْ بِتُّ أَرْعَاهُ إِلَيَّ أَنْ مَضَى الدُّجَى
 وَجَاءَ السَّنَا مِنْ جَانِبِ الْفَجْرِ يَسْطَعُ؟
 سَلِي اللَّيْلَ هَلْ فِيهِ صَفَتْ لِي لَحْظَةً؟
 وَهَلْ أَنَا فِيهِ أَسْتَرِيحُ وَأَمْجَعُ؟

(١) الأني: السيل الذي ينفع من مكان إلى آخر.

وَهَلْ فِيهِ قَدْ سَامَرْتُ غَيْرَ كَوَاكِبِ
بِطَاءِ الْخُطَا، تَمْشِي الْهُوَيْنَى، وَتَظْلَعُ؟
سَلِي الْفَجَرَ هَلْ أَذَكْنِي بِمَظْلَعِهِ الْأَسَى؟
وَهَلْ هَاجَهُ لِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ مُودَعُ؟
وَهَلْ أَنَا فِيهِ كُلَّمَا لَاحَ ذَاكِرُ
جَبِينًا كَنُورِ الْفَجْرِ أَوْ هُوَ أَبْدَعُ؟
سَلِي الزَّهْرَ هَلْ ذَكَرَاكَ عَاطِرَةُ الشَّدَا؟
وَهَلْ فِي الرُّوَابِي نَشْرُهَا يَتَضَوُّعُ؟
وَهَلْ ذَكَرْتَنِي أَغَيْنُ الزَّهْرَ أَغِينَا
تُشْبِعُ الْمُنَى فِي النَّفْسِ إِذْ تَتَطْلَعُ؟
وَهَلْ كُنْتُ فِي سُكْرِ إِذَا هِيَ لِي رَنْتُ؟
وَهَلْ كَانَ لِي فِيهَا رَجِيْقٌ مُشْغَعُ؟
وَهَلْ فِي انْبِلَاجِ الصَّبْحِ وَالزَّهْرِ ضَاحِكُ
وَقَفْتُ حَزِينُ الْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَذْمَعُ؟
تَذَكَّرْتُ ثَغْرًا لَا يَزَالُ لِضَحِكِهِ
رَنِينٌ عَلَى أَوْتَارِ أُذُنِي يُوقَّعُ
سَلِي الْوُزْقَ فِي الْأَفْنَانِ هَلْ أَنَا هِجْتُهَا
بَنُوجِي، فَقَامَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ تَسْجَعُ؟
وَهَلْ أَنَا قَدْ عَلَّمْتُهَا لُغَةَ الْجَوَى
وَطَارَحْتُهَا وَالنَّجْمُ لِفَاقِي يَذْرَعُ؟

سَلِي الْبَحْرَ هَل سَاجَلْتُهُ بِمَدَامِعِي
فَغَاضَرَ، وَمَا غَاضَتْ لِعَيْنَيِ أَذْمَعُ؟
سَلِي الصَّبْرَ إِنْ أَلْفَيْتُهُ كَيْفَ خَانَنِي
وَكَيْفَ عَصَانِي وَهُوَ لِي الدَّهْرَ طَبِيعُ؟
وَمَلْ كُنْتَ صَبَّارًا وَبِالصَّبْرِ كَلَّمَا
تَجَمَّعَتِ الْأَخْدَاثُ لِي أَنْذَرَعُ؟
فَمَا بَالُ صَبْرِي فِيكَ لَيْسَ يُطِيعُنِي؟
وَمَا بَالُ قَلْبِي الْجَلْدِ لَا يَتَشَجَّعُ؟
سَلِي هَل مَضَى يَوْمٌ خَلَا مِنْ تَأَلَّمُ؟
وَهَلْ مَرَّ وَقْتُ فِيهِ لَا أَتَوَجَّعُ؟
يَمُرُّ نَهَارِي فِي الْهُمُومِ وَيَنْقُضِي
وَيَنْجَابُ فِي الْأَحْزَانِ لَيْلِي وَيُقْطَعُ
سَلِي كُلَّ مَنْ تَبَغَّيْنِي عَنِّي سُؤَالَهُ
فَحَسِبُ فُؤَادِي أَنَّهُ يَتَمَقَّطَعُ
وَحَسْبِي مِنَ الْأَشْجَانِ كُلِّ عَشِيَّةٍ
وَكُلِّ صَبَاحٍ أَنَّ نَفْسِي تُضْرَعُ
وَأَنِّي لَا أَخِيَا حَيَاةَ مَرِيرَةٍ
وَأَنِّي لِصَابِ الْعَيْشِ لَا أَتَجَرَّعُ
وَلَكِنْ حَيَاتِي دُونَهَا الْمَوْتُ شِدَّةً
وَعَيْشِي مِنْ رَيْبِ الرَّدَى هُوَ أَفْظَعُ

مُحَمَّدُ آلُ حَيْدَر

(١٣٤٥ - ١٤١١ هـ = ١٩٢٧ - ١٩٩١ م)

وُلِدَ الشيخ محمد آل حيدر في مدينة «سوق الشيوخ» في الناصرية جنوبي العراق. وكان والده رجل دين في تلك المنطقة العشائرية، وفي سنة ١٩٤٥م أرسله والده إلى النجف ليصبح رجل دين من بعده. أصبح أماماً لعددٍ من المساجد في مختلف مناطق العراق حيث تنقَّلَ في مناطق عدَّة من العراق بينها «بعقوبة» و«جلولاء» و«تلّ محمد ببغداد» وكانت له إسهامات مهمّة على الصعيدين الديني والاجتماعي والثقافي في هذه المناطق، قبل أن يستقرَّ في «الحلة» إماماً لمسجد «ابن نما».

«عشت مع زوجتي في الحلة في جوٍّ لا أكاد أحلم بمثله، ودرّت الحياة واخضرت جوانبها، وأقبلت النعم من كلِّ مكان. وأنا وحدي وفي مواضع السرِّ من تأملاتي لاحظت شيئاً يطاردني وأقرأ في الغيب المصون ما لا تراه عين ولا يحسُّه سمع. وللأقدار يد لا تردُّ، وللمسمّيات من الآجال كلُّ مجال، فانتابت الأقدار، وهي الحكم، زوجي الحامل وكانت ليلة حُبلى بالآلام، وكان فجرها أشدَّ وأقسى وخضت غمرة صراع جديد، وفَتَحَتْ عَلَيَّ أبواباً كانت مغلقة واستجدّت أحداثٌ ودبّت الآلام النفسية وأكلت من تأملاتي وضاعفت من مشاكلي»^(١)

(١) من أوراق الشيخ محمد آل حيدر نشر جزءاً منها الدكتور سعد الحداد في =

ماتت زوجته وهي حاملٌ فخلَّفتْ له الآلامَ النفسية ومرارةَ الفقد.
تزوَّجَ ثانية، ولم تعرضه الزوجة الجديدة عن فداحة الفقدان:
«فزوجتُ وكرهتُ فطلَّقتُ»

اعتقل في آذار من العام ١٩٩١، من قبل الأجهزة الأمنية في العراق، وغابت آثاره بينما وجدَ أحدَ أبنائه الذي اعتقل معه في إحدى المقابر الجماعية التي اكتشفت بعد سقوط النظام السابق في العراق عام ٢٠٠٣.

صدر له ديوان في مجلدين جمعه وحقَّقه الدكتور سعد الحداد وصدر عن مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ٢٠٠٩. وفيه ثمان عشرة مرثية لزوجته وهي تشكِّلُ ديواناً مستقلاً أفرد له عنواناً خاصاً «في الطريق إليك» واللافت أنه ظلَّ يرثيها طوال ثمانية عشر عاماً وهي الفترة بين رحيلها ورحيله!

«فَاطِمَةُ» بَيْنَ النُّجُومِ! بعد مرور عام^(١)

عَامُ يَمُرُّ وَكُلُّهُ رَجَبٌ سُمَارُنَا الْأَحْدَاثُ وَالنُّوَبُ
الْبَيْتُ ضَاقَ بِنَا عَلَى سَعَةٍ إِذْ أَنْتِ أَنْتِ الْمَاءُ وَالْعُشْبُ
حَتَّى الصَّبَاحِ عُيُونُنَا أَبْدَاءَ وَكَأَنَّهَا فِي جَرِيهَا سُحْبُ
أَزْعَى النُّجُومَ لَعَلَّ «فَاطِمَةَ» مَا بَيْنَهَا بِصِبَايَ تَغْتَصِبُ

= تقديمه للديوان «ديوان الشيخ محمد آل حيدر» جمع وتحقيق الدكتور سعد الحداد مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية الطبعة الأولى ٢٠٠٩ الجزء الأول ص ٥٥.

(١) «ديوان الشيخ محمد آل حيدر» الجزء الثاني ص ١١٩.

وَلَعَلَّهَا بِجَمِيلٍ قَامَتَهَا
عَيْنِي لِطَلَعَتِهَا عَلَى مِقَةٍ
وَأُنَيْمُ أَظْفَالِي عَلَى نَعْمٍ
يَتَلَفَّتُونَ لِحُجْرَةٍ وَسِعَتْ
لَا يَزْتَرُونَ وَفِي الْكُؤُوسِ دَمٌ
ذَاكَ الْحَنَانُ يَفُوحُ فِي أَرْجٍ
أُمَاهُ مَا أَرَوَى عَلَى كَبِدٍ
طِفْلٌ عَلَى أَهْدَابٍ نَاطِرِهِ
لَا «يَذِرِي» أَتَيْنَ وَكَيْفَ مُعْتَرِكُ
يَبْكِي وَيَضْحَكُ وَالْفُؤَادُ مَعَا
أَغْمَى يَدْبُ وَفِي مَسِيرَتِهِ
عَامٌ يَمُرُّ وَلِلْهَوَى رُسُلُ
لَا الدَّمْعُ لَا الْحَسَرَاتُ أَجْمَعُهَا
لَكِنَّ لَحْظَةً عَاشِقِي رَسَمَتْ
أَلْقَاكِ فِي صِلَةٍ لِعَاطِفَةٍ
وَأَرَاكِ فِي مِرَاتِهَا صُوراً
عِشْرِينَ عَاماً ذُقْتُ أَكْؤُوسَهَا

تَخْتَالُ حَوْلِي وَالْهَوَى يَشُبُ
وَالْقَلْبُ مِنِّي وَإِلَهُ وَجِبُ
جَمْرَاتُهُ فِي الْقَلْبِ تَلْتَهِبُ
أَخْلَامَهُمْ أُمٌّ بِهَا وَأَبُ
الْعَنْقُودِ مَا أَخْلَاهُ لَوْ شَرِبُوا
وَيَسِيلُ مِنْهُ الْخَاطِرُ الْحَدْبُ
مَجَّ الْمَشَارِبِ حِينَ يَنْتَسِبُ
حُلْمٌ كَانَ رَفِيقَهُ الشُّهُبُ
غَايَاتُهُ الْقُضُوى هِيَ التُّرْبُ^(١)
فِي حَالَتِيهِ يَسُودُهُ الْعَجَبُ
لَا «يَذِرِي» كَيْفَ رِضَاهُ وَالْعُضْبُ
وَكَمَا عَهْدَتِ وَلِلْوَفَا كُتُبُ
كَلَا وَلَا الْأَكْبَادُ تَضْطَرِبُ
لِلْحُبِّ خَطَأٌ فِيهِ نَقْتَرِبُ
وَلَأَنْتِ فِي أَكْوَابِهَا الْحَبَبُ
فِيهَا يَلُوحُ شَبَابُنَا التُّرْبُ
مَا لَانَهَا أَفْكَ وَلَا كَذِبُ

(١) «لا يذري» بياء مشبعة، أحدثت خلافاً عروضياً في البيت، وكذلك الحال في البيت الذي بعد الذي يليه، وفي البيت الأخير من القصيدة كذلك، ولو قال «لم يذري» لاستقام الوزن.

وَالنَّفْسُ تَمْرَحُ فِي رَغَائِبِهَا
 سَكَنًا خُلِفَتْ لِمَا أَعِيشُ بِهِ
 وَلَكُمْ غَضِبْتُ وَأَنْتِ رَاضِيَةٌ
 وَإِذَا خَلَوْتُ فَكُلُّ جَارِحَةٍ
 أَلْقَاكِ عَاطِلَةً وَحَالِيَّةً
 وَإِذَا النُّفُوسُ زَكَّتْ عَنَّا صِرْهَا
 وَإِذَا سَقَاهَا الْحُبُّ نَضَّرَهَا

يَا أُمَّ «آلَاءٍ» وَمَا بَرِحْتُ
 فَلَقَدْ تَجَشَّمْنَا الْحَيَاةَ مَعَا
 مِنْ هَمٍّ وَمَذَابٍ أَذْمَعِنَا
 وَلَقَدْ عَهْدْتُكَ عَقَّةً وَكَمَا
 رَكَّضْتُ بِي الْأَخْدَاثُ قَاسِيَةً
 وَضَرَبْتُ أَرْضَ اللَّهِ أَظْلُبُهَا
 فَإِذَا الْحَيَاةُ يَشْعُ كَوَكْبُهَا
 وَتَلَفَّتْ عَيْنَاكِ عِنْدَهُمَا
 وَهَمَسْتُ فِي أُذُنِي وَمِنْ أَدَبِ
 وَالرُّزْقُ لَا «نَذِيرِي» مَوَاقِعُهُ

عَيْنَايَ تَحْكِي دَمْعَهَا الشُّحْبُ
 فَأَنَا وَأَنْتِ لِنَارِهَا حَطْبُ
 أَطْفَالُنَا أَكَلُوا كَمَا شَرِبُوا
 دَلَّتْ عَلَيْكَ أَمَاجِدُ نُجُبُ
 وَتَنَاهَبْتَ أَخْلَامِي الْكُرْبُ
 سَعِيًّا وَأَنْتِ شَاعِرُ حَدْبُ
 فَيُجَابُ لَيْلٌ كُلُّهُ عَطْبُ
 سِرٌّ عَلَيْهِ تَرَكَمْتُ حُجْبُ
 أَنَّ الْحَيَاةَ طَرِيقُهَا عَجْبُ
 حَتَّى لَوْ أَنَّ دَلِيلَنَا الشُّهُبُ

(١) النصب: الوداء.

ذَكَرْتُ زَمَانًا^(١)

إِذَا أَذْرَكْتُ مَعْنَايَ مَنْ كُنْتُ صَاحِبًا
لَهَا، حَسْبُهَا إِنْ لَمْ تُذْرِكِ الشُّعْرَا
ذَكَرْتُ زَمَانًا مَرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَلَا بُدَّ يَوْمًا مَا تُسْتَعَادُ لَنَا الذُّكْرَى
إِذَا كَانَ قَلْبِي مَسْكَنًا فِي حَيَاتِهَا
فَلَا ضَيْرَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنْ تَسْكُنَ الْقَبْرَا

١٩٨٧/١٠/١٦

لَنْ أُطِلَّ عَلَيْكَ مِنْ شُبَّاكِي^(٢)

أَنَا مَا مَلَلْتُ وَلَا يَزَالُ هَوَاكِ
وَعَلَى فَمِي كَعَقِيدَتِي ذِكْرَاكِ
وَالْحُبُّ مِثْلُ شَرَايِفٍ بِعُرُوقِنَا
وَأُظَنُّهُ كِدِمَائِنَا بِدِمَاكِ
مَا زِلْتُ فِي أَلَمٍ أَعِيشُ كَأَنَّنِي
طَيْرٌ، عَلَى غُلَوَائِهِ، بِشِرَاكِ
سَعَةُ الْوُجُودِ تَضِيقُ عِنْدَ نَوَاطِرِي
أَنْ لَنْ أُطِلَّ عَلَيْكَ مِنْ شُبَّاكِي

(١) إلى روح زوجتي الوفية «ديوانه» الجزء الثاني ص ١٣١.

(٢) قصيدة قرّى عينا «ديوانه» الجزء الثاني ص ١٣٩. قال في رثاء زوجته بعد مرور

اثني عشر عاماً على رحيلها.

مَا زَارَنِي طِيفٌ وَكَانَتْ مُنَيَّتِي
 أَنِّي وَلَوْ عِنْدَ الْمَنَامِ أَرَاكَ
 لَكِنَّ قَلْبَكَ إِذْ يَعِيشُ قُلُوبَنَا
 يَا بَى الْمَزَارِ عَلَى جَنَاحِ مَلَكَ
 لَوْلَا الْمَنَايَا لَارْتَمَتْ مِنْ جِسْمِهَا
 رُوحِي مُرْفِرَةً إِلَيَّ لُفْيَاكَ
 لِأَرَاكَ فِي دَارِ الْخُلُودِ وَإِنَّهَا
 دَارُ الْأَحِبَّةِ وَالشُّعُورِ الزَّاكِي
 كُشِفَ الْغِطَاءُ بِهَا فَكُلُّ سَرِيرَةٍ
 مَجْلُوءَةٌ كَالنَّجْمِ فِي الْأَفْلَاكِ
 وَمُنَاكِ لَا أَلَمٌ وَلَا أَكْذُوبَةٌ
 وَمُنَاكِ تَوْجِيهٌُ بِلا إِشْرَاكِ
 قَرِي عِيُونًا فَالْفُرُوعُ وَرَيْقَةٌ
 مِغْطَاةٌ فِي ظِلِّ أَضَلِّ زَاكِ
 فِي كُلِّ قَلْبٍ صُورَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ
 مِنْهَا عَلَى الْمِرَاةِ ظِلُّ حَاكِي

١٩٨٤/٤/٢٤

إِبْرَاهِيمُ عَبْدُ اللَّطِيفِ شَرِيف

(١٣٣٣ - ١٤٣٠ هـ = ١٩١٥ - ٢٠٠٩ م)

شاعرٌ سوري، وُلِدَ في قرية عين التينة «من قرى محافظة اللاذقية» وتوفي فيها.

بدأ حياته العملية معلماً في قريته عام ١٩٣٧، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٥ وعمل مدرساً للغة الفرنسية في بعض مدارسها.

يعدُّ من المربين ورواد التعليم في منطقته، حيث أنشأ على حسابه الخاص، اول مدرسة أعدادية في قريته «أعدادية سيف الدولة» وظل يتعهدا طيلة حياته.

صدرت أشعاره في ديوان بعنوان «خواطر» عن دار المنارة في اللاذقية ١٩٩٨.

توفي في ٢٠٠٩/٢/١٤، ودُفِنَ بمسقط رأسه بعين التينة.

أَتِ مِنَ الْعَيْشِ مَا أَقْسَى تَجَرُّعُهُ

من قصيدة «وَدَاعُ إِلْف» في رثاء زَوْجَتِهِ

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ إِلْفًا كَانَ لِي سَكْنًا فَأَصْبَحَ الْقَبْرُ سَكْنًا وَمَضَجَهُ
«رَدَّعْتُهُ وَبِوَدِّي لَوْ يُودَّعُنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْنِي لَا أُوَدَّعُهُ»^(١)

(١) هذا البيت تضمن من أحد أبيات قصيدة ابن زريق البغدادي الشهيرة، وقصيدة =

مَاضٍ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ نَهْنَأْ بِهِ زَمَنًا آتٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا أَفْسَى تَجَرُّعُهُ
 وَيَلِينِي عَلَى الرُّغْبِ لَا أُمَّ تُهْذِلُهُمْ وَلَا يَذُوقُونَ عَيْشًا طَابَ مَرَّتَعُهُ
 نَحْوَلِ النُّورِ فِي أَبْصَارِهِمْ حَلَكًا فَلَا الصَّبَاحُ صَبَاحٌ لَاحَ مَظْلَعُهُ
 وَلَا النَّهَارُ نَهَارٌ فِي دِيَارِهِمْ كَأَنَّهُمْ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ مَقْطَعُهُ

= ابراهيم شريف عمومًا، معارضة ومحاكاة واضحة لقصيدة البغدادي . ويلاحظ
 أن هناك أقواء في حركة الروي في البيت الذي يسبقه وكذلك البيت الذي يليه
 من القصيدة .

مُحَمَّدُ الْأَمِينِ عَاج

(١٣٦١ - ١٤١٥ هـ = ١٩٤٢ - ١٩٩٤ م)

محمد الأمين عاج. ولد في ريد يار سيلا «السنغال»، وتوفي في
دكار.

عاش في السنغال وموريتانيا وتونس والمغرب.

الْوَرْدَةُ الذَّابِلَةُ

عَدَا يُعَاوِدُنِي دَاءٌ يُهَيِّجُنِي
أَشَدَّ مِنْ وَقَعِ سَيْفِ الْفَارِسِ الْقَاسِي
دَاءٌ وَلَا يَدَ فِيهِ لِلطَّيِّبِ وَلَا
لِلنَّاسِ جَذْوَى وَمَا لِي فِيهِ مِنْ آسٍ
دَاءٌ يُمَرِّقُ قَلْبِي مُنْذُ فَاجَأَنِي
فِي غِرَّةِ نَعْيٍ مَنْ فِي فَقْدِهَا بَاسِي
حَبِيبَتِي أَيْنَ أَخْلَامِي وَأَيْسَتِي
وَفِي الْفُتُوَّةِ جَاءَتْنِي بِإِفْلَاسٍ
فَإِنِّ فَكَادَ يُغْفِيْنِي تَغْيِبُهَا
زَوْجِي، أَيَا ضَيْقِ أَفْكَارِي وَأَنْفَاسِي
كَأَنَّ تَهْذِيبِي كَفَّ الْهَنَاءَ لَهَا
فَعَاكَسْتَنِي يَدُ سَوْدَاءَ يَا نَاسِي

كَانَتْ حَيَاتِي بِهَا بِالْأَمْسِ، زَاهِرَةً
 فَالْيَوْمَ يَا حَبِيبَتِي مِنْ بَيْنِ جُلَاسِي
 يَا وَزْدَةً فِي رَيْحِ الْعُمْرِ ذَابِلَةً
 أَوْحَشْتَنِي، وَبَالَامِي أَنَا الْقَاسِي
 لَكِنْ خِصَالُكَ لِلْأَجِيَالِ خَالِدَةٌ
 سَقَاكَ رَبُّكَ مَاءَ الْعَفْوِ بِالْكَاسِ
 وَعَاذِلِي جَاهِلٌ عَمَّا أَصَبْتُ بِهِ
 فَالْقَلْبُ يُخَوِّي بِمَا لَمْ يَخَوْ قِرْطَاسِي
 فَقَدْ الْحَبِيبُ بِهَذَا الْعُمْرِ يُفْجِعُنَا
 فَكَيْفَ بِالْمَوْتِ؟ حُزْنٌ مُؤْلِمٌ رَاسِ
 مَا سَاءَنِي فِعْلُهَا مُنْذُ اقْتَرَنْتُ بِهَا
 فَعُدَّهَا يَا أَخِي مِنْ بَيْنِ أَكْيَاسِ
 هَلْ مِنْ مُبِيحٍ يُبِيحُ الْعَرْبُ الزَّمَّةُ
 لَوْلَا مَخَافَةُ رَبِّي خَالِقِ النَّاسِ؟
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَرْجَى فِي مُضَاعَفَةٍ
 مِنَ الذُّنُوبِ، وَفِي بَاكِ أَخِي يَاسِ

وَجِيْهِ الْبَارُوْدِي

(١٣٢٤ - ١٤١٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٩٦ م)

شاعرٌ وطبيبٌ سوري، من مواليد مدينة حماة السورية.
ويعدُّ علماً من أعلام الطبِّ والشعر في مدينة حماة التي تعرف
بمدينة النواعير التي تدور على نهر العاصي.

سافر إلى لبنان بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ليتابع دراسته في
الجامعة الأمريكية في بيروت «الكلية السورية الإنجيلية»
خلال دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت تعرّف على مجموعة
من الأدباء العرب منهم: «عمر فروخ من لبنان وإبراهيم طوقان من
فلسطين وحافظ جميل من العراق» وأسسوا جمعيةً أسموها دار الندوة
عام ١٩٢٦.

فتح عيادته الطبية الخاصة في مدينة حماة عام ١٩٣٢ م إثر عودته
من لبنان.

مارس مهنة الطبِّ منذ عام ١٩٣٢ إلى أن توفي عام ١٩٩٦.
توفيت زوجته وثلاثة من أبنائه العشرة فاكستت تجربته الشعرية بنبرة
جديدة. فرثى ابنته الصغيرة، وابنه سمير، كما رثى زوجته «مسرة»
علواني بقصائد آسية، رغم أنه عُرِفَ على الدوام بشاعر الفرح والظرف
والتهتك والتمرد، وتنطوي أشعاره على نكهة حسية واضحة:

«أنا شاعرُ الشَّفَتَيْنِ وَالنَّهْدَيْنِ وَالْإِبْطَيْنِ وَالرُّذَقَيْنِ وَالسَّيْقَانِ»
طبع ديوانه الأول «بيني وبين الغواني» عام ١٩٥٠ ثم أعاد طباعته

مع ديوانه الثاني «كذا أنا» عام ١٩٧١ ، و صدر ديوانه الثالث «سيد العشاق» عام ١٩٩٤ وفيه هاتان المراثيتان^(١).

لا سَبِيلَ إِلَى النِّجَاةِ رثاء أم اسامة

سَأَقْضِي مَا تَبَقَّى مِنْ حَيَاتِي	غَرِيقًا فِي بَحَارِ الذُّكْرِ يَاتِ
وَيَسْعَى الْأَقْرَبُونَ إِلَى انْتِشَالِي	وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى النِّجَاةِ
فَبَحْرٌ هَوَاكِ لَيْسَ لَهُ قَرَارٌ	تَحْدَى اللَّانِهَايَةَ فِي الْجِهَاتِ
وَتِلْكَ الْأَرْبَعُونَ خَلَّتْ وَخَمْسُ	قَصَارَى الدَّهْرِ مِنْ مَاضٍ وَآتِ
هُنَيْهَاتٍ لَنَا زَخَرَتْ بِحُبِّ	يُوَارِي كُلَّ حُبِّ الْكَائِنَاتِ

* * *

جَرَيْنَا فِي الصُّبَا فَرَسِي رِهَانٍ	وَكَانَ لَكَ التَّفَوُّقُ وَالتَّجَلِّي
وَطَابَ لَكَ الْمَضِي وَلَيْسَ بِدَعَا	بُلُوْعُكَ غَايَةَ الْغَايَاتِ قَبْلِي
وَلَوْ أَنِّي سَبَقْتُ ، نَجَوْتُ مِمَّا	لَقِيتُ مِنَ الْأَسَى ، وَفُجِعْتُ مِثْلِي
وَلَيْسَ لَدَيْكَ صَبْرِي وَاحْتِمَالِي	فَكَيْفَ الْحَالُ لَوْ حُمِلَتْ حَمْلِي
حَزِنْتُ عَلَيْكَ حُزْنًا هَاضَ قَلْبِي	وَهَذَا عَزِيمَتِي ، وَأَطَارَ عَقْلِي
وَحُزْنُ النَّاسِ فِي دَمْعٍ وَنَوْحٍ	وَحُزْنِي لَيْسَ مُنْحَصِرًا بِشَكْلٍ
وَقَالُوا سَوْفَ تَسْلُوهَا قَرِيبًا	سَأَذْخُصُ قَوْلَهُمْ وَأَقُولُ قَوْلِي :
يَمِينُ اللَّهِ أَمْضِي فِي وَفَائِي	وَالَا ، أَيْنَ أَخْلَاقِي وَنُبْلِي ؟
هَوَاكِ مُقَدَّسٌ وَالْعَذْرُ كُفْرٌ	فَإِنْ أَعْدُرُ كَفَرْتُ وَحَلَّ قَتْلِي

(١) ديوان «سيد العشاق» وجه البارودي تقديم وليد قنباز/ طبع ١٩٩٤ .

لَوْ تَرَجُّعُ الْأَيَّامِ

لَيْمُونَةُ أَمَامَ شُبَّانِي
تَهَشُّ لِي وَقَلْبُهَا بَاكِ^(١)
غَرَسُ النَّيِّ مِنْ طِيبِهَا زَوَّدَتْ
بِالطِّيبِ، أَزْهَارِي وَأَشْوَاكِي

تَسْأَلُنِي عَنْهَا فَيَا حَسْرَتِي
الرَّدُّ فِي صَمْتِي وَفِي عِبْرَتِي
يَا زَهْرَةَ الْأَزْهَارِ يَا زَهْرَتِي
كَيْفَ لِأَهْلِ الرُّوضِ أَنْعَاكِ؟

مَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ صَرْفِ الرَّدَى
أَنَّ الْهَوَى يَطْعَنُ لِهَذَا الْمَدَى
وَدَدْتُ لَوْ عِشْتُ ، وَكُنْتُ الْفِدَى
لَوْ رُدَّتِ الرُّوحُ ، وَأَبْصَرْتِنِي
لَاغْرُورَقْتُ بِالدَّمْعِ عَيْنَاكِ

دُنْيَا مِنَ الْحُبِّ، جَهْلُنَاهَا
فِي بَيْتِنَا كَانَتْ أَضْعَفُنَاهَا
لَمَّا وَجَدْنَاهَا، فَقَدْنَاهَا

(١) هَشُّ إِلَى فُلَانٍ: لِبِهِ لَفْتَانٍ: يَهَشُّ وَيَهْشُ خَفْتُ إِلَيْهِ وَارْتَحَ لَهُ.

لَوْ تَرَجُّعُ الْآيَاتِ أَذْرَاجَهَا
لَكَانَ عِندِي يَوْمَ الْقَاكِ

أَبْنَاؤُكَ الْعَشْرُ بِآلَائِهِمْ
يَكُونُ، قَدْ جُنُّوا عَلَى أُمَّهِمْ
وَقَوَّ قَمِّي، حِرْتُ فِي مَمِّهِمْ
فَالْخَطْبُ خَطْبَانِ ، وَلَا حِيلَةَ
إِلَّا نَأْسِينَا ، بِذَكَرَاكِ

الجَوَاهِرِيُّ

(١٣١٧ - ١٤١٨ هـ = ١٨٩٩ - ١٩٩٧ م)

وُلِدَ مُحَمَّدٌ مهدي الجواهري في النجف، وهو يتحدّر من أسرة نجفية عريقة في العلم والأدب والشعر تُعرف بآل الجواهري، نسبة إلى أحد أجداد الأسرة والذي يُدعى الشيخ محمد حسن «صاحب الجواهر» والذي ألّف كتاباً في الفقه باسم «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».

كان الجواهري قويّ الذاكرة، سريع الحفظ، وكان في أول حياته يرتدي العمامة لأنه نشأ نشأة دينية محافظة، ثم ترك العمامة وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة «الفرات» وجريدة «الانقلاب» ثم جريدة «الرأي العام» وانتخب مرّاتٍ عدة رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين .

ترك النجف عام ١٩٢٧ ليُعيّن مُدرّساً في المدارس الثانوية، ولكنه فرجى بتعيينه معلماً على الملاك الابتدائي في الكاظمية.

توفيت زوجته الأولى «أمّ قُرات» عام ١٩٣٩، فراثها بقصيدة «ناجيت قبرك» وتزوَّج شقيقتها «أمونة» «أمّ نجاح».

انتُخبَ رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفيين بعد ثورة ١٩٥٨.

واجه مضايقات مختلفة فغادر العراق عام ١٩٦١ إلى لبنان ومن هناك استقرّ في براغ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين، وأقام

فيها سبع سنوات، وصدر له فيها في عام ١٩٦٥ ديوانه «بَرِيدُ الْغُرْبَةِ». ثم عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨ وخصّصت له الحكومة راتباً تقاعدياً. منح عام «١٩٧٥» جائزة الكتاب والأدباء الأفروآسيويين «اللوتس». غادر العراق نهائياً عام «١٩٧٩»، وأقام منذ عام «١٩٨٣» في سوريا. بدعوة من الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد وبقي مقيماً فيها حتى رحيله.

منح في نهاية عام «١٩٩١» جائزة «سلطان العويس» الإماراتية للإنجاز العلمي والثقافي.

في «٨/١/١٩٩٢» توفيت زوجته الثانية ورفيقة مسيرته العصبية، لأكثر من نصف قرن، السيدة «أمّونة الجواهري».

لم تستقم صحة الشاعر إثر رحيل زوجته، «نصف وطنه» - حسب وصفه - الهائم معه في دروب التغرّب العسيرة ولتصاعد محنه وعذاباته النفسية حتى رحيله.

توفي الجواهري في دمشق في السابع والعشرين من تموز ١٩٩٧. ودُفِنَ في مقبرة الغرباء بالسيدة زينب إلى جانب زوجته الثانية «أمّونة»

ناجيت قبرك^(١)

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَا أَلْقَى وَمَا أَجِدُ
أَهْذِهِ صَخْرَةً؟ أَمْ هَذِهِ كَبِدٌ؟

(١) نظمت والشاعر في بيروت في طريقه إلى المؤتمر الطبي العربي، مندوباً عن العراق، وقد وصله خبر وفاة عقيقته المفاجئ، عن عارض مؤلم لم يمهلهما سوى يومين، فتخلّى عن الالتحاق بالمؤتمر وقفل راجعاً إلى بغداد، وكان ذلك عام ١٩٣٩. ونشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٧٨ في ١٨ آذار ١٩٣٩. «ذكرياتي» محمد مهدي الجواهري الجزء الأول دار الرافدين/ دمشق =

قَدْ يَفْتُلُ الْحُزْنَ مَنْ أَحْبَابُهُ بَعْدُوا
 عَنْهُ فَكَيْفَ بِمَنْ أَحْبَابُهُ فَقِدُوا
 تَجْرِي عَلَى رَسْلِهَا الدُّنْيَا وَيَتَّبِعُهَا
 رَأْيٌ بِتَغْلِيلِ مَجْرَاهَا وَمُعْتَقِدُ
 أَغْيَا الْفَلَاسِفَةِ الْأَخْرَارَ جَهْلُهُمْ
 مَاذَا يُخْبِي لَهُمْ فِي دَفْتِنِهِ عَدُو
 طَالَ التَّمَحُّلُ وَاعْتَاصَتْ حُلُولُهُمْ
 وَلَا تَزَالُ عَلَى مَا كَانَتِ الْعُقْدُ^(١)
 لَيْتَ الْحَيَاةَ وَلَيْتَ الْمَوْتَ مَرَحَمَةً
 فَلَا الشَّبَابُ ابْنُ عِشْرِينَ وَلَا لَبْدُ^(٢)
 وَلَا الْفَتَاةُ بِرَيْعَانِ الصُّبَا قُصِفَتْ
 وَلَا الْعَجُوزُ عَلَى الْكَفَيْنِ تَعْتَمِدُ

= ١٩٨٨ ص ٥٢٦ وردت في ستة عشر بيتاً. وكذلك «الجواهري في العيون من أشعاره» دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الرابعة ١٩٩٨ ص ١٧٧ كما أن هناك اختلافاً في عدد الأبيات في كل من هذه المنشورات عن القصيدة في الديوان، ديوان الجواهري-الجزء الثاني-وزارة الاعلام العراقية/مديرية الثقافة العامة-مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٣ م.

(١) التَّمَحُّلُ : اللف والدوران حول الشيء، والتحيل للوصول إليه . واعتاصت : تصعبت وتمعدت.

(٢) لَبْدُ : هو اسم أحد النسور التي احتضنها «لقمان بن عاديا» في الأسطورة الواردة من طول عمره وأنه استنزف أعمار النسور كلها وكان لبدا طولها عمراً. ويوضح ذلك في الأبيات التي تلي.

وَلَيْتَ أَنَّ النُّسُورَ اسْتُنْزِفَتْ نَصْفًا
أَعْمَارُهُنَّ وَلَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدٌ
حُبِيتِ «أُمُّ فُرَاتٍ» إِنَّ وَالِدَةَ
بِمِثْلِ مَا أَنْجَبَتْ تُكْنَى بِمَا تَلِدُ
نَحِيَّةٌ لَمْ أَجِدْ مِنْ بَثٍّ لَاعِجَهَا
بُدًّا، وَإِنْ قَامَ سَدًّا بَيْنَنَا اللَّجْدُ
بِالرُّوحِ رُدِّي عَلَيْهَا إِنَّهَا صِلَةٌ
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ مَاذَا يَنْفَعُ الْجَسَدُ؟
عَزَّتْ دُمُوعِي لَوْ لَمْ تَبْعَثْنِي شَجَنًا
رَجَعْتُ مِنْهُ لِحَرِّ الدَّمْعِ أَبْتَرِدُ
خَلَعْتُ ثَوْبَ اضْطِبَّارٍ كَانَ يَسْتُرُنِي
وَيَا نَ كَذِبُ ادَّعَائِي أَنَّنِي جَلِدُ
بَكَيْتُ حَتَّى بَكََا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي
وَنُحْتُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرٌ غَرِدُ
كَمَا تَفْجَرُ عَيْنًا ثَرَّةً حَجَرٌ
قَاسٍ تَفْجَرُ دَمْعًا قَلْبِي الصَّلْدُ^(١)
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَوْلٌ يَسْتَرِيحُ بِهِ
وَيَسْتَوِي فِيهِ مَنْ دَانُوا وَمَنْ جَحَدُوا

(١) حجر : فاعل لتفجر، عيناً : تتميز به، والثرة : الفياضة الغزيرة، والصلد : الصلب.

مُدِّي إِلَيَّ يَدًا تُمَدِّدُ إِلَيْكَ يَدُ
 لَا بُدَّ فِي الْعَيْشِ أَوْ فِي الْمَوْتِ تَجِدُ
 كُنَّا كَشِقَّيْنِ وَأَفْنَى وَاحِدًا قَدَرُ
 وَأَمْرُ ثَانِيَهُمَا مِنْ أَمْرِهِ صَدَدُ
 نَاجَيْتُ قَبْرِكَ أَسْتَوْحِي غِيَاهِبَهُ
 عَنْ حَالِ ضَيْفٍ عَلَيْهِ مُعْجَلًا يَفْدُ^(١)
 وَرَدَّدَتْ قَفْرَةً فِي الْقَلْبِ قَاحِلَةٌ
 صَدَى الَّذِي يَبْتَغِي وَرْدًا فَلَا يَجِدُ
 وَلَفَّنِي شَبَحٌ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ
 بِجَعْدِ شَعْرِكَ حَوْلَ الْوَجْهِ يَنْعَقِدُ
 أَلْقَيْتُ رَأْسِي فِي طَيَّاتِهِ فَرِعَا
 نَظِيرَ صُنْعِي إِذْ آسَى وَأَفْتَادُ^(٢)
 أَبَاكَ إِنْ ضَاقَ صَدْرِي أَسْتَرْيَحُ إِلَيْكَ
 صَدْرِي هُوَ الدَّهْرُ مَا وَفَى وَمَا يَبْعُدُ
 لَا يُوَحِّشُ اللَّهَ رَبِّعًا تَنْزِلِينَ بِهِ
 أَظُنُّ قَبْرَكَ رَوْضًا نُورُهُ يَقْدُ

(١) القصيدة كلها تشير إلى وقفة حزينة وقفها الشاعر على قبر عقيلته في النجف ساعة وصوله إليها من بيروت، وإلى ما طاف به من أشباح الذكريات وخيالاتها.

(٢) المفزود: الذي أصيب فزاده.

وَإِنَّ رَوْحَكَ تَأْسِيسِينَ بِهَا
 إِذَا تَمَلَّمَلْ مَيْتٌ رَوْحُهُ نَكْدُ^(١)
 كُنَّا كَنَبْتَةِ رِيحَانٍ تَخْطَمَهَا
 صِرٌّ فَأُورَاقُهَا مَنْزُوعَةٌ بَدَدُ^(٢)
 غَطَّى جَنَاحَاكَ أَطْفَالِي فَكُنْتَ لَهُمْ
 تُغْرَأُ إِذَا اسْتَيْقَظُوا ، عَيْنًا إِذَا رَقَدُوا
 شَتَّى حُقُوقٍ لَهَا ضَاقَ الْوَفَاءُ بِهَا
 فَهَلْ يَكُونُ وَفَاءً أَنَّنِي كَمِيدُ؟
 لَمْ يَلْقَ فِي قَلْبِهَا غِلٌّ وَلَا دَنْسٌ
 لَهُ مَحَلًّا ، وَلَا خُبْتُ وَلَا حَسَدُ
 وَلَمْ تَكُنْ ضَرَّةً غَيْرِي لِجَارَتِهَا
 تُلَوِّي لِخَيْرٍ يُوَاتِيهَا وَتُضْطَهَدُ^(٣)
 وَلَا تَذِلُّ لِخَطْبٍ حُمٍّ نَازِلُهُ
 وَلَا يُصْعَرُ مِنْهَا الْمَالُ وَالْوَلَدُ
 قَالُوا: أَتَى الْبَرْقُ عَجَلَانًا فَقُلْتُ لَهُمْ:
 وَاللَّهِ لَوْ كَانَ خَيْرٌ ابْطَأَتْ بُرْدُ
 ضَاقَتْ مَرَابِعُ «لُبْنَانٍ» بِمَا رَحِبَتْ
 عَلَيَّ وَالتَّمَّتِ الْآكَامُ وَالنُّجْدُ

(١) الرُّوحُ : بمعنى الراحة والاطمئنان.

(٢) الصِّرُّ : الريح الشديد والباردة. وتخطمها : كسرها.

(٣) الضَّرَّةُ : معناها الأصلي : الجارة.

تِلْكَ الَّتِي رَقَصْتَ لِلْعَيْنِ بَهْجَتُهَا
 أَيَّامَ كُنَّا وَكَأَنَّ عَيْشَةَ رَعْدُ
 سَوْدَاءُ تَنْفُخُ عَنْ ذِكْرِي تُحَرِّقُنِي
 حَتَّى كَأَنِّي عَلَى رَيْعَانِهَا حَرْدُ^(١)
 وَاللَّهِ لَمْ يَخْلُ لِي مَعْدَى وَمُنْتَقِلُ
 لَمَّا نُعِينِ وَلَا شَخْصُ وَلَا بَلَدُ
 أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَمَا فِيهَا يُطَارِدُنِي
 وَالذُّكْرِيَّاتُ، طَرِيًّا عُودُهَا، جُدُ
 الظُّلَالُ الَّتِي كَانَتْ تُفِيئُنَا؟
 أَمْ الْهَضَابُ؟ أَمْ الْمَاءُ الَّذِي نَرْدُ؟
 أَمْ أَنْتِ مَائِلَةٌ؟ مِنْ نَمَّ مُطَّرَحُ
 لَنَا وَمِنْ نَمَّ مُرْتَاخُ وَمُتَّسِدُ
 سُرْعَانَ مَا حَالَتِ الرُّؤْيَا وَمَا اخْتَلَفَتْ
 رُؤْيَى ، وَلَا طَالَ - إِلَّا سَاعَةً - أَمَدُ
 مَرَزْتُ بِالْحَوْرِ وَالْأَغْرَاسُ تَمْلَأُ
 وَعُذْتُ وَهَوَ كَمْشَوَى الْجَانِ يَرْتَعِدُ
 مُنَى - وَاتَّعَسَ بِهَا - أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى
 تَوْدِيْعِهَا وَهِيَ فِي تَابُوتِهَا رَصْدُ

(١) حرد: غضب.

لَعَلَّنِي قَارِئُ فِي حُرِّ صَفْحَتِهَا
أَيَّ الْعَوَاطِفِ وَالْأَهْوَاءِ تَحْتَشِدُ
وَسَامِعُ لَفْظَةً مِنْهَا تُقَرِّظُنِي
أَمْ أَنَّهَا - وَمَعَاذَ اللَّهِ - تَنْتَقِدُ
وَلَا قِطَّ نَظْرَةً عَاجِلَى يَكُونُ بِهَا
لِي فِي الْحَيَاةِ وَمَا أَلْقَى بِهَا، سَنَدُ

عَلَى قَبْرِ أُمُّونَةَ^(١)

مَا نَحْنُ «أُمُّونَةُ» نَنَائٍ وَنَفْتَرِقُ
وَاللَّيْلُ يَمُكُّهُ وَالتَّسْهِيدُ وَالْحُرْقُ
وَالصَّبْحُ يَمُكُّهُ لَا وَجْهَ يُصَبِّحُنِي
بِهِ، وَلَا بَسَمَاتٍ مِنْكَ تَنْطَلِقُ

(١) «أمونة الجواهري المولودة في النجف ١٩٢١ والتي توفيت في أحد مشافي لندن ١٩٩٢/١٢/٨ إثر نوبة قلبية» كتبت القصيدة على رخام قبرها في مقبرة الغرباء في السيدة زينب بدمشق ونشر مطلعها في كتاب «الجواهري وسيمفونية الرحيل» للدكتورة خيال محمد مهدي الجواهري منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٩، ونشرها صباح المندلاوي في كتابه «الجواهري... الليالي والكتب» بغداد ٢٠٠٩ ص ٥، وهناك أبيات ضمنها في المراثية تعود في الأصل إلى قصيدة بعنوان «حبيبتني» وتقع في أكثر من سبعين بيتاً «ديوان الجواهري» المجلد السادس ١٩٧٠ - ١٩٧٩، ونشرت صورتها الأولى في جريدة «الجمهورية» بغداد/ ملحق العدد ٢٦٥٧ يوم السبت ٢٩ أيار ١٩٧٦. وكذلك في كتاب «الجواهري في العيون من أشعاره» ص ٥٩٧ ويهداه «إلى التي أفنت شبابها وكهولتها معي، واثقة، مؤمنة في حياة تشبه الأساطير، إلى زوجتي أمونة».

«أَمُونَهُ»، وَالضُّمِيرُ الْحَيُّ ضَارِبَةٌ
عُرُوقُهُ وَالضُّمِيرُ الْمَيِّتُ يَغْتَرِقُ
خَمْسٌ وَخَمْسُونَ عِشْنَاهَا مُرَاوَحَةٌ
نَبْرٌ مِنْ سَعِدُوا فِيهَا وَمَنْ شُنِقُوا
يَا حُلُوةَ الْمُجْتَلَى وَالنَّفْسُ ضَائِقَةٌ
وَالْأَمْرُ مُخْتَلِطٌ وَالْجَوْ مُخْتَنِقٌ
وَيَا ضُحُوكَةَ ثَغْرِ وَالذَّنَى عَبَسُ
وَيَا صَفِيَّةَ طَبِيعِ وَالْمُنَى رُنُقٌ^(١)
وَيَا صَبُورًا عَلَى الْبَلَوَى ثَلْطُفُهَا
حَتَّى تَعُودَ كَبِنْتَ الْحَانَ تَضْطَفِقُ
مِنِّي عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا يَقُومُ بِهِ
سَنُّ الْيَرَاعِ وَلَا يَقْوَى بِهِ الْوَرَقُ
كَأَنَّ نَفْسِي إِذْ تَغْشَيْنَ وَخَشَتْهَا
إِنْسَانُ عَيْنٍ بِمَرَأَى أُخْتِهَا غِرْقٌ^(٢)
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ «غَادَ الْمُؤْمِنِينَ» بِهِ
وَحَلَّ «أَمُونَهُ» جِنُورًا لِمَنْ سَبَقُوا

(١) رُنُقٌ: متكدرَةٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: إِنْ تَغْشَيْنَ، وَوَضَحَ أَنَّهَا خَطَأٌ مَطْبَعِي.

نِزَارُ قَبَّانِي

(١٣٤١ - ١٤١٩ هـ = ١٩٢٣ - ١٩٩٨ م)

التقى نزار قباني بزوجته العراقية بلقيس الراوي في بغداد للمرأة الأولى عام ١٩٦٢، في مهرجان شعري، ولم ينجح في الإقتران بها بسبب رفض أهلها، وبعد سبع سنوات، عاد نزار قباني للعراق للأشتراك، بمهرجان المريد الشعري، وقرأ قصيدته «أفاده في محكة الشعر»

مَرْحَبًا يَا عِرَاقُ، جِثْتُ أَغْنِيكَ وَبَغَضُ مِنَ الْغِنَاءِ بُكَاءُ
مَرْحَبًا، مَرْحَبًا.. أَتَعْرِفُ وَجْهًا حَفَرَتْهُ الْأَيَّامُ وَالْأَنْوَاءُ؟
أَكَلِ الْحُبِّ مِنْ حُشَاشَةِ قَلْبِي وَالْبَقَايَا تَقَاسَمَتْهَا النِّسَاءُ
وفيها أشارات لقصته مع بلقيس:

كَيْفَ أَحْبَابُنَا عَلَى ضَفَةِ النَّهْرِ وَكَيْفَ الْبِسَاطُ وَالنَّدْمَاءُ؟
كَانَ عِنْدِي هُنَا أَمِيرَةٌ حَبِ نَمَّ ضَاعَتْ أَمِيرَتِي الْحَسَنَاءُ
أَيْنَ وَجْهٌ فِي الْأَعْظَمِيَّةِ حُلُوْ لَوْ رَأَتْهُ تَغَارُ مِنْهُ السَّمَاءُ
إِنِّي السُّنْدِبَادُ.. مَزَّقَهُ الْبَحْرُ وَعَيْنَا حَبِيبَتِي الْمِينَاءُ
مَضَعَ الْمَوْجُ مَرْكَبِي.. وَجِئْتَنِي ثَقَبَتْهُ الْعَوَاصِفُ الْهَوْجَاءُ
إِنَّ فِي دَاخِلِي عُصُورًا مِنَ الْحُزْنِ فَهَلْ لِي إِلَى الْعِرَاقِ التَّجَاءُ؟
وَأَنَا الْعَاشِقُ الْكَبِيرُ.. وَلَكِنْ لَيْسَ تَكْفِي دَفَاتِرِي الزُّرْقَاءُ!

وعند ذلك قام مسؤولون في السلطة العراقية آنذاك بينهم الشاعران «شفيق الكمالي» الذي كان وزيراً للشباب و«شاذل طاقة» الذي كان وكيلاً لوزارة الخارجية العراقية، بالتدخل لدى أهل «بلقيس» الذين وافقوا على طلب نزار الاقتران بابتئهم هذه المرأة.
ولدت بلقيس الراوي في ٢٤/٣/١٩٣٩ في محلة السفينة بالأعظمية ببغداد.

تزوجت من نزار قباني ١٩٦٩. وأنجبت منه «زينب» و«عمر» عملت بلقيس في السفارة العراقية في بيروت، وقتلت في التفجير الذي تعرضت له السفارة بواسطة سيارة مفخخة يقودها انتحاري، في منتصف نهار ١٥ كانون الأول ديسمبر ١٩٨١. بعد أن هوى المبنى بطوابقه الثلاثة جراء شدة الانفجار.

أَجْمَلُ الْمَلِكَاتِ مقاطع من قصيدة بلقيس^(١)

.....

بَلْقِيسُ

كَأَنْتِ أَجْمَلُ الْمَلِكَاتِ فِي تَارِيخِ بَابِلَ

بَلْقِيسُ

كَأَنْتِ أَطْوَلَ النَّخْلَاتِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ

كَأَنْتِ إِذَا تَمْشِي

تُرَافِقُهَا طَوَّائِرُ

(١) نزار قباني «قصيدة بلقيس» منشورات نزار قباني/ بيروت / لبنان/ الطبعة السادسة ١٩٩٨.

وَتَتَّبِعُهَا أَيَّامًا
بَلْقَيْسُ يَا وَجَعِي
وَيَا وَجَعَ الْقَصِيدَةِ حِينَ تَلْمَسُهَا الْأَنَامِلُ
مَلْ يَا تُرَى
مِنْ بَعْدِ شَعْرِكَ سَوْفَ تَرْتَفِعُ السَّنَابِلُ؟
يَا نَيْنَوَى الْخَضِرَاءُ
يَا عَجْرَتَيْ الشَّقَرَاءِ
يَا أَمْوَاجَ دَجَلَةَ
تَلْبَسُ فِي الرَّيِّعِ بِسَاقِهَا
أَخْلَى الْخَلَاحِلِ.

.....

بَلْقَيْسُ
لَا تَتَغَيَّبِي عَنِّي
فَإِنَّ الشَّمْسَ بَعْدَكَ
لَا تُضِيءُ عَلَى السَّوَاحِلِ..

.....

بَلْقَيْسُ
أَيُّهَا الشَّهِيدَةُ وَالْقَصِيدَةُ
وَالْمُطَهَّرَةُ النَّقِيَّةُ
سَبَّأُ تُفَشُّ عَنْ مَلِيكَتِهَا
فَرْدِي لِلْجَمَاهِيرِ التَّحِيَّةُ
بَا أَعْظَمَ الْمَلِكَاتِ

يَا امْرَأةُ نُجَسِّدُ كُلَّ أَمْجَادِ الْعُصُورِ الشُّومَرِيَّةِ
بَلْقَيْسُ

يَا عُصْفُورَتَيِ الْأَخْلَى
وَيَا أَبْقُوتَتَيِ الْأَعْلَى
وَيَا دَمْعًا تَنَازَرُ فَوْقَ خَدِّ الْمَجْدَلِيَّةِ
أَتَرَى ظَلَمْتُكَ إِذْ تَقْلُتُكَ
ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ ضِفَافِ الْأَعْظَمِيَّةِ؟

.....

هَلْ تَعْرِفُونِ حَبِيبَتَيِ بَلْقَيْسَ؟
فَهِيَ أَمُّ مَا كَتَبُوهُ فِي كُتُبِ الْغَرَامِ
كَانَتْ مَرْبِجًا رَانِعًا
بَيْنَ الْقَطِيفَةِ وَالرُّخَامِ
كَانَ الْبَنْفَسُجُ بَيْنَ عَيْنَيْهَا
يَنَامُ وَلَا يَنَامُ.

.....

بَلْقَيْسُ
مَذْبُوحُونَ حَتَّى الْعَظَمِ
وَالْأَوْلَادُ لَا يَذُرُونَ مَا يَجْرِي
وَلَا أَذْرِي أَنَا مَاذَا أَقُولُ؟
هَلْ تَقْرَعِينَ الْبَابَ بَعْدَ دَقَائِقِي؟
هَلْ تَخْلَعِينَ الْمِعْطَفَ الشَّتَوِيَّ؟
هَلْ تَأْتِينَ بِاسِمَةٍ

وَنَاضِرَةً
وَمُشْرِقَةً كَأَزْهَارِ الْحُقُوفِ؟
بَلْقِيسُ
إِنَّ زُرُوعَكَ الْخَضِرَاءَ
مَا زَالَتْ عَلَى الْجَيْطَانِ بَاكِئَةً
وَوَجْهَكَ لَمْ يَزَلْ مُتَنَقِّلاً
بَيْنَ الْمَرَايَا وَالسَّائِرِ
حَتَّى سَجَارَتْكَ الَّتِي أَشْعَلَتْهَا
لَمْ تَنْطَفِئْ
وَدُخَانُهَا
مَا زَالَ يَرْفُضُ أَنْ يُسَافِرَ.

بَلْقِيسُ
مَطْعُونُونَ... مَطْعُونُونَ فِي الْأَعْمَاقِ
وَالْأَحْدَاقِ يَسْكُنُهَا الدُّهُولُ

بَلْقِيسُ
كَيْفَ أَخَذْتَ أَيَّامِي وَأَخْلَامِي
وَالْغَيْبِ الْحَدَائِقَ وَالْفُصُولَ؟
يَا زَوْجَتِي

وَحَبِيبَتِي وَقَصِيدَتِي وَضِيَاءَ عَيْنِي
قَدْ كُنْتَ عُصْفُورِي الْجَمِيلَ
فَكَيْفَ هَرَبْتَ يَا بَلْقِيسُ مِنِّي؟
بَلْقِيسُ

هَذَا مَوْعِدُ الشَّايِ الْعِرَاقِيِّ الْمُعْطَرِ
وَالْمُعْتَقِ كَالسَّلَافَةِ
فَمَنْ الَّذِي سَيُوزَعُ الْأَقْدَاحُ أَيُّهَا الزُّرَّافَةُ؟
وَمَنْ الَّذِي نَقَلَ الْفُرَاتَ لِيَتَنَا
وَوُرُودَ دَجَلَةَ وَالرَّصَافَةَ؟

.....

بَلْقَيْسُ

يَا بَلْقَيْسُ

يَا بَلْقَيْسُ

كُلُّ غَمَامَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ

فَمَنْ تُرَى يَبْكِي عَلَيَّ؟

بَلْقَيْسُ كَيْفَ رَحَلْتَ صَامِتَةً

وَلَمْ تَضْعِي يَدَيْكَ عَلَى يَدَيَّ؟

بَلْقَيْسُ

كَيْفَ تَرَكْتَنَا فِي الرِّيحِ

نَرْجِفُ مِثْلَ أَوْزَاقِ الشَّجَرِ؟

وَتَرَكْتَنَا - نَحْنُ الثَّلَاثَةُ - ضَائِعِينَ

كَرَيْشَةٍ تَحْتَ الْمَطَرِ

أَتُرَاكِ مَا فَكَّرْتَ بِي؟

وَأَنَا الَّذِي يَخْتَاجُ حُبَّكَ مِثْلَ «زَيْنَب» أَوْ «عُمَرَ»

بَلْقَيْسُ

يَا كُنْزًا خُرَافِيًّا

ويا رُمَحاً عِرَاقِيّاً
وَعَابَةً خَيْرُزَرَانُ
يَا مَنْ تَحَدَّثْتَ النُّجُومَ تَرَفُّعاً
مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِكُلِّ هَذَا الْعُنْفُوانِ؟

.....

بَلْقَيْسُ
يَا بَلْقَيْسُ يَا بَلْقَيْسُ
لَوْ تَذَرِينَ مَا وَجَعُ الْمَكَانِ؟
فِي كُلِّ رُكْنٍ أَنْتِ حَائِمَةٌ كَعُضْفُورٍ
وَعَابِقَةٌ كَغَابَةِ بَيْلَسَانَ
فَهُنَاكَ كُنْتَ تُدَخِّنِينَ
هُنَاكَ كُنْتَ تُطَالِعِينَ
هُنَاكَ كُنْتَ كَنَخْلَةٍ تَتَمَشَّطِينَ
وَتَدْخُلِينَ عَلَى الضُّيُوفِ
كَأَنَّكَ السَّيْفُ الْيَمَانِي.

.....

الْبَحْرُ فِي يَبْرُوتَ
بَعْدَ رَجِيلِ عَيْنِيكَ اسْتَقَانَ
وَالشُّعْرُ يَسْأَلُ عَنْ قَصِيدَتِهِ
الَّتِي لَمْ تَكْتَمِلْ كَلِمَاتُهَا
وَلَا أَحَدٌ يُجِيبُ عَلَى السُّؤَالِ.
الْحُزْنُ يَا بَلْقَيْسُ

بَعْضُ مُهَجِّي كَالْبُرْتَقَالَةِ
الآنَ أَغْرِفُ مَا زَقَّ الْكَلِمَاتِ
أَغْرِفُ وَرَظَةَ اللُّغَةِ الْمُحَالَةِ
وَأَنَا الَّذِي اخْتَرَعَ الرِّسَائِلَ
لَسْتُ أَذْرِي كَيْفَ أِبْتَدِئُ الرِّسَالَهَ.

السَّيْفُ يَدْخُلُ لَحْمَ خَاصِرَتِي
وخاصِرةَ العِبارَةِ
كلُّ الحَضَارَةِ، أَنْتِ يَا بَلْقَيْسُ، وَالْأُنْثَى حَضَارَةٌ
بَلْقَيْسُ: أَنْتِ بِشَارَتِي الْكُبْرَى
فَمَنْ سَرَقَ الْبِشَارَةَ؟
أَنْتِ الْكِتَابَةُ قَبْلَمَا كَانَتْ كِتَابَةً
أَنْتِ الْجَزِيرَةُ وَالْمَنَارَةُ
بَلْقَيْسُ:

يَا قَمْرِي الَّذِي طَمَرُوهُ مَا بَيْنَ الْحِجَارَةِ
الآنَ تَرْتَفِعُ السُّتَارَةُ
الآنَ تَرْتَفِعُ السُّتَارَةُ.

.....

لَمَّا تَنَاقَرَ جِسْمُكَ الضَّوئِيُّ
يَا بَلْقَيْسُ،
لُؤْلُؤَةُ كَرِيمَةٍ
فَكَّرْتُ: هَلْ قَتَلُ النِّسَاءِ هَوَايَةُ عَرَبِيَّةٍ
أَمْ أَنَا فِي الْأَصْلِ، مُخْتَرِفُو جَرِيمَةٍ؟

بَلْقَيْسُ

يَا قَرِيبِي الْجَمِيلَةَ إِنِّي

مِنْ كُلِّ تَارِيخِي خَجُولٌ

هَذِي بِلَادٌ يَقْتُلُونَ بِهَا الْخِيُولَ

هَذِي بِلَادٌ يَقْتُلُونَ بِهَا الْخِيُولَ.

مِنْ يَوْمِ أَنْ نَحْرُوكَ

يَا بَلْقَيْسُ

يَا أَخْلَى وَطَنُ

لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يَعِيشُ فِي هَذَا الْوَطَنِ

لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يَمُوتُ فِي هَذَا الْوَطَنِ

مَا زِلْتُ أَدْفَعُ مِنْ دَمِي

أَعْلَى جَزَاءِ

كَمْ أُسْعِدَ الدُّنْيَا وَلَكِنْ السَّمَاءَ

شَاءَتْ بَأَنْ أَبْقَى وَجِيداً

مِثْلَ أَوْرَاقِ الشَّتَاءِ

هَلْ يُؤَلِّدُ الشُّعْرَاءُ مِنْ رَجَمِ الشَّقَاءِ؟

وَهَلِ الْقَصِيدَةُ طَعْنَةٌ

فِي الْقَلْبِ لَيْسَ لَهَا شِفَاءُ؟

أَمْ أَنِّي وَخِدي الَّذِي

عَيْنَاهُ تَخْتَصِرَانِ تَارِيخَ الْبُكَاءِ؟

.....

نَامِي بِحِفْظِ اللَّهِ أَيْتَهَا الْجَمِيلَةَ

فالشُّعْرُ بَعْدَكَ مُسْتَحِيلٌ
وَالْأُنُوثَةُ مُسْتَحِيلَةٌ
سَتَظَلُّ أَجْيَالٌ مِنَ الْأَطْفَالِ
تَسْأَلُ عَنْ صَفَائِرِكَ الطَّوِيلَةِ
وَتَظَلُّ أَجْيَالٌ مِنَ الْعُشَاقِ
تَقْرَأُ عَنْكَ آيَتَهَا الْمُعَلَّمَةُ الْأَصِيلَةُ
وَسَيَعْرِفُ الْأَعْرَابُ يَوْمًا
أَنَّهُمْ قَتَلُوا الرَّسُولَةَ
قَتَلُوا الرَّسُولَةَ
ق. ت. ل. و. ا
ال. ر. س. و. ل. ة

بيروت في ١٥/١٢/١٩٨١

مُصْطَفَى الزُّرْقَا

(١٣٢٢ - ١٤٢٠ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٩٩ م)

مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء، وُلِدَ في مدينة «حلب» بسورية، وبدأ دراسته في كتاتيب القرآن، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية «الخسروية» الشرعية، والتحق بالجامعة السورية، حيث درس الحقوق والآداب في وقت واحد.

وفي سنة ١٩٣٣م، تخرج في الكليتين، وهو يتكلم الفرنسية جيداً، وعمل محامياً أمام المحاكم الوطنية والمختلطة في حلب.

درس في عدد من كليات الشريعة في سوريا والجامعة الأردنية والخليج، له إراء في الاجتهاد المعاصر مثل قضايا البنوك والتلقيح الاصطناعي والبيوع الحديثة. انتخب في المجلس النيابي السوري نائباً عن مدينة حلب عام ١٩٥٤م وشغل وزارتي العدل والأوقاف عامي ١٩٥٦ ثم ١٩٦٢م.

من أهم مؤلفاته: السلسلة الفقهية: وعنوانها العام: «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد» بأربعة مجلدات.

السلسلة القانونية: وتتألف من ثلاثة مجلدات في: شرح القانون المدني السوري. له ديوان شعر بعنوان «قوس قزح» ومنه قصيدتان في رثاء زوجته الأولى والثانية قدّم لهما بمقدمتين طويلتين نسبياً:

عَبْرَةٌ مِنْ أَسَى لَا آسِي لَهُ^(١)

توفيت زوجتي الأولى «وظفاء» في حلب ١٩٤٢م إثر بثرة جرثومية سَمَّتْ دَمَهَا، وتورَّم وجهها في سبعة أيام، ولم يكن المضاد الحيوي «البنسلين» قد اكتشف، بل ظهر بعد ستين من وفاتها. وقد تركت لي ثلاثة أولاد أكبرهم ابن سبع، وصُغراهم بنتُ ثلاث، وكانت حاملاً في الشهر الثامن فذهب حملها معها. كان ذلك صدمةً نفسيةً عاطفية مفاجئة لي كادت نفسي تذوب كَمَدًا تحت وطأتها وتأثيرها، فجاشت نفسي بهذه القصيدة الرثائية لها، خلال أيام التعزية

جَنِينُهَا فِي جَوْفِهَا خَاطِطٌ فَهَلْ دَرَى؟

بَأَيِّ مَعْنَى نَعَبَ النَّاعِبُ	وَأَيِّ وَثَرٍ أَدْرَكَ الطَّالِبُ؟
وَأَيِّ مَحْبُوبٍ هَوَى عِنْدَمَا	أَضْمَاهُ سَهْمٌ لِلرَّدَى صَائِبُ
يَا مُزْعَةً مِنْ كِبْدِي شَقَّهَا	مِخْلَبُ ذِيَاكَ الرَّدَى الْخَالِبُ ^(٢)
وَقِطْعَةً مِنْ مُهْجَتِي عَزَّنِي	وَبَرَزْنِيهَا سَالِبٌ غَالِبُ
لَا يَرْحَمُ الضَّارِعَ مِنْ عُنفِهِ	وَهُوَ عَلَى أَهْدَافِهِ لَائِبُ
فَلَا إِذَا اسْتَأْنَيْتَهُ مُمِهِلُ	وَلَا إِذَا اسْتَفْدَيْتَهُ رَاغِبُ
وَيَا صَبًا أَنْشَقُ مِنْهَا الصُّبَا	يَحْجُبُ عَنِّي نَفْحَهَا حَاجِبُ
بُؤْمِي وَلَيْلِي وَمَدَّ بَعْدَهَا	كَأَنَّهُ مُضْطَهَّرٌ لَاهِبُ ^(٣)

(١) ديوان «قوس قزح» مصطفى أحمد الزرقا الناشر/ عبد المقصود خوجه/ جدة.

الطبعة الأولى، ١٩٩٦م. وهنا مقطع من القصيدة.

(٢) المُرْعة: القطعة من اللحم أو الشحم.

(٣) الرَّمْد: سكون الهواء مع شدة الحر، والفعل: وِمِد. وزان: فَرِحَ.

رَبِّا شَبَابًا مُورِقًا مُوَرِّقًا يَنْهَبُهُ مِنْ جَانِبِي نَاهِبُ
رَبِّا ضِيَاءً يَنْطَفِيءُ، فَاسْتَوَى فِي ظُلْمَتِي الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ!

يَا أَخْتَ رُوحِي، أَيْنَ مِنْكَ انْظُرِي
سَبْعُ سِنِينَ مِنْ حَيَاةٍ لَنَا
تَبْلُعُهَا سَبْعُ لَيَالٍ عَدَتْ
سَبْعُ سِمَانٍ أَكَلَتْهَا لَنَا
كَأَنِّي مِنْ بَعْدِهَا ضَائِعُ
وَلَا إِلَى الْمَاءِ بِهِ مِنْ هُدًى
كَأَنَّ نَوْمِي بَعْدَهَا طَائِرُ
فَكُلَّمَا حَامَ عَلَى مُقْلَتِي
أَنْتِ تَوَجَّهْتُ وَفِي خَلْوَتِي
فِي صُورٍ مِنْ ذِكْرِيَاتٍ حَلَتْ
بَانَتْ كَأَنَّ لَمْ تَكْ مَخْطُوبَةٌ
بَلَى، وَلَكِنَّ الرَّدَى جَائِلُ
قَدْ اسْتَوَى لَدَيْهِ مِنْ غَرَسِنَا
سَاقَتْ إِلَيْهَا حَتَفَهَا بَشْرَةٌ

بِالْأَمْسِ أُنْسٌ مَرِيحٌ لَا عِبْ؟
تُضْحِي كَأَنَّهَا حُلُمٌ ذَاهِبُ
سَيَظَرُ فِيهَا دَاوَهَا النَّاشِبُ
سَبْعُ عِجَافٍ نَابَهَا قَاضِبُ!
فِي مَهْمِهِ لَيْسَ بِهِ صَاحِبُ^(١)
وَلَا مِنَ الْإِنْسِ بِهِ سَارِبُ
يُقْرِعُهُ مِنْ مَضْجَعِي ضَاغِبُ^(٢)
كَأَنَّمَا يَخْصُبُهُ حَاصِبُ!^(٣)
خَيَالُهَا بِي طَائِفٌ رَازِبُ
أَعْقَبَنِي مِنْهَا الْأَسَى النَّاصِبُ
وَلَا كَأَنِّي ذَلِكَ الْخَاطِبُ
بِفَاسِهِ لِنَارِهِ حَاطِبُ
نَاضِرُهُ وَالذَّابِلُ النَّاضِبُ
دُونَ أَذَاهَا الطَّاعِنُ الضَّارِبُ

(١) المَهْمَةُ: الصحراء الواسعة.

(٢) الضَّاغِبُ: الإنسان الذي يختبئ فيخيف غيره بمثل أصوات الوحوش.

(٣) حصبه: قذف في وجهه بالحصباء (الحصى).

فِيهَا الرَّدَى مُخْتَبِي كَامِنٌ لَا لَادِغٌ فِيهَا وَلَا لَاسِبٌ^(١)

إِنْ أَنَسَ لَا أَنَسَ لَهَا سَاعَةٌ يَذُوبُ تَحْنَانًا لَهَا الرَّاقِبُ
تَلْفُظُ أَنْفَاسًا عَلَى وَجْنَتِي وَصُوبُ دَمْعِي فَوْقَهَا سَاكِبُ
وَقَدْ عَلَاهَا مَنْظَرُ شَاكِبٍ يَا بِدَمِي مَنْظَرُهَا الشَّاجِبُ
تُمْلِي وَدَاعًا بَيْنَ أَيْدِي الرَّدَى بِنَظَرَةٍ قَلْبِي لَهَا الْكَاتِبُ
أَقْرَأُ فِيهَا عَهْدَ وَدٍّ مَضَى كَنُغْبَةٍ غَصَّ بِهَا النَّاعِبُ^(٢)
حِيَالُهَا الْآسِي غَدًا وَاجِمًا كَأَنَّمَا الطِّبُّ هُوَ النَّايِبُ
قَدْ جَمَدَتْ أَظْرَافُهَا فِي يَدِي وَقَدْ وَهَى قَلْبُ لَهَا وَاجِبُ
جَنِينُهَا فِي جَوْفِهَا خَاطِبُ فَهَلْ دَرَى أَنْ قَدْ أَتَى السَّائِبُ؟^(٣)
بَاتَ لَهُ قَابِلَةٌ فِي الشَّرَى مَا حَوْلَهَا أَهْلٌ وَلَا حَادِبُ

حلب، في ١٦ من جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ = ٢٠ / ٥ / ١٩٤٣ م.

فِي الدَّيْجُورِ يُمَكِّنُنَا التَّنَاجِي^(٤)

بعد وفاة زوجتي الأولى «وطفاء» بأقل من عام تزوجت زوجتي الثانية «فخرية» بنت أحد أصدقائي في حلب. وقد احتضنت أطفالتي

(١) اللدغ للحية، واللشب للعقرب. وقيل: كلاهما يقال في كليهما.

(٢) النغبة الجرعة من الماء أو غيره مما يشرب، والناعب: الشارب.

(٣) السائب: الخائف، يقال: سَابَهُ سَابًا، إذا خنقه حتى القتل.

(٤) عنوان القصيدة الأصلي

بقيت وغبت بعدك ما البقاء فديتك لو يُتاح لي الفداء وهنا مقطع
من القصيدة.

الثلاثة من زوجتي الأولى كأنها أمهم الحقيقية. وقضيت معها أربعين عاماً، ورزقت منها ولديّ الأصغرین. وفي منتصف عام ١٩٨١م/ ظهر معها داء السرطان في الأمعاء. وفي نهاية سنتين من الإصابة توفيت. وكانت وفاتها، بالنسبة إلي، كارثة هدت ركنَ حياتي وزعزعتُ كياني كله، وأصبحتُ وحيداً فريداً، إذ كان كلُّ وليدٍ من أولادي الخمسة في بقعة نائية من الأرض، وكانت هي لي كل شيء^(١).

بَقِيتُ وَغَبَّتْ ۱۱ بَعْدَكَ مَا الْبَقَاءُ؟	فَدَيْتُكَ لَوْ يُتَّاحُ لِي الْفِدَاءُ
وَدَدْتُ لَوْ أَنَّ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِ	فَقَدْتُكَ فِيهِ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
شَقِيقَةً رُوحِي اسْتَمِعِي وَرُدِّي	فَمَا عَهْدِي بِشَيْمَتِكَ الْجَفَاءُ
رَبِّتُ سِوَاكَ يَا فَخْرَ الْغَوَالِي	فَأَمَّا أَنْتِ فَاسْتَعَصَى الرُّثَاءُ
وَيَسْأَلُنِي صَدِيقٌ كَيْفَ حَالِي؟	فَيُخَيِّقُنِي وَيَغْلِبُنِي الْبُكَاءُ ۱
كَذَاكَ الدَّمْعُ يُصْبِحُ خَيْرَ رَاثٍ	إِذَا مَا الرُّزْءُ ضَاقَ بِهِ الْوِعَاءُ
تَلَجَلَجَجَ بِي لِسَانٌ لَمْ يَخُنِّي	وَلَمْ يَكُ قَطُّ يُغَيِّبُهُ الْأَدَاءُ
وَلَكِنِّي بِفَقْدِكَ عُدْتُ طِفْلاً	أَضَاعَ الْبَيْتَ إِذْ حَلَّ الْمَسَاءُ
فَلَيْسَ لَدَيْهِ غَيْرُ الدَّمْعِ نُطْقُ	وَلَا صَبْرٌ لَدَيْهِ وَلَا اهْتِدَاءُ
رَبَاتِ الْكَوْنُ فِي عَيْنَيْهِ غُولاً	وَلَيْسَ لَهُ سِوَى «مَامَا» نِدَاءُ
فَقَدْتُ الْوَالِدَيْنِ فَكُنْتُ ثُبْتاً	أَخَا جَلَدٍ، وَفِي عَزْمِي مَضَاءُ
وَلَكِنِّي فَقَدْتُكَ حِينَ عَزَمِي	تَحَاذَلْ، وَاسْتَبَدَّ بِي الْعِبَاءُ

(١) ديوان «قوس قزح» وهنا مقطع من القصيدة.

حَنَانُكَ كَانَ إِنْعَاشًا لِرُوحِي وَمِنْ كَرَبِ الْهُمُومِ هُوَ الشُّفَاءُ
 وَكُنْتُ الْعَقْلَ وَالْأَخْلَاقَ زَانَتْ لِي النُّعْمَى، وَتَوَجَّهَهَا الْوَفَاءُ
 وَنَعَمَ الْمُسْتَشَارُ، وَكَمْ هَدَانِي لِحَبِيرِ مَسَالِكِي مِنْكَ الذِّكَاؤُ
 وَبَيْتِي جَنَّةٌ مَا كُنْتُ فِيهِ وَيَلْفَحُنِي إِذَا غَبَّتِ الشُّقَاؤُ
 وَفِي حُسْنِ التَّعَاطُفِ كَانَ مِنَّا لَنَا عَنْ طَوْلِ غُرْبَتِنَا عَزَاؤُ
 فَأَنْتِ الرُّكْنُ فِي دُنْيَا حَيَاتِي وَأَنْتِ وَأَنْتِ مَائِي وَالْغِذَاؤُ
 وَفَرَّتْ رَغَائِبِي حُبًّا وَرُشْدًا كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا أَشَاءُ
 قَضَيْنَا فِي الشَّبَابِ الثَّرَّ عُمَرَا وَفِي شَيْخُوخَتِي ازْدَادَ الْوَلَاؤُ

أَحَبُّ إِلَيَّ بَعْدَكَ مِنْ ضِيَاءٍ ظِلَامٌ فِي اللَّيَالِي وَأَنْزَوَاءُ
 فِي الدَّيْجُورِ يُمَكِّنُنَا التَّنَاجِي وَفِيهِ عَلَى الْخِيَالِ لَنَا لِقَاءُ
 فَيُؤْنِسُنِي خَيْالِكَ فِي الدِّيَاجِي وَيُوجِّسُنِي بِفُرْقَتِهِ الضِّيَاءُ

عمان ١٥ من رمضان ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣/٦/٢٥ م

حَامِدُ حَسَن

(١٣٣٣ - ١٤١٩ هـ = ١٩١٥ - ١٩٩٩ م)

وُلِدَ في قرية «حبسو» في الدريكيش «محافظة طرطوس» بسورية.
تلقَّى تعليمه في «اللايك» بطرطوس، وفي كلية القديس يوسف
«الآداب العربية المدرسية». وعمل في حقل التعليم «١٨» عاماً، فدرَّسَ
اللغة العربية وآدابها، وأصبح مديراً للثانوية الأرثوذكسية في طرطوس.
أصدر مجلة «النهضة بالاشتراك مع الدكتور وجيه محيي الدين عام
١٩٣٨ في طرطوس». وعيِّن في لجنة الشُّعر في المجلس الأعلى
للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في دمشق.
انتقل عام ١٩٣٦ من وزارة التعليم الى وزارة الثقافة والارشاد
القومي، فعمل في دائرة المراكز الثقافية وفي مديرية التأليف والنشر.
وأحيل عام ١٩٧٥ إلى التقاعد وتفرَّغ للشعر والبحث.
له العديد من المؤلفات منها: «ثورة العاطفة» شعر و«في سبيل
الحقيقة والتاريخ» دراسة و«المكزون السنجاري» دراسة بثلاثة أجزاء
و«صالح العلي ثائراً وشاعراً» دراسة ومختارات «الشعر بنية وتشريحاً»
دراسة.

صدرت أعماله الشعرية الكاملة بعد وفاته في مجلدين عن دار
الينابيع دمشق ٢٠٠٣.

قصيدته في رثاء زوجته «هاجر» كتبها في ١٨ شباط ١٩٩٢ وهي

تصوّر حزناً مريراً كابده بعد فراق شريكته لنصف قرن من عمر
الزمان^(١).

وَعَدَا أَخِفُّ إِلَيَّ التُّرَابُ لِأَسْتَرِيحَ إِلَيَّ جِوَارِكُ

هاجر - أم سهيل

- ١ -

هَلْ تَسْأَلِينَ عَلَيَّ بِعَادِكَ كَيْفَ حَالُ أَبِي سُهَيْلٍ؟
رَقَدَتْ جُفُونُ الْهَانِئِينَ وَضَجَّ بِالْحَسَرَاتِ لَيْلِي

جَلَّ الْمَصَابُ - مُصَابُ قَلْبِي - فِيكَ عَنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ
هَلْ تَمْسَحَنَّ عَلَيَّ نَزِيفَ جِرَاحِهِ كَفَّ الْمَسَاءِ؟

سَيَّانَ بَعْدَكَ شَامِخَاتُ الْقَضْرِ عِنْدِي وَالتُّرَابُ
مَا نَفْعُ هَذَا الْقَلْبِ إِنْ مَاتَتْ أَمَانِيهِ الْعَذَابُ

عِشْنَا مَعَا مُتَوَحِّدِينَ عَلَيَّ الْهَوَىٰ عُمْرًا مَدِيدًا
وَالْعَيْشُ كَانَ عَلَيَّ بِسَاطِنِهِ كَمَا شِئْنَا رَغِيدًا

خَمْسُونَ عَامًا أَوْ يَزِيدُ مِنَ الْمُصَاحَبَةِ النَّبِيلَةِ
لَمْ يَذِرْ حَرَّ الشَّمْسِ عُضْفُورَانِ دَارَهُمَا خَمِيلَةَ

(١) «إلى روح أم سهيل - عاد الربيع بكل لاهثة العبير ولم تعودِي» حامد حسن/
صدرت في كراس منفرد عن مطبعة عكرمة بدمشق بدون تاريخ.

زَوْجٌ كَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَظْفِ لَمْ يُبْدِعْ سِوَاهَا
تَحْنُو عَلَى بَيْتِي وَأَظْفَالِي تَرْقُهُمْ صِبَاهَا

بِالْأَمْسِ كَانَ الْبَيْتُ يَظْفَحُ بِالْحَيَاةِ، وَكَانَ يَزْهُو
وَأَنَا بِهِ كَالْطُّفْلِ، أَغْبَثُ فِي جَوَانِبِهِ، وَالْهُوَا

سَارَتْ سَفِينَتُنَا وَبَحْرُ الْعُمْرِ مُضْطَرِبٌ وَهَادِي
لَوْلَاكِ ضِيَعْتُ الْمَرَاثِي، وَابْتَعَذْتُ عَنِ الشَّوَاطِي

الْحُبِّ عِنْدِي فِي الْمَشَاعِرِ، وَالْجَوَارِحِ وَالْعِظَامِ
وَأَرَاهُ يَنْبَعُ مِنْ عُيُونِكَ، وَابْتِسَامِكَ وَالْكَلَامِ

كُلُّ اخْتِلَافٍ كَانَ أَوَّلُهُ، وَآخِرُهُ عِتَابُ
وَأَجُوزُ بِالْخَطِّ الصَّوَابِ، وَمَا تَعَدَّاكَ الصَّوَابُ

إِنْ ثُرْتُ أَخِيَانًا تُطَالِعُنِي - مَعَ الْحُبِّ - ابْتِسَامَةً
فَأَخِفْتُ مُغْتَدِرًا - وَبِي خَجَلٌ - وَتَنْقَشِعُ الْغَمَامَةُ

عِشْنَا، وَكُنْتَ مَدَى حَيَاتِكَ كُلِّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي
وَأَنَا أَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ، وَرِيئًا بَعْدَ الْمَمَاتِ

عَلَّمْتَنِي، وَأَخَذْتُ عَنْكَ رَوِيَّةً وَهْدُوءَ طَبْعِ
لَوْ تَشْفِقِينَ عَلَيَّ كُنْتَ تَرَكْتِ لِي بَصْرِي وَسَمْعِي

وَعَدَاةَ أَرْزَمَتِ الرَّحِيلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الطَّبِيبِ
كَانَ الْوَدَاعُ مِنَ الْأَكْفِ مِنَ الْعُيُونِ مِنَ الْقُلُوبِ!!

وَدَّعْتَنِي وَمَشَيْتِ نَحْوَ الْبَابِ مُثْقَلَةً خُطَاكَ
وَنَظَرْتُ لَاهِفَةً إِلَيَّ وَقَدْ تَنَدَّتْ مُقْلَتَاكَ

مَا كُنْتُ أَغْلَمُ أَنَّ تِلْكَ النَّظْرَةَ الْوَلَهَى نَذِيرَةٌ
كَانَتْ تَقُولُ - وَكُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ - أَنَا الْأَخِيرَةُ

لَا تَسْأَلِينِي كَيْفَ قَامَتْ «بِالدَّرِيكِيشِ»^(١)، الْقِيَامَةُ؟
أَوْ لَمْ تَرَيْهَا خَيْرَ أَرْضِ اللَّهِ دَارًا لِلْإِقَامَةِ؟

الشُّعْبُ يَزْحَمُ كُلُّ مُنْعَطَفٍ، وَيَشْغُلُ كُلُّ سَاحِ
لَوْ تُبْصِرِينَ وَتَسْمَعِينَ، هَدِيرَ نَارِقَةِ الْجِرَاحِ!!

الرَّاحِقُونَ إِلَيَّ وَدَاعِيكَ يَمْلَأُونَ الدَّرَبَ سَيْلًا
وَأَنَا وَرَاءَهُمْ وَقَدْ حَمَلُوا إِلَيَّ «التُّوبَادَ»^(٢)، لَيْلَى

(١) الدريكيش: مدينة جبلية تابعة لمحافظة طرطوس السورية، وهي مدينة الشاعر وزوجته الراحلة.

(٢) «التوباد» جبل في أرض بني عامر بنجد، تابعة لمنطقة الرياض الحالية، نشأت =

ضَاقَتْ بِهِمْ كُلُّ الدُّرُوبِ إِلَى الضَّرِيحِ وَكُلُّ مَغْبَرٍ
فَذَكَرْتُ يَوْمَ الْعُرْسِ . . لَكِنْ كَانَ عُرْسُ الْمَوْتِ أَكْبَرَ

وَقَفَ الْبَنُونَ حِيَالَ نَعَشِ الْأُمِّ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعَةً
لَوْ أَنَّ مَا فِي صَدْرِ وَاحِدِهِمْ عَلَى جَبَلٍ تَصَدَّعَ

هَذَا ضَرِيحُكَ أَمْ تِلَالٌ مِنْ أَكَالِيلِ «الْوَرَادِ»؟
وَأُظُنُّ كَفَّكَ رَاحَ بَيْنَ الْوَرْدِ يَبْحَثُ عَنْ فُؤَادِي

نَامِي بِظِلِّ السُّنْدِيَانِ وَعِنْدَ مَشْهَسَةِ السَّوَاكِي
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لَقِيتُ غَدَ الْفِرَاقِ وَمَا أَلَاقِي

لَمْ يَذِرْ غَيْرُ اللَّهِ مَا أَلْقَى، وَمَا أَخْفَى، وَأُبْدِي
أُتْسَافِرَيْنِ مَعَ الْحَيَاةِ وَحَيْدَةً وَأَظِلُّ وَخَدِي؟

مَاذَا أَقُولُ؟ وَلَمْ يَزُرْ جَفْنِي طَيْفُكَ فِي الْمَنَامِ
وَلَأَنْتِ أَرْفَعُ فِي الْحَيَاةِ، وَفِي الْمَمَاتِ عَنِ الْمَلَامِ

هَلْ تَسْمَعِينَ بَأَن يَزُورَ الطَّيْفُ أَجْفَانِي لِمَامًا؟
فَأَنَا الْيَتِيمُ، وَصَارَ كُلُّ النَّاسِ فِي نَظْرِي يَتَامَى

= عند سفوحه قصة الحب الشهيرة بين قيس وليلى حيث كانا يرعيان الغنم حوله، ولما ذهب عقل قيس وتوحش كان يأتي الجبل ويتذكر أيامه مع ليلي.

مَا أَوْجَعَ النَّكَبَاتِ إِنْ نَزَلْتُ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ
لَا تَعَجِبْنِي إِنْ رُحْتُ أَبْحَثُ فِي النَّهَارِ عَنِ النَّهَارِ

- ٤ -

يَا رَبَّةَ الْكَفِّ النَّدِيَّةِ وَالْظَّهَارَةِ وَالضَّمِيرِ
مَنْ يُغْدِقَنَّ الْعَظْفَ بَعْدَكَ وَالْحُنُورَ عَلَى الْفَقِيرِ

تَهَيِّئْنَ مَا تَجِدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ حَاجٍ وَمَالٍ
وَأَحَبُّهُ لِي مَا تَهَيَّئِنَّهُ قَبْلَ السُّؤَالِ

أَنَا لَا أُمِدُّ يَدَيَّ بَعْدَ غَدٍ لِأَفْتَتِحَ الْخِزَانَةَ
تَبْقَى ثِيَابُكَ وَالْحُلِيِّ، عَلَى الْمَدَى عِنْدِي أَمَانَةٌ

لَا أَعْتَبِنَ عَلَى الزَّمَانِ، وَلَسْتُ أَوْسِعُهُ مَلَامًا
أَوْ لَمْ يَكُنْ أَغْضَى، وَسَلَمَنِي مَدَى خَمْسِينَ عَامًا؟

لَكِنْ تَنَكَّرْ لِي عَلَى كِبَرِي وَأَزْمَقْنِي وَأَشْقِنِي
لَمْ يُبْقِ لِي أَمَلًا أَعِيشُ لِأَجَلِهِ فَعَلَامَ أَبْقَى؟

فَإِذَا طَفَنِي وَبَغَنِي وَعَرَبَدَ، وَاعْتَدَى سَاطِلُ سَاكِتٍ
وَالْقَوْلُ أَبْلَغُ مَا تُغِيظُ بِهِ الْعُدَاةَ وَأَنْتَ صَامِتٌ

أَنَا فِي الدُّجَى وَالْبَيْتِ - كُلُّ الْبَيْتِ - تَعْمُرُهُ السَّكِينَةُ
تَرْتَادُهُ الْأَشْبَاحُ، مُتَعَبَةً الْخُطَى - مِثْلِي - حَزِينَةً
هَجَرَ اللَّذَاتِ مَعَ الْغَدَاةِ نَدِيَّهُ وَانْفَضَّ سَامِرُ
وَالدَّهْرُ أَخْرَسَنِي - وَكُنْتُ - كَمَا يَقُولُ النَّاسُ - شَاعِرُ
أَنَا فِي الظُّلَامِ وَغَمٍ فِي قَلْبِي وَعَيْنِي الضُّيَاءُ
هَلْ تَغْضِبِينَ إِذَا سَأَلْتُكَ: أَيْنَ عَذْلُكَ يَا سَمَاءُ؟

بُعْدًا وَسُوءَ عَدٍ لِمَنْ ظَلَمُوكَ يَا «عَبْدَ الْمُعِينِ»
هَلْ كُلُّ مَنْ يَشْكُو ظِلَامَتَهُ يَكُونُ قَلِيلَ دِينٍ؟^(١)
لَوْ أَدْرَكُوا السِّرَّ الَّذِي زَرَعَتْهُ كَفَّ اللَّهُ فِينَا
لَرَأَوْا بَأْسَ خَيْرٍ مِّنْ فِي الْأَرْضِ أَخْلَاقًا وَدِينًا

(١) يشير إلى الشاعر «عبد المعين الملوحي» وما تعرض له بعد كتابته لمراثيه
لزوجته، المنشورة هنا، لما انطوت عليه من ألم عَذَّة البعض خروجاً على
الأعراف، ومن الواضح أن قصيدة حامد حسن تحاول محاكاة قصيدة
الملوحي، في البناء الشكلي، بيد أن ثمة تبايناً واضحاً في المضمون وقوة
التعبير وجرأته بين القصيدتين.

الْحُبُّ كَانَ وَظِلٌّ فِينَا كَالزَّمَانِ بِلا حُدُودٍ
 وَلَنَا إِذَا مَا مَاتَ وَاحِدُنَا بِهِ أَجْرُ الشَّهِيدِ
 زَرَعَتْ يَمِينُ الْحُبِّ حُنْجَرَةَ الْبَلَابِلِ بِالْغِنَاءِ
 وَأَضَاءَ حَتَّى فِي ظِلَامِ الْيَأْسِ مِضْبَاحُ الرَّجَاءِ
 كَانَتْ تُمَثِّلُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ شَاعِرِهَا «بِهَيْرَةٍ»
 كَانَتْ أَمِيرَتُهُ، أَيْغَفَرُ ذَنْبُ مَنْ قَتَلَ الْأَمِيرَةَ؟
 أَنَا فِي شِتَاءِ الْعُمْرِ يَا «عَبْدَ الْمُعِينِ» أَضَعْتُ قَلْبِي
 مَا كَانَ ذَنْبُكَ فِي ربيعِ الْعُمْرِ إِلَّا بَعْضَ ذَنْبِي
 كَانَتْ «بِهَيْرَةُ» فِي حَيَاتِكَ مِثْلَ «هَاجِرَةٍ» فِي حَيَاتِي
 وَالْيَوْمَ بَعْدَهُمَا نَعِيشُ عَلَى مَرِيرِ الذُّكْرِيَّاتِ
 يَلْتَأُ قَلْبُكَ كُلَّمَا خَطَرَتْ يَتِيمَتُهَا «خُزَامِي»
 وَأَنَا مَضَتْ عَنِّي وَأَبْقَتْهُمْ ثَمَانِيَةَ يَتَامَى
 فَإِذَا أَطَلَّتْ عِنْدَ هَادِكَةِ الْعَشِيَّةِ نَجْمَتَانِ
 تَتَغَامَزَانِ وَتَهْمِسَانِ وَتَضْحَكَانِ وَتَبْكِيَانِ
 وَإِذَا تَنَهَّدَتَا وَمَرَّقَتِ السَّكِينَةُ أَنْثَانِ
 فَهُمَا هُمَا، وَأَنَا وَأَنْتَ، عَشِيقَتَانِ وَعَاشِقَانِ

سَأَعْلَمُ الْأَزْوَاجَ كَيْفَ يُفْتَشُونَ عَنِ الْحَقِيقَةِ
وَأَقُولُ: جَدِّي آدَمُ الْمِسْكِينُ لَمْ يُخْطِئْ طَرِيقَهُ

مَا بِالْهُمِ يَتَفَلَسَفُونَ وَيَبْحَثُونَ عَنِ الْخَطِيئَةِ؟
لَا تَظْلِمُوا حَوَاءَ أُمَّكُمْ، فَأُمَّكُمْ بَرِيئَةٌ

لَمْ نَذِرْ لَوَلاَهَا، وَلَوْلا حُبُّهَا مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَالنُّورُ نُورُ اللَّهِ يُشْرِقُ مِنْ قُلُوبِ الْأُمَمَاتِ

قِيلَ: التَّائِقُ وَالتَّبَرُّجُ شَاهِدَانِ عَلَى الْغَوَايَةِ
قُلْنَا: هُمَا هَدَفٌ يُرَادُ بُلُوغُهُ وَتَبِيلُ غَايَةِ

وَاللَّهُ مَا اتَّشَحَّتْ بِكُلِّ حُلِيِّهَا إِلَّا لِنَرْضَى
مَا ذَنَّبَهَا إِنْ كَانَ بَعْضُ عُقُولِ هَذَا الشَّرْقِ مَرْضَى؟

لَا تَنْسِبَنَّ لَهَا الْغَوَايَةَ، أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِيكَ أَغْوَى
لَمْ تَكُتُبِ التَّارِيخَ إِلَّا وَفَقَ مَا تَرْضَى وَتَهْوَى

لِي فِي ظِلَالِ السُّنْدِيَانِ وَعِنْدَ مُنْعَطَفِ السُّفُوحِ
رُوحٌ تَرِفُ عَلَى الضَّرِيحِ لِكُنِي تُعَانِقُ أُخْتَ رُوحِي

سَأَعِيشُ إِنْ طَالَتْ بِي الْأَيَّامُ إِنْسَانًا مُعَذَّبٌ
وَأَنَا الَّذِي أَجْدُ الْعَذَابَ - عَذَابَ ذِكْرَاهَا - مُحَبَّبٌ

- ٩ -

وَعَدًا إِذَا جَاءَ الشَّتَاءُ سَتَرَجِعِينَ مَعَ الشَّتَاءِ
مَا جِئْتُ عَاصِفَةً وَلَكِنْ صَخْرَةً وَنَفِيفَ مَاءٍ

وَإِذَا الرَّبِيعُ رَمَى عَبَاءَتَهُ عَلَى فَيْحِ الْكُرُومِ^(١)
كُنْتُ السَّنَا وَالْعِطْرَ فِي الزَّهْرِ الْفَتِيحِ وَفِي الْكُوبِ

وَتَحُولُ عِنْدَ الصَّيْفِ رُوحًا فِي عَصِيرِ الْكَرَمِ خَمْرَةً
لَا تَعْجِبُنِي أَنْ تَسْتَحِيلَ عَلَى فَمِي وَالْقَلْبِ جَمْرَةً

وَسَتَرَجِعِينَ مَعَ الْخَرِيفِ سَحَابَةً تَمْشِي الْهُوَيْنَى
وَأَكَادُ أَسْمَعُ مَمْسَ صَوْتِكَ فِي الْعَمَامَةِ: مَا نَسِينَا..

- ١٠ -

مَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِنْ عَدَمٍ يُقَالُ وَمِنْ خُلُودٍ؟
أَنَا جَاهِلٌ أَغْمَى بِكُلِّ خَفِيٍّ أَسْرَارِ الْوُجُودِ

مَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ؟ عِنْدِي مَا أَضِيقُ بِهِ سُؤَالَا
إِنْ رُحْتُ أَنْزِلُهُنَّ إِيْمَانِي بِقَوْلِ الْعَقْلِ: لَا لَا

(١) الفَيْحُ: الواسعة.

مَنْ رَاحَ يُنْكِرُ مَا يُقَالُ فَكَيْفَ يُثَبِّتُ مَا يَقُولُ؟
أَنَحُولُ فِي صُورٍ - كَمَا قَالُوا - أَنْبَقَى؟ أَمْ نَزُولُ؟

إِنْ صَحَّ أَنَّ الْمَرْءَ يَرْجِعُ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ جَدِيدٍ
هَلْ تَرْجِعِينَ مَعِيَ وَلَوْ فِي زَهْرَتَيْنِ مِنَ الْوُرُودِ؟

وَتَعُودُ فِي الْغَابَاتِ وَشَوْشَةً، وَنَوْحاً فِي النَّسِيمِ
وَرَجِيْعَ أَغْنِيَةٍ عَلَى أَوْتَارِ شَلَالٍ نَغِيمِ

أَوْ نَسْتَحِيلُ، وَقَدْ تَحَلَّلْتَ الْحَيَاءَ مِنَ الْقِيُودِ؟؟
فِي حَفْنَتَيْنِ مِنَ الثُّرَابِ، وَذَرَّتَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ؟

- ١١ -

أَنَا فِي الطَّرِيقِ إِلَى دِمَشْقَ غَدًا يُرَافِقُنِي سُهَيْلُ
وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَمِلءُ أَصَالِيعِي لَيْلٌ وَوَيْلُ

الْوَيْلُ مَزْرُوعٌ بِكُلِّ جَوَارِحِي وَتَزِيلُ قَلْبِي
وَاللَّيْلُ مَفْرُوشٌ بِأَجْفَانِي وَمِلءُ عَدِي وَدَرْبِي

لَا تَعْجِبْنِي وَأَنَا الْمُبِينُ إِذَا عَجَزْتُ عَنِ الْبَيَانِ
الْلَفْظُ عَاصَانِي، وَضَاقَتْ عَن مَعَانِيكَ الْمَعَانِي

مَاذَا اجْتَرَحْتَ؟ وَأَيَّ شَائِنَةٍ أَتَيْتَ؟ وَأَيَّ ذَنْبٍ؟
 وَرَفِيقُ دَرْبِكَ فِي حَبَاتِكَ صَارَ غَيْرَ رَفِيقِ دَرْبِ
 وَأُظِنُّ أَيَّامَ الْهَنَاءِ عَلَيَّ صَارَتْ مُسْتَحِيلَةً
 وَقَلِيلَةً وَأَوْدُ لَوْ كَانَتْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلَةِ
 سَأَذِيبُ أَخْلَامِي وَأَلَامِي وَأَسْكُبُهَا قَصِيدَةً
 وَأَزِينُ فِيهَا الشُّعْرَ مَغْصَمَهُ وَمَفْرِقَهُ وَجِيدَهُ
 سَأَحِيلُ عُمْرِي بِأَرْفِيقَةٍ رِخْلَتِي فِي الْعُمْرِ شِعْرًا
 يَبْقَى عَلَى الْأَفْوَاهِ وَالْأَسْمَاعِ وَالتَّارِيخِ ذِكْرِي
 وَغَدًا أَخِفُّ إِلَى الثُّرَابِ لِأَسْتَرِيحَ إِلَى جِوَارِكَ
 وَيَكُونَنَّ دَارِي بَعْدَ أَنْ فَارَقْتُ دَارِي - قُرْبَ دَارِكَ

الدريكيش ١٤ شباط ١٩٩٢

مَزِيدُ الْخَطِيبِ

(١٣٢٧ - ١٤٢١ هـ = ١٩٠٩ - ٢٠٠٠ م)

مَزِيدُ نَجِيبُ الْخَطِيبِ. شَاعِرٌ لُبْنَانِي وُلِدَ فِي بَلَدَةِ شَحِيم «إقليم الخروب - لبنان».

عاش في لبنان وسورية. إذ تَلَقَّى تعليمه الأولي في مدينة «صيدا» وتابع دراسته في دمشق وعمل فيها لبعض الوقت.

عمل في وظيفة إدارية في «إزرع» «متصرفية حوران» إلى جانب خاله متصرف حوران «سورية» وبعد عودته إلى لبنان، عمل بالتدريس في مدارس المقاصد الإسلامية، ثم صار مفتشاً عاماً تربوياً، إضافة إلى توليه الإمامة والخطابة في مسجد بلدته «شحيم»

كان له دور في مناهضة الاحتلال الفرنسي الذي دُبِّرَ مُحَاوَلَةٌ لاغتياله مما دفعه لمغادرة لبنان «١٩٣٥».

صدر له ديوان: «خواطر» - مؤسسة البيار - مزرعة الزهر - الشوف ١٩٨١.

وله أعمال أخرى منها:

- «من أعماق الثورة العربية» و«التغلغل الأجنبي في الجزيرة العربية» و«الشعر والشاعرية والشاعر» و«نفثات في النثر والشعر» و«رباعيات الخطيب» و«دولة الأنباط العربية وعاصمتها البتراء» و«سد مأرب والسيل العرم في اليمن»

توفي في مسقط رأسه «إقليم الخروب بلبنان» عام ٢٠٠٠.

من قصيدة: في ظلال الموت^(١)

عَلَى مَهَاوِي الرَّدَى مَادَتْ رَوَاسِينَا
وَلَقَّهَا الْمَوْتُ، وَاسْوَدَّتْ لَيَالِينَا
نَظُوبِي اغْتِرَارًا مَبَادِينِ الْحَيَاةِ فَلَا
نُحِسُّ إِلَّا وَأَيْدِي الْمَوْتِ تَظْوِينَا
مَنْ مُخِيرِي - عَنْ رُبُوعِ الْوَادِ - مَا فَعَلْتُ
يَدُ الزَّمَانِ بِهَا؟ مَنْ لِي بِمَا ضِئْنَا؟
وَحَبَّرُونِي عَنِ «الشَّلَالِ» هَلْ عَصَفْتُ
رَيْحُ الرَّدَى فِيهِ؟ وَانْدَغْتُ سَوَاقِينَا!
سَكَرْتُ فِي خَمْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَهَرَجَهَا
وَمَا دَرَيْتُ بِأَنَّ الْمَوْتَ سَاقِينَا
وَحِلْتُ أَنَّ لَبَالِي الْحُبِّ خَالِدَةٌ
وَرَاعَنِي الْيَوْمَ صَوْتُ الْبَيْنِ «يَنْعِينَا»
بَانَتْ «شَرِيكَةُ نَفْسِي» قَدْ فُجِعْتُ بِهَا
فَهَلْ يَكُونُ - وَرَا الدُّنْيَا - تَلَاقِينَا؟
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ مِنْ بَيْنِ الْقُبُورِ عَلَى
هَذِي الصُّخُورِ أَعَانِي مَا جَرَى فِيْنَا
اَفْنَتْ أَرْضِي أَوْثَقَاتِ الصِّفَا تَعِسًا
وَجِئْتُ أَرْضِيكَ أَوْ أَرْضِي أَمَانِينَا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

نَارٍ عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءٍ فِي وَهْنٍ
 بَيْنَ الْجَمَاجِمِ أَبْكِيهَا فَتُبْكِينَا
 أَبْكِي لِمَضْرَعِهِمْ، أَبْكِيكَ - يَا أَمَلِي -
 أَبْكِي لِفُرْقَتِنَا، أَبْكِي مَسَاعِينَا
 بَلِّغْ الشَّوَاطِئُ مَا زَالَتْ مُرْتَمَةً
 تَرَوِي أَقَاصِيصَنَا تَتَلُو أَغَانِيَنَا
 تَشْدُو بِأَلْحَانِنَا بَيْنَ الْغُصُونِ عَلَى
 رَجْعِ السَّوَاجِعِ حِينًا، وَالْهَوَى حِينًا
 تَرِنُ أَنْغَامُهَا - فِي الْوَادِ - سَاحِرَةً
 كَنْعَمَةَ الْخُلْدِ - فِي الْفِرْدُوسِ - تُضِيئَنَا
 كَنْعَمَةَ حَمَلَتْ - بَيْنَ الْجَنَانِ - صَدَى
 حَوًّا، وَآدَمَ نَشْدُوهَا، وَتَشْدُونَا
 عَلَى الْحَوَاشِي، عَلَى هَذِي التُّخُومِ، هُنَا
 يَا دَهْرُ جِئْتُ أَنَا جِي، مَنْ تُنَاجِينَا؟

يَعْقُوبُ جَوَاد

(١٣٧٠ - ١٤٢٣ هـ = ١٩٥٠ - ٢٠٠٢ م)

يعقوب جواد الدَّغَّاري. وُلِدَ في بلدة الدَّغَّارة «محافظة الديوانية» في العراق وتوفي فيها.

دَرَسَ المرحلة الابتدائية في مدينته «الدَّغَّارة» وأكمل دراسته المتوسطة والثانوية في ثانوية الديوانية والتحق بكلية الزراعة جامعة الموصل غير أنه لم يكمل دراسته فيها.

افتتح حانوتاً لبيع الأدوات المدرسية، وأسهم بالنشر في الصحف والمجلات.

له ديوان بعنوان: «للخريف التاسع والعشرين» - دار الشؤون الثقافية - بغداد ٢٠٠٢ «صدر عقب رحيل الشاعر»، وديوان مشترك بعنوان «الوقوف على جسر الدَّغَّارة» - العراق ٢٠٠١.

أنا للحزن^(١)

أَنَا لِلْحُزْنِ بَعْدَكَ، وَالْذُّمُّوعُ	شَرَابِي، وَالْذُّمُّوعُ دَمٌّ نَجِيعُ
يَقُولُونَ: التَّصَبُّرُ عَنْكَ أَجْدَى	وَلَكِنِّي أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ
هَبِّينِي مِنْكَ لِلسُّلْوَانِ قَلْبًا	جَلِيدًا لَا تَضِيقُ بِهِ الضُّلُوعُ
وَعَيْنًا لَا تَظِلُّ تَسْحُ دَمْعًا	وَرُوحًا لَا تُهْدِمُهَا الصَّدُوعُ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَلَا تَمْضِي فَإِنَّ شَتَاتَ عَقْلِي
أَبَا «أُمِّ الْمُنَوَّرِ» كَلَمِينَا
تَمُدُّ إِلَيْكَ كَفَّ الْمَوْتِ كَفًّا
وَتَخْطُفُكَ الْمَنُونُ أَمَامَ عَيْنِي
يَمُرُّ عَلَيَّ عَيْدُكَ مِثْلَ ذِكْرِي
لَقَدْ أَغْطَيْتِ، حَدَّ تَعَبَتِ بَذْلًا
لِقَبْرِكَ أَنْ يَضِيقَ فَمَنْ لِقَلْبِي
يَشُقُّ عَلَيَّ يَا أَمَلِي وَرُوحِي
أَفِي لَمَحٍ يَصِيرُ إِلَيَّ تُرَابٍ
وَيَخْضُنُ ذَلِكَ الْجَسَدَ الْمُزَكِّي
أَلَا إِنَّ الْمُصِيبَةَ فِينِكَ جُلْنِ
لَقَدْ غَادَرَتْ حِينَ مَضَيْتِ صَبًّا
لِمَنْ تُبْقِيَنَّهُ دُنْيَاهُ دُنْيَا

إِذَا مَا ضَعَتْ يَا «أَمَلِي» يَضِيعُ
كِلَانَا ذَلِكَ الطُّفْلُ الرَّضِيعُ
لَهَا نَابٌ وَمِخْلَبُهَا فَظِيعُ
وَأَذْفَعُهَا، وَمَنْ ذَا يَسْتَطِيعُ
وَقَدْ شَحَبَتْ وَأَذْبَلَهَا السُّطُوعُ
وَحَدَّ وَقَعَتْ إِذْ حَانَ الْوُقُوعُ
وَأَرْضُ اللَّهِ لِي قَبْرٌ وَسِيعُ؟
غِيَابُكَ، ذَلِكَ الْخَطْفُ السَّرِيعُ
نَسِيقُ الشَّعْرِ وَالْوَجْهَ الْبَدِيعُ؟
لَهَيْبُ الشَّمْسِ وَالْبَرْدُ الصَّقِيعُ؟
وَفَقْدُكَ هَكَذَا حَدَثٌ مُرِيعُ
يُجَرُّ بِهِ لِلْقِيَاكِ الْوُلُوعُ
بَلَا مَعْنَى وَعَالَمُهُ صَدِيعُ

أَحْمَدُ الْوَائِلِي

(١٣٤٦ - ١٤٢٤ هـ = ١٩٢٨ - ٢٠٠٣ م)

شيخ وخطيب وباحث وشاعر عراقي. ولد في النجف.

دخل المدارس الرسمية، ثم دخل في مدارس منتدى النشر حتى تخرج منها عام ١٩٦٢، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الفقه.

كما درس في الحوزة العلمية في النجف، ثم أكمل الماجستير في جامعة بغداد، وكانت رسالته بعنوان «أحكام السجون في الشريعة الإسلامية» ونال الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عن أطروحته «استغلال الأجير وموقف الإسلام منه».

غادر العراق في عام ١٩٧٩ وقضى في المنفى ربع القرن الأخير من حياته، متنقلاً في أكثر من بلد إسلامي وأقام مدة في إيران ومن ثم في دمشق.

توفي في ١٣ تموز من عام ٢٠٠٣ بعد عودته إلى العراق بأسابيع.

له عدد من المؤلفات والبحوث صدر منها:

«أحكام السجون في الشريعة الإسلامية» و«استغلال الأجير وموقف الإسلام منه» و«هوية التشيع» و«إيقاع الفكر» و«من فقه الجنس» و«جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية» و«الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام» و«تجاربي مع المنبر» و«نحو تفسير علمي

للقرآن الكريم» و«دفاع عن العقيدة» و«الأوليات في حياة الإمام علي»
إضافة إلى «ثلاثة دواوين مطبوعة»

آهة في رثاء رَفِيقَةِ الْعُمَرِ (١)

رَفِيقَةُ عُمَرِي هَلْ لِحُجْرَتِي بَلَسَمُ
رَحِيلُكَ أَذْمَاهُ وَمَا انْقَطَعَ الدَّمُ
مَدَدْتُ لَهُ كَفِّي فَلَمَّا رَدَدْتُهَا
إِذَا الْكَفُّ مِمَّا يَنْزِفُ الْجُرْحُ عِنْدَمُ (٢)
أَحَاوِلُ أَسْلُو الْحُزْنَ وَأَطْرُدُ الشَّجْنَ
فَيَكْبُرُ حُزْنِي بِالسُّلُو وَيَعْظُمُ
أَنَامُ عَلَى صَمْتِ الْجِرَاحِ وَصَمْتِهَا
يُعَبِّرُ عَنْ حَرِّ الْجَوَى وَيُتَرْجِمُ
وَأَضْحُو عَلَى سَكَبِ الدَّمُوعِ وَنَوَاجِهَا
وَلِلدَّمْعِ نَفَرٌ رُبَّمَا يَتَكَلَّمُ

رَفِيقَةُ عُمَرِي لَيْسَ يَحْجُبُكَ الشَّرَى
وَشَخْصُكَ فِي أَعْمَاقِ رُوحِي يُرْسَمُ

(١) «ديوان الوائلي» شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض مؤسسة البلاغ/ دار سلوني
٢٠٠٧. ص ٤٠٨ / وكذلك «ديوانه» الجزء الثاني ص ١١٠ / الناشر ميشم

الخرسان «دون تاريخ».

(٢) عندهم: مصطبغة بالدم.

وَفِي خَاطِرِي مِمَّا طَبَعَتْ شَوَاحِصُ
تُعَلِّلُ رُوحِي بِالْحَنَانِ وَتُقْعِمُ
وَضُوحَ إِيمَانٍ وَطَهْرَ بَرَاءَةٍ
وَوَجْهَ وَإِنْ أَلَوِي بِهِ الْهَمُّ يَبْسِمُ
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى النَّفْسِ وَالَّذِي
يَحُوزُ الدُّنَا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مُعْدَمُ
وَنَفْسٌ قَنُوعٌ مَا أَرْتَنِي سِوَى الرِّضَا
وَتُشَارِكُ فِي الْعَيْشِ الْقَنُوعُ وَتُسْهِمُ

مَشَيْتَ مَعِي فِي الدَّرَبِ وَالْعَيْشُ بُلْغَةٌ
وَوَجْهُ الْأَمَانِي كَالِحٌ مُتَجَهِّمٌ^(١)
وَلَمَّا اسْتَرَّاشَ الْفَرْخُ وَاشْتَدَّ عُودُهُ
وَجَاءَ الرَّغِيدُ الْحُلُوُّ وَانْزَاحَ عَلَقَمُ
شَكَرْتَ وَفِي الْحَالِيْنَ كُنْتَ رَضِيَّةً
وَتَغْرُكُ بِالشُّكْرَانِ لِلَّهِ مُقْعَمُ
رَفِيقَيْنِ مِنْ بَعْدِ الثَّلَاثِينَ خَمْسَةً
مَشَيْنَا بِهَا فِي دَرِينَا وَهِيَ أَنْجُمُ
فَفَرَّقْنَا رَبِّ الْمُنُونِ فَهَا أَنَا
وَحِيدٌ بَعْضُ الْحُزْنِ فِيَّ وَيَقْضُمُ

(١) البلغة من العيش: ما يقتات به، أي العيش على كفاف اليوم.

وَمَا الدَّرْبُ مِنْ دُونِ الرَّفِيقِ سِوَى شَجَى
وَوَحْشَةٍ رُوحٍ وَاكْتِتَابٍ يُخَيِّمُ

رَفِيقَةَ عُمْرِي أَيُّ حَجَرٍ مُوْطِي
تَمَرِّغْ أَطْفَالِي بِهِ وَتَنَعَّمُوا
يَلُودُونَ مِنْ قَرِّ الشِّتَاءِ بِدِفْئِهِ
فَإِنْ أَلْحَفُوهُ تَحْتَ جُنْحِكَ هَوُّمُوا
فَلَا يَفْتَحُونَ الْعَيْنَ إِلَّا لِتَضْحَكِي
وَلَا يُغْلِقُونَ الْعَيْنَ إِلَّا لِيَحْلُمُوا
لَأَرُوسِهِمْ مِنْ جَانِحِكَ وَسَادَةٌ
وَأَذْرُعُهُمْ مِنْ تَحْتِ ثَدْيِكَ مَحْزَمُ
عَمَزَتُهُمْ تَحْتَ الضُّلُوعِ فَرَقَزَقُوا
وَنَاغِيَتِهِمْ بِالْأَغْنِيَاتِ فَتَمَتَّمُوا
بَنَيْتَ لَهُمْ أَجْسَامَهُمْ وَعُقُولَهُمْ
وَمَا الْأُمُّ إِلَّا صَانِعٌ وَمُعَلِّمُ
فَلَوْلَا الَّذِي هَدَاهُم لَمْ يُزْغِرُوا
وَلَوْلَا الَّذِي لَقَّنْتَهُمْ مَا تَفَهَّمُوا

رَفِيقَةَ عُمْرِي آنَسَ اللَّهُ وَخَشَةَ
وَبَلَّ ثَرَىَّ وَارَاكِ بِالْعَيْثِ يَسْجِمُ

وَأَعْطَاكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمِهِ
فَمَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَرْحَمُ
مَنْيئًا بِمَثْوَاكِ الْكَرِيمِ بِشُرْبَةٍ
بِحَيْثُ مُجِيرٌ جَارُهُ لَا يُسَلِّمُ
وَجَارُ عَلِيٍّ بِالْحِمَى وَأَبُو الْحِمَى
سَرِيٌّ يُحْيِي الْوَافِدِينَ وَيُكْرِمْ^(١)
دَفَنْتُ بِهِ أَهْلِي وَرَهْطِي فَكُلُّهُمْ
لَدَى تَلَعَاتِ الْغُرَيَّينِ نُومٌ^(٢)
صَلِيهِمْ وَقَوْلِي رَحْمَةً مِنْ مُخْلَفٍ
يُقِيمُ قَلِيلًا بَعْدَكُمْ ثُمَّ يُقْدِمُ
وَإِنْ سَأَلُوا عَنِّي فَقُولِي حَبِيبُكُمْ
يُصَلِّي عَلَيَّ أَجْدَاثِكُمْ وَيُسَلِّمُ
سَأَبْقَى إِلَى أَنْ نَلْتَقِيَ بِشَرَى الْحِمَى
وَقَلْبِي لَصِيقُ بَالْتَرَاثِ مُتَيْمٍ

(١) السري: السخي ذو المروءة.

(٢) الغريان: تشية الغري وهو المظلي، والغري: الحسن من كل شيء، والغريان: بناءان كالصومعنين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب. . هذا ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي، وهناك قصص متعددة وغريبة حول بناءهما، أغلبها يرجعه إلى زمن النعمان بن المنذر.

رؤكس العزيزي

(١٣٢١ - ١٤٢٥ هـ = ١٩٠٣ - ٢٠٠٤ م)

أديب وباحث أردني من عشائر العزيزات المسيحية التي تنحدر من
عرب الغساسنة، ولد في مدينة «مادبا» جنوبي عمان في الأردن
وقضى حياته بين الأردن وفلسطين والسعودية ومصر.
تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة اللاتين في مدينة «مادبا» وأجاد
اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

عمل مدرساً للغة العربية في مدرسة اللاتين في «مادبا» كما عمل
أستاذاً للأدب العربي بكلية «تراسانت» في القدس، ثم تفرغ للعمل
الثقافي.

توفي عام ٢٠٠٤ بعد أن عاش قرناً كاملاً وعاماً من السنوات.
أصدر نحو ثمانين كتاباً في مجالات ثقافية مختلفة، ومنها كتابه
«جمد الدمع» وهو نثر وشعر في رثاء زوجته «هيلانة»

نَعَيْتُ حَيَاتِي^(١)

رَحَلْتُ فَخَلَفْتُ مِنَ الْحُزَنِ لَوْعَةً

أَعِيشُ بِهَا وَخَدِي وَأَكْتُمُهَا جَهْدِي

(١) هذه الأبيات من مجموعته «جمد الدمع» وقد وردت في مقالة د. عباس
عبدالحليم عباس «رؤكس العزيزي خمس سنوات على الغياب» جريدة الدستور
الأردنية ٢٠١٠/١/١.

تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي الْخَوَالِي فَأَسْبَلْتُ
دُمُوعِي وَطَالَ اللَّيْلُ يَا مُتَّهِنَ قُصْدِي
عَرَفْتُكَ ، مَا أَحْزَنْتَ قَلْبِي لَحْظَةً
فَمَا بِأَلْكَ تَنْسِينَ فِي لَمَحَةِ عَهْدِي؟
نَعَيْتُ حَيَاتِي فَأَنْعَمِي عِنْدَ رَبِّنَا
فَقَلْبِي دَفِينٌ فِي ضَرْبِجِكَ عَنْ عَمْدِ
بِخْمَسِينَ حَوْلًا مَا تَكْذَرْتُ طَرْفَةً
وَسَبْعُ تَلْتَهَا ، دُونَهَا لَذَّةُ الشَّهْدِ
مِثَالُ مِنَ الْأَخْلَاقِ كُنْتَ فَرِيدَةً
تَطِيبُ بِكَ نَفْسِي وَيَعْلُو بِكَ مَجْدِي
وَدَاعَا إِلَى أَنْ نَلْتَقِي عِنْدَ رَبِّنَا
أَعَاتِيكَ إِنْ كَانَ فِي الْعَثْبِ مَا يُجْدِي
إِلَى رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ يَا أُمَّ عَادِلٍ
رَضِينَا قَضَاءَ الْخَالِقِ الْقَادِرِ الْفَرْدِ

أَحْمَدُ مُحَمَّدُ الشَّامِي

(١٣٤٢ - ١٤٢٦ هـ = ١٩٢٤ - ٢٠٠٥ م)

شاعرٌ ودبلوماسيٌ وُلِدَ في مدينة الضالع في اليمن.
تخرَّج في مدارس صنعاء ومعاهدها العلمية.

عمل سكرتيراً بمجلس الوزراء، وقائماً بأعمال المفوضية اليمنية بالقاهرة، ووزيراً في مجلس اتحاد الدول العربية، ووزيراً مفوضاً في لندن، ووزيراً للخارجية اليمنية، وعضواً في المجلس الجمهوري، وسفيراً في لندن، وباريس، وسفيراً متجولاً، ومتفرغاً للكتابة والتأليف منذ ١٩٧٤.

من دواوينه الشعرية: «النفس الأولى» و«علالة مغترب» و«من اليمن» و«ألحان الشوق» و«إلياذة من صنعاء» و«حصاد العمر» و«مع العصافير» و«ألف باء اللزوميات» و«أطياف».

وله مؤلفات أخرى منها: «قصة الأدب في اليمن» و«مع الشعر المعاصر في اليمن» و«المتنبي» و«السوانح والبوارح» و«شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» و«رياح التغيير في اليمن»
طبعت أعماله الشعرية في ثلاثة مجلدات^(١)

(١) أحمد محمد الشامي «الأعمال الشعرية الكاملة / ثلاثة مجلدات» الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة / جدة ١٩٩٢.

بَعْدَ الْحَبِيبَةِ^(١)

بَعْدَ الْحَبِيبَةِ مَاتَ الْقَوْلُ وَانْتَحَرَتْ
أَوْزَانُ شِعْرِي كَأَنِّي صِرْتُ ذَا بَكْمٍ
خَرَسْتُ عَامِينَ لَا اسْطِيعُ أَنْدُبُهَا
إِلَّا بِدَمْعٍ عَلَى الْخَدَّيْنِ مُنْسَجِمٍ
وَالْيَوْمَ مَا أَنَا مِنْ قَبْرِ الْوُجُومِ ، وَفِي
ذِكْرِي الْحَبِيبَةِ رَغَمَ السَّقَمِ وَالْهَرَمِ
أَهْبُ أَبْكِي بِشِعْرِي مَنْ لَهَا زَمَنًا
أَخْلَصْتُ حُبِّي وَكَانَتْ فِيهِ مُعْتَصِمِي

كَانَتْ نَدِيمِي وَرَوْحِي ، وَالْمُعِينِ عَلَى
نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَالْمِضْبَاحِ فِي الظَّلَمِ
ظَلَّتْ رَفِيقِي فِي حِلٍّ وَمُرْتَحِلِ
تَزَعَى حُقُوقِي بَلَا مَنْ وَلَا سَأَمِ
وَالْيَوْمَ عَامَانِ قَدْ مَرًّا وَمَا بَرِحْتُ
نَجْوَى خَيَالِي وَتَفَكِيرِي وَلَحْنِ فَمِي
إِذْ هَجَعْتُ أَتَشْنِي فِي غَلَائِلِهَا
تَخْتَالُ كَالرَّيْمِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

(١) مقالة د. جابر قميحة «الرثاء في ديوان الشعر العربي» رابطة أدباء الشام لندن

.٢٠١٠-٠١-٣٠

وَإِنْ جَفَانِي الْكَرَى بَاتَتْ تُسَامِرُنِي
بِالذُّكْرِيَّاتِ ، وَإِنْ هَوَّمْتُ لَمْ تَنَمِ
وَكُنْتُ كَالْطُّفْلِ تَرْعَانِي أُمُومَتُهَا
لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحِمِ

كَانَتْ وَكُنْتُ رَفِيقِي رِحْلَةَ حَفَلَتْ
بِالطَّيِّبِ الْفَدُ مِنْ عَيْشٍ وَمِنْ قِيَمِ
كُنَّا وَكُنَّا ، وَمَاذَا بَعْدُ؟ هَا أَنْذَا..
كَأَنَّنِي صَارِمٌ فِي كَفِّ مُنْهَزِمِ
بَلَا نَدِيمِ ، وَلَا رَجَوِي وَلَا وَطَنِ
إِلَّا الشَّمَالَةَ مِنْ حُبِّي وَمِنْ نَدَمِي

يُوسُفُ الصَّائِغِ

(١٣٥١ - ١٤٢٦ هـ = ١٩٣٣ - ٢٠٠٥ م)

يوسف نعُوم الصائغ، شاعر عراقي، وقاص، ورَّسام، ومسرحي وُلِدَ في مدينة الموصل. وتوفي بدمشق في الرابع عشر من ديسمبر «كانون الأول» عام ٢٠٠٥.

نشأ في أسرة مسيحية تهتمُّ بالأدب والسياسة، وبعد أن أكمل دراسته الثانوية بالموصل التحق بدار المعلمين العالية وتخرج فيها عام ١٩٥٥، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث من قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٧٤ بمرتبة الشرف عن رسالته «الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٧» وقد نشرت لاحقاً في كتاب صدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق ٢٠٠٦. وبإهداء إلى «جولي» زوجته الراحلة.

عَمَلَ بعدَ تَخْرُجِه في التَّدريس خمسة وعشرين عاماً، وعمل مديراً عاماً لدائرة السينما والمسرح، كما عمل بالصحافة وعرف بعموده الأسبوعي في مجلة ألف باء «فوق نار هادئة» و«أفكار بصوت عال» دواوينه الشعرية: «قصائد غير صالحة للنشر» و«اعترافات مالك بن الربيع» و«سيدة التفاحات الأربع» و«اعترافات» و«المعلم» و«قصائد يوسف الصائغ / المجموعة الكاملة / ١٩٩٢».

وله أعمال أبداعية أخرى، في الرواية: «اللعبة» و«المسافة» وفي المسرح: «الباب» و«العودة» و«ديزدمونة»

كما نشر فصلاً من سيرته الذاتية بعنوان «الاعتراف الأخير لمالك بن الربيع» في مجلة الأقلام العراقية، وصدرت لاحقاً في بغداد عن مطبعة الأديب ١٩٨٥، وأعاد نشرها بعد وفاته دار الشروق في القاهرة عام ٢٠٠٨.

في عام ١٩٨٣ كان موقفه المثير للجدل، بإعلانه البراءة من تاريخه السياسي في الحزب الشيوعي العراقي بمقالة عنوانها «مقدمة لقصيدة عن حب فاشل» ونشرها في جريدة خصومه السياسيين «جريدة الثورة» في آذار عام ١٩٧٦ كان الصائغ وزوجته «جولي» في رحلة سياحية إلى تركيا صحبة صديقه «إبراهيم اليتيم» وزوجته في سيارة الأخير، وفي الطريق بين «أنقرة» و«أضنة» نزلت «جولي» زوجة الصائغ من السيارة، لتشتري أربع تفاحات من الرصيف الآخر، وعند عودتها حاملة «التفاحات الأربع» تعرضت وهي تعبر الشارع لحادثة اصطدام فسقطت ميتة بينما تدهرجت «التفاحات الأربع» على جانبي جسدها فكانت مجموعته الشعرية في رثائها «سيدة التفاحات الأربع»

سَيِّدَةُ التُّفَاحَاتِ الْأَرْبَعِ

قَبْلَ قَلِيلٍ
جَاءَتْ سَيِّدَةُ
وَابْتَاعَتْ أَرْبَعَ تَفَاحَاتٍ
أَرْبَعَ تَفَاحَاتٍ حُمْرٍ
وَرَأَيْنَاهَا تَمْضِي مُسْرِعَةً
نَحْوَ الْقَفْرِ
كَأَنَّهُ تَضْحَكُ

وَالْتَفَاحَاتُ الْأَرْبَعُ
تَكْبَرُ تَكْبَرُ
ثُمَّ انْقَطَعَ الضَّحْكُ
وَأَغْبَهُ صَوْتُ أَيْفُصُ
وَرَأَيْنَا التَّفَاحَاتِ الْأَرْبَعِ تَسْقُطُ
فَوْقَ الْأَرْضِ
أَرْبَعُ تَفَاحَاتِ حُمُرٍ
أَرْبَعُ ضَحَكَاتٍ
وَسَادَ الصَّنْتُ
.....

اضغوا..
سَيِّدَةُ التَّفَاحَاتِ الْأَرْبَعِ
تَضْحَكُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٢١ آذار ١٩٧٦

أَهَذَا كُلُّ مَا يَبْقَى...؟^(١)

إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ... وَاسْوَدَّ...
لَيْلٌ بِلاَ قَمَرٍ أَوْ نُجُومٍ،
وَصَارَ النَّدى مُبْهِمًا فِي الْحَدِيقَةِ...

(١) هذه المختارات من مجموعة «سيدة التفاحات الأربع» وقد اعتمدت نصوصها هنا، كما نشرت ضمن كتاب «قصائد» يوسف الصائغ المجموعة الشعرية الكاملة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢.

سَيِّدَتَيْنِ،
سَتَجِيءُ كَعَادَتِهَا،
سَتَعْبُرُ هَذَا الْمَمَرَّ الْكَثِيبَ،
وَتَمْشِي عَلَى الْعُشْبِ حَافِيَةً،
لَحْظَةً،
وَأَرَى وَجْهَهَا، مُلْصَقًا، فِي زُجَاجَةِ نَافِذَتَيْنِ،
مِنْ هُنَا،
حَيْثُ يَنْكَسِرُ الضَّوُّ وَالْوَهْمُ:
عَيْنَانِ ذَاهِلَتَانِ،
وَشَعْرٌ مِنَ الْأَبْنَوْسِ، قَدْ اخْضَرَّ مِنْ بَلَلِ اللَّيْلِ،
وَالْتَمَعَتْ خُضْلَةً مِنْهُ،
فَوْقَ الْجَبِينِ،
وَمِنْ دُونِهَا كَلِمَةً،
وَبِصْنَتِ الْمُحِجَّيْنِ،
سَوْفَ تَمُدُّ أَصَابِعَهَا
وَتُشِيرُ إِلَى بُنْصُرٍ نَزَعُوا خَاتَمَ الْحُبِّ عَنْهُ،
فَمَوْضِعُهُ أَيْضُ مِثْلُ جُرْحٍ قَدِيمٍ،
وَتَبْسِمُ لِي...
هَكَذَا... لَمَحَةً
وَتَغِيبُ،
وَتَتْرُكُ فَوْقَ ضَبَابِ الرُّجَاجَةِ،
هَذَا الْحَيْنَ الْغَرِيبَ...

حَيْنٌ غَرِيبٌ ...
أنا .. يُشْبِهُ الْقُبُلَاتِ حَيْنِي ...
سَأَبْحَثُ عَنْ شَعْرَةٍ عَلِقَتْ فِي الْوَسَادَةِ
فَيْنِي عِطْرِ .. عَلَاهَا الْغُبَارُ ،
فَمِنْصِرْ بِهِ عَرَقُ امْرَأَةٍ ...
أَهَذَا ، إِذَنْ ، كُلُّ مَا يَبْقَى مِنَ الْحُبِّ ؟

آذار ١٩٧٦

فَاكِهَةُ الْمَرْأَةِ النَّائِمَةِ

كَانَتِ الْمَرْأَةُ النَّائِمَةُ
وَهِيَ فِي قَبْرِهَا ..
تَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ ،
وَتُغَالِبُ ضِحْكَتَهَا

.....

حِينَ صَبُّوا عَلَى الْقَبْرِ ،
مَاءَ الْوَدَاعِ الْأَخِيرِ
فَكَرَّتْ :

لُغْبَةُ الْمَوْتِ مُضْحِكَةٌ
وَرَأَحَتْ تُقَارِنُ ، بَيْنَ تَابُوتِهَا
وَالسَّرِيرِ

.....

لَمْ تُعْذِ تَسْمَعُ الْآنَ صَوْتًا

لَقَدْ ذَهَبُوا كُلُّهُمْ
 وَأَحْسَتْ نُعَاسًا مِنَ الْحُزَنِ
 يَمْلَأُ نَابُوتَهَا
 وَشَيْئًا مِنَ الْجُوعِ
 مَدَّتْ أَصَابِعَهَا، إِلَى بَاقَةِ الْوَرْدِ
 قُرْبَ مَخَدَّتَيْهَا . . .
 أَكَلَتْ وَرَدَتَيْنِ
 وَنَامَتْ

١٢ نيسان ١٩٧٦

حُلْم

حِينَ رَأَيْتُكَ فِي حُلْمِي
 كَانَ عَلَى كَتِفِكَ
 طِفْلٌ
 يَبْكِي . . .
 قُلْتُ: إِخْمِلْ طِفْلَكَ عَنِّي .
 فَحَمَلْتُهُ . .
 كَانَ جَمِيلًا . .
 شَعْرُهُ أَيْضُ كَالثَّلْجِ
 وَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ
 وَحِينَ أَخَذْتُهُ
 صَارَ يُمْصُ أَصَابِعَهُ . .

إِذَاكَ . . . نَظَرْتُ إِلَيْكَ
رَأَيْتُكَ تَمْضِينَ عَلَى عَجَلٍ . .
وَتَذَكَّرْتُ بِأَنَّكَ مَيِّتَةٌ
فَأَفَقْتُ
الَلَّيْلُ عَمِيقٌ . .
وَعَلَى كَتِفِي طِفْلٌ يَبْكِي . .

٢ نيسان ١٩٧٦

الْجُنَّةُ

الَلَّيْلَةُ . .
فِي الْأَحْلَامِ
مَرَّ عَلَى وَجْهِي صَوْتُ تَنَفُّسِهَا
فَأَفَقْتُ . .
رَأَيْتُ الْجُنَّةَ
فَوْقَ سَرِيرِي
نَائِمَةً
قُمْتُ،
وَأَشْعَلْتُ الضُّوءَ
فَفَتَحَتِ الْجُنَّةُ عَيْنَيْهَا . . .
سَأَلْتَنِي
إِنْ كَانَ اللَّيْلُ عَلَى أَوَّلِهِ

قُلْتُ: أَجَلٌ...
قَالَتْ: مَا تَأْتِي لِتَنَامِ؟!

مَوْتُ الْمَنْزِلِ

وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِي...
نَظَرْتُ إِلَى جَسَدِي...
وَبَكَيتُ
أَرَى جُثَّةَ امْرَأَةٍ،
رَافَقَتْنِي ثَلَاثِينَ عَامًا
أَرَى مَنْزِلًا عِشْتُ فِيهِ
يَمُوتُ
وَمَا زَالَ مِنِّي بِهِ،
دُمِيَّةٌ لِلطُّفُولَةِ
تَوْبُ مُرَاهِقَةٍ،
قَطَّةٌ...
وَرَدَّةٌ فِي كِتَابِ
رَسَائِلُ حُبِّ مُحَبَّاءٍ
بَعْدَ مَوْتِي
تَطَلَّعْتُ فِي جُثَّتِي... وَحَزِنْتُ
رَأَيْتُ عَلَى شَفَتِي كَلِمَةً
لَمْ تَنَمْ
أَنَحَيْتُ

مَدَدْتُ يَدِي
وَمَسَحْتُ عَلَى شَفَتِي
وَمَضَيْتُ . . .
فَمِنْصُرْ نَوْمَهَا
مُلَقَى عَلَى السَّرِيرِ
كِتَابُهَا
مِنْضَدَّةُ الزُّيْنَةِ
مِسْطَرَّهَا
الْمِرَاةُ
وَالْمِفْتَاحُ مَا يَزَالُ
فَوْقَ الْبَابِ
يَقْصِلُ بَيْنَ عَالَمِ الْحُضُورِ
وَعَالَمِ الْغِيَابِ

١٩ نيسان ١٩٧٦

جُمُعَةُ الْأَمْوَاتِ

الْيَوْمَ جُمُعَةُ الْأَمْوَاتِ
سَوْفَ يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَى الْقُبُورِ
قَوْمِي مَعِيَ نَبِكَ عَلَى قَبْرِكَ يَا حَبِيبَتِي
وَحِينَمَا يَتَعَبَّنَا الْبُكَاءُ
نَتْرُكُ عِنْدَ الْقَبْرِ إِكْلِيلًا مِنَ الزُّهُورِ

الْجَنَّةُ وَالسَّيِّدَةُ وَالْحَبِيبَةُ

بَعْدَمَا سَكَنَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِ السَّيِّدَةِ

وَأَلْقَى فِي الْبَرِيَّةِ

جَنَّةً هَامِدَةً

رَأَيْتُ الْقَتِيلَةَ تَنْهَضُ مِنْ جِسْمِهَا

تُسَوِّي مَلَابِسَهَا

تَلْفُتُ بِأَحْجَةٍ عَنْ حَقِيبَةِ يَدِهَا

فَإِنْ وَجَدَتْهَا رَنْتَ بِاِكْتِتَابٍ إِلَى الْجَنَّةِ الْمَيِّتَةِ

وَسَأَلْتُ عَلَى خَدِّهَا دَمْعَةً صَامِتَةً.

عَبْدُ الْمُعِينِ الْمَلُوحِي

(١٣٣٥ - ١٤٢٧ هـ = ١٩١٧ - ٢٠٠٦ م)

وُلِدَ عبد المعين الملوحي في حمص. وتلقَّى تعليمه في حمص ودمشق، وتخرَّجَ في دار المعلمين الابتدائية ثم دار المعلمين العليا، ثم تخرَّجَ في جامعة القاهرة حاملاً الإجازة في اللغة العربية عام ١٩٤٥.

عمل مدرساً في حماة واللاذقية وحمص، ومديراً للمركز الثقافي في حمص، ومديراً للمراكز الثقافية في وزارة الثقافة، ومديراً للتراث العربي، ومستشاراً في القصر الجمهوري، ومدرساً في جامعة بكن. وعضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

. توفي في ٢١/٠٣/٢٠٠٦ عن عمر قارب التسعين عاماً.

له أكثر من مائة كتاب في شتى حقول الثقافة، فمن ترجماته لأعمال مكسيم غوركي: «ذكريات حياتي الأدبية» و«المشرّدون» و«حادث فوق العادة» و لدوستوفسكي رواية «في سردابي» كما ترجم «حق الشعوب في تقرير مصيرها» للينين و«داغستان بلدي» لرسول حمزاتوف و«الله وبلانكو بوسيني الحقيقي» لبرناردشو و«مختارات من الشُّعر الصيني»

ومن تحقيقاته: «ديوان ديك الجن الحمصي» - جمع مع محيي الدين الدرويش و«ديوان عروة بن الورد» و«الحماسة الشجرية» و«أشعار اللصوص وأخبارهم»

وله عددٌ من الدواوين الشعرية والمجموعات القصصية. كما كتب العديد من المقالات للصحف وخصوصاً في جريدة

«صوت الشعب» التي تصدر بدمشق وكان يذيل مقالاته باسم عبد المعين الملوحي «شيوعي مزمن»

وتعدُّ قصيدته «قدر وجريمة» التي كتبها في رثاء زوجته «بهيرة» التي توفيت بالسرطان، أشهر أعماله الشعرية فقد طبعت ومن ثم سحبت من التداول، وبقي تداولها مخطوطة بكتابة اليد، لما تنطوي عليه من غضب وفجاعة وعدم القدرة على التسليم بالقدر، لكنه يعترف لاحقاً بما يشبه الاعتذار بأن نفثات الحزن في القصيدة كانت عاصفة كما يقول. وله مرثية أخرى شهيرة في رثاء ابنته «ورود» وقد صدرتا في كتاب واحدة مع مقدمة ودراسة.^(١)

قدر وجريمة^(٢)

بهيرة عروس عام، وأم ثلاثة أشهر ١٩٤٧

فَرَعَ الْإِلَهُ وَجُنْدُهُ مِنْ قَتْلِ زَوْجَتِي الصَّغِيرَةِ
وَتَجَمَّعُوا يَتَضَاحُكُونَ وَقَدْ تَوَارَتْ فِي حَفِيرَةٍ

هَذَا يَقُولُ: تَرَكْتُهَا فِي الْقَبْرِ هَامِدَةً وَحَيَّةً
وَيَقُولُ آخَرُ: قَدْ لَمَسْتُ الثَّرْبَ أَبْعَثْ فِيهِ دُودَةً

وَيَقُولُ ثَالِثُهُمْ: وَمَاذَا تَبْتَغِي الدَّيْدَانَ مِنْهَا؟
أَنَا قَدْ أَذْبْتُ عِظَامَهَا وَسَلَخْتُ حَتَّى الْجِلْدَ عَنْهَا

(١) عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين مع قصيدتي «بهيرة» و«ورود» محمد

غازي التدمري دار الإرشاد للنشر/ حمص/ سوريا ٢٠٠٧ ص ٦١.

(٢) عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين ص ٦١.

وَأَجَابَ رَابِعُهُمْ: - وَكَانَ الْيَوْمَ نَشْوَانٌ انْتِصَارَ-
مَا أَغَذَبَ الْأَلْحَانَ تُرْسِلُهَا عَرُوسٌ فِي اخْتِصَارِ
وَيَقُولُ خَامِسُهُمْ: وَمَا أَخْلَى أَغَارِيدَ الْيَتَامَى
مَا سَرَّنِي إِلَّا سَمَاعُ عَوِيلِ طِفْلَتِهَا «خُزَامَى»
وَأَجِبْ مَنْظَرَ زَوْجِهَا تَنْسَابُ أَدْمُعُهُ الْغَزِيرَةُ
إِذْ رَاحَ يَلْتَمِهَا وَصَاحَ: مَعَ السَّلَامَةِ يَا بَهِيرَةَ
وَأَهَابَ سَادِسُهُمْ: وَهَزَّ الْمَاتَمُ الدَّامِي فُؤَادَهُ:
هَذِي السَّعَادَةُ، لَيْسَ تَرْضِينِي سِوَى هَذِي السَّعَادَةُ

أَضْغَى الْإِلَهُ وَقَدْ تَلَمَّظَ بِالْأَحَادِيثِ الْعِذَابِ
هَذَا عَذَابِي.. مَنْ أَرَذْتُ أَصَبْتُهُ بِلَظَى الْعَذَابِ

الْيَوْمَ تَمَّ مُؤَزَّرًا نَضْرِي عَلَى فَرْخِي حَمَامٍ
دَمَّرْتُ عُشَّهُمَا وَوَارَيْتُ الْحَمَامَةَ فِي الرُّغَامِ^(١)

سَجَدَ الْمَلَائِكُ خُشْعًا وَاللَّهُ يَرْمُقُهُمْ بَعِيدًا
لَوْ شَاءَ صَيَّرَهُمْ دُمَى أَوْ شَاءَ صَيَّرَهُمْ قُرُودًا

(١) الرغام: التراب.

وَرَأَيْتُ إِبْلِيسَ عَنْ كَثَبٍ فَشَجَعَهُمْ بِنَظَرَةٍ
وَعَلَى ذُرَى شَفَثِيهِ مَائَتْ بَسْمَةٍ صَفَرَاءُ مُرَّةً

كَمْ نَائِرٍ لِلْكِبْرِيَاءِ بَكَتْ عَلَيْهِ الْكِبْرِيَاءُ
الْجَفْدُ مِثْلُ النَّارِ يَأْكُلُهُ وَتَلْعَنُهُ السَّمَاءُ

وَرَمَى إِلَهُ إِلَى سَوَادِ الْأَرْضِ نَظَرَتُهُ الرَّهِيْبَةُ
فَإِذَا حَبِيبٌ سَاهِرٌ يَزْعَى مَرِيضَتَهُ الْحَبِيبَةُ

نَادَتْهُ وَالْآلَامُ تَنْهَشُهَا: حَنَانُكَ يَا حَبِيبِي!
نَادَتْهُ تَحَسَّبُ فِي اسْمِهِ الْمَيِّمُونَ أَذْوِيَةَ الطَّبِيبِ

سَمِعَ إِلَهُ فَغَاضَهُ - فِي نَوْبَةِ الْحُمَى - نِدَاهَا
مَا بَالُهَا تَدْعُ إِلَهُ؟ وَمَا لَهَا تَدْعُو فَتَاهَا؟

أَنَا قَدْ خَلَقْتُ الْأَرْضَ لَا أَبْغِي طَعَامًا أَوْ شَرَابًا
أَنَا لَوْ دَعَانِي النَّاسُ كَانَتْ رَحْمَتِي الْكُبْرَى جَوَابًا.

هَيَّا انْزَعُوهَا مِنْ يَدَيْهِ أَوْ انْزَعُوهُ مِنْ يَدَيْهَا
أَنَا لَا أَطِيقُ مَعَانِي الْإِخْلَاصِ تَمْلَأُ مُقْلَتَيْهَا

سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ثُمَّ رَاحُوا يَرْكَبُونَ اللَّيْلَ خَيْلًا
يَا رَبِّ جُرْمِ ظَنُّهُ الْإِضْبَاحُ بَعْدَ الْفَجْرِ لَيْلًا

أَبْهَيْرَتَنِي هَذَا إِلَهُ الْغَابِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ
لَا يَرْتَضِي لِقَبًا يَلِيْقُ بِهِ سِوَى الرَّبِّ الرَّحِيمِ

أَحْبَبَتَنِي خَرِفَ إِلَهُ وَمَاتَ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ
فَعَلَامَ تَعْبُدُهُ الْبَهَائِمُ بِالرُّكُوعِ وَبِالسُّجُودِ^(١)

لَوْ ذَاقَ رَبُّكَ لَوْعَةَ السَّرَطَانِ فِي نَوْبَاتِهِ
لَوْ ذَاقَ حُرْقَتَهُ وَقَدْ أَغْيَا عِلَاجُ أَسَاتِهِ

لَوْ كَانَ مَسْلُولًا يَمْجُجُ دِمَاءُهُ عِنْدَ الشُّعَالِ
وَيَرَى عَلَى مِنْدِيلِهِ رِثَتَهُ تُنْشَرُ كَالرَّمَالِ

لَوْ كَانَ مَسْلُولًا يَرَى الْأَفْعَى تَسِيرُ وَلَا يَسِيرُ
لَوْ كَانَ مَجْنُونًا يَهْنِمُ فَلَا يَجَارُ وَلَا يُجِيرُ

لَوْ ذَاقَ أَحْلَامَ الشُّبَابِ وَذَاقَ آمَالَ الصُّبَايَا
لَوْ ذَاقَ مَضْرَعَهَا الْوَجِيعَ يَمْوُجُ فِي صَدْرِ الضُّحَايَا

(١) هذا البيت حلف من كتاب التدمري، وكتب محله نقاط....

لَوْ ذَاقَ رَبُّكَ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَأَفْرَاحَ الْحَيَاةِ
لَوْ ذَاقَ طَعْمَ الْقُبُلَةِ الْأُولَى عَلَى شَفَتِي فَتَاءَ

لَوْ كَانَ رَبُّكَ وَالِدًا يَحْنُو عَلَى الطِّفْلِ الرَّضِيعِ
لَوْ كَانَ يُبْصِرُ حُمْرَةَ الْخَدَّيْنِ فِي الْوَجْهِ الْبَدِيعِ

لَوْ كَانَ يَفْهَمُ ثَوْرَةَ الْأَخْرَارِ فِي دُنْيَا الْعَبِيدِ
هَدَمُوا السُّجُونَ وَشَيَّدُوا مُسْتَقْبَلَ الشَّعْبِ السَّعِيدِ

لَوْ كَانَ رَبُّكَ يَقْرَأُ الْأَلْوَانَ فِي سِفْرِ الصَّبَاحِ
لَوْ كَانَ يَنْشَقُّ طِيبَ أَنْفَاسِ الْبَنَفْسِجِ وَالْأَقَاجِي

لَوْ كَانَ يَشْعُرُ بِالْوُجُودِ بِكُلِّ أَعْمَاقِ الْوُجُودِ
فِي الشَّمْسِ فِي الْأَنْسَامِ فِي تَرْنِيمَةِ النَّهْرِ الْبَعِيدِ

لَوْ ذَاقَ هَذَا . لَمْ يَكُنْ يَرْضَى بِقَتْلِ الْكَوْنِ ظُلْمًا
لَكِنَّهُ مَا ذَاقَهُ .. لَكِنَّهُ ... مَا كَانَ يَوْمًا

«أَبْهَيْرَتِي» لَا تَزْعُمِي أَنْ قَدْ عَرَفْتَ الْحَقَّ بَعْدِي
أَنَا صُنْتُهُ وَبَذَلْتُ فِي تَغْلِيْمِهِ عَرَقِي وَجَهْدِي

«أَبْهَيْرَتِي» مَا الْحَقُّ تَحْتَ الْأَرْضِ أَوْ بَعْدَ الْمَمَاتِ
الْحَقُّ فَوْقَ الْأَرْضِ فِي الْإِنْسَانِ فِي هَذِي الْحَيَاةِ

مَا فِي الْقُبُورِ سِوَى التُّرَابِ، سِوَى الظَّلَامِ، سِوَى الصُّخُورِ
وَالْبَغْتِ بَعْدَ الْمَوْتِ كَانَ وَلَا يَزَالُ مِنَ الْغُرُورِ

لَا تَرْتَجِي فَرَحَ النَّعِيمِ وَتَرْهَبِي هَوْلَ الْجَحِيمِ
هَذَا وَذَلِكَ أَضْبَحَا ذِكْرَى مِنَ الْمَاضِي الْأَلِيمِ

لَا تَظْلُمِي الْإِيمَانَ مِنِّي إِنَّهُ وَلَّى وَرَاحَا
قَتَلْتُهُ كَارِثَتِي وَكَانَ مُكَابِدًا أَمْسِ الْجِرَاحَا

لَا تَزْعُمِي أَنَّ الْمَمَاتَ سَبِيلُ عَذْلِ اللَّهِ فِينَا
لَنْ أَرْضِي غَيْرَ الْحَيَاةِ وَغَيْرَ دِينِ الْعَقْلِ دِينَا

أَحْبَبْتِي الْعَدْلُ أَنْ نَبْنِي الْوُجُودَ كَمَا نَشَاءُ
كَمْ يَأْسِ نَادَى السَّمَاءِ فَهَلْ أَجَابَتْهُ السَّمَاءُ؟

صَمْتُ الْفَرَاغِ يَلْفُهَا فَاشْرَبْ عَلَى نَعْمِ الْفَرَاغِ
وَاعْجَبْ فَكَمْ خَطُّوا لَهَا كُتُبًا وَصَاغُوا مِنْ بَلَاغِ

إِنْ كُنْتُ جَانِبْتُ الصَّوَابَ وَمَا أَظُنُّ فَأَخْبِرْنِي
مَاذَا لَقِيتُ لَدَى التُّرَابِ؟ وَمَا حَقِيقَةُ كُلِّ دِينِ؟

مَا لِي أَرَاكَ سَكَتٌ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ وَلَمْ تُجِيبِي
قَدْ كَانَ مَعْنَى الصَّمْتِ أَمْسٍ: نَعَمْ فَهَمُّكَ يَا حَبِيبِي

الصَّمْتُ أَبْلَغُ مَنْطِقٍ يَهْدِي النُّفُوسَ إِلَى الْحَقِيقَةِ
مَلْ ضَجَّةُ الْأَمْوَاجِ تَسْمَعُ أَنْفُسًا مَاتَتْ غَرِيقَةَ

يَا لَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعْثًا لِلْجُسُومِ وَلِلنُّفُوسِ
لَوْ كَانَ، مَزَّقْتُ الْحَيَاةَ عَلَى ضَرْبِجِكَ يَا عَرُوسِي

لَكِنِّي أَخِيَا عَلَى سُورِ الْهَوَى وَالذُّكْرِيَّاتِ
وَأَعِيشُ أَغْصِرُ خُمْرَةَ الْأَوْهَامِ مِنْ سُمِّ الْمَمَاتِ

وَأَعِيشُ كَيْ تَجِدَ ابْنَتِي كَالنَّاسِ فِيَّ أَبَا وَأُمًّا
نَامِي إِذَا يَا أُمَّ ابْنَتِي وَاسْتَغْرِقِي فِي الْقَبْرِ نَوْمًا

«أَبْهَرْتَنِي» بَلْ لَسْتُ لِي بَلْ أَنْتِ خَائِنَةٌ أَتِيَمَةٌ
حَمَلْتَنِي عَبَاءَ الْهَوَى وَتَرَكْتِ طِفْلَتَنَا يَتِيَمَةٌ

مَا الدَّاءُ؟ لَوْ لَمْ تَرْتَمِي لِلدَّاءِ خَاضِعَةً إِلَيْهِ
لِمَ لَمْ تَهْبِي حِينَ حَلَّ الدَّاءُ وَابَّةً عَلَيْهِ؟

مَا الْمَوْتُ؟ لَيْسَ الْمَوْتُ عُذْرًا لِلْخِيَانَةِ فِي الْخَوُونِ
لِمَ لَمْ تَشُورِي لِلْحَيَاةِ وَتَقْطِعي كَفَّ الْمُنُونِ؟

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُتٌ؟ لَا مَا مَاتَ مِنْكَ سِوَى الْوَفَاءِ
وَلَقَدْ شَقِيتُ وَكُنْتُ فِيهِ وَخَدَهُ أَلْقَى الْعَرَاءِ

سَنَةً قَضَيْتُ عَلَىٰ فِرَاشِكَ سَاهِرًا بَرًّا شَفِيقًا
حِينَ ارْتَمَيْتَ وَلَمْ تَرَيِ أَهْلًا وَلَمْ تَجِدْنِي شَقِيقًا
كَأَنُورًا وَكُنْتَ مَرِيضَةً يَرْجَوْنِي بِهَوَىٰ «خُزَامِي»
وَالْيَوْمَ أَمَسْتُ طِفْلَتِي نَهَبًا كَأَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ
كَأَنُورًا وَكُنْتَ مَرِيضَةً يَتَنَافَسُونَ عَلَىٰ وِدَادِي
وَالْيَوْمَ بَاعُوا ثَوْبَ عُرْسِكَ يَا «بَهِيرَةُ» فِي الْمَزَادِ
جَاءُوا بِقُمَصَانِ الْعَرُوسِ وَأَبْرَزُوا سِرْبَالَهَا
فَشَرَّتْهُ مُوَمَّسَةً لِتَخْرِقَهُ وَتُخْسَرَ مَالُهَا
غَضِبْتُ لِبَيْعِ كِسَاءِ مَيْتَةٍ وَرَأْتُ فِيهِ عَارًا^(١)
وَهِيَ الَّتِي بَاعَتْ - لِتَأْكُلَ - عِرْضَهَا الْغَالِي جَهَارًا
جَاءُوا بِمَنْدِيلِ الزَّفَافِ عَلَيْهِ آثَارُ الدَّمَاءِ
لَمَّا رَأَى السُّمَسَارُ حُمْرَتَهُ تَلَعَّثَمَ بِالنِّدَاءِ
أَخْفَاهُ مَذْعُورًا قَرَامَ النَّبْشِ عَنْهُ أَخٌ حَرِيصٌ
يَا لِلصُّوْصِ ۖ لَوْ أَنَّهُمْ شَهِدُوهُ لَانْتَحَرَ اللَّصُوصُ

(١) هذا البيت فيه «زحاف عروضي».

سَنَةً قَضَيْتُ أَرِنُقُ وَجْهِي لِلصَّديقِ وَالْمُرَابي
وَأَمُوتُ مِنْ جُوعٍ لَأَذْفَعَ عَنْكَ أَهْوَالَ الْمُصَابِ

أَسْقِيكَ مِنْ قَلْبِي دَمًا، وَجَعَلْتُ دَمْعَكَ لِي شَرَابًا
وَأَرَى عَذَابِي فِي رِعَايَتِكَ السَّعَادَةَ لَا الْعَذَابَ

كَمْ قُلْتُ لِي: صَبْرًا فَسَوْفَ تَعِيشُ فِي الدُّنْيَا سَعِيدًا
وَأَغْضُ أَخْفَانِي لِيُبْصِرَ قَلْبِي الْأَمَلَ الشَّرِيدَا

أَهَزَيْتَ بِي..؟ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي طَهْرِ الْحَمَامِ
وَوَعَدْتَنِي بِسَعَادَتِي وَجَعَلْتَنِي أَشْقَى الْأَنَامِ

لَا تَزْعُمِي أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَسْتَطِعْ لِلْمَوْتِ دَفْعًا
الْحُبُّ مُنْتَصِرٌ فَهَلْ أَحْبَبْتَنِي أَوْ كُنْتَ أَفْعَى!

إِنْ خُنْتَنِي.. فَعَلَامَ خُنْتَ رَضِيْعَةً لَمْ تُكْسَ لَحْمًا
لَمْ تَأَرْ لِلصَّدرِ الرَّحِيْبِ وَلَمْ تَذُقِ لِلنَّهْدِ طَعْمًا

سَتَعِيشُ لَا تَجْرِي إِذَا سَمِعْتَ نِدَاءَكَ: يَا خُرَامِي.
سَتَعِيشُ تَقْتُلُنِي إِذَا نَادَتْ مَعَ الْأَطْفَالِ: مَامَا

لَا.. لَنْ أَكُونَ ضَحيَّةً لِلْعَذْرِ يَا أُخْتَ النِّسَاءِ
سَتُثَوِّرُ فِي قَلْبِي - فَتَغْسِلُ كُلَّ مَا فِيهِ - دِمَائِي

مُوتِي فَإِنِّي خَالِدٌ هَلْ يَعْرِفُ الْمَوْتُ الْخُلُودًا؟
سَأَمِيتُ فِي قَلْبِي الْهَوَى وَأَعِيشُ فِي السَّلْوَى وَحِيدًا

مُوتِي! فَلَا عَاشَ الْجَبَانُ فَلَوْ أَرَدْتَ الْعَيْشَ عِشْتَ
إِنْ كُنْتَ أَهْلًا لِلْحَيَاةِ وَمَجْدِهَا فَعَلَامَ مَتَى؟

مُصِّي تُرَابَ الْقَبْرِ وَاعْتَصِرِي جُسُومَ الدُّودِ خَمْرًا
لَا عَاشَ فِي الدُّنْيَا سِوَى مَنْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ جَمْرًا

مُوتِي فَمَا لَكَ فِي فُؤَادِي غَيْرُ جُرْحٍ سَوْفَ يَشْفَى
الْمَارِدُ الْجَبَّارُ لَا يَأْسَى لِمَيِّتٍ مَاتَ ضَعْفًا

«أَبْهَرْتَنِي» .. هَذَا الْجُنُونُ فَعَفَوَ قَلْبِكَ عَنْ جُنُونِي ..
لَمْ أَسْتَطِعْ فَهَمًّا لِمَوْتِكَ .. يَا «بَهِيرَةٌ» فَاغْدِرِينِي.

مَا زِلْتُ فِي نَفْسِي تَفِيضِينَ الْهَوَى جَسَدًا وَنَفْسًا
فَإِذَا التَّفَتُّ - وَلَمْ أَجِدْكَ - قَضَمْتُ كَأْسَ الْخَمْرِ يَا سَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تَمُوتِي وَالصُّبَا كَالْظُلِّ يَنْدَى
فَيَرَشُّ نَهْدَكَ زَنْبَقًا وَيُبَلِّلُ الْخَدَّيْنِ وَرَدًا

بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَوْتِ حَرْبٌ لَمْ تَزَلْ حَرْبًا عَوَانَا
وَسَقَطَتْ فِيهَا فَاثْنَتَيْنِ أَجْرُعُ النَّفْسَ الْهَوَانَا

قَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَيِّتَةٍ أَوْحَتْ عَلَى نَفْسِي الْهَزِيمَةَ
مَا أَقْتَلَ الذُّلَّ الْجَدِيدَ لَأَنْفِسٍ عَاشَتْ كَرِيمَةَ

قَدْ كُنْتُ يَنْبُوعًا مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي صَخْرَاءٍ غَدِرٍ
أَظْفَقْتُ لِي رُوحِي وَرُوحَتِي لِتُظْلِقَنِي كَالنَّسْرِ فِكْرِي

زَعَمُوا الْكَمَالَ - وَلَمْ نَعِشْ لِسِوَاهُ - فِي الدُّنْيَا مُحَالًا
وَأَرَاكِ أَذْرَكْتَ الْكَمَالَ - فَلَمْ يَغُرِّكَ - وَالْجَمَالَ

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ اللَّيَالِي الْوَائِبَاتِ عَلَى السَّرِيرِ
مَا بَيْنَ تَمْتَمَةِ الشُّفَاءِ وَبَيْنَ عَرَبْدَةِ الصُّدُورِ

لَهْفِي عَلَى ثُلُجِ الْجِبَالِ يُذِيبُهُ لَهَبُ الصَّحَارَى
لَهْفِي عَلَى الْوَعْيِ الذِّكْرِيِّ يَمْجُهُ هَزَلُ الشُّكَارَى

لَهْفِي عَلَى الْعِشْرِينَ يَخْفَرُ قَبْرَهَا زَوْجُ جَرِيحٍ
فَتَانَةٌ كَالْفَجْرِ لَوْ يَسْطِيعُ قَدَاها الضَّرِيحُ

يَا أُمَّ أَخْلَامِي تَعَالِي نَحْصِ أَخْلَامِي الْقَتِيلَةَ
كَمْ بِتٍ أَشْقِيهَا فَمَاتَ الزَّهْرُ وَامَّحَتِ الْخَمِيلَةَ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو فِي هَوَاكِ الْأَمْنِ مِنْ نُوبِ الزَّمَانِ
فَعَدَوْتَ أَنْتِ مُصِيبَتِي الْكُبْرَى وَقَاتِلَةَ الْأَمَانِ

قَدْ كُنْتُ أَزْجُو أَنْ أَرَى فِي صَدْرِكَ الْفَوَاحِ وَأَحَـ
 آوِي إِلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ وَأَتَّقِي فِيهِ جِرَاحَـ
 فَعْدَوْتُ وَالسَّرَطَانُ يَفْتِكُ فِيهِ لَا أَسْطِيعُ مَسَـ
 يَمْتَصُّ نُضْرَتَهُ وَيَنْمِي فِيهِ رَغَمَ الْمَوْتِ حِسَـ
 الدَّمْعِ وَالزَّفَرَاتُ قَدْ جَرَّبْتُ حُرْقَتَهَا جَمِيعَا
 فِي وَجْنَتَيْكَ وَقَلْبِكَ الْوَاهِي بَنْتُ وَكُرا مَنِيعَا
 يَا صَرْخَةَ السَّرَطَانِ تَسْمَعُهَا الْجِبَالُ وَلَا تَمِيدُ
 لَوْ أَنَّهَا دَهَبُ الْحَدِيدِ لَذَابَ كَالثَّلْجِ الْحَدِيدُ
 كَمْ قَدْ غَفَوْتُ عَلَى يَدِ «الْمُورَفِينِ» بَيْنَ يَدَيَّ سَاعَـ
 وَأَرَاكِ نَائِمَةً فَأَخْنُقُ فِي دَمِي صَوْتَ الْمَجَاعَـ
 يَا زَنْدَهَا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعُ مَا ذَاقَ إِبْرَـ
 قَدْ كَانَ أَبْيَضَ نَاصِعَاً فَعْدَاً مِنَ الْوَحْزَاتِ جَمْرَـ
 قَدْ كَانَ أَمْسٍ لِرَأْسِي الْوَاهِي - إِذَا أَغْفُو - وَسَادَا
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ زَنْدَهَا كَالشُّوكِ يَمْنَعُنِي الرُّقَادَا
 أَنْوَابُ عُرْسِكَ يَا عَرُوسَ الْعَامِ قَدْ كُفِّنْتُ فِيهَا
 لَمْ تَلْبَسِيهَا فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ تَمْسِ بِرِضَاكِ تَبِيهَا

قَدْ صَارَ عَرْشُ الْحُبِّ مِنْذُ اللَّيْلَةِ الْعَذْرَاءِ نَعْشًا
وَالْيَوْمَ قَدْ أَكَلَ الثُّرَابُ كِلَيْهِمَا نَعْشًا وَعَرْشًا

«أَبْهَيْرَتِي» ذَاتَ الشُّعُورِ الْحُمْرِ قَدْ طَلَعَ الصَّبَاحُ
وَالَّذِيكَ صَاحَ فَكَيْفَ لَمْ يُوقِظْكَ لِلْحُبِّ الصَّبَاحُ

مَا بَالُ طَرْفِكَ لَا يَفِيْقُ مُرْتَقًا يَرْعَى الْحَبِيبَا^(١)
مَا بَالُ ثَغْرِكَ لَا يَرْنُ بِقُبْلَةٍ تُخَيِّي الْقُلُوبَا

قُومِي بِنَا نَرْتَعُ فَقَدْ طَالَ الرُّقَادُ عَلَى السَّرِيرِ
قُولِي أَلَا يُؤْذِيكَ لَمَسُ الثُّرْبِ لَا.. مَسُ الْحَرِيرِ

مَا زِلْتُ أَلْتُمُ ثَغْرَكَ الْوَضَاءَ فِي الرَّسْمِ الصَّوْبِ
قُبْلُ الْأَمَاسِي لَسْتُ أَنْسَاهَا وَلَا قُبْلُ الْبُكُورِ

قُولِي، أَمَا يَفْتَرُ ثَغْرُكَ فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ فَجْرًا
فَتُنِيرُ بِسَمْتِهِ الضَّرِيحَ وَتَمْلَأُ الدِّيدَانَ دُغْرًا

قُولِي: أَلَيْسَ يَرُدُّ لِي قُبْلِي وَكَانَ بِهَا وَلُوعَا
كَمْ ثُرْتُ بِئِي أَنْ أَنْسَاهَا يَوْمًا، فَأَذْكُرُهَا سَرِيْعَا

(١) مرتقًا: مرتفعًا.

وَمِمُّ أَرِيدُ لَهُ الْبَقَاءُ وَلَا بَقَاءَ لَكِي أَعِيشُهُ
أَخِيهِ فِي قَلْبِي فَيُضِيحُ - فِي مَهَبِّ الرِّيحِ - رِيشُهُ
وَيَرُدُّنِي مَوُلُ الْمَمَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ إِلَى الْحَضِيضِ
أَلْوَانُ حُمَى هَارِئَاتٍ بِالطَّبِيبِ وَبِالْمَرِيضِ
أَحْيَيْتَنِي لَا تَطْلُبُنِي مِنِّي الْوَفَاءُ وَلَا الْأَمَانَةُ
أَصْبَحْتَ شَيْئًا لَيْسَ يَذَرِي مَا الْوَفَاءُ وَلَا الْخِيَانَةُ
الرَّوْضُ وَالْأَطْيَارُ وَالْأَنْهَارُ قَدْ عَلِمْتَ هَوَانَا
وَمَضَتْ كَمَا كَانَتْ تَفِيضُ مِنَ الْحَنَانِ عَلَى سِوَانَا
وَالشَّمْسُ مَا زَالَتْ - كَمَا كَانَتْ - تَغِيبُ كَمَا تَغِيبُ وَتَشْرُقُ
وَالْغُصْنُ يَزْهُو حِينَ يَلْتَمُهُ الرَّيْعُ وَيُورِقُ
وَالْأَرْضُ كَفَّنَهَا الشِّتَاءُ فَعَادَ يُخَيِّئُهَا الرَّيْعُ
وَالنَّهْرُ أَطْلَقَهُ فَرَاخَ وَكَانَ يَسْجُنُهُ الصَّقِيعُ
مَا زَالَتْ الْأَزْهَارُ عَاطِرَةٌ تَمِيسُ عَلَى الْغُصُونِ
مَا زَالَتْ الْأَطْيَارُ تَشْرَبُ لَحْنَهَا إِذْ تُنْشِئُ السُّكُونِ
وَالْبَحْرُ يَرْقُصُ مَوْجُهُ وَالشَّاءُ تَسْرَحُ فِي الْهَضَابِ
وَالرِّيحُ تَمْسَحُ جَبْهَةَ الدُّنْيَا بِمَنْدِيلِ الضَّبَابِ

وَمَضَتْ تُرِيدُ الْحُبَّ أَسْرَابُ الْعَذَارَى وَالْبَغَايَا
وَيُقْلَنَ لِي: لَا زَالَ فِي الدُّنْيَا - فَلَا تَجْزَعُ - صَبَايَا

مَا زَالَتْ الشُّقْرَاءُ يُخْجِلُ جِيْدُهَا زَهْرَ الْأَفَاحِي
وَتَوَدُّ تَسْرِقُ شَعْرَهَا لِشُعَاعِهَا شَمْسُ الصَّبَاحِ

مَا زَالَتْ السُّمَرَاءُ تَنْبِضُ شَهْوَةً وَتَبِضُّ فِتْنَةً^(١)
مَا بَيْنَ نَهْدَيْهَا تَثْوُرُ وَتَنْطَفِي نَارٌ وَجَنَّةٌ

وَيَرَيْنَنِي أَذْوِي أَسَى فَيَقْلَنَ: وَنَحَكَ يَا غَيْبِي
النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ فِي فَرْحٍ وَأَنْتَ بِنَا شَقِي

مَشَتْ الْحَيَاةُ عَلَى الْمَمَاتِ فَلَا يَلُمُّهَا مَنْ يَمُوتُ
لِلْمَيِّتِ قَبْرٌ مُشْرِعٌ بِالدُّودِ يُرْهِبُهُ السُّكُوتُ

وَالْحَيُّ فِي يَدِهِ الْوُجُودُ وَكُلُّ أَفْرَاحِ الْوُجُودِ
يَحْيَا وَكُلُّ دَقِيقَةٍ مِنْ عُمْرِهِ عُمْرُ الْخُلُودِ

لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْلُ إِيمَانًا بِشُحِّ فِي السَّحَابِ
فَيَبِضُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ تَفْرَعُ مِنْ تَدَقُّقِهِ الرُّوَابِي

(١) تَبِضُّ: تَسِيلُ وَتَقَطُرُ.

فَنَرَكُتْهُنَّ وَرُخْتُ أَشْعَى نَحْوَ أَرْزَتِنَا الْوَحِيدَةِ
فَوَجَدْتُهَا لَمْ تَرْعَ مَفْجُوعَةً وَلَمْ تَنْدُبْ فَقِيدَةَ

أَغْصَانُهَا امْتَدَّتْ عَلَى غَيْظٍ لِنَظَرُودِنِي وَحُزْنِي
وَحَنِينُهَا غَضَبَانُ يَهْتِفُ: يَا شَقِيَّ إِلَيْكَ عَنِّي

لَوْلَا السَّعَادَةُ لَمْ أَعِشْ عُمُرًا يُحَارِبُهُ الزَّمَانُ
أَنَا لِلْهِنَاءَةِ عِشْتُ لَمْ أَخْلُقْ لِيَقْتُلْنِي الْهَوَانُ

وَالْغُرْفَةُ الزَّرْقَاءُ فِي أَفْيَاءِ «إِهْدِنَا» لَا تُبَالِي
سَاءَ لُثْهَا عَنَّا وَعَنْ أَشْرَارِ هَاتِيكَ اللَّيَالِي

فَوَجَدْتُهَا خَرَسَاءَ مَدَّتْ فِي غَبَاءٍ سَاعِدَيْهَا
كَالْمُؤَمِّسِ الْعَمِيَاءِ مَنْ تَسْمَعُ تَخْلُهُ رَنَّا إِلَيْهَا

مِرَاتِهَا لَمَعَتْ تُرِيدُ لِوَجْهِهَا وَجْهًا جَدِيدًا
وَسَرِيرُهَا مُتَوَثَّبٌ مُتَرْقَّبٌ عُرْسًا سَعِيدًا

وَمَضَيْتُ لَا حَجْرٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا بَشَرٌ أَرَاهُ
وَشَرِبْتُ وَخَدِي لَوَعَتِي وَدَفَنْتُ فِي قَلْبِي آسَاءُ

وَمُنَاكَ قَامَ عَلَى الصُّخُورِ الصُّمُّ زَوْجُكَ كَالصُّخُورِ
أَقْوَى مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْمَى مِنْ تَصَارِيفِ الدُّهُورِ

جَبَلٌ مِنَ الْفُؤَادِ تَلْطِمُهُ الْبِحَارُ فَلَا تَكِلُ
لَا الظُّرُودُ مِنْهَارًا وَلَا الْأَمْوَاجُ مِنْ عَبَثٍ تَمِيلُ

«أَبْهَيْرَتِي» لَا الْبُؤْسُ نَاحَ وَلَا هَزَارُ الرُّوضِ غَنَى
مَاتَتْ تَعَابِيرُ الْوُجُودِ فَمَا لَهَا فِي النَّفْسِ مَعْنَى

إِنْ كُنْتُ مِنْ مَوْتَى الْفَنَاءِ، فَلَانِي مَيْتُ الْوُجُودِ
الْبَيْتُ قَبْرِي، وَالْذُّجَى يَأْسِي، وَهَذَا النَّاسُ دُودِي

قَالُوا «الْعَزَاءُ» فَقُلْتُ قَدْ مَاتَ الْعَزَاءُ مَعَ الْحَبِيبَةِ
سَتَعِيشُ نَفْسِي - بَعْدَ أُخْتِ النَّفْسِ - وَاحِدَةً غَرِيبَةً

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ نَسِيرَ مَعًا وَنَمْضِي فِي الطَّرِيقِ
لَكِنْ طَلَبْتَ «الرَّاحَةَ الْكُبْرَى» فَسِرْتُ بِلَا رَفِيقِ

مَا كَانَ أَخْلَانَا لَوْ إِنَّا لَمْ نَزَلْ بَيْنَ الرُّفَاقِ
إِيمَانُنَا فِي قَلْبِنَا خَفَقَ وَنُورٌ فِي الْمَآقِي

«أَبْهَيْرَتِي» إِنِّي لَأَسْمَعُ صَرْخَةً فِي أَرْضِ شَعْبِي
أَنَا وَاحِدٌ فِي بَعْثِهِ سَلَوَايَ بَعْدَ مَمَاتِ حُبِّي

أَسْعَى إِلَى نَبْعِ الْحَيَاةِ بِجَرَّةٍ مُلِثَتْ دُمُوعًا
هَلْ يَنْقُذُ الْمَاءُ الْقُرَاحَ فَتَيِّ يَمُوتُ ضَنْىً وَجُوعًا؟

«أَبْهِيرَتِي» قَالُوا لَنَا مَا هَكَذَا عُرِفَ الرُّثَاءُ
قُولِي لَهُمْ بَلْ أَنَّهُ نَارٌ بِهَا اخْتَرَقَ الْبُكَاءُ

صُورٌ مُلَوَّنَةٌ تَهْزُ بِلُغْزِهَا أَعْمَاقَ نَفْسِي
مِنْ ثَوْرَةٍ وَتَمَرْدٍ طَاغٍ وَمِنْ ضَعْفٍ وَيَاسٍ

الْمَوْتُ - مَاتَ الْمَوْتُ - وَخَشَّ كَأْسِرُ الْأَنْيَابِ قَاسِي
يَلْهُو بِأَفْرَاحِ الْحَيَاةِ فَتَسْتَجِيبُ إِلَيَّ مَاسِي

وَنَظْلٌ - رَغَمَ الدَّاءِ - رَغَمَ الْمَوْتِ - نَفْرَحُ بِالْوُجُودِ
وَنَظْلٌ - رَغَمَ الدَّاءِ - رَغَمَ الْمَوْتِ - نَحْلُمُ بِالْخُلُودِ

حمص ١/٨/١٩٤٧

مُحَمَّدُ الْمَاغُوطُ

(١٣٥٢ - ١٤٢٧ هـ = ١٩٣٤ - ٢٠٠٦ م)

شاعر سوري، وأحد رواد قصيدة النثر العربية، ولد في ٣ نيسان عام ١٩٣٤ في «سلمية» بمحافظة حماة. وفيها تلقى تعليمه، ونشأ في عائلة شديدة الفقر وكان أبوه فلاحاً بسيطاً يعمل أجيراً في أراضي الآخرين طوال حياته. انتمى الماغوط إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي دون أن يقرأ مبادئه، حيث يقول: كان في تلك الفترة حزبان كبيران هما «الحزب السوري القومي الاجتماعي» و«حزب البعث» وكان مقرُّ «حزب البعث» في حارة بعيدة في حين كان مقر «القومي» بجانب بيته وفيه «مدفأة» أغرته! فدخل إليه وانضمَّ إلى صفوفه.

كان اغتيال عدنان المالكي نائب رئيس أركان الجيش السوري في ٢٢ أبريل ١٩٥٥ نقطة تحوُّل غير محسوبة في حياة الماغوط حيث اتُّهم الحزب «السوري القومي الاجتماعي» باغتياله في ذلك الوقت، ولحق أعضاء الحزب، وتمَّ اعتقال الكثيرين منهم، وكان الماغوط ضمنهم، فحُبس في سجن «المزة» بدمشق، وهناك بدأت حياته الأدبية الحقيقية، إذ تعرَّف أثناء سجنه على «أدونيس» الذي كان في الزنزانة المجاورة.

خلال فترة الوحدة بين سورية ومصر كان الماغوط مطلوباً في دمشق، فقرَّر الهرب إلى بيروت، ودخل لبنان سيراً على الأقدام، وهناك انضمَّ إلى جماعة مجلة «شعر» حيث تعرَّف على الشاعر يوسف الخال الذي احتضنه في المجلة بعد أن قدمه أدونيس للمجموعة.

وفي بيروت تعرّف الماغوط، في بيت أدونيس، على الشاعرة سنية صالح «التي أصبحت زوجته لاحقاً» وهي شقيقة خالدة سعيد زوجة أدونيس.

عاد الماغوط إلى دمشق بعد أن صدرت مجموعته الأولى «حزن في ضوء القمر» «عن دار مجلة شعر، ١٩٥٩»، التي ألحقها عن الدار نفسها بعد عام واحد بمجموعته الثانية «غرفة بملايين الجدران» وتوطّدت العلاقة بين الماغوط وسنية صالح بعد قدومها إلى دمشق لإكمال دراستها الجامعية. وفي العام ١٩٦١ أدخل الماغوط إلى السجن للمرة الثانية وأمضى فيه ثلاثة أشهر، ووقفت سنية صالح إلى جانبه خلال فترة السجن، وتزوجا عقب خروجه من السجن، وأنجبا ابنتيهما «شام» و«سلافة»

توفي الماغوط في دمشق يوم الاثنين ٣-٤-٢٠٠٦ بعد صراع مع المرض.

أما سنية صالح التي يوجه الماغوط هذه المراثية لها فقد ولدت في مصياف التابعة لمحافظة حماه عام ١٩٣٥ وتوفيت عام ١٩٨٥ بعد صراع مع مرض السرطان.

وهي من الأسماء النسوية البارزة في قصيدة النثر العربية. إضافة لكتابتها للقصة القصيرة. ومن أعمالها:

«الزمان الضيق، شعر» «حبر الإعدام، شعر» «قصائد، شعر» «ذكر الورد، شعر» «الغبار، قصص». كما صدرت لها الأعمال الشعرية الكاملة عن دار المدى بدمشق، عام ٢٠٠٨ وبتقديم شقيقتها خالدة سعيد.

سَيَّافُ الزُّهُورِ^(١)

مقطع من موت واحتضار سنية صالح

يَا رَبِّ
أَيُّهَا الْإِلَهُ الْمُسِنُّ الْوَحِيدُ فِي عِلْيَانِهِ
فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ هَذِهِ،
وَأَمَامَ قِيَابِ الْجَوَامِعِ وَالْكَثَائِسِ
الْلامِعةِ وَالْمُتَفَحِّخَةِ كَالْحُرُوقِ الْجِلْدِيَّةِ
أَزْرُرُ سِثْرَتَيْ
وَأُظْهِرُ غَمَامَةً يَبْضَاءُ عَلَى ذِرَاعِي
لَأَصِيرَ خَادِمَكَ الْمُطِيعَ
وَوَكِيلَ نِعَمِكَ، وَكَوَارِثِكَ إِلَى الْأَبَدِ.
أَعْرِى أَشْجَارَكَ فِي الْحَرِيفِ
وَأَمْلَأْهَا بِالزُّهُورِ وَالطُّيُورِ فِي الرَّبِيعِ.
أَسَاعِدُ الْبَنَائِعِ الصَّغِيرَةَ فِي جَرْنَانِهَا
وَالْحَمَائِمِ الْمُسَرَّدةِ فِي بِنَاءِ أَبْرَاجِهَا
وَأُضِلُّ الْعَقَارِبَ وَالْأَفَاعِي
عَنْ أَرْجُلِ الْعُمَّالِ وَالْفَلَاحِينَ الْحَفَاةِ
وَأَكْسُو ثِيَابَ الْأَطْفَالِ الْفُقَرَاءِ
بِالرُّقَعِ الْجَدِيدَةِ الْمُلَوَّنةِ فِي الْأَعْيَادِ

(١) كتاب سياف الزهور الناشر دار المدى للثقافة والنشر - دمشق. الطبعة الأولى

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ
 سَأَرْشِدُ زَلَاذِلَكَ وَبَرَائِكَتِكَ وَقَيْضَانَا تَكَ
 إِلَى أَكْثَرِ الْأَكْوَاحِ وَالْأَحْيَاءِ فَقَرَأَ وَازْدِحَامًا
 حَتَّى لَا تَضِيعَ حَجَرَةٌ مِنْ جَمْعِكَ
 أَوْ قَطْرَةٌ مِنْ سَيُوكَ ،
 هَبَاءٌ بِلا جَذْوَى
 بَلْ وَسَأَوْقُظُ «مَارِكِسَ» وَ«أَنْجِلْزَ» مِنْ قَبْرَيْهِمَا
 وَأَرْغِمُهُمَا عَلَى الصُّرَاخِ بِأَسْتَانِيهِمَا الْمُكْشَرَّةِ ،
 أَمَامَ ضَحَايَا الْمُعْتَقَلَاتِ
 وَجُثَثِ الْمَنَاجِمِ وَالْأَنْهِيَارَاتِ الثَّلْجِيَّةِ
 وَالْمَقَابِرِ الْجَمَاعِيَّةِ
 وَأَمَامَ عَائِلَاتِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ
 وَالْأَغْتِرَافِ ، وَمِمَّا يَضْرِبَانِ أَخْمَاسًا بِأَسْدَاسٍ
 بَانَ هَذِهِ مَشِيئَةُ اللَّهِ .
 وَلَكِنْ أَتْبَقْ لِي عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْحُطَّامِ
 .. وَنَحْنُ أَطْفَالُهَا الْقُصَّرَ الْفُقَرَاءُ
 سَنَهْدِي لِعَبْنَا وَأَقْرَاطَنَا وَثِيَابَنَا الْجَدِيدَةَ
 لِمَلَائِكَتِكَ الصُّغَارِ ،
 وَنَظْلُ عُرَاءَةٍ إِلَى الْأَبَدِ ...
 وَلَكِنْ أَتْبَقْ لَنَا عَلَيْهَا ،
 لِضِعَةِ شُهُورٍ
 لِضِعَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ .

تَتَنَازَبُ السَّهَرُ عَلَيْهَا
وَتَجْفِيْفُ الْعَرِقِ الْمُتَدَفِّقِ عَلَى جَبِينِهَا،
فَهِيَ ظِلُّنَا الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ الصَّخْرَاءِ
نَجْمُنَا الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ
جِدَارُنَا الْمُتَبَقِّي فِي هَذَا الْخَرَابِ
نُمُّ إِنَّهَا لَمْ تَأْخُذْ مِنْ تُرَابِ الْوَطَنِ
أَكْثَرَ مِمَّا يَأْخُذُهُ الْقَدَمُ مِنَ الْحِذَاءِ

أَيُّهَا الْأَنْفُ الْأَخْذَبُ الْجَمِيلُ،
كُسْبُلَةٌ تَحْتَ طَائِرِ
أَيُّهَا الْفَمُ الدَّقِيقُ، كَمَوَاعِيدِ الْخَوْنَةِ أَوْ الْأَبْطَالِ ...
يَا بَذْرَةَ الْحُرُوبِ الْمُقْبِلَةِ
لِمَ اسْتَعْجَلْتَ الرَّحِيلَ
وَالرُّقَادَ إِلَى الْأَبَدِ، بِاسْمَةِ مُظْمَنَتِهِ
فِي أَقْرَبِ نِقْطَةِ لَالِ الْبَيْتِ
مَوْلِيَّةَ ظَهْرِكَ لِكُلِّ نَوْرَاتِ الْعَالَمِ؟
وَلَكِنْ لَا عَلَيْكَ يَا حَبِيبَتِي
لَقَدْ رَأَيْتُ بِأَمِّ عَيْنِي
فِي إِحْدَى اللَّيَالِي الثَّلْجِيَّةِ الْعَاصِفَةِ
عَلَى ضِفَافِ «الْفَوْلَعَا»
مَارْكُوسِيًّا مُشْرَدًّا ، يَنَامُ تَحْتَ سَيْفِ الْقَيْصَرِ.

أَوْ كَمْ فَرَحْنَا ، أَنَا وَشَامُ ، وَسُلَاقَةُ ،
 بِالْحُمْرَةِ الْوَاهِيَةِ
 وَقَدْ عَادَتْ إِلَى الْخَذَّيْنِ الشَّاحِيَيْنِ
 وَكَمْ صَفَّقْنَا طَرَبًا
 لِشَعْرِكَ الْقَصِيرِ الْمُنْهَكِ
 وَقَدْ رَاحَ يَنْمُو بِحِمَاسَةٍ بَائِسَةٍ
 كَشَعْبٍ زَنْجِيٍّ فِي حُقُولٍ يَبْضَاءُ ...

يَا يَتِيمَةَ الدَّهْرِ وَكُلَّ الدُّهُورِ
 مِنْ أَيْنَ وَرِثْتَ
 هَاتَيْنِ الرَّثْيَيْنِ الْوَاهِتَيْنِ كَرِثْتِي عُضْفُورِ؟
 وَهَذَا النَّمَشَ الْمُتَجَمِّعَ عَلَى ذُرَى الْكَثْفَيْنِ ،
 كَمَا تَتَجَمُّعُ الْعَصَافِيرُ الْخَائِفَةُ فِي أَعَالِي الْأَشْجَارِ؟
 مِنْ آيَةِ مُطَارَدَةٍ ،
 تَعَلَّمْتَ إِغْلَاقَ الْأَبْوَابِ وَالتَّوَافِدِ
 وَالرُّقَادَ مَعَ طِفْلَتِكَ
 لَاهِئَةً تَحْتَ الْأَسِرَّةِ وَالْمَقَاعِدِ؟
 بَلْ مِنْ أَيِّ مَعْرَكَةٍ
 ادَّخَرْتَ هَذِهِ الدُّمُوعَ الْمُقَاتِلَةَ
 وَهَذَا الرَّخَمَ الْمُنْدِرَ وَالْمُتَرَفِّعَ كَأَبْوَابِ الْحَرْبِ؟

أَوْ يَا حَبِيبَتِي

الآن يَكْتَمِلُ جُنُونِي كَالْبَدْرِ
كُلُّ اسْلِحَتِي عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ
كُلُّ صُخْبَتِي تَفَرَّقَتْ
وَحُجَجِي فُتِّدَتْ
وَطُرُقِي اسْتَفْثِدَتْ
وَمَقَاهِي تَهَدَّمَتْ
وَأَحْلَامِي تَحْطَمَتْ
وَلَمْ يَبْقَ لِي، إِلَّا هَذِهِ اللَّعْنَةُ
فَمَاذَا أَفْعَلُ بِهَا،
بِحُرُوفِهَا الْمُتَلَصِّقَةِ بِمَخَارِجِهَا كَبُولِ الْأَفْعَى .
أَيْتُهَا الزَّهْرَةُ الْمَطْرُودَةُ مِنْ غَابَتِهَا
أَيْتُهَا الْعَصَّةُ الْعَمِيقَةُ فِي قَلْبِ الرَّيِّحِ
حُبُّكَ لَا يُنْسَى أَبَدًا
كَالْإِهَانَةِ، كَجِرَاحِ الْحُسَيْنِ .

كُلُّ مَنْ أَحْيَيْتُ، كُنَّ نُجُومًا
نُضِيءُ لِلْحَظَلَةِ وَتَنْطَفِئُ إِلَى الْأَبَدِ
وَأَنْتِ وَخَدَّكَ السَّمَاءُ .
ثَلَاثِينَ سَنَةً،
وَأَنْتِ تَحْمِلِينِي عَلَى ظَهْرِكَ كَالْجُنْدِيِّ الْجَرِيحِ
وَأَنَا لَمْ أَسْتَطِعْ
أَنْ أَحْمِلَكَ بِضَعِ خَطَوَاتِي إِلَى قَبْرِكَ

أَزُورُهُ مُتَأَقِلًا
وَأَعُودُ مُتَأَقِلًا
لَأَنْتَ لَمْ أَكُنْ فِي حَيَاتِي كُلُّهَا
وَقِيًّا أَوْ مُبَالِيًّا
بِحُبِّ، أَوْ شَرَفٍ أَوْ بَطُولَةٍ،
وَلَمْ أَحِبَّ مَدِينَةً أَوْ رِثْقًا
قَمَرًا أَوْ شَجَرَةً، غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
صَدِيقًا أَوْ جَارًا، أَوْ مَقَهًى،
جَبَلًا أَوْ سَهْلًا، أَوْ طِفْلًا أَوْ قَرَاشَةً.
فَكَرَاهَيْتَنِي لِلإِزْهَابِ
لَمْ تَتْرُكْ لِي فُرْصَةً،
حَتَّى لِمَحَبَّةِ اللَّهِ.

مُحَمَّد رَجَبُ الْبَيْتُومِي

(١٣٤٢ - ١٤٣٢ هـ = ١٩٢٣ - ٢٠١١ م)

محمد رَجَبُ البَيْتُومِي، شاعرٌ وباحثٌ وأستاذ جامعي مصري، وُلِدَ في «الكفر الجديد» بمحافظة الدقهلية بمصر. تخرج في الأزهر، وحصل على دبلوم معهد التربية، والماجستير، والدكتوراه في الأدب والنقد.

كتب في مجلة الرسالة لأحمد حسن الزيات.

عمل مُدرّساً بالإسكندرية، ثمّ بالفيوم وأعيد إلى السعودية وأثناء الإعارة فقد زوجته وألّف ديوان «حصاد الدمع» في رثائها وبعد عودته لمصر عينَ عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة. ورأس تحرير «مجلة الأزهر» توفي في ٥ شباط / فبراير ٢٠١١ م. ودفن في قريته.

له أكثر من ثلاثين كتاباً في حقول علمية متعددة، إضافة إلى بعض الكتب في «أدب الأطفال»

من كتبه في الدراسات الإسلامية: «البيان القرآني» و«خطوات التفسير البياني» و«البيان النبوي» و«أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين»

ومن كتبه في النقد الأدبي: «الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير» و«النقد الأدبي للشعر الجاهلي» و«أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد» و«دراسات أدبية».

ومن دوايينه الشعرية: «حصاد الدمع» و«صدى الأيام» و«حنين اللبالي».

وفي «حصاد الدمع» جمع مراثيه المتعددة لزوجته إذ أصدره بعد خمس سنوات من رحيلها كما يقول في مقدمة الديوان، الذي صدره بإمضاء «محمد رجب البيومي / الزوج الحزين» وبإهداء «إلى زوجتي الطاهرة الشابة عصمت أحمد عبدالملك»

ومما جاء في مقدمة الديوان عن ظروف زواجه بها: «رأيتها أول مرة في ثوبها المدرسي أنيقة لطيفة كبرعم يهّم أن يتفتّح، فسألته عن أخيها جمال وكان تلميذي بالمدرسة الثانوية حينئذ، فأخبرتني عنه في لطف رقيق، وكان طريقها إلى المدرسة يوافق طريقي، فكنت أستصبح ببراءتها الوديعه، وأنظر إليها في ميل هادئ، لم أفطن لحقيقته بادئ ذي بدء، حتى وجدتهني أستوحش إذا لم أقابلها في الصباح، ثم أرى طيفها يعاودني في خلوتي فينعشني، كأنّ شذى عاطراً يحمله النسيم، ولم أكن من إقليمها، ولكن الوظيفة قد حملتني إلى بلدها لتحتل مكانتها من قلبي، فأتقدّم إلى والدها الكريم خاطباً فيجيب. فزّقت إليّ في مفتاح صباها الأنيق^(١)»

يَقُولُونَ: «مَامَا»^(٢)

يَقُولُونَ: «مَامَا» كُلَّمَا عَنْ مُشْكِلٍ

وَأُولَى بِهِمْ أَنْ يَسْكُتُوا لَوْ تَعَقَّلُوا

(١) ديوان «حصاد الدمع» محمد رجب البيومي مطبعة دار العالم العربي مصر ١٩٧٩، وهنا قصيدة ومقاطع أخرى متفرقة من الديوان.

(٢) «حصاد الدمع» ص ٢٥.

يَقُولُونَ: «مَامَا» مَا الَّذِي أَنَا صَانِعٌ؟
وَمِنْ دُونِ «مَامَاهُمْ» تُرَابٌ وَجَنْدَلٌ
يَصِيحُونَ بِي هَلَّا ذَهَبْتَ تُعِيدُ مَا؟
كَأَنِّي بِرَدِّ الرَّاحِلَيْنِ مُوَكَّلٌ!
شَدِيدٌ عَلَى نَفْسِ الْأَبِ الْبَرِّ مَوْقِفٌ
يُهَيِّبُ بِهِ أَطْفَالَهُ ثُمَّ يَنْكُلُ
يُعَذِّبُهُ إِخْسَاسُهُمْ بِرَحِيلِهَا
وَإِخْسَاسُهُ الدَّامِي أَشَدُّ وَأَهْوَلُ
تَفَنَّنَ فِي جَلْبِ السُّرُورِ إِلَيْهِمْ
يُحَاوِلُ تَخْفِيفَ الَّذِي يُتَحَمَّلُ
وَوَالِي قُنُونِ الْمُغْرِبَاتِ تَلَهَّيَا
فَمَا رَاقَ مَلْبُوسٌ وَلَا طَابَ مَأْكُلُ
وَكَانَ حَرِيصًا أَنْ يَدُومَ سُرُورُهُمْ
بِهَا وَهِيَ بِالْآخِرَى أَسْرٌ وَأَجْدَلُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَفْعَلُ فَعَلَهَا
لَيْسُ كَتَّ لَا يَذَرِي الَّذِي هُوَ يَفْعَلُ
يَقُولُونَ «مَامَا» مَنْ يَلُومُ مَقَالَهُمْ
وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ وَجْهَهَا الْمُتَهَلِّلُ
تَرَبُّوا فِرَاحًا فِي الْعِشَاشِ تَرْقُفُهُمْ
حَمَامَةٌ أَيْكَ بِالْأَمَازِنِجِ تَهْدِلُ

يُحْسُونَ فَيْضَ الْحُبِّ تَحْتَ جَنَاحِهَا
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا الْأَثِيرُ الْمُدَلَّلُ !
إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ بِدِفءٍ سَعَتْ بِهِمْ
تَجَاةَ الضُّفَافِ الْخُضِرِ لَا تَتَمَهَّلُ
وَإِنْ عَصَفَتْ رِيحٌ بِغُضَنِ تَجَمَّعَتْ
تَقِيهِمْ هُبُوبَ الرِّيحِ سَاعَةً تُقْبِلُ
رَعْتَهُمْ وَخَلَّتْ نَفْسَهَا فَهِيَ بَيْنَهُمْ
عَلَى غُلُوءِ الْكَذْحِ تَضُوي وَتَنْحَلُ
إِلَى أَنْ مَضَتْ عَنْهُمْ شَهِيدَةً جَهْدِهَا
فَنَاحُوا عَلَيْهَا صَارِخِينَ وَأَغْوَلُوا
لِي اللَّهُ مِنْ ذِي حَسْرَةٍ بِرَجِيلِهَا
لَهَا مَسْرَبٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُوْغِلُ
تَذِيبُ شِغَافِ الْقَلْبِ، وَيَلِي، فَإِنْ عَلَتْ
إِلَى الْحَلْقِ قَرَّتْ فِيهِ، وَالرِّيقُ حَنْظَلُ
وَيُخْلِفُنِي مَا اغْتَدْتُ مِنْ رَاشِدِ الْحِجَا
فَأَفْحَمُ أَثْنَاءَ الْحَدِيثِ وَأَذْهَلُ
وَأَهْفُو إِلَيَّ أَمْسِي وَأَمَقْتُ حَاضِرِي
وَأَخْشَى غَدِي إِذْ لَيْسَ لِي فِيهِ مَوْتِلُ
فَقَدْتُ النَّبِيَّ كَأَنْتَ تَرُودُ سِرِّيْرَتِي
فَمَا دُونَهَا سِرٌّ عَلَى النَّفْسِ يُسَدِّلُ

تَرَى غُصَصاً فِي غُورِ نَفْسِي دَفِينَةً
 فَتَعْلَمُهَا عِلْمُ الْبَقِيَّةِ وَأَجْهَلُ
 فَتَعْدُو نَطَاسِيًّا يُعَالِجُ مُذْنَفًا
 لِيُبْرِئَهُ مِنْ دَائِهِ وَهُوَ مُغْضِلٌ^(١)
 أَجَلٌ، هِيَ كَانَتْ فِي الْبَلَايَا طَبِيبَتِي
 فَيَا لِحِرَاحِ بَعْدَهَا لَيْسَ تُذَمِّلُ
 نَشِذْتُ عِلَاجَ الرُّوحِ فِي نَكَسَاتِهَا
 وَأَيْنَ وَقَدْ غَابَ الطَّبِيبُ الْمُعَلِّلُ؟
 أَرُوحُ عَنْ نَفْسِي بِذِكْرِ نَقَائِصِي
 لَيْسَكُتَ عَنِّي مَنْ يَلُومُ وَيَعْدِلُ
 يَلُومُونَنِي أَنْ صِرْتُ أَبْكِي فِرَاقَهَا
 فَهَلْ بَعْدَ أَنْ ضِغْنَا مَعًا أَتَحْمِلُ؟
 وَكَانَتْ نَعِيمَ اللَّهِ يُبْهِجُ مَنَزِلِي
 وَهَا هُوَ ذَا عَنْ وَجْهَتِي يَتَحَوَّلُ
 لِعَفْرِ صِبَاها الغَضُّ فِي مُوَحِّشِ الثَّرَى
 لَقَدْ كَذْتُ أَهْوِي لِلثَّرَى فَأَقْبِلُ
 هَيَامًا بِهِ إِذْ صَارَ مَنَزِلَ حُسْنِهَا
 فَمَا شَاقَنِي مِنْ بَعْدِهِ الْيَوْمَ مَنَزِلُ
 إِذَا صَاحَتِ الْأَطْفَالُ «مَامَا» فَلِإِنِّي
 بِ«وَا زَوْجَتَاهُ» مَا بَيْنَ نَفْسِي أَوْلُولُ

(١) النطاسي: الطبيب.

بَآيٍ اِنْجَاهٍ^(١)

بَآيٍ اِنْجَاهٍ اَسْتَحِثُّ الْقَوَافِيَا؟ اَصُوغُ نَسِيْبِي؟ اَمْ اَعِيْذُ بُكَائِيَا؟
يُمَثِّلُ لِي شَوْقِي خَيَالِكَ رَائِعَا فَالْتَمِسُ التَّشْيِيْبَ اَلِهِي فُوَادِيَا
اَصُوْرُ مَعْنَى الْحُسْنِ فِيْكَ وَاِنَّهُ لَيَخْلُقُ اَطْيَارَا بِسَمْعِي شَوَادِيَا
وَيَفْجُوْنِي الصَّخْرُ الرَّهِيْبُ بِوَاقِعِي فَارْتَدُّ مَقْهُوْرَا اَصُوْغُ رِثَائِيَا
نَسِيْبٌ تَلَطَّطَ بِالرَّثَاءِ حُرُوْفُهُ فَاِنْ رُحْتَ تَتْلُوْهُ تَأَوَّهْتَ صَالِيَا
تَرَى الْحُسْنَ خَلَابًا فُتْبِدِعُ وَضْفُهُ وَتَذْكُرُ مَهْرَاهُ فَتَلْتَنَاعُ اَسِيَا
كَمَا قَدْ وَصَفْتَ الْبَذَرَ لَيْلَةً تَمُوْ تَعَاوَرُهُ نَحْسٌ فَدَوِّمَ هَاوِيَا^(٢)
اِذَا مَا مَدَحْتَ الْحُسْنَ فِيْهِ مَقْضُضَاً وَضِيئَا شَجَاكَ النُّوْرُ يَرْتَدُّ خَائِيَا
فَقِيْدْتُكَ الْحَسَنَاءُ تَحْكِيْهِ مُرْتَقِي وَمَهْوَاً فَاِنْ تَنَسَّبَ تَحَرَّقْتَ دَائِيَا^(٣)

حَتَّى الْجِذَاءِ^(٤)

وَنَحْ اَثَارَهَا الْجِسَانَ بِبَيْتِي اِذْ شَوْتُ رُوْحِي الْمُعَذَّبَ شِيَا
مِنْ عُطُوْرٍ تُرِيْقُ دَمْعِي وَحُلِي وَثِيَابٍ بِحَضْرَهَا صِرْتُ اَغْيَا
وَلَهَا صُوْرَةٌ تَحَاشَيْتُ جَهْدِي اَنْ اَرَى وَجْهَهَا صَبِيْحَا نَدِيَا
وَشَرِيْطُ التَّسْجِيْلِ اَقْصِيْهِ حَتَّى لَا يَسِيْلُ اسْتِمَاعُهُ جَفْنِيَا
بَلْ وَحَتَّى الْجِذَاءُ يَأْخُذُ مِنِّي مَاخُذَ الْحُزْنِ مُهْمَلًا قَصِيَا

(١) «حصاد الدمع» ص ١٠٦ .

(٢) دوم : دار حول نفسه : ومنه الدَّوَامَةُ .

(٣) تنسب : من النسيب «الغزل» .

(٤) «حصاد الدمع» ص ٦١ .

قَدْ تَبَدَّلْتُ غَيْرَ سَكْنَائِي حَتَّى أَسْكَيْتِ الذُّكْرِيَّاتِ عَنِّي مَلِيًّا
 فَإِذَا الذُّكْرِيَّاتُ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ فَمَهْمَا ارْتَحَلْتُ ثَارَتْ فِيَّ
 مَنَزِلِي غَيْرُ مَنَزِلِ الْأَمْسِ لَكِنْ مَا شَقَانِي تَغْيِيرُهُ دَاخِلِيًّا
 لَيْسَ سِوَى سَنَا مُحِبَّاكِ يَجْلُو ظُلْمَةَ الْبَيْتِ، مَا أَعَزَّ الْمُحِبَّاءَ

لِمَ يَا حِمَامُ^(١)

لِمَ يَا حِمَامُ هَصَرْتَ غُضْنَ شَبَابِهَا
 وَلَهُ زُهُورٌ غَضَّةٌ وَثَمَارُ؟
 أَوْصِرْتَ تَهْوَى الْحُسْنَ؟ تِلْكَ قَضِيَّةٌ
 نَهَضَ الدَّلِيلُ بِهَا فَلَا إِنْكَارُ
 دَعْ عَنْكَ نَاطِرَةَ الْغُصُونِ تَظَلَّلْنَا
 وَخُذِ الدَّوَابِلَ إِنَّهُنَّ كِمَارُ
 لَمْ تَعْتَمِدْهَا بَلْ أَرَدْتَ نِكَائِي
 عَجَبًا وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَارُ

هَلْ لِلْكَوَكِبِ بِالتُّرَابِ مَدَارُ؟
 يَا أُخْتَ ضَاحِكَةِ الْوُرُودِ أَهْكَذَا
 لِرُبِّي الْفَرَادِيسِ تَنْتَمِي الْأَزْهَارُ؟
 إِنْ كَانَ مِنْ عَبَقِي يُشْمُ لَدَى الرَّبِّي
 فَلَذِيكَ مِنْهُ الْجَوْهَرُ الْمِعْطَارُ

(١) «حصاد الدمع» والمقاطع التالية من قصيدة «أكباد اطفالى» ص ١٦ وما بعدها.

تَمَّائِلِينَ مَعَ النَّصَارَةِ دَوْحَةً
زَهْرَاءَ فَضَضَ نَاجَهَا النُّوَارُ
مَرَأَى، وَظِلُّ سَابِغٍ وَقَوَاكِيهِ
أَوْكُلُ هَذَا تَحْمِلُ الْأَشْجَارُ؟
يَا أُخْتِ نَيْرَةِ السَّمَاءِ وَضَاءَةً
هَلْ لِلْكَوَائِبِ بِالثَّرَابِ مَدَارُ؟

أَرَأَيْتِ؟^(١)

أَرَأَيْتِ كَيْفَ تَصِيرُ تَغْزِيَةَ الْوَرَى
نَغْرَاتِ جُرْحِ هَاجَةٍ تَذْكَارُ
أَنْظَرْتِ مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ هُنَيْهَةً
فَرَأَيْتِ صَرْخَ سَعَادَتِي يَنْهَارُ
قَدْ كُنْتُ رَاصِدَةً خُطَايَ فَهَلْ تُرَى
بَلَّغْتُكَ عَنِّي فِي الَّذِي... الْأَخْبَارُ؟
الْمَحْتِ سَيْرِي فِي الشُّوَارِعِ هَائِمًا
خَيْرَانَ لَا جَلْدَ وَلَا اسْتِقْرَارُ
أَخْشَى اضْطِدَامًا فِي الطَّرِيقِ تُتِيحُهُ
سَيَّارَةً أَوْ حُفْرَةً وَجِدَارُ
أَجْفُو الْأَنَامَ تَفَرُّدًا بِكَابَتِي
فَلِذَا اضْطَرَرْتُ فَوْخِشَةً وَنِفَارُ

(١) «حماد اللمع» ص ٢٣.

وَأَنَا الضَّعِيفُ فَمَنْ يُعِينُ كُھُولَتْنِي
بِشَبَابِهِ إِنْ حَاقَتْ الْأَخْطَارُ

أَيْنَ مَكَانُهَا فَيُزَارُ^(١)

مَنْ ذَا أَوَاجِهِ إِذْ أَبَادِرُ عُرْفَتَيْنِ؟	«لَا أَنْتَ أَنْتِ وَلَا الدَّيَّارُ دِيَارُ» ^(٢)
أَتَمَثِّلُ الْأَطْفَالَ فِي حَسَرَاتِهِمْ	فَأَفِرُّ إِذْ لَا يُسْتَحَبُّ فِرَارُ
كُلُّ يُسِرُّ شُجُونَهُ مُتَحَرِّقًا	كَمَدًا، وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ سِرَارُ
أُبْدِي التَّصَبُّرَ بَيْنَ أَطْفَالِي لَكِنِ	يَنْسُوا وَمَا أَنَا بَيْنَهُمْ صَبَّارُ
وَأَرَى دُمُوعَهُمْ تَفِيضُ فَتَقْتَدِي	عَيْنِي بِهِمْ وَيَسُوقُنِي التِّيَّارُ
وَإِذَا الْكَبِيرُ بَكَى بِمَشْهَدِهِمْ فَقَدْ	قَامَتْ لِذَمِّ صِغَارِهِ الْأَعْذَارُ
وَتَجِيءُ «غَادَةُ» وَهِيَ ذَاتُ ثَلَاثَةِ	وَلَهَا كَرَبَّاتِ الْحِجَا اسْتِفْسَارُ
فَتَقُولُ: أُمِّي يَا أَبِي قَدْ أَبْطَأَتْ	بِاللَّهِ أَيْنَ مَكَانُهَا فَيُزَارُ؟
حَلَّ الْمَسَاءِ وَمَرَقْدِي بِجَوَارِهَا	أَأَبِيتُ وَخَدِي مَا لَدَيَّ جَوَارُ؟
لَمْ تَذِرْ مَا حَجَمُ الْمُصِيبَةِ وَنَحَهَا	وَأَنَا بِهَا أَذْرِي فَكُلِّي نَارُ

(١) «حصاد الدمع» ص ١٩.

(٢) هذا الشطر مُضْمَنٌ مِنْ بَيْتِ لَأَبِي تَمَامٍ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهِ أَبَا سَعِيدٍ الثُّغْرِي، ومطلعها:

لَا أَنْتَ أَنْتِ وَلَا الدَّيَّارُ دِيَارُ
خَفَّ الْهَوَى وَتَوَلَّى الْأَوْطَارُ

«ديوان أبي تمام» شرح التبريزي المجلد الثاني ص ١٦٦.

خليفة الغزواني

(١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م = ١٩١٤ - ١٩١٥ م)

خليفة إدريس حسين الغزواني شاعر تونسي ولد في مدينة «درنة» بتونس وعاش في القاهرة حيث درس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

أَبَكَتِ الرَّجُلَ النَّيْلَا^(١)

نَحْيِيكَ مَا شَفَى صَدْرًا عَلِيْلَا	وَدَمْعُكَ زَادَ حُرْقَتَهُ عَلِيْلَا
إِذَا الْعَيْنَانِ جَاوَرَتَا أَشْمَا	دُمُوعُهُمَا عَدَتْ خَطْبًا جَلِيْلَا
وَأَقْبَحَ بِالْحَوَادِثِ وَالرَّزَايَا	إِذَا هِيَ أَبَكَتِ الرَّجُلَ النَّيْلَا
إِذَا الْأَحْزَانُ ضَاقَ بِهَا فُؤَادُ	جَزُوعٌ تُسْكِنُ النَّفْسَ الْحَمُولَا
بِأَفْرَاحِ الْحَيَاةِ مَضَتْ وَخَلَّتْ	لِيَ الْأَحْزَانُ وَاللَّيْلَ الطَّوِيلَا
كَأَنَّ نُجُومَهُ بِالْقُطْبِ لَادَتْ	مُرُوءَةً فَلَا تَنْوِي الْأَقُولَا
شَوَاحِصَ فِي بَهِيمِ اللَّيْلِ حَطَّتْ	عَلَيَّ حُشُودَهَا هَمًّا ثَقِيلَا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

عِصَامُ الْعَطَّار

(١٣٤٦ هـ - ١٩٩٩ = ١٩٢٧ م - ١٩٩٩)

سياسي وداعية إسلامي سوري والمراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في سورية.

وُلِدَ في مدينة دمشق، ودرّس علوم الدين والتاريخ والأدب والفلسفة في المعهد العربي وبعض المعاهد والمدارس الخاصة في دمشق.

انتخب سنة ١٩٦٢ م مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في سورية. غادر سورية ١٩٦٤ م واضطّر إلى السفر إلى أوروبا حيث أصابه شللٌ نصفي سنة ١٩٦٨، فتخلّى عن جميع مسؤولياته وارتباطاته الحركية والتنظيمية.

تعرض لمحاولة اغتيال في مدينة «آخن» الألمانية في ١٧/٠٣/١٩٨١ م ذهبت ضحيتها زوجته «بنان علي الطنطاوي» التي يرثيها بهذه القصيدة من ديوانه الوحيد «رحيل»

رثاء بنان^(١)

«بَنَانُ» يَا جَبْهَةَ الْإِسْلَامِ دَائِمَةً
مَا زَالَ جُرْحُكَ فِي قَلْبِي نَزِيفَ دَمٍ

(١) مقطع من قصيدة «رحيل» الدّار الإسلامية للإعلام/ بون، ١٩٨٥ م.

«بَنَانُ» يَا صُورَةَ الْإِخْلَاصِ رَائِعَةً
 وَيَا مِثَالَ الْفِدَى وَالنُّبْلِ وَالْكَرَمِ
 «بَنَانُ» يَا مُقْلَةً لِلْبِرِّ سَاهِرَةً
 لِأَبْوُسِ النَّاسِ قَدْ نَامُوا وَلَمْ تَنَمْ
 «بَنَانُ» يَا مُنْتَهَى الْإِيثَارِ مَا شَهِدَ
 الْإِيثَارُ مِثْلَكَ فِي خَفْضٍ وَلَا عُدْمِ
 تَبْكِيْنٍ مِنْ رَحْمَةٍ بِالْخَلْقِ خَالِصَةٍ
 وَمَا بَكَيْتَ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْوَصَمِ^(١)
 «بَنَانُ» يَا أَنْسَ أَيَّامِي الَّتِي انْصَرَمَتْ
 وَلَيْسَ يَوْمُكَ فِي قَلْبِي بِمُنْصَرِمِ
 وَيَا رَفِيقَةَ دَرْبِي وَالْذُّنَا ظَلَمَ
 نَشَقُّ دَرْبَ الْهُدَى فِي حَالِكَ الظُّلَمِ
 وَيَا ثَبَاتَ فُؤَادِي فِي زَلَايِلِهِ
 وَيَلْسَمَ الْجُرْحِ فِي نَفْسٍ وَفِي أَدَمِ^(٢)
 وَيَا وَقَائِي إِذَا مَا كُنْتُ فِي خَطَرِ
 وَيَا يَمِينِي وَيَا سَيْفِي وَيَا قَلَمِي
 يَا وَاحَةَ الْأَمْنِ فِي ظِلِّ الْوَفَاءِ وَيَا
 نَبْعَ الْحَنَانِ وَبَرْدَ السَّلْسَلِ الشَّيْمِ^(٣)

(١) الْوَصَمُ : الْأَلَمُ وَالْمَرَضُ .

(٢) الْأَدَمُ : الْجِلْدُ .

(٣) الشَّيْمُ : الْبَارِدُ .

يَا بَهْجَةَ الْحُبِّ يَا نِعْمَاهُ فِي كَيْدِي
وَزَهْرَةَ الْحُلُوِّ فِي كُوْخٍ وَفِي أُطْمٍ ^(١)
وَيَا جَنَاحِي إِذَا حَلَقْتُ مُنْطَلِقاً
يَسْمُو بِنَا الْعَزْمُ فَوْقَ النَّجْمِ وَالسُّدْمِ
فَارَقْتُ فِي صُحْبَتِي الْإِيَّامَ وَادِعةً
وَأَمِنَ الْعَيْشِ فِي رَفْوٍ وَفِي رَحِمٍ ^(٢)
عِشْنَا شَرِيدَيْنِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ
مَلَا حِمَاً مِنْ صِرَاعِ النُّورِ وَالْقَتَمِ
الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِلْبٍ فِي خُصُومَتِنَا
أَنْى اتَّجَهْنَا وَرَأْيٍ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ ^(٣)
الْكَيْدُ يَرْضِدُنَا فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ
وَالْمَوْتُ يَرْقُبُنَا فِي كُلِّ مُفْتَحَمٍ
وَالْجُرْحُ فِي الصَّدْرِ مِنْ أَعْدَائِنَا نَقْدُ
وَالْجُرْحُ فِي الظَّهْرِ مِنْ صُدُقَانِنَا الْقُدَمِ ^(٤)
وَمُذْنَفُ الْجِسْمِ فِي تَرْحَالِنَا مِرْقُ
عَلَى الطَّرِيقِ وَالْوَانُ مِنَ السَّقَمِ ^(٥)

(١) الأطم : القصر.

(٢) الرِّفْه : طيب العيش ولينه . والرَّحِم : الأهل والقرابة.

(٣) الإلب : القوم تجمعهم عداوة واحدة.

(٤) النَّقْد : الحَرْق ، يقال : طعنة لها نَقْدٌ ، أي نافذة . صُدُقَان : جمع صديق.

(٥) مُذْنَفُ الجسم : الجسم الذي أنقله المرض ولازمه.

حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى دَرْبِ الْجِهَادِ ، وَقَدْ
عَزَّ النَّصِيرُ ، بِلا شَكْوَى وَلَا نَدَمِ
صَرِيحَةً بِرِصَاصِ الْعَذْرِ ، خَالِدَةً
فِي مِسْمَعِ الدَّهْرِ ، تَرْتِيلًا بِكُلِّ قَمِ
وَيْتُ وَخِذِي عَلَى الدَّرْبِ الْعَتِيدِ ، وَقَدْ
غَابَ الرَّفِيقُ ، بِجُرْحِ غَيْرِ مُلْتَمِ

عَبْدُ الْكَرِيمِ كَاصِدُ

(١٣٦٥ هـ - ١٩٩٩ م = ١٩٤٦ م)

شاعرٌ ومترجم عراقي ولد في البصرة، حصل على ليسانس في الفلسفة من جامعة دمشق سنة ١٩٦٧، وعلى الماجستير في الترجمة من جامعة ويستمنستر - لندن سنة ١٩٩٣، ويكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة نورث لندن سنة ١٩٩٥.

عمل مدرساً لعلم النفس واللغة العربية في العراق والجزائر، وفي عام ١٩٧٨ غادر العراق إلى الكويت هارباً عبر الصحراء على جمل، ثم إلى عدن حيث عمل محرراً في مجلة الثقافة اليمنية، وفي نهاية ١٩٨٠ رحل إلى سورية ثم إلى لندن أواخر ١٩٩٠ حيث يقيم حالياً.

دواوينه الشعرية المنشورة: «الحقائب» و«النقر على أبواب الطفولة» و«الشاهدة» و«وردة البيكاجي» و«نزهة الآلام» و«سراباد» و«دقات لا يبلغها الضوء» و«قفا نبك» و«زهريّات»

ومن ترجماته: «كلمات» لجاك بريفيير و«أنا باز» لسان جون بيرس و«قصاصات» ليانيس ريتسوس و«نكهة الجبل» لسانتيوكا و«عن الملائكة» لرفايل البرتي.

وعن موت زوجته «حدام» كتب في مقدمة ديوانه الذي يحمل العنوان اسمها^(١):

(١) ديوان «حدام» قصائد في مراثية زوجته الراحلة، وقد زودني الصديق الشاعر عبد الكريم كاصد، بنسخة من الديوان معدة للطبع. وهذه المختارات منها.

«مررنا أنا وحذام ببلدان عديدة ينقصها الدواء فلم يحدث لها ما يفزعني، على قلقي وتوجسي الدائمين. كنت أتطلع حولي وأقيس المسافة بين أقدارٍ محتملة، ووطنٍ بعيد وأدفع الموت بيديّ... ودفعته، فهل كانت نجاتها آنذاك خطأ؟ وحين وصلنا إلى هذه البلاد «لندن» خفت هاجسي واطمأن ما كان يختلج في خاطري وخاطرها، ونسيت أن الخطأ قد يكون معياراً، والمعيار خطأ وأسلمتُ أو أسلمتُ روحها وجسدها إلى مشارط الطبِّ، ونجت ثانية، بعد أن توقّف قلبها دقائق، وحين عادت إلى البيت ما كنتُ أحسب أبداً أنها ستفارقني، وفارقتني وما كان ذلك بسبب قلبٍ ضعيف عاد ينبض ثانية، بل بسبب خطأ بسيط... خطأ في المعيار... معيار دوائها الذي تتعاطاه إثر كلِّ فحص دم...»

مرّة قال لي الطبيب إنها ستعيش عشرين سنةً قادمةً أو أكثر، وأنا الآن لا أريدها إلّا لحظةً.. لحظةً واحدةً، لا لتبكي عليّ، بل لأتحسّسها، لأشتمّها، لأعرف أنّ الموتَ زائل كالحياة، وأنّ منْ عشتُ معها جلّ سنوات حياتي ليست ظلاً بل من لحمٍ ودم.. لأعرف أنّ نصفَ جسدي القابع هناك في حفرةٍ مظلمةٍ محضّ وهم، ولكن هيهات! هيهات! ما أبعدني! ما أبعدني! وقد تساوت اللحظة والسنوات في زمنٍ لا يمرّ.

رَجِلُ الْأَمِيرَةِ

كُلُّ شَيْءٍ هُنَا

يَتَلَفَّتُ:

شَمْسُكَ

وَاللَّيْلُ يَنْشَقُّ عَنْ قَمَرٍ

وَالنَّهَارُ
وَتِلْكَ السُّهُوبُ الْبَعِيدَةُ
«جَيْنُ تُطْلَيْنِ»
وَالطَّيْرُ يَبْكِي
وَنَافِذَةٌ تُغْلِقُ الْآنَ
وَالصَّمْتُ يُطْبِقُ
وَالْعَرَبَاتُ تَمُرُّ
وَبَوَابُهُ فُتِحَتْ
لِلْأَمِيرَةِ
بَوَابُهُ أُغْلِقَتْ
لِلْأَمِيرَةِ
بَوَابُهُ
لِلرَّجُلِ

أَزْهَارُ

بِالْأَمْسِ
أَتَيْتُ
وَكُنْتُ وَجِيدًا
أَنْتَظِعُ فِي الْقَبْرِ
حَمَلْتُ الْأَزْهَارَ إِلَيَّ
وَقُلْتُ:
«كَفَى حُزْنًا»

ثُمَّ تَرَكْتَنِي

أَتَلَفْتُ

لَا أَذِرِي مَاذَا أَفْعَلُ بِالْأَزْهَارِ؟

صَيْفٌ

جَمِيلٌ هُوَ الصَّيْفُ

عَيْنَاكَ بُيُوتَانِ وَشَعْرُكَ أَسْوَدُ

وَحُمْرَاءُ

حُمْرَاءُ

وَرَدَّتْكَ الْعَابِرَةُ

لُغْبَةٌ

لِنِذَا اللُّغْبَةِ يَا حَبِيبِي

أَنْتِ أَنَا

وَأَنَا أَنْتِ

سَأَضَعُ الْأَزْهَارَ عَلَى قَبْرِكَ

وَتَضَعِينَ الْأَزْهَارَ عَلَى قَبْرِي

سَأَدْخُلُ بَوَابَةَ اللَّيْلِ

وَتَدْخُلِينَ بَوَابَةَ النَّهَارِ

وَنَلْتَقِيَ هُنَاكَ

لَا يَعْرِفُ أَحَدُنَا الْآخَرَ

سَتَقُولِينَ: أَنْتِ أَنَا

وَأَقُولُ: أَنَا أَنْتِ
وَنَضْحَكُ كَمَا لَأَطْفَالُ.

ظِلٌّ

جِئْنَا اجْتَرْنَا الْغَابَةَ مَسْرُورَيْنِ
وَلَاخَ الدَّرْبِ طَوِيلًا
أَبْيَضَ
إِلَّا مِنْ ظِلٍّ أَسْوَدَ مُرٍّ
تَبَهَّلْتُ وَقُلْتُ:
«أَلَا تُبْصِرُ ذَاكَ الطَّائِرَ؟»
ثُمَّ أَشْرْتُ إِلَى شَاهِدَةٍ لَمْ أَرَهَا
كَانَ الدَّرْبُ طَوِيلًا
وَالْغَابَةُ نَائِيَةً
وَالظِّلُّ هُنَاكَ
وَلَا أَحَدٌ إِلَّا يَ بِهِذَا الدَّرْبِ
لَقَدْ كُنْتُ وَجِيدًا

فَضَاءٌ

هَآ أَنَا الْآنَ
أَنْتِ إِلَيْكَ ...
وَقَدْ مَرَّ عَامَانِ
بَابٌ وَلَا يَبْتَ

وَالْأَرْضُ
لَا أَرْضَ أَبْصُرُ
وَالرَّيْحُ دُونِي تَمُرُّ
وَهَذِي الْمَسَافَاتُ حَوْلِي مُظْلِمَةٌ
وَلَا مِعَةٌ بِالْكَوَاعِبِ
أَيْنَ تُرَانِي تَعَلَّقْتُ؟
أَيْنَ؟
بَأَيِّ فَرَاغٍ؟
أَبَابٌ وَلَا يَتَّ خَلْفَهُ
أَطْرَفُهُ
وَاقِفًا
فِي فُضَاءٍ عَجِيبٍ؟

حُلْمٌ كُلُّ مَا مَرَّ

حُلْمٌ كُلُّ مَا مَرَّ
وَجْهَكَ يَحْجُبُهُ كَفَنٌ
وَقَفْتِي عِنْدَ ذَاكَ الْجِدَارِ
أَنْتَظَارِي وَسَطَ الْمُصَلِّينَ
طِفْلَايَ حَوْلِي مِثْلَ جَنَاحَيْنِ
تَابُوتِكَ الْخَشَبِيُّ
الْمَعَاوِلُ وَهِيَ تَدُقُّ بِصُدْغَيَّ
وَالصَّنْتُ يَقْطَعُهُ الْقَارِيءُ الْمَغْرِبِيُّ

وَقَبْرُكَ
يَرْمِقُنِي صَامِتًا
وَالْأَزَاهِيرُ: «أَمَاهُ»
وَالنَّاسُ يَلْتَفِتُونَ إِلَيَّ وَيَمْضُونَ
وَجْهَكَ ثَانِيَةً
وَهُوَ يَطْلُعُ لِي فَجَاءَ
حُلْمٌ كُلُّ مَا مَرَّ
أَوْ مَا يَمُرُّ

كُلُّ شَيْءٍ عَلَى حَالِهِ

كُلُّ شَيْءٍ عَلَى حَالِهِ
مُذْ رَحَلْتِ
الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ
أَسْوَاقُهَا وَالضَّجِيجُ
كَأَنَّكَ مَا كُنْتَ يَوْمًا هُنَا
تَذَرِعِينَ الشَّوَارِعَ
مَشْغُوفَةً بِالْمَدِينَةِ وَالنَّاسِ
مَا كُنْتَ يَوْمًا
وَلَا كُنْتُ يَوْمًا

متاهة

أَيْنَا أَنْزَلُوهُ إِلَى الْقَبْرِ

وَاجْتَارَ تِلْكَ الْمَتَاعَةَ!

مَا لَيْلُهَا؟

مَا النَّهَارُ؟

وَمَا النَّاسُ؟ مَوْتَنِي؟

أَمْ النَّاسُ أَحْيَاءُ؟

وَالْقَبْرُ يَتُّكَ؟ أَمْ يَتِّي الْقَبْرُ؟

وَسَطَ الْبُيُوتِ الْمَقَابِرُ

مَنْ يَقِفُ الْآنَ؟

أَنْتِ؟

أَنَا؟

أَمْ تَرَانَا عَبْرَنَا حُدُودَ الْمَكَانِ؟

شَبَّحَ

أَوْدَعْتُهَا أَرْضًا وَالْمَنِي	إِلَّا يَكُونُ بِأَرْضِهَا أَحَدُ
أَمْسِي غَدٌ أَرْجُوهُ أَيْنَ أَنَا	مِمَّا رَجَوْتُ؟ وَأَيْنَ؟ أَيْنَ غَدُ
عُشْرُونَ لَا نَجْمِي بِهَا نَكِدُ	أَبَدًا وَلَا أَيَّامُهَا نَكِدُ
عَابَتْ وَمَا أَنَا خَلْفَهَا رَصْدُ	طَالَ الْمَسِيرُ وَغُيِبَ الرِّصْدُ
بِفَتْادُنِي شَبَّحِي فَاتَّبَعُهُ	يَذْنُو وَيَبْعُدُ، ضَاعَ مَا أَجِدُ

يَاسِينَ رَفَاعِيَّة

(١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م = ١٩١٢ - ١٩١٣ م)

روائي وقاص وشاعر سوري، ولد في «حي العقبة» بدمشق القديمة، تلقى تعليمه في دمشق، وعمل خبازاً وعاملاً في مصنع للنسيج وصحفيًا ومحرراً أدبياً، وسكرتير تحرير وفي مجلة المعرفة «١٩٦١-١٩٦٥»، وفي الصحافة العربية في لندن. ثم انتقل إلى بيروت. من مؤلفاته: «الحزن في كل مكان- قصص» و«لغة الحب- شعر» و«الممر- رواية» و«أنت الحبيبة وأنا العاشق- شعر» و«الرجال الخطرون- قصص» و«مصرع الماس- رواية» و«دماء بالألوان- رواية» و«رأس بيروت- رواية» و«كل لقاء بك وداع - شعر» و«أحبك وبالعكس أحبك- شعر» و«أسرار النرجس-رواية» وديوان «كانك الخيط في الثوب» في رثاء زوجته أمل الجراح^(١).

وزوجته «أمل الجراح» شاعرة سورية، من مواليد بلدة مرجعيون اللبنانية الجنوبية ١٩٤٥، لأسرة دمشقية كانت مقيمة في لبنان، تزوجت من ياسين رفاعية عام ١٩٦٧، وانتقلا إلى العاصمة اللبنانية لقيما فيها، وخلال الحرب الأهلية انتقلا إلى لندن ليعودا لاحقاً إلى بيروت. من دواوينها الشعرية: «رسائل امرأة دمشقية» و«صاح عندليب في غابة»

(١) «كانك الخيط في الثوب» ياسين رفاعية / دار نلسن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨. ومنه هذه المراثيات المختارة.

«صفصافة تكتب اسمها» و«امراة من شمع وشمس وقمر» و«بكاء كأنه البحر».

فارقت الحياة في بيروت بعد صراع مع المرض في ٦ فبراير ٢٠٠٤.

وصدر بعد رحيلها بعام كتاب حمل عنوان «أمل جراح أميرة الحزن والكبرياء» حمل معظم ماكتب عنها بعد رحيلها ومختارات من مجموعاتها الشعرية الخمس.

حَصَاةٌ فِي الْقَاعِ

أَجْتُوْ عَلَى قَبْرِكَ

دُونَ وَقْتِ

دُونَ زَمَانٍ وَمَكَانٍ

أَجْتُوْ صَامِتًا يَا بَسًا

مُبَلَّلًا بِالْأَخْزَانِ.

كُنْتُ سِرًّا جَمِينًا

كُنْتُ طَيْرًا

وَكُنْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ

مَلِيئًا بِمَوَاعِيدِكَ السَّخِيَّةِ

فَمَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ؟

الآن.. أَنَا حَجَرٌ مَنِيءٌ

مَتَنَائِرُ أَشْلَاءِ

حَصَاةٌ مَرْمِيَّةٌ فِي الْقَاعِ

وَحُشٌّ تَائِهٌ فِي الدُّرُوبِ
كُلُّ يَوْمٍ أَسْتَيْقِظُ، مُتَلَفِّتًا هُنَا وَهُنَاكَ
لَا أَسْمَعُ مَنَسَ دَعْوَتِكَ إِلَى الْقَهْوَةِ
عَلَى الشَّرْقَةِ الْعَالِيَةِ
أَنْهَضُ
وَلَا تَتَرَقُّ بِي الْحَيَاةُ.

كُنْتُ قُوَّتِي وَصُمُودِي
كُنْتُ أَزْهُوَ بِكَ كَالْجِبَالِ الْخَضِرَاءِ
كُنْتُ الْأُلْفَةَ وَالنَّفْسَ الْهَنِيئَةَ.
وَكُنْتُ مَحْظُوظًا بِكَ
مِنَ الْخَوْفِ وَالْيَأْسِ.

بِرَجِيلِكَ أَضْبَحْتُ مَكْشُوفًا
مَخْشُوفًا بِالْمَخَاطِرِ
وَلَا يَدُ
تَرُدُّ عَنِّي الطَّلَقَةَ الْأَخِيرَةَ.

فِي هَذَا الْغِيَابِ

«أَمَلُ جَرَّاحٍ»
أَنْحَنِي أَمَامَ مَقَامِكَ الْمُقَدَّسِ
فِي ظِلَالِ اللَّيْلِ وَسَوَادِ الْإِنْكَسَارِ

أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَاقِبَةُ بِرَائِحَةِ الْيَاسَمِينِ
وَاجْتِمَالِ لَحْظَةِ الشُّكُونِ.

أَتَدَّعَى أَمَامَ مَقَامِكَ الرَّخَامِيِّ
كَمَا يَتَدَّعَى مَحْكُومٌ بِالْإِعْدَامِ
أَمَامَ الْمُفْصَلَةِ.

هَكَذَا بَاعَدَ بَيْنَنَا الْقَدَرُ
يَسْخَرُ مِنَّا بِمَوْتٍ يَضْطَرُّ بِأَسْرَارِهِ وَيَتَعَقَّبُ أَوْهَامِي
بِأَنْيُنِ أَبْلَغَ مِنَ الشَّيْثِ.

فِي هَذَا الْغِيَابِ
قَلِيلٌ مِنَ الظِّلِّ قَلِيلٌ مِنَ النُّورِ
أُرْتَجِفُ كَشَحَاذٍ تَحْتَ الْمَطَرِ
وَلَا أَلْتَمِسُ إِلَّا الْخَوْفَ
مَاذَا أَخْبَنِي لَكَ عَنِ الْأُخْرَانِ
كُنْتُ الْبَهْجَةَ الْوَدِيعَةَ
وَالْخُبْزَ وَالْمِلْحَ وَالْمَاءَ
كُنْتُ التِّمَاعَ الطَّنْبَ فِي السَّمَاءِ.

أَيُّهَا الرَّاحِلَةُ
أَدَارِي جَمْرَ يَدَيَّ وَفَقْرِي وَحَاجَتِي

أَدَارِي اخْتِرَاقِي
وَتَكْسُرُ الرُّجَاجَ عَلَى أَصَابِعِي
مَائِلَةٌ خَطْوِي
مُبْعَثَةٌ فِي الطَّرَقَاتِ
حُمَى وَهَذْيَانُ
أَنَا الْغَيْبُوبَةُ الْمَعْجُونَةُ بِالْجُنُونِ
تَتَقَادُّنِي الْهَوَاجِسُ كَفَرَّاشَةٍ فِي الرِّيحِ
أَيْنَ نُورُكَ يُضِيءُ الْبَيْتَ؟
أَنْظُرِي كَالِكَلْسِ الْمُهْتَرِي عَلَى الْجُذُرَانِ
مُلْتَاعًا كَمَرَضٍ لَا شِفَاءَ مِنْهُ.

إِنِّي أَنْتَجِبُ حَتَّى الرَّمَقِ الْأَخِيرِ
يَرْتَجِفُ اسْمُكَ عَلَى شَفَتِي كَالنَّدَاءِ
فَمَا الَّذِي أَخْكِيهِ الْآنَ؟
عَنْ غُصَصِ الدَّمْعِ وَاخْتِنَاقِ الصَّوْتِ؟
يَا ذَاكِرَةَ السَّنِينِ
تَعْبُرُ النَّيَّارَ وَتَتَصَصَّرُ عَلَى الْعَنَاصِرِ
هَلْ أَنَا غَيْرُ الْمَجْنُونِ بِكَ؟
جُنُونُ الْعَاصِفَةِ فِي الْبَحَارِ
أَفْتَقِدُكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
أَنَا اللَّحْظَةُ عَيْنٌ مُظْلَمَةٌ بِأَحْزَانِهَا
مَا مِنْ يَدٍ

مَا مِنْ كَيْفٍ أَسْتَنْدُ إِلَيْهَا
يَتِيمٌ وَوَجِيدٌ
أُرْتَلُ سُورَةُ «الْإِخْلَاصِ» أَلْفَ مَرَّةٍ
لَعَلَّكَ تَنْهَضِينَ مِنْ نَوْمِكَ الْأَبَدِيِّ
وَتَأْتِينَ.

أَنَا مَوْتُ مُتَحَرِّكٌ
أَشْتَهِي، لَوْ يَرْقُدُ إِلَيَّ جَانِبُكَ
فَيَرْتَاحَ.

مُبَغْثٌ كَالْغُبَارِ

أَيْنَ تَرْسُو مَرَاجِبُكَ؟
لَسْتُ بَعْدُ مُقْتَنِعًا بِمَوْتِكَ
لَعَلَّكَ فِي جَزِيرَةٍ وَرَاءَ الْمُحِيطِ
لَعَلَّكَ فِي قَلْبِ وَرْدَةٍ أَوْ جَنَاحِ عُصْفُورٍ
وَأَنَا أَخِيَا عَلَى انْتِظَارِكَ
مُتَوَهِّجًا بِنُورِ عَيْنِكَ
أَخِيَا عَلَى قَصَائِدِكَ
أَخِيَا خِضْبَ حُضُورِكَ وَيَبَابَ غِيَابِكَ
أَخِيَا شَمْسَ إِظْلَالَتِكَ وَغُرُوبَ رَجَائِكَ
وَلَا تُظِلِّلْنِي مِنْ مَيَاجِ الْحَرِيقِ
إِلَّا لَمَسَهُ حَنَانٍ مِنْ يَدَيْكَ

وَمَا تَحْمِينِي مِنَ الصَّقِيعِ إِلَّا قُبْلَتُكَ
كَمْ يَوْمًا مَرَّ عَلَى رَجِيلِكَ؟
سَنَةٌ...؟ سَتَانِ... ثَلَاثٌ... أَرْبَعٌ.
لَا... الْبَارِحَةَ كُنْتُ هُنَا
فَمَا زَالَتْ رَائِحَةُ عِظْرِكَ تَمَلَأُ الْمَكَانَ
مَا زَالَ كُرْسِيِّكَ الْهَزَازُ
يَهْتَرُ
كَمَا لَوْ أَنَّكَ غَادَرْتَهُ مِنْذُ لَحْظَةٍ.

أَيُّهَا الْمُسَافِرَةُ فِي الْبَعِيدِ الْبَعِيدِ
كَانَتْ الْحَيَاةُ مُرْصَعَةً بِكَ كَالْجَوَاهِرِ

الآن

يَا لِهَذَا الصَّمْتِ الْجَارِحِ
يَرَوِي لَكَ نَهْرَ الْبُكَاءِ
أَيْنَ أَخْبَى أَجْنَحَتَيْنِ
وَأَيْنَ أَعْلَى ازْدِحَامِ الْحُزْنِ
فِي الْقَلْبِ وَالرُّوحِ؟

لا

هَذَا أَنْتِ هُنَا بِجَمَالِكَ الْأَسِيرِ
دَعِينِي أَنْخَاصِرُ مَعَ الذِّكْرِيَّاتِ

أَنَا مَلِكٌ طَوِيلًا طَوِيلًا طَوِيلًا
كَيْ أَتَنِيحَ أَنْتِ مَا زِلْتِ هُنَا
رُوحًا وَرُوحِيَا وَنُورًا لَا يَغِيبُ.

فِي غِيَابِكَ
كُلُّ الطَّرِيقِ تَضْطَفِقُ
بِأَجْنَحَةِ الْجُنُونِ
كُلُّ الْعَاصِفَةِ تَشِيدُ الْأَبَدِ
كَأَنَّ النَّارَ وَزْدَةُ الْمَاءِ
كَأَنَّ الشِّتَاءَ
هُوَ كُلُّ الْفُضُولِ
وَكَأَنَّ الْمَاءَ هُوَ الظُّلْمُ
فَأَيُّ مَصِيرٍ يَنْتَظِرُ وَرَاءَ النَّاصِيَةِ
هَذَا الْكَهْلَ الْحَزِينَ؟

تَعَالِي يَا حَبِيبَتِي
فَإِنِّي مُبْعَثٌ كَالْعُبَارِ
عَلَى الشَّبَائِكِ وَالْأَبْوَابِ
إِجْمَعِينِي مِنْ صَفَاءِ الذَّاكِرَةِ
فَأَنَا بَعْدَ رَجِيلِكَ
مُسْتَتْتٌ تَحْتَ الْكَوَاكِبِ

لَا تَعْرِفُ خُطَايَ أَئِنَّ تَقِفُ
وَلَا يَعْرِفُ جَسَدِي أَئِنَّ يَنَامُ.

أَنَا جُتَّةٌ تَمْشِي وَرَاءَ الْأَصْوَاتِ الْقَدِيمَةِ
كَهْفٌ مِنَ الْأَمَادِ وَوَحْشٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.
أَئِنَّ تَقِفُ نُجُومُ الْحُلُمِ؟
أَئِنَّ يَتَجَدَّرُ الشَّجَرُ؟
وَأَئِنَّ يُرْفَرُ الْأَخْضَرُ فِي الْبَرَارِيِّ؟
الْعَالَمُ فِي جَانِبٍ
وَأَنَا وَأَنْتَ فِي جَانِبٍ.

يَا لَهْفِي عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَاتِنَةُ
أَيُّهَا السَّيِّدَةُ الرَّاقِيَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
الْجَمِيلَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
يَا لَهْفَتِي إِلَى الْإِلْقَاءِ بِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ
كَمْ أَسْتَأْذِنُ لِعَيْنَيْكَ الْعَذْبَتَيْنِ
لِنَعِيمِ شَعْرِكَ وَعَسَلِ شَفَتَيْكَ
وَقُبْلَتِكَ الْعَذْرَاءِ جَمْرِ الْحَيْنِ
كَمْ أَسْتَأْذِنُ لِنَعَائِكَ الْجَمِيلِ
لِقَامَتِكَ سَنَابِلُ قَمْحٍ فِي الرِّيحِ
لِإِعْفَاءِ قَصِيرَةٍ عَلَى سَاعِدِكَ الطَّرِيقِ مِنْ عَنَاءِ السُّنَنِ

الآن تكسرني العاصفة
ويبددني الهشيم
فأين يدك؟
أين يدك؟

جَمَالُ عَبْدِ الْجَبَّارِ عُلُوش

(١٣٧٦ هـ - ١٩٩٤ = ١٩٥٧ م = ١٣٩٤)

شاعر سوري، ولد في دير الزور، عمل في التعليم والصحافة، له كتابات في أدب الطفل، هذه المختارات، من ديوانه: «أوراق»^(١) في رثاء زوجته «ليلى»

من مراثي ليلى العامرية
«إلى ليلى شاهين.. قمرى الذى هوى»
سلام

سَلاماً شَذا المَوْتِ
أَفْلا بِعَاطِرٍ مَا يُظْلَعُ الرَّمْلُ
مِنْ مَسْهَسَاتِ الْغِيَابِ
وَمِنْ فَرَحٍ طَافِحٍ بِالْبُكَاءِ
سَلاماً لَأَنْفَاسِ أَنْثَى
تَسَاقُطُ فَوْقَ دَمِ
الْوَقْتِ
مَسْكُونَةٍ - رَغَمَ قَسْوَةِ

(١) ديوان «أوراق» جمال عبد الجبار علوش منشورات إتحاد الكتاب العرب
بدمشق / ١٩٩٨.

سَيْفِ الرَّدَى-
بِاشْتِمَالِ الْبَقَاءِ
سَلَاماً لِلَّيْلِ
لِنَظَرِهَا
لِلْأَمَاسِيِّ الشَّهِيَّةِ
لِلْمُعْتَفَوَانِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
يُسَكِّرُ الْقَلْبَ
يَمْنَحُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِضَاءً
لِيَرْقَى إِلَى سِدْرَةِ الْقَوْلِ
مُتَّحِداً
بِاخْتِمَالِ الْغِنَاءِ!

وَلَيْلَى مُنْهَرَةٌ الْأَخْلَامِ
سَيِّدَةُ الْكَلَامِ الْحُلِيِّ
فَاتِحَةُ الشَّدَا
لَمْ تَذَرِ مَقْتَلَهَا
وَلَمْ تَحْفَلِ- وَمُنْذُ تَرَبَّصْتَ كَفْتُ
الرَّدَى-

بِالْخَوْفِ
كَأَنْتِ تَرْتَدِي الْقَوْصَى
وَتَرْكُضُ فِي بَرَارِي مَجْدِيهَا
الْمَجْدُولِ مِنْ أَلَى التَّحْمِلِ

لَمْ تَبْخِ بِالْأَوْ
لَمْ تَقْرَأِ سِوَى الْأَقْمَارِ
دَافِنَةٌ تُلَوِّحُ أَوْ تَعْمِلُ
لَيْلَى الْغَزَالَةُ
كُنْتُ أَرْقُبُهَا
وَأُخْدِسُ مَا يَجِيشُ
مِنَ التَّوَجُّسِ فِي أَسَى الْعَيْنَيْنِ
حِينَ دَنَا - عَلَى قَلْبِي -
مِنَ الْفَرَحِ الرَّحِيلُ
لَيْلَى الْقَتِيلَةُ
لَمْ تُرَاوِدْ غَيْرَ غُرْبَتِهَا
لِتَضَعَدَ
اِخْتَكَمَتْ لِقَاتِلِهَا
وَقَاتِلُهَا قَتِيلُا

الْعُرْسُ:

إِلَى لَيْلِهَا
زُفَّتِ الْآنَ لَيْلَى
وَمَاسَتْ بِزَيْنَتِهَا اللَّيْلَكِيَّةِ
شَفَّتْ لِتَعْدُو أَدْنَى وَأَدْنَى
مِنَ اللَّهِ

بَاحَثْ

فَرَفَّ الْحَمَامُ الْبَهِيُّ
وَوَظَّلَهَا بِشَهِيٍّ الْغَمَامُ
إِلَى لَيْلِهَا تُخْلِدُ الْآنَ
أَيَّ ابْتِهَالٍ سَتُنَدِينِي
لَسْمُو طَقْسُ الْغِيَابِ
وَيَمْتَدَّ عَذْبًا
إِلَى آخِرِ الْمُشْتَهَى
مِنْ لَذِيذِ الْحِمَامِ
وَفِي لَيْلِهَا تَسْبَحُ الْآنَ
نَهْرُ ابْتِهَالٍ يَسِيلُ عَلَى مَدِّ
نَظَرَتِهَا دَافِقًا
وَيَسِيلُ مِنَ الْمُقْلَتَيْنِ
بَهِيًّا - مَعَ الصَّمْتِ -
دَمْعُ الْكَلَامِ!

المكاشفة:

أَنَادِي عَلَى وَرْدَتِي
الْغَايَةِ
أَعْلَقُ قَلْبِي عَلَى حَبْلِ ذِكْرِي
وَأَضْرُخُ:

يَا امْرَأَةَ النَّهْرِ
يَا لُغْتِي الدَّائِيَةَ
تَعَالِي
لِنَضْطَادَ حُزْنًا
جَدِيدًا
وَنَفْتَحَ بَابَ الْأَغَانِي
لِنَهْطَلْ أَوْرَاقُهَا فِي
دَمِينَا
تَعَالِي
لِنَبْدَأَ مَوْتًا
وَنَشْرَبَ مَوْتًا
وَنَقْتَاتَ مَوْتًا
وَنَبْنِي مِنَ الْمَوْتِ
مَوْتًا
وَنَضْعَدَ مِثْلَ الصُّغَارِ
إِلَى حُلْمِنَا فِي ذُرَا
الْوَهْمِ
حَيْثُ سَعَادَتُنَا الْكَاذِبَةُ!

حَسَنُ الزُّهْرَانِي

(١٣٨١ هـ - ١٩٩٩ = ١٩٦١ م - ١٩٩٩)

شاعر سعودي من مواليد قرية «القسمة» بمنطقة الباحة في المملكة العربية السعودية.

له عدد من المجموعات شعرية منها:

«أنت الحب» «صدي الأشجان» و«ريشة من جناح الذل» و«قطاف الشغاف».

توفيت زوجته بعد عامين من زواجهما وتركت له طفلة اسمها «الجين» بعمر شهرين، وهو يستهل مراثيته لزوجته بمخاطبة تلك الطفلة، ويبنى قصيدته على حوارية مفترضة مع الطفلة اليتيمة.

الطُّفْلَةُ وَالْمَوْتُ^(١)

عَقَدَ الْأَسَى بِكَ يَا «لُجَيْنُ» لِسَانِي
فَسَكَبْتُ فِي سَمْعِ الْمُنَى أَخْزَانِي
كُفِّنِي «لُجَيْنُ» عَنِ الْبُكَاءِ وَكَفِّفْنِي
دَمْعاً يُذِيبُ بَيَادِرَ الْكِثْمَانِ

(١) «صدي الأشجان»: حسن محمد حسن الزهراني «النادي الأدبي بالباحة

١٩٩٨، ص ٦٠.

قَطَّنْتُ قَلْبِي يَا «لَجِينُ» تَرْفُقِي
إِنَّ الَّذِي أَبْكَاكِ قَدْ أَبْكَانِي
فَأَنَا وَأَنْتِ حِكَايَةُ مَكْتُوبَةٍ
بِالدَّمْعِ فَوْقَ بَرَاعِمِ الْأَشْجَانِ
فَأَنَا يَتِيمٌ يَا يَتِيمَةٌ فَاْمَسَحِي
دَمْعِي، وَدَمْعُكَ يَحْتَوِيهِ بَنَانِي
سَلَّمْتُ أُمِّكَ يَا «لَجِينُ» بِرُقَّةٍ
قَلْبِي لِيَبْقَى رَائِعَ الْخَفَقَانِ
لَكِنَّهَا رَحَلَتْ لِتَشْرُكَ خَافِقِي
فَرْدًا يَذُوقُ مَرَارَةَ الْحِرْمَانِ
رَحَلَتْ فَكُلُّ سَعَادَتِي رَحَلَتْ وَلَمْ
يَمُضْ عَلَى فَجْرِ الْهَوَى عَامَانِ
إِنِّي فَقَدْتُ كَمَا فَقَدْتُ حَبِيبَةً
فَأَنَا بِلا أَهْلٍ وَلَا خُلَّانِ
كَفُنْتُ أُمِّكَ يَا «لَجِينُ» فَلَيْتَنِي
بِجَوَارِحِهَا قَدْ كُنْتُ فِي الْأَكْفَانِ
وَوَضَعْتُ ظَاهِرَ خَدِّمَا فَوْقَ الشَّرَى
وَبَكَيْتُ حَتَّى جَفَّتِ الْعَيْنَانِ
وَعَلَا نَحِيبِي رَغَمَ زَجْرِ أَحِبَّتِي
وَوَدَدْتُ أَنِّي مَا بَرَحْتُ مَكَانِي

وَحَرَجْتُ مِنْ قَبْرِ الْحَبِيبَةِ تَارِكًا
قَلْبِي بِرِفْقَةٍ ذَلِكَ الْجُثْمَانِ
طَيِّبُهُ بِدُمُوعٍ عَيْنِي بَعْدَمَا
أَهْدَيْتُهُ غُضْنَآ مِنْ الرِّيحَانِ
وَوَضَعْتُ كَفِّي فَوْقَ وَجْهِي نَادِمًا
وَرَضَيْتُ حَكْمَ الْوَاحِدِ الدِّيَّانِ
وَحَزَنْتُ أَحْزَانَ الْقُودِ مَهَاجِرًا
بِمَوَاجِعِي بَخْشًا عَنِ السُّلْوَانِ
فَإِذَا بِوَجْهِكَ نَضَبَ عَيْنِي رَاسِمًا
أَمَلًا عَلَى بَسْوَابَةِ الْأَخْزَانِ
فَوَقَفْتُ أَقْرَاهُ وَأَسْأَلُ صَفْتَهُ
فَوَجَدْتُ فِي قَسَمَاتِهِ عُثْوَانِي
وَإِذَا بِدَمْعِكَ فَوْقَ خَدِّكَ ثَائِرًا
حُزْنًا يُهَاجِمُ مَوْجُهُ شُطَّائِنِي
وَتَقُولُ بِنُغْضٍ حُرُوفِهِ: لَا يَا أَبِي
حُزْنِي وَحُزْنُكَ لَيْسَ يَشْتَبِهَانِ
سَيَمُوتُ حُزْنُكَ يَا أَبِي أَمَّا أَنَا
سَيَظَلُّ حُزْنِي دَائِمَ السُّورَانِ
سَأَعِيشُ يَا أَبَتِي بِلَا أُمٍّ فَمَنْ
لِي؟ إِنَّ عُمْرِي يَا أَبِي شَهْرَانِ

مَنْ سَوَّفَ يُرْضِعُنِي وَيَمْسَحُ دَمْعَتِي
 وَيَضُمُّنِي فِي رِقَّةٍ وَحَنَانٍ؟
 وَإِذَا كَبُرْتُ فَكَمْ سُؤَالٍ حَائِرٍ
 سَيَمُوتُ - يَا أَبَتَاهُ - فَوْقَ لِسَانِي؟
 سَأَرَى رِفَاقِي يَحْتَوِي أَلَامَهُمْ
 عَظْفُ الْأُمُومَةِ صَادِقَ التَّحْنَانِ
 وَأَنَا أَرَى مَا قَدْ يَدُورُ وَأَذْمَعِي
 نَهْرَانٍ فِي الْخَدَّيْنِ يَسْتَبِقَانِ
 فَأَنَا بِلا أُمٍّ أَعِيشُ يَتِيمَةً
 تَجْرِي سُمُومُ الْحُزْنِ فِي وَجْدَانِي
 مَنْ ذَا سَيُنْسِي الْقَلْبَ أُمَّاً فَارَقَتْ
 صَفْرَ الْحَيَاةِ وَعَظْفُهَا يَغْشَانِي
 مَائَتْ وَرَأْسِي فَوْقَ سَاعِدِهَا فَمَنْ
 بَعْدَ الْحَبِيبَةِ يَا أَبِي يَرْعَانِي
 سَيَظِلُّ حُزْنِي يَا أَبِي مِنْ بَعْدِهَا
 مُتَعَدِّدَ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
 لَكِنِّي سَأَلُوذٍ بِاللَّهِ الَّذِي
 أَخِيَا بِقَلْبِي نَبْتَةَ الْإِيمَانِ
 سَيُذِيبُ إِيْمَانِي جِبَالَ مَوَاجِعِي
 سَأَعُوذُ أَنْشُدُ رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ

سَامِرُ الْبَارُودِي

فَيْضُ الْجَمَالِ

كَتَبَهَا بَعْدَ فَقْدِهِ رَفِيقَةَ دَرَبِهِ وَأَبْنَاءَهُ الثَّلَاثَةَ^(١)

قَامَ الْهَلَالُ يَصِلُنِي فِي الدُّجَى الْعَطِرِ
وَقُمْتُ أَنْثُرُ فِي مِخْرَابِهِ سُورِي
وَقَامَ فِي إِثْرِنَا أَزْهَارُ جَنَّتِنَا
يَزُونُهُمُ الظَّلُّ فِي بَاكُورَةِ السَّحَرِ
هَامُ أَوْلَاءِ أَزْهَارِي نَشْرَتُهُمْ
فِي صَحْنٍ فَجْرِكَ فِي إِغْفَاءَةِ الْبَشَرِ
ثُمَّ اسْتَقَلُّوا إِلَيَّ لُقْيَاكَ دَرَبَهُمْ
تَحْدُوهُمْ رَحِمٌ تَسْعَى إِلَى الظَّفَرِ
«أَمْنُوا» عَلَى النَّفْسِ فَارْتَاخَتْ جَوَارِحُهُمْ
وَأَغْفَتِ الْأَغْيُنُ الْغُرَاءُ فِي حَذَرِ

(١) نُشِرَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي جَرِيدَةِ الْأَقْتَصَادِيَةِ السَّعُودِيَةِ الْعِدَدِ رَقْم ٥٨٥٣ الثَّلَاثَاءُ
١٤٣٠/١١/١ هـ. الْمَوَافِقُ ٢٠ أَكْتُوبَرِ ٢٠٠٩.

مَاذَا دَهَى رَاعِي الْأَزْهَارِ يَنْشُرُهَا
 فَوْقَ «النَّفُودِ» عَلَى جَبَانَةِ الْقَدَرِ^(١)
 مَنْ ذَاكَ أَوْقَفُهُ فِي الثَّنِيهِ يَطْلُبُهَا
 مَنْ ذَاكَ سَلَ ضِيَاءَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ؟
 هَلْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَشْتَاقُ أُوْبَتَهَا
 يَخْشَى عَلَيْهَا مِنَ اللَّأَوَاءِ وَالْكَدَرِ^(٢)
 قَدْ رَابَهُ حَالُهَا فِي حِرْزِ سَامِرِهَا
 فَرَدَّهَا رَغَمَ عَيْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 لَوْ كُنْتُ أَحْسَبُ عُمْرَ الزَّهْرِ تَطْلُبُهُ
 شَمْسٌ ظُلُومٌ بَلَا عُذْرٍ وَمُغْتَذِرِ
 إِذْ لَصَبَّرْتُ أَزْهَارِي وَدَوَّحْتَهَا
 أَغْصَانَ شَوْكِ عَلَى قَاعٍ مِنَ الْكَدَرِ
 وَعِشْتُ فِي دَوْحَةِ الْأَشْوَاكِ أَمْنُهَا
 عَلَى الْبَرَاعِمِ فِي حِلِّي وَفِي سَفَرِي
 مَا عَادَ لِي جَنَّةٌ وَرَقَاءُ زَاهِيَةٍ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الْأَطْلَالِ وَالْآثَرِ
 لَمْ يَرْتَوْ الزَّهْرُ مِنْ مَائِي بِغُدْوَتِهِ
 فَرُحْتُ أَسْقِيهِ فِي الْأَجْدَاثِ وَالسَّيْرِ

(١) النفود: الكثبان الرملية، وهو اسم لصحراء واسعة في السعودية، تمتد من
 هضبة نجد وحتى الحدود الغربية للعراق والحدود الشرقية للأردن.

(٢) اللأواء: السدة والبوس وضيق العيش.

صَاعَتْ سَنَابِلُ قَمَحِي فِي فُتُوتِهَا
وَأُزِرَّقَ الْهَمُّ فِي الظُّلُمَاءِ كَالشَّرَرِ
عُذْرًا إِلَهِي فَقَلْبِي جَفَّ مِنْ صَدَأِ
قَدْ مَاتَ مَنْ كَانَ يَرْوِيهِ عَلَى السَّمَرِ
لَا تَغْتَبِنَنَّ عَلَى الْمَكْلُومِ إِذْ نَفَثَتْ
أَوْدَاجُهُ بَعْضَ حَرِّ النَّارِ وَالشَّرَرِ
قَدْ هَبَّجَ الْفَقْدُ فِيهِ عِبْرَةً سَخَطَتْ
عَلَى الْمَآقِي فَقَاضَتْ نَبْعَةَ الْعِبَرِ
وَأَنَدَاخَ فِي النَّفْسِ أَمَشَاجُ وَأَصُورَةٌ
بَغَتْ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى هَامَ فِي خَوَرِ
خُذْنِي هُدًى اللَّهُ عَنْ هَمِّي وَعَنْ كَدْرِي
وَأَمْسَحْ بِيُمْنِكَ رَأْسًا قَدْ مِنْ حَجَرِ
لَا تَشْرِكْنِي بِوَعْرِ الثِّبَةِ يَفْهَرُنِي
فَأَنْتَ نُورِي فِيءِ أَمْنِي وَفِي خَطَرِ
حَمْدًا لِجُكَمَتِكَ الْغَرَاءِ يَا أَمَلًا
يَرُومُهُ كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَثَرِ
لَقَدْ تَلَطَّفْتُ حَتَّى جِرْتُ فِي قَدْرِي
فِي مِخْنَتِي مِئْخَةٌ تَزْهُو عَلَى الْقَمَرِ
لَا غَرَوَ فِي الْأُنْسِ إِذْ أَلْقَاهُ فِي كَنَفِي
وَلَنْ تُفَاجِئُنِي النُّعْمَاءُ فِي الضَّرَرِ

جَلالُ أَمْرِكَ قَدْ قاضَ الْجَمالُ بِهِ
حَتَّى تَكُنْفَتْ فِي البَأْساءِ بِالظُّفْرِ
ضَرَّاءُكَ الْخَيْرُ وَالسَّرَّاءُ مَجْمَعُهُ
فَجُذْ بَأْيُهُمَا فَالْخَيْرُ فِي قَدَرِي

الرياض ٥/٦/١٤٣٠ هـ

فريد عبد الخالق

(١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م - ١٩٩٩)

محمد فريد عبد الخالق، باحث وداعية إسلامي وأديب مصري. وُلِدَ في مدينة فاقوس محافظة الشرقية بمصر، ثم انتقل مع عائلته إلى القاهرة.

التقى بمؤسس جماعة الإخوان المسلمين بمصر «حسن البنا» في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، ومن خلاله نشط في أوساط طلاب الجامعة، وكان أحد أعضاء الهيئة التأسيسية للجماعة، وعضو مكتب الإرشاد الأسبق، كما عمل مديراً عاماً لدار الكتب والوثائق القومية في مصر.

من مؤلفاته «الإخوان المسلمون في ميزان الحق» و«مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك» و«ديوان المقاومة» و«تأملات في الدين والحياة» و«في الفقه السياسي الإسلامي» و«مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» وهي قصيدة رثاء مطوّلة لزوجته «كوثر الساعي»^(١)

نال فريد عبد الخالق شهادة الدكتوراه من كلية الحقوق بجامعة القاهرة «٢٠٠٩» وهو في الرابعة والتسعين من عمره في حدث غير مسبوق، وكان موضوع الرسالة «الاحتساب على ذوى الجاه والسلطان»

(١) «مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» فريد عبد الخالق/ دار النشر للجامعات القاهرة ٢٠٠٩ .

وكانت زوجته «كوثر الساعي» توفيت في العام ٢٠٠٨ بعد زواج دام ستة عقود. وهنا ثلاثة مقاطع من أماكن مختلفة من قصيدته الرثائية المطولة.

أنا في الطريق إليك

-١-

أَحْبَبْتُ رَبِّكَ حُبَّكَ فَاصْطَفَاكَ بِحُبِّي وَحَبَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ فَضَلَ شَهِيدِي
يَا أُمَّ أَبْنَائِي وَخَيْرَ قَرِينَةٍ وَيَفْضَلِ رَبِّي أَنْتِ لِي حُورِيَّتِي

-٢-

اللَّحْدُ كَبَّرَ لِلنَّزِيلَةِ . . نُورُهَا كَعَرُوسٍ حُسْنٍ بِالْمَلَائِكِ زُفَّتِ
وَاللَّحْدُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ هَلْ يَا تُرَى النَّجْمُ يُلْحَدُ هَكَذَا فِي حُفْرَةٍ ؟
وَاللَّحْدُ أَذْهَلُهُ حَفَاوَةَ رَبِّهَا لَمَّا عَدَتْ تَلْقَى جَزَاءَ شَهِيدَةٍ
إِنِّي بَكَيْتُ بِقَبْرِهَا وَذَكَرْتُ يَوْمَ فَجِيعَتِي، وَاللَّحْدُ ضَمَّ حَبِيبَتِي
وَأَنَا أَصْلِي بِالْفُؤَادِ عَلَى النَّبِيِّ هِيَ عُمُرُ أَيَّامِي وَمَنْبَعُ فَرْحَتِي
وَقُبَاتِي فِي النَّعْشِ بَغْضُ حُشَاشَتِي وَأَنَا أَوْمُ الْجَمْعِ دَائِمَ مُقْلَةٍ
وَدُعَاءُ كُلِّ الْحَاضِرِينَ أَحَالَ بُشْرِي جَمْعِنَا بِمَعَادِنَا لِحَقِيقَةِ
فَعْدَا تُصَلِّي خَلْفَنَا وَأَوْمُهَا وَاللَّهُ نَحْمِدُهُ بِدَارِ الرَّحْمَةِ
لَكِنْ حَيَاتِي الْيَوْمَ غَيْرُ حَيَاتِنَا بِالْأَمْسِ مَا عَادَتْ تَمُوجُ بِمُتَعَةٍ
فَقَصَفْتُ أَقْلَامِي لَدُنْ كَتَبَ الْقَضَاءُ نِهَائِي بِفِرَاقِهَا وَمُصِيبَتِي^(١)

(١) لندن: ظرف زمني بمعنى : عندما.

وَمَنَافِدُ كُثْرٍ عَلَى كُلِّ الْوُجُودِ أَطْلُ مِنْهَا مَسَابِحاً قَدْ سُدَّتِ
وَمَعَارِفِي قَدْ عَظُلْتُ بِفِرَاقِهَا وَتَجَمَّدَتْ مِنْ قَوْرِهَا أَغْنِيَّتِي
فَإِنَّا أَعْيَشُ الْيَوْمِ خَارِجَ عَالَمِي أَخِيَا بِقُرْبِكَ يَا أَعَزَّ حَبِيبَةِ
مَا عَادَ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ مَا يَهْيِجُ كَوَامِلِي وَتَأْمُلَاتِ قَرِيبَتِي
ذِكْرَاكِ مُشْغِلَتِي، وَلُقْيَانَا مَعَا بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ كُلِّ رَغْبَتِي
يَا مَنْ سَبَقَتْ إِلَيَّ لِقَاءُ اللَّهِ خَيْرَ شَهِيدَةٍ، بُشْرَى بِعَوْدِ الصُّحْبَةِ
أَنَا فِي الطَّرِيقِ إِلَيْكَ أَعْجَلُ مَا يَكُونُ الْخَطَرُ مِنْ شَوْقِي وَشِدَّةِ لَهْفَةٍ
وَاللَّهِ أَسْأَلُهُ بِفَضْلِ مَشِيئَةٍ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ مَعَا بِدَارِ الرَّحْمَةِ
إِنْ غَالَنَا شَيْبٌ، بِفَضْلِ اللَّهِ يَجْمَعُنَا غَدَاً نَحْيَا لَدَيْهِ بِصَبْوَةٍ
أَنَا إِنْ بَكَيْتُ فِرَاقَهَا شَغَفاً بِهَا فَفِرَاقُ «إِبْرَاهِيمَ» أَبْكِي أُسُونِي^(١)

-٣-

رَغِمَ اتِّقَادُكَ لَمْ أَزَلْ أَخِيَا بِقُرْبِكَ مِثْلَمَا كُنَّا زَمَانَ الصُّحْبَةِ
فَلَأَنْتَ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي حَيَّةٌ مَا غَبَّتْ عَنْ عَيْنِي قَطُّ لِلْحَظَةِ

(١) يشير إلى بكاء الرسول محمد لفقده ولده إبراهيم فقد ثبت أنه بكى على ابنه وقال: «تَلَمَّحُ الْعَيْنُ، وَيَخْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا تَقُولُ مَا يَسْخَطُ الرَّبَّ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَخْزُونُونَ».

مُحَمَّدُ مَظْلُومٌ

مَقَاطِعُ مِنْ «كِتَابِ فَاطِمَةَ»^(١)

فِي الطَّرِيقِ إِلَى «اللاذِقِيَّةِ»
جَسَدُكَ يُسَافِرُ مَعِيَ
نُسَافِرُ مَعًا جِنَازَةً مُوسِيقَى بَيْضَاءِ
وَأَنْتِ تَنَامِينَ إِلَى جَانِبِي
فِيثَارَةٌ مِنْ ضَبَابٍ
تَمَامًا
كَمَا كُنْتَ تَتَكَيَّنِينَ بِرَأْسِكَ
عَلَى كَتِفِي
فِي كُلِّ مَرَّةٍ نُسَافِرُ فِيهَا
إِلَى الْبَحْرِ وَالْأَصْدِقَاءِ
وَكُنْتُ أَضْمُكُ كَمَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى
لِإِعْلَانِ الْحُبِّ لِلْبَحْرِ وَالْأَصْدِقَاءِ
مَا أَنَا وَجِدَدًا أَعْلَنُهُ

(١) مقاطع من «كتاب فاطمة» قصيدة طويلة في رثاء زوجتي فاطمة ٢٧ / ٧ /

١٩٦٩ - ١٦ / ١١ / ٢٠٠٨ . . الطبعة الأولى / دار التكوين دمشق ٢٠١٠ .

مُجَدِّدًا
لِلتُّرَابِ وَخَدِيدًا

كُنْتُ تَنَامِينِ يَا حَبِيبَتِي
هَادِئَةً وَبَعِيدَةً
وَبِدَاكِ تَشَابَكَانِ عَلَى بَطْنِكَ
كَالْكَنْفَرِ الْأَوْقِيَانُوسِيِّ
كَأَنَّهُمَا تَتَحَسَّسَانِ رَكَاتِ التَّوَامِ
فِي طَرِيقِ بَعِيدٍ
كَأَنَّهُمَا تَشْتَبِكَانِ مَعَ الْعَالِمِ الَّذِي يُرِيدُ
أَخْذَهُمَا مِنْكَ،
أَوْ تَحْجِبَانِيهِمَا
عَنْ حُرُوبِ سَيْفَتَلَانٍ فِيهَا.

ثَلَاثُكُمْ فِي كَفَنٍ وَاحِدٍ
قَتَلَنِي مَعْرَكَةٌ سَرِيعَةٌ
فِي حَزْبِي الْعَابِرَةِ
مَعَ زُوجَاتِ الْآلِهَةِ
وَأَنَا التَّوَامُ الْيَتِيمُ
عَلَيَّ أَنْ أَخْفِرَ قَبْرًا جَمَاعِيًّا فِي أَعْمَاقِي
وَأَمْسِي بَيْنَ النَّاسِ كَجَمَاعَةٍ
فِي كَفَنٍ وَاحِدٍ

كَرْجُلٍ وَجِيدٍ
بِلَا ذِكْرَاتٍ!

هَبَا أَخْرُجِي مِنْ صُورَتِكَ
بِرَيْفِ ابْتِسَامَتِكَ
بِسَاحِلِ شَعْرِكَ الطَّوِيلِ
بِحَاجَتِكَ الْمَرْفُوعَيْنِ
كَأَفْوَاسِ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ
فِي أَرْضِ عَصِيَّةٍ عَلَى الْمِلْحِ
بِأَغْوَارِ عَيْنِكَ الَّتِي رَأَيْتُ فِيهَا حِكَايَاتِ أَجْدَادِي
بِحَبِيبِكَ الْعَرِيضِ كَمَوَائِلِ الْجَنُوبِ.
وَبِنُذْبَةِ الْحَرَقِ الْقَدِيمِ عَلَى ذِرَاعِكَ كَظَلِّ السَّرَابِ.
هَبَا أَخْرُجِي مِنَ الصُّورَةِ
وَاجْرِي مَعِي فِي الْبُسْتَانِ
لِنَهْرَبَ مَعًا
مِنْ مُصَوِّرِ الْخَرِيفِ التَّالِيِ.

حَتَّى الْأَزْهَارُ عِنْدَ النَّافِذَةِ الْجَنُوبِيَّةِ
قَتَلَهَا التَّلَفُّتُ وَالْوَحْشَةُ
حَيْثُ لَا ظِلَالُ الْيَقَةِ مِنْ بَعْدِكَ.

حَتَّى التَّمَائِيلُ فِي الزَّوَايَا

بَعْدَكَ انْتَحَرْتُ
بَعْدَمَا انْتَهَرْتُ فِي صَمَتِهَا طَوِيلًا
وَسَهَرْتُ فِي وَقُوفِهَا كَثِيرًا
وَتَنَقَّلْتُ مِنْ غُرْفَةٍ
إِلَى غُرْفَةٍ
بَحْثًا عَنْ عَيْنَيْكَ.
وَهَا أَنَا
وَتَنِي فِي بَيْتِ قَدِيمٍ.

أَسْتَفِرُّ لَأَجْلِكَ الشُّعْرَاءَ
مِنْ كُلِّ الْعُصُورِ
بِذُقُونِهِمِ الْمُبْتَلَى
وَنَظَارَاتِهِمِ اللَّاصِفَةَ تَحْتَ مَطَرِ مُغْتِمٍ
لِيَقْرَأُوا مَرَاثِيَهُمْ أَمَامَ وَجْهِكَ النَّائِمِ
كَتَهَارٍ فِي بَيْتٍ.
أَقْرَأْ مَعَ «مُونْتَالِي» سِفْرَ أَشْعِيَا الثَّانِي
وَنَبِّكُنِي مَعًا
عِنْدَ مَضِيقِ الشَّيْءِ
وَرَجِمِ مُغْلَقِي كَالْأَبَدِيَّةِ
وَلَا أَرَى أَحَدًا يَأْتِي مِنَ الْمَضِيقِ
غَيْرَكَ.
لَا أَحَدَ

سِوَى تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْوَحِيدَةِ
فِي قَلْبِي يَجْرُهَا مُحَارِبُونَ مَهْزُومُونَ.
لِمَاذَا عُدْتُ إِلَى أُمِّكَ
بِسُرْعَةٍ كَالْأَطْفَالِ الْمُدَلِّلِينَ
وَتَرَكْتَنِي وَخِدي
طِفْلاً يَقْلُبُ الْحَصَى وَالذُّكْرِيَّاتِ
وَيَتَلَقَّى نَحْوَ الْجِهَاتِ
لِئَعْدَ مَا فَقَدَ مِنْ أُمَّهَاتِ.

لِمَاذَا هَرَبْتُ، كَغَزَالَةٍ مِنَ الْيَوْمِ حَيَاتِي
وَتَرَكْتَنِي أَشْيَخُ وَحِيداً فِي الصُّورِ
كَمِيرَاتٍ مُنْزَوٍ فِي لَوْحَةٍ قَدِيمَةٍ
تَتَنَاهَبُهُ وَخُوشٌ بِوُجُوهِ نِسَاءِ.

ذَهَبْتُ لِتِلْدِي
وَتَرَكْتَنِي
يَتِيمًا فِي مَهْدِ الْغُرَبَاءِ
أَخَذْتُ مَعَكَ الْأَبْنَاءَ وَالذُّكْرِيَّاتِ
وَتَرَكْتُ لِي مُوسِيقَى بَيْضَاءِ
تَلِدُ لِي أَخْلَاقًا مِنَ الْحُزَنِ
وَأَعْدَاءَ مَا هِرْنِ
فِي عُبُورِ نَهْرِ حَيَاتِي الْمَهْجُورِ.

ذَمَّيْتُ بِجَنَاحَيْنِ عِرَاقِيَّيْنِ،
وَتَرَكْتَنِي فِي خَرَائِبِ الْحَضَارَاتِ
مِلْهُوْنِيَّراً أَخْزَانِ
وَأَقْطَاعِيَّ خَسَارَاتِ.

وَشُحِّي رَمْلِي فَلَانِي أَرْمَلُكَ	وَشُحِّي الرَّمْلَامَ لَا قَبْرَ لَهُمْ
وَشُحِّي الْمَنْفَى بِمَنْفَى آخِرِ	وَشُحِّي الْمَنْفَى بِمَنْفَى آخِرِ
طِفْلَةٌ فِي اللَّهِوِ أُمٌّ فِي الْهَوَى	طِفْلَةٌ فِي اللَّهِوِ أُمٌّ فِي الْهَوَى
فَلِمَآذَا صِرْتَ يَا سَيْفَ النَّدَى	فَلِمَآذَا صِرْتَ يَا سَيْفَ النَّدَى
تِلْكَ أَنْتِ الْآنَ؟ مَا أَهْزَمَنِي	تِلْكَ أَنْتِ الْآنَ؟ مَا أَهْزَمَنِي
جَسَدِي، لَوْحَةٌ ذِكْرِي فَارْسُمِي:	جَسَدِي، لَوْحَةٌ ذِكْرِي فَارْسُمِي:
نَسَجْتُكَ الْخَمْرُ مِنْ فَجْرِ غَفَا	نَسَجْتُكَ الْخَمْرُ مِنْ فَجْرِ غَفَا
غَزَلْتُ مَرْثِيَّتِي أَيُّ يَدٍ	غَزَلْتُ مَرْثِيَّتِي أَيُّ يَدٍ
طَلَلْتُ بَيْتِي، غُبَارُ أَسْوَدَ	طَلَلْتُ بَيْتِي، غُبَارُ أَسْوَدَ
يَا امْرَأَ الْقَيْسِ «وَقُوفًا» كُلُّنَا	يَا امْرَأَ الْقَيْسِ «وَقُوفًا» كُلُّنَا

كُنْتُ تُجَيِّنُ النَّزْجَسَ وَالْحَيُولَ وَلَعَبَ الْأَطْفَالِ،
وَالْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يُولَدُوا بَعْدًا
وَالنُّوْمَ بَيْنَ ذِرَاعِي كَطِفْلَةٍ لَا تَنْوِي الدَّهَابَ
إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الصَّبَاحِ.

لِمَاذَا كُنْتَ تُحَيِّنَ لَعَبَ الْأَطْفَالِ؟
الأنها أَرْثَانُ جَمِيلَةٌ لِأَخْلَامِكَ الْمَهْدُورَةِ؟
لِمَاذَا كُنْتَ تُحَيِّنَ الْأَزْهَارَ؟
الأنها بَصَمَاتُ حَيَاتِكَ عَلَى الشَّرَفَةِ؟

مَاذَا أَضْنَعُ بِمَا حَوْلِي مِنْ حُقُولِ الْيَأْسِ؟
أَنَا الْمُزَارِعُ النَّائِمُ فِي حَصَادِ النَّسِيَانِ
مَاذَا أَضْنَعُ بِقَطِيعِ ذَنَابِكِ؟
أَنَا الرَّاعِي الَّذِي مَشَيْتُ نَحْوَكَ
وَعَلَى كَتِفِي جِمْلَانٌ وَلِدْتَ لِلتَّو
مَاذَا أَضْنَعُ بِالْوَحْشَةِ الَّتِي تَفِيضُ
كَعْيُونِ الْفِرْدَوْسِ؟

شَعْرُكَ النَّائِمُ بَيْنَ أَصَابِعِي كَعَاصِفَةٍ مُتَعَبَةٍ
يُلَوِّنُ الْجَبَرَ بِأَغَانِيهِ الطَّوِيلَةِ
فَارْسُمِ الْفَرَاشَاتِ عَلَى جُنَّةِ الْمُوسِيقَى
وَأَبْكِي.

هَلْ ذِي عُسْرُونَكَ
تَتَلَفَّتْ مِنْ نَوَافِدِ الْبَاصِ
وَأَنَا عَلَى الرَّصِيفِ
أَتَرَقَّبُ عُمْرًا بَاتِي مِنْ عَيْنِكَ

يَا عُمْرِي الَّذِي عِشْتُهُ بِإِنْتِظَارِهِ .
هَذِي عُسْرُونُكَ
تَجْلِسُ فِي حَدِيثَةِ «الْمُتَحَفِ»
صُحْبَةَ الذُّكْرِيَّاتِ
وَأَنَا أَتَفَقَّدُهَا وَجِيدًا كَتِمْتَالٍ أَعْمَى .

هَذِي عُسْرُونُكَ
تَتَجَوَّلُ مَعِيَ فِي «الْقَلْعَةِ»
كَزِحَامٍ مِنْ آلِهَةٍ أَضَاعُوا طُرُقَهُمْ
بَقِيَ لِي مِنْكَ كُلُّ هَذَا :
قَبْرُكَ الْمُثَلَّثُ كَصَلِيبٍ نَاقِصٍ
دَفَنُ يَوْمِيَّاتِكَ
وَأَقْلَامُكَ الرَّصَاصُ
لَوْحَاتُكَ النَّاقِصَةُ
وَأَزْهَارُكَ الْمَيِّتَةُ
وَكُنُوزُ الطُّفْلَيْنِ . . .
أَمَّا مُدْعُوكُ
فَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهُمْ أَيُّ شَيْءٍ
لَقَدْ ذَهَبُوا بِكَتَرِ الْإِنْكَارِ .

مَرَّابَا الْيَسْتِ، مَا أَكْثَرَهَا،
تَتَلَفَّتْ

مِرَاةٌ نَحْوُ مِرَاةٍ،
 تَبَحُّثُ عَنْكَ
 لَمْ تَدْخُلِي الْمَنْزِلَ مِنْذُ أَيَّامٍ
 مَرَايَا الْبَيْتِ مُعْبَرَةٌ يَا حَبِيبَتِي
 وَجْهَهَا شَا حِبُّ وَعُيُونُهَا حَايِرَةٌ
 تُرَاقِبُنِي وَحِيدًا
 أَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْغُرَفِ
 كَأَنِّي أَتَعَقَّبُ غِيَابَكَ.
 مَرَايَا الْمَنْزِلِ كُلَّمَا نَظَرْتُ نَحْوَهَا
 رَأَيْتُكَ مَشْغُولَةً بِرِسْمِ فَمِي
 فَمِي الَّذِي لَمْ تُنْجِزِيهِ
 فِي اللَّوْحَةِ الْقَدِيمَةِ
 وَتَرَكْتِهِ لَطْحَةً مِنْ أَلَمِ تُنَادِيكَ
 فِي الْمَرَايَا
 وَأَنْتِ تَرْسُمِينَ فِرْدَوْسًا هَارِبًا
 كَخُيُولِ الْهُنُودِ الْحُمْرِ.

دُمُوعِي عَلَيْكَ تَنْحَدِرُ
 كَحَلِيلِكَ الَّذِي يُرَوِّي أَزْهَارًا مَرِيرَةً
 فِي «شِيرِ الْخَرَابِ»
 جَاءَكَ الْمَوْتُ يَا حَبِيبَتِي وَلَيْدًا ثَالِثًا.
 لَمْ تَتَعَرَّفَنِي عَلَيْهِ وَكَانَ آخِرَ الْأَبْنَاءِ.

هَذِهِ فِتْنَاتِي تَصْعَدُ وَجِدَّةً مِنْ بَعْدِي
نَحْوِكَ وَجِدَّةً مِنْ بَعْدِكَ
تَسْلُقُ بُرْجًا فِي عَاصِفَةٍ.
وَتَظْفَرُ عَلَى نَهْرٍ سَرِيعِ الْجَرَيَانِ.

سَأْمِشِي إِلَيْكَ يَا حَبِيبَتِي
مُلْتَمًا بِالْخُلُودِ
وَعَلَى كَتِفِي جُعْبَةُ الْفَنَاءِ
دَافِعًا أَمَامِي
عَرَبَةً أَطْفَالٍ بِمَقْعَدَيْنِ فَارِغَيْنِ
لِكُنِي تَتَعَرَّفِي عَلَيَّ
فِي زِحَامِ الْأَبَدِيَّةِ.

سَأَتَعَرَّفُ عَلَيْكَ بِشَالِكِ الْأَخِيرِ
الَّذِي أَنْقَذْتَهُ مِنَ الْعَاصِفَةِ،
وَأَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ دَجَلَةً كَشِرَاعِ السُّومَرِيِّينَ،
سَأَتَعَرَّفُ عَلَيْكَ،
بِمُحَارِبَيْنِ سُومَرِيِّينِ صَغِيرَيْنِ يَخْرُسَانِكَ
وَأَنْتِ تَتَقَدَّمِينَ وَتَتَعَرَّفِينَ عَلَيَّ
بِثَلَاثِ خَزَائِنِ مَعْدِنِيَّةٍ
وَزَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ
أَحْمِلُهَا إِلَيْكُمْ.

لَمْ تَلْتَفِتْ فِتَارَتِي
وَكَانَ الْعَالَمُ خَلْفِي
أَعْمَى يُمَسِّدُ حَاجِيَّتِهِ
وَوَرَاءَ سُورٍ مِنَ الْمُوسِيقَى
تَنَهَّدَ التُّرَابُ
وَكُنْتُ هُنَاكَ تَسْبِجِينَ،
وَعَلَى كَتِفَيْكَ طِفْلَانِ خَائِفَانِ.

كَيْفَ اسْتَطَعْتُ حَمْلَكَ فِي الْوَادِي الْأَحْمَرِ؟
كُنْتُ ثَلَاثَةً
فِي تَابُوتٍ مُضْطَرِبٍ
كَالْبَحْرِ الَّذِي وَقَفْنَا عِنْدَهُ
ذَاتَ غُرُوبٍ.

مُلْحَق

نَمَازِجُ مِنْ رِثَاءِ الْحَبِيبَاتِ

قُبُورُ الْعُشَّاقِ

قال السَّراج: وجدتُ في مجموع سَمَاءِ جامِعُهُ «زهر الربيع»:
أنشدتُ عبد الله بن المُعْتَز:

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ، حَتَّى قُبُورُهُمْ
عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ.

فقال لي: لعنَ الله صاحبَ هذا الشعر، لا والله ما أذلَّ الله ترابَ
قبر عاشقٍ قط، بل أجَلَّهُ وشَرَّفَهُ ونَصَّرَهُ وَحَسَّنَهُ^(١).

(١) «مصارع العشاق» للسراج القارئ جعفر بن أحمد بن الحسين ٤١٨ - ٥٠٠ هـ
دار صادر بيروت. الجزء الأول ص ١٣٠.

فَتَى أَمْوِيٍّ مِنْ شُهَدَاءِ الْهَوَى

كان بالمدينة فتى من بني أمية من ولد «سعيد بن عثمان بن عفان» وكان يختلف إلى «قينة» لبعض قريش، وكان طريراً ظريفاً، وكانت الجارية تحبه ولا يعلم بحبها، فأراد يوماً أن يشكو ذلك، فقال لبعض إخوانه: امض بنا إلى فلانة، وانطلقا فدخلنا إليها وتوافى فتیان من قريش والأنصار، فلما جلسنا مجلسها واحتجرت بمزهرها، قال الأموي تغنين:

أَحِبُّكُمْ حُبًّا بِكُلِّ جَوَارِحِي فَهَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا لَكُمْ عِنْدِي؟
وَتَجْزُونَ بِالْوَدِّ الْمُضَاعِفِ مِثْلَهُ فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ جَزَى الْوَدَّ بِالْوَدِّ
قالت: نعم، وأحسن منه، وغنت:

لِلَّذِي وَدَّنَا الْمَوَدَّةَ بِالضَّعْفِ وَفَضْلُ الْبَادِي بِهِ لَا يُجَازَى
لَوْ بَدَأَ مَا بِنَا لَكُمْ مَلَأَ الْأَرْضَ وَأَقْطَارَ شَامِهَا وَالْحِجَازَا
فَعَجَبَ الْقَوْمَ مِنْ سُرْعَتِهِ مَعَ شُغْلِ قَلْبِهِ، وَمِنْ ذَهْنِهَا وَحَسَنِ جَوَابِهَا
فَازْدَادَ بِهَا كَلْفًا، وَصَرَخَ عَمَّا فِي قَلْبِهِ فَقَالَ:

أَنْتِ عَذْرُ الْفَتَى إِذَا هَتَكَ السُّتْرَ وَإِنْ كَانَ يُوسِفَ الْمَعْصُومَا
مَنْ يُقِمُ فِي هَوَاكِ يَقْصُرُ عَنِ الْكَلَامِ وَإِذَا زَالَ كَانَ مَلُومًا
وبلغ «عمر بن عبد العزيز» وهو على المدينة خبرها، فاشتراها بعشر حدائق ووهبها له وما يصلحها، فمكثت عنده حولا ثم ماتت فرثاها، فقال:

جَنَّةُ الْخُلْدِ

قَدْ تَمَنَّيْتُ جَنَّةَ الْخُلْدِ بِالْجَهْدِ فَأَدْخَلْتُهَا بِلا اسْتِثْهَالٍ
ثُمَّ أَخْرَجْتُ إِذْ تَطَعَّمْتُ بِالنُّعْمَةِ مِنْهَا وَالْمَوْتُ أَحْمَدُ حَالِي
وَكُرَّرَ هَذَا الشُّعْرُ مِرَاراً وَقُضِيَ، فَدُفِنَا مَعاً، فَقَالَ أَشْعَبُ: هَذَانِ
شَهِيدَا الْهَوَى انْحَرُوا عَلَى قَبْرِ سَبْعِينَ نَحْرَةً كَمَا كَبُرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى قَبْرِ
حَمْزَةِ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً^(١).

(١) «الجلس الصالح» لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ٣٠٣ - ٣٩٠ هـ /
دراسة وتحقيق محمد مرسي الخولي عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الأولى
١٩٩٣ الجزء الأول/ ٤٩٤. و«مروج الذهب للمسعودي» أبو الحسن علي بن
الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ تحقيق يوسف البقاعي/ دار
إحياء التراث العربي/ بيروت الجزء الثاني ص ١٣٥.

مَجْنُونٌ لَيْلَى

(٠٠٠ - ٦٨ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٨ م)

قال أبو بكر^(١): أَنَّ المَجْنُونَ بينما هو ذات يوم في أودية مصلة قد
أسندَ ظهره إلى بعض الصُّوَى^(٢)، حزيناً كئيباً، إذ مرَّ به فارسان فنَّعَيَا
إليه ليلَى وقالَا: مضت لسبيلها، فخرَّ المَجْنُونُ مَغْشِيّاً عليه، فلَمَّا أفاقَ
أنشأ يقول:

مَنْ بَعْدَ لَيْلَى؟^(٣)

أَيَا نَاعِيَنِي لَيْلَى بِجَانِبِ هَضْبَةٍ
أَمَا كَانَ يَنْعَاهَا إِلَيَّ سُوَاكُمَا؟
أَيَا نَاعِيَنِي لَيْلَى بِجَانِبِ هَضْبَةٍ
فَمَنْ بَعْدَ لَيْلَى؟ لَا أَمِرْتُ قُوَاكُمَا^(٤)
وَيَا نَاعِيَنِي لَيْلَى لَقَدْ هَجُتُمَا لَنَا
تَبَارِيحَ نَوْحٍ فِي الدِّيَارِ كَلَاكُمَا

(١) أبو بكر الوالبي: راوية ديوان المَجْنُونِ.

(٢) الصُّوَى: الصخور.

(٣) «ديوانه» برواية أبي بكر الوالبي / دراسة وتعليق: يسري عبد الغني / دار الكتب
العلمية / بيروت ١٩٩٩ ص ١١٥.

(٤) أَمِرْتُ: اشتدَّت.

فَلَا عِشْتُمَا إِلَّا حَلِيفَتِي مُصِيبَةً
وَلَا مُتُّمَا حَتَّى يَطُولَ بَلَاكُمَا
وَأَسْلَمَتِ الْأَيَّامُ فِيهَا عَجَائِبُ
نَبَوْتُكُمَا إِنِّي أَحِبُّ رَدَاكُمَا
أُظَنُّكُمَا لَا تَعْلَمَانِ مُصِيبَتِي
لَقَدْ حَلَّ بَيْنُ الْوَصْلِ فِيمَا أَرَاكُمَا

ثم مضى حتى دخل الحيَّ بعدما لم يكن يعرف به إلا من بعيد، فأتى
أهل بيتها فعزَّاهم فعزَّوه، فقال: دلُّوني على قبرها، فلمَّا عرفه رمى
بنفسه على القبر والتزمه، وأنشأ يقول:

أَيَا قَبْرَ لَيْلَى
أَيَا قَبْرَ لَيْلَى لَوْ شَهِدْنَاكَ أَغْوَلْتُ
عَلَيْكَ نِسَاءً مِنْ فَصِيحٍ وَمِنْ عَجَمٍ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى أَكْرَمَنْ مَحَلَّهَا
يَكُنْ لَكَ مَا عِشْنَا عَلَيْنَا بِهَا نَعَمُ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى إِنَّ لَيْلَى غَرِيبَةٌ
بِأَرْضِكَ لَا خَالَ لَدَيْهَا وَلَا ابْنَ عَمٍ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى مَا تَضَمَّنْتَ قَبْلَهَا
شَيْئَهَا لَلَّيْلَى ذَا عَفَافٍ وَذَا كَرَمٍ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى غَابَتِ الْيَوْمَ أُمُّهَا
وَحَالَتُهَا وَالْحَافِظُونَ لَهَا الذِّمَمُ

العَوَّامُ بْنُ عُقْبَةَ

هو العَوَّامُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى شاعر إسلامي في عهد بني العباس وكان قد كَلِفَ بامرأة من بني عبد الله بن غطفان وكانت تحبه كذلك فخرج إلى مصر في ميرة فبلغه أنها مريضة فترك ميرته وكرراً راجعاً نحوها وأنشأ يقول^(١):

وَنُبِّئْتُ «سَوْدَاءَ الْغَمِيمِ» مَرِيضَةً
فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أُعَوِّدُهَا^(٢)
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا
أَأَبْرُئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا

وهي سبعة أبيات وقع اختيار أبي تمام على هذين البيتين منها فلما جاء إلى بلدها لم يزل يتلطف حتى رآته ورآها فأومأت إليه أن ما جاء بك فقال جئت عائداً حين علمت علَّتْكِ فأشارت إليه أن ارجع فإني في عافية فرجع إلى ميرته واستمر بها المرض فجعلت تتولاهُ إليه حتى ماتت فلما بلغه الخبر أنشأ يقول:

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي الجزء الثاني ص ١٤١٤ القطعة رقم ٥٨٤ و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا «المتوفى: ٥٠٢هـ» دار القلم/ بيروت الجزء الثاني ١٦٧.
(٢) «سوداء الغميم»: الغميم واد في ديار حنظلة من بني تميم واسم المرأة ليلي ولقبها «سوداء» وكانت تنزل الغميم.

مَاتَ مِلْحُ الْغَانِيَاتِ^(١)

سَقَى جَدَثًا بَيْنَ الْغَمِيمِ وَزُلْفَةٍ
أَحْمُ الذَّرَى وَاهِي الْعَزَالِي مَطِيرُهَا^(٢)
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: لَا تُبَكِّ فَإِنَّهُ
كَذَاكَ اللَّيَالِي طُولُهَا وَقَصِيرُهَا
فَإِنِّي لَبَاكِ مَا بَقِيْتُ وَإِنَّهُ
لَأَسْوَأُ عِبْرَاتِ الرِّجَالِ كَثِيرُهَا
إِذَا سَكَنْتَ عَنْهَا الْجَنُوبَ تَجَاوَبَتْ
جِلَادُ مَرَابِيعِ السَّحَابِ وَخَوْرُهَا^(٣)
وَإِنِّي لِأَضْحَابِ الْقُبُورِ لَغَايِطُ
«سَوْدَاءُ» إِذْ كَانَتْ صَدَى لَا أَزُورُهَا
وَإِنْ تَكِ «سَوْدَاءُ» الْعَشِيَّةَ فَارَقَتْ
فَقَدْ مَاتَ مِلْحُ الْغَانِيَاتِ وَنَوْرُهَا
كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ جَاءَ نَعِيْهَا
مَلَاءَةٌ قَرُّ بَيْنِ أَيْدٍ تُطِيرُهَا

(١) في «معجم البلدان» الأبيات لعبد الرحمن بن حزن «معجم البلدان» لياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ دار صادر/ بيروت ١٩٧٧ الجزء الثالث ص ١٤٦.

(٢) الْعَزَالِي: جمع الأعزل وهو السحاب بلا مطر، وَزُلْفَةٌ: هو ماء شرقي سميراء على طريق مكة.

(٣) الجِلَاد: الأبل السمين، و مرابيع السحاب أوائل المطر الذي يكون في الربيع، والخور: الأبل النحيفة.

صَخْرُ بْنُ الْجَعْدِ الْمُحَارِبِيِّ

كان صَخْرُ بْنُ الْجَعْدِ الْمُحَارِبِيُّ خِذْنًا^(١) للعَوَّامِ بْنِ عُقْبَةَ، وكان العَوَّامُ يهوى امرأةً من قومه، يقال لها «سوداء»^(٢)، فماتت، فرثاها، فلَمَّا سَمِعَ «صخر بن الجعد» المراثية، قال: وددت أن أعيش حتى تموت كَأَسٍّ، فأرثيها، فماتت كَأَسٍّ، فقال:

لَيْتَ سَرِيرُهَا عَلَيَّ مَنَكِبَيَّ^(٣)

عَلَيَّ «أُمُّ دَاوُودَ» السَّلَامُ وَرَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ يَجْرِي كُلُّ يَوْمٍ بِشِيرُهَا
غَدَاةً غَدَاً الْعَادُونَ عَنْهَا وَغُودِرَتْ بِلَمَاعَةِ الْقَيْعَانِ يَسْتَنُّ مَوْرُهَا^(٤)
وَعُيِّبَتْ عَنْهَا يَوْمَ ذَاكَ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ فَيُخَوِّي مَنَكِبَيَّ سَرِيرُهَا^(٥)
نَزَتْ كَيْدِي لَمَّا أَتَانِي نَعِيُّهَا فَقُلْتُ: أَدَانِ صَدْعُهَا فَمَطِيرُهَا؟

(١) الخِذْنُ: الصديق.

(٢) يرى المرزوقي في «شرح الحماسة» بأن سوداء هو لقبها، بينما اسمها «بلى» كما ورد في القصيدة المتقدمة للعَوَّامِ بْنِ عُقْبَةَ.

(٣) «الأغاني» الجزء ٢٢ ص ٢٨.

(٤) لماعة القيعان: الغلاة إذا لمع فيها السراب أو البرق، ويستنُّ: يسرع، والمور: الغبار أو التراب في الريح..

(٥) ويرى: يفعلو منكبي.

كُثِيرُ عَزَّة

(٠٠٠ - ١٠٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٢٣ م)

ماتت عَزَّةُ بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان، وزار كُثِيرُ قَبْرَها ورثاها وتغيَّرَ شعرُهُ بَعْدَها، فقال له قائلٌ: ما بالُ شعركَ تغيَّرَ وقد قَصُرَتْ فيه؟ فقال: ماتت عَزَّةُ ولا أطرب، وذَهَبَ الشَّبابُ فلا أعجب، ومات عبدُ العزيز بن مروانَ فلا أرغب، وإنَّما ينشأ الشُّعْرُ عن هذه الخِلال^(١).

.... ويروي البيهقي القصةَ التراجيديةَ التاليةَ عن موتها وكيف تلقَّى «كُثِيرٌ» ذلك الخبر^(٢). . . «كتب «عبد الملك بن مروان» إلى كثير وهو بالكوفة: أن اركب البريدَ وعَجِّلْ فإنِّي مزوَّجُك «عَزَّة» فأناؤه الكتابُ وهو مُضْنَى من الشُّوقِ إليها فرحَلَ فأقبلَ نحوها، فلَمَّا كان في بعض الطريق إذا هو بغرابٍ على شجرةِ بانه وإذا هو يتنفَّ ريشُهُ ويطايره، وكان شديدَ الطَّيْرَةِ، فلَمَّا رآه تطيَّرَ وهمُّ بالانصراف ثم غلبه شوقه فمضى وهو مكروبٌ لِمَا رأى، حتى أتى ماءً لبني نهد، فإذا هو برجلٍ يسقي إبلَهُ فنزل عن راحلته واستظلَّ بشجرةٍ هناك فأبصر النهديَّ، فأناه وسأله عن اسمه ونسبه فانتسب، فرحَّب به، فأخبره عَمَّا رأى في طريقه، فقال:

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير الجزء ١٣ ص ٣٥.

(٢) هذه الرواية وردت في «المحاسن والمساوي» للبيهقي إبراهيم بن محمد البيهقي توفي ٣٢٠ هـ طبعة دار صادر ١٩٧٠، ص ٣٣١.

أما الغرابُ فغُرْبَةٌ، وأما البانةُ فَبَيِّنٌ، وأما نَثْفٌ ريشُه ففُرْقَةٌ. فاستُطِيرَ
 لذلك، وَمَضَى حتى دنا من «دمشق» فإذا بجنازة فاستعبر وقال: أسألُ
 الله خير ما هو كائن! فسأل عن الميت فإذا هي «عَزَّة» فخرٌ مَغْشِيٌّ عليه،
 فَعُرِفَ وَصُبَّ عليه الماء فكان مجهودُهُ أن يَلْغَ القبرَ، فلَمَّا دُفِنَتْ انكبَّ
 على القبر وهو يقول:

كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَيَّةً^(١)

سِرَاجُ الدُّجَى صِفْرُ الْحَشَا مُنْتَهَى الْمَنَى
 كَشَمَسِ الضُّحَى نَوَامَةٌ حِينَ تَضْبِحُ
 إِذَا مَا مَشَتْ بَيْنَ الْبُيُوتِ تَخَزَّلَتْ
 وَمَالَتْ كَمَا مَالَ النَّزِيفُ الْمُرْتَحُ^(٢)
 تَعَلَّقْتُ «عَزًّا» وَهِيَ رُوْدٌ شَبَابُهَا
 عِلَاقَةٌ حُبٍّ كَادَ بِالْقَلْبِ يَرْجَحُ^(٣)
 أَقُولُ وَنِضْوِي وَاقِفٌ عِنْدَ رَمْسِهَا:
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَالْعَيْنُ تُسْفَحُ^(٤)
 فَهَذَا فِرَاقُ الْحَقِّ لَا أَنْ تُزِيرَنِي
 بِلَادِكَ فَتَلَاءُ الذَّرَاعَيْنِ صَيْدَحُ^(٥)

(١) ديوان «كُتَيْبِ عَزَّة» جمعه وشرحه إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧١،

ص ٤٦٣ و«مصارع العشاق» الجزء الأول ص ١٢٦.

(٢) تخزلت: تناقلت في مشيها، والتزيف: السكران.

(٣) رُوْدٌ شبابها: لينة الشباب.

(٤) النضو: الجمل الهزيل.

(٥) الصيدح: الصياحة الرفيع صوتها.

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَيَّةً
وَأَنْتِ لَعَمْرِي الْيَوْمَ أَنْأَى وَأَنْزَحُ
فَيَا عَزَّ أَنْتِ الْبَدْرُ قَدْ حَالَ دُونَهُ
رَجِيْعُ ثَرَابٍ وَالصَّفِيْحُ الْمُضَرَّحُ
فَهَلَا فَدَاكَ الْمَوْتُ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ
وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ
عَلَى أُمِّ بَكْرٍ رَحْمَةٌ وَتَحِيَّةٌ
لَهَا مِنْكَ وَالنَّائِي يَوَدُّ وَيَنْصَحُ
مُنْعَمَةٌ لَوْ يَذْرُجُ الذَّرُّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ حَوَاشِي بُرْدِهَا كَادَ يَجْرَحُ^(١)
وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى ذِي بَشَاشَةٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
أَلَا لَا أَرَى بَعْدَ ابْنَةِ النَّضْرِ لَذَّةً
لِشَيْءٍ وَلَا مِلْحًا لِمَنْ يَتَمَلَّحُ
فَلَا زَالَ رَمْسٌ ضَمَّ عَزَّةً سَائِلًا
بِهِ نِعْمَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَسْفَحُ
فَإِنَّ الَّتِي أَحَبَبْتُ قَدْ حَالَ دُونَهَا
طَوَالَ اللَّيَالِي وَالضَّرِيْحُ الْمُصَفَّحُ

(١) يدرج: يمشي، والذر: صغار النمل.

أَرَبٌ بِعَيْنِي الْبُكَاءُ كُلُّ لَيْلَةٍ
 فَقَدْ كَادَ مَجْرَى الدَّمْعِ عَيْنِي يَفْرَحُ^(١)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تَسْفَحُ الْعَيْنُ لِي دَمًا
 وَشَرُّ الْبُكَاءِ الْمُسْتَعَارُ الْمَسِيحُ^(٢)
 ثُمَّ بَكَى حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ، فَأَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ:
 فَمَا أَغْبَفَ النَّهْدِيُّ لَا دَرَّ دَرُّهُ
 وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرُهُ
 رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ
 يُنْتَفِئُ أَغْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ
 فَقَالَ: غُرَابٌ لِإِغْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى
 وَبَانَةٌ بَيْنُ مِنْ حَبِيبٍ تُجَاوِرُهُ
 فَقُلْتُ وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ زَجَرْتُهُ
 بِنَفْسِي، لِلنَّهْدِيِّ، هَلْ أَنْتَ زَاجِرُهُ
 ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بَاكِيًا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يَرْ ضَاحِكًا بَعْدَهَا.

(١) أَرَبٌ: لَزِمَ وَأَقَامَ.

(٢) الْمَسِيحُ: السَّالِحُ الْجَارِي.

أَعْرَابِيٌّ مُنْتَجِرٌ بَعْدَ مَقْتَلِ حَبِيبَتِهِ

عن أحدهم قال^(١): خرجت في نَشْدَانٍ إِبِلٍ لِي ضَلَّتُ، فَأَوَانِي الْمَبِيتُ إِلَى خِيْمَةِ أَعْرَابِيٍّ، فَقُلْتُ: هَلْ مِنْ قِرَى^(٢)؟ فَقَالَ لِي: انْزِلْ! فَنَزَلْتُ، فَتَنَى لِي وَسَادَةٌ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ يُحَدِّثُنِي، ثُمَّ أَتَانِي بِقِرَىٍّ، فَأَكَلْتُ. فَبَيْنَا أَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذَا بِفَتَاةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا جَمَالاً وَحُسْنًا، فَجَلَسْتُ، وَجَعَلْتُ تُحَدِّثُ الْأَعْرَابِيَّ وَتُحَدِّثُنِي، لَيْسَ غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ مَوْضِعِي هَذَا، حَتَّى أَعْرِفَ خَبَرَ الْجَارِيَةِ وَالْأَعْرَابِيِّ.

قال: فَمَضَيْتُ فِي طَلَبِ ضَالَّتِي يَوْمًا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ عِنْدَ اللَّيْلِ، فَاتَى بِقِرَىٍّ، فَبَيْنَا أَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، وَقَدْ أَبْطَأَتِ الْجَارِيَةُ عَنْ وَقْتِهَا، فَلَقِيَ الْأَعْرَابِيُّ، فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَا بَالُ مَيَّةَ لَا تَأْتِي لِعَادَتِهَا،
أَعَاجَبَهَا طَرَبٌ أَمْ صَدَّهَا شُغْلُ

(١) «مَصَارِعُ الْعُشَّاقِ» الجزء الثاني ص ١٠٤. و«المحاسن والأضداد» للجاحظ عمر بن بحر بن محبوب ١٦٣ - ٢٥٥ هـ دار ومكتبة الهلال/ بيروت ١٤٢٣ هـ ص ١٠٨. و«أخبار النساء» لابن الجوزي شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٨٢. و«الموشى» للوشاء ص ٨٤. و«المستطرف» من كُلِّ قَنْ مُسْتَظَرَفٍ الجزء الثالث ص ٥٣. وباختلاف اسم الراوي، وفي ألفاظ صياغة الرواية.

(٢) القِرَى: الضيافة، من طعام ومنام وغيره.

لَكِنَّ قَلْبِي عَنْكُمْ لَيْسَ يَشْغَلُهُ
 حَتَّى الْمَمَاتِ، وَمَا لِي غَيْرُكُمْ أَمَلُ
 لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ
 لَمَا اغْتَذَرْتُ وَلَا طَابَتْ لَكَ الْعِلَلُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ قَدْ أَخْلَلَتْ بِي حُرْقًا
 نَكَادُ مِنْ حَرِّهَا إِلَّا خَشَاءُ تَنْفَصِلُ
 لَوْ كَانَ عَادِيَةً مِنْهُ عَلَى جَبَلٍ
 لَزَلَّ وَأَنَهَدَ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ

ثم أتاني فأنبهنني، ثم قال لي: إن خلّيتي التي رأيت بالأمس، قد
 أبطأت عليّ، ولست آمن السبع عليها، فانظر ما ههنا حتى أعلم
 علمها، ثم انطلق عني ساعة فغاب وأتى بشيء فطرحه بين يدي فإذا هي
 الجارية قد قتلها الأسد وأكل أعضاءها وشوّه خلقتها، ثم أخذ السيف
 وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الأسد فطرحه ثم أنشأ يقول:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُضِرُّ بِنَفْسِهِ،
 هُبِلْتَ لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَكَ الشَّرًّا
 أَخْلَفْتَنِي فَرْدًا وَجِيدًا مُدْلَهَا،
 وَصَيَّرْتَ آفَاقَ الْبِلَادِ بِهَا قَبْرًا؟
 أَأَضْحَبُ دَهْرًا خَانَنِي بِفِرَاقِهَا؟

مَعَاذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ بِهَا بَرًّا
 ثم أقبل عليّ فقال: هذه ابنة عمّي كانت من أحبّ الناس إليّ،
 فمنعني أبوها أن أتزوجها، فزوّجها رجلاً من أهل هذه الأبيات،
 فخرجت من مالي كلّ ورضيتُ بالمقام ههنا على ما ترى، فكانت إذا

وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أتنني، فحدثني وحدثتها، كما رأيت
ليس شيء غيره، وقد أليت على نفسي أن لا أعيش بعدها، فأسألك
بالحرمة التي جرت بيني وبينك، إذا أنا مت فلفقني وإياها في هذا
الثوب، وادفنا في مكاننا هذا، وأكتب على قبرنا هذا الشعر:

يَجْمَعُنَا الْكَفَنُ

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالذَّهْرُ فِي مَهْلٍ،

وَالْعَيْشُ يَجْمَعُنَا وَالذَّارُ وَالْوَطَنُ

فَفَرَّقَ الذَّهْرُ بِالتَّضَرُّيفِ الْفَتَنَا،

فَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

ثم اتكأ على سيفه، فخرج من ظهره فسقط ميتاً، فلفقتهما في الثوب
وحفرت لهما، فدفنتهما في قبر واحد.

مُرَّة النُّهْدِي

مُرَّة بن عبد الله بن هليل بن يسار كان يهوى امرأة من بني نهد، يقال لها: «ليلى بنت زهير بن يزيد» واشتدَّ شغفهُ بها فخطبها، وأبوا أن يزوّجوه، وكان لا يخطبها غيره إلا هجاه، فخطبها رجلٌ من «بني نهشل» يقال له: «إران» فقال مرة يهجوه:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَصِيرَ بِمَرَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَى زَوْجَةً «لِرَّانِ»
لِمَنْ لَيْسَ ذَا لُبٍّ وَلَا ذَا حَفِيزَةٍ
لِعِرْسٍ وَلَا ذَا مَنْطِقٍ وَبَيَانٍ
لَقَدْ بُلِيَتْ لَيْلَى بِشَرِّ بَلِيَّةٍ
وَقَدْ أَنْزَلَتْ لَيْلَى بِدَارَ هَوَانٍ

فتزوّجها «المنجاب بن عبد الله بن مسروق بن سلّمة بن سعد، وهو من نهد» فخرج إلى «البعث» براذان^(١)، وهي إذ ذاك مَسْلُوحَةٌ لأهل الكوفة، فخرج بها معه، فماتت بـ «راذان» ودفنت هناك، فقدم رجلان من «بجيلة» إلى الكوفة وبنو نهد بها، فمرّا بمجلس النهديين، فسألوهما عمّن بـ «راذان» من بني نهد، فأخبراهم بسلامتهم ونَعْيًا ليلَى، وكان في القوم مُرَّةٌ فَقَالَ:

(١) البعث: الجند يبعثون في الجيش، و«راذان» كما جاء في معجم البلدان: الراذان الأعلى والأسفل قريتان من سواد بغداد.

أَيَا نَاعِيَّ لَيْلَى^(١)

أَيَا نَاعِيَّ لَيْلَى أَمَا كَانَ وَاحِدٌ مِنْ النَّاسِ يَنْعَاهَا إِلَيَّ سُوَاكُمَا؟
وَيَا نَاعِيَّ لَيْلَى أَلَمْ نَكُ جَبْرَةً نَدَامَى ذَوِي حَقٍ فَأَلَا نَهَاكُمَا؟
وَيَا نَاعِيَّ لَيْلَى لَقَدْ هَجُتُمَا لَنَا تَجَاوَبَ نَوْحٍ فِي الدِّيَارِ كِلَاكُمَا
وَيَا نَاعِيَّ لَيْلَى لَجَلَّتْ مُصِيبَةٌ بِنَا فَقَدْ لَيْلَى لَا أُمِرْتُ قُوَاكُمَا
وَلَا عِشْتُمَا إِلَّا حَلِيفِي بَلِيَّةٍ وَلَا مِثُّ حَتَّى يُشْتَرَى كَفْنَاكُمَا
فَأَشْمَتَ وَالْأَيَّامُ فِيهَا بَوَائِقُ بِمَوْتِكُمَا إِنِّي أَحْبُّ رَدَاكُمَا

وقال فيها أيضاً:

مِنْ حَيْثُ لَا تَذِيرِي^(٢)

كَأَنَّكَ لَمْ تُفَجِّعْ بِشَيْءٍ تُعِدُّهُ
وَلَمْ تَضْطَبِرْ لِلنَّائِبَاتِ مِنَ الدَّهْرِ
وَلَمْ تَرَبُّؤَسَا بَعْدَ طُولِ غَضَارَةٍ
وَلَمْ تَرْمِكِ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ لَا تَذِيرِي

(١) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢٠ و«الوافي بالوفيات» الجزء ٢٥ ص ٤٣١.
وروي في «الأغاني» كذلك: «أَنَّ مُرَّةً كَانَ تَزَوَّجَهَا وَكَانَ مَكْتَبُهُ بِرَاذَانَ»
وأخرجها معه ثم ضرب عليه «البعث» إلى خراسان فخلفها عند شيخ من أهل
منزله هناك وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ومضى لبعثه ثم قدم بعد حول
فلقي فتى من أهل «راذان» قبل وصوله إلى دارها فسأله عنها فقال: أترى القبر
الذي بفناء الدار؟ قال: نعم قال: هو والله قبرها فجاء فأكبَّ عليه يبكي
ويندبها وترك مكتبه ولزم قبرها يغدو ويروح إليه حتى لحق بها «الأغاني» جزء
٢٣ ص ١٢٠.

(٢) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢٠

سَقَى جَانِبِي «رَأْدَان» وَالسَّاحَةَ الَّتِي
 بِهَا دَفَنُوا لَيْلَى مُلْتٌ مِنَ الْقَطْرِ^(١)
 وَلَا زَالَ خِضْبٌ حَيْثُ حَلَّتْ عِظَامُهَا
 «بِرَأْدَان» يُسْقَى الْغَيْثُ مِنْ هَاطِلِ غَمْرِ
 وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمْنَا عِظَامٌ وَهَامَةٌ
 هُنَاكَ وَأَصْدَاءُ بَقِيْنَ مَعَ الصَّخْرِ
 وقال فيها:

يَا قَبْرَ لَيْلَى كَمْ جَمَالٍ تَكُنُّهُ^(٢)
 أَيَا بَيْتَ لَيْلَى إِنَّ لَيْلَى مَرِيضَةٌ
 بِ«رَأْدَان» لَا خَالَ لَدَيْهَا وَلَا ابْنَ عَمٍ
 وَيَا بَيْتَ لَيْلَى لَوْ شَهِدْتُكَ أَغْوَلْتُ
 عَلَيْكَ رِجَالٌ مِنْ فَصِيحٍ وَمِنْ عَجَمٍ
 وَيَا بَيْتَ لَيْلَى لَا يَبْسُتَ وَلَا تَزَلُ
 بِلَادُكَ سُقْيَاهَا مِنَ الْوَاكِفِ الدَّيَمِ
 وَيَا قَبْرَ لَيْلَى غُيِّبَتْ عَنْكَ أُمُّهَا
 وَخَالَتُهَا وَالنَّاصِحُونَ ذُودُ الذَّمِّ
 وَيَا قَبْرَ لَيْلَى كَمْ جَمَالٍ تَكُنُّهُ
 وَكَمْ ضَمٍّ فَيْكَ مِنْ عَفَافٍ وَمِنْ كَرَمٍ

(١) مُلْتٌ: دائمٌ شديدٌ الهطل.

(٢) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢١ و«معجم البلدان» الجزء الثالث ص ١٢.
 والأبيات تنسب لقيس بن الملوخ في ديوانه باختلافات بسيطة، كما تقدّم،
 والأرجح أنها للنهدي.

أَبْنُ مَيَّادَةَ يَرِثِي حَبِيبَتَهُ.

(٠٠٠ - ١٤٩ هـ = ٠٠٠ - ٧٦٦ م)

شاعر أمويُّ اسْمُهُ الرِّمَاحُ بنُ أبرد بن ثوبان وأمه مَيَّادَةُ «بربرية»
الأصل وروى أنها كانت «صقلبية»

لكنَّ ابن مَيَّادَةَ يزعم أن أُمَّهُ فارسية، وذكر ذلك في شعره، كان ابنُ
مَيَّادَةَ يهوى امرأةً تَكْنَى «أُمَّ جَحْدَرٍ» وهي امرأةٌ من بني مُرَّةَ، وله غَزَلٌ
فيها، وأن أباهما بلغه مصير ابن مَيَّادَةَ إليها، فحلف ليزوجنَّها رَجُلًا من
غير ذلك البلد، فزوَّجها رَجُلًا من أهل الشام. ولما بلغه الخبر
أنشد^(١):

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنْوُبُ
عَلَيْنَا وَبَغْضَ الْآمِنِينَ تُصِيبُ
أَجَارَتْنَا لَسْتُ الْغَدَاةَ بِبَارِحٍ
وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
فَإِنْ تَسْأَلِينِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنِّي
صَبُورٌ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ صَلِيبُ

(١) «ديوان ابن مَيَّادَةَ» حققه: حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية
بدمشق ١٩٨٢ ص ٦٩.

جَرَى بِإِنِّيَاتِ الْحَبْلِ مِنْ «أُمِّ جَحْدَرٍ»
 ظَبَاءَ وَطَيْرٌ بِالْفِرَاقِ نَعُوبُ
 نَظَرْتُ فَلَمْ أَغْتَفْ وَعَافَتْ فَبَيَّنَتْ
 لَهَا الطَّيْرُ قَبْلِي وَاللَّبِيبُ لَبِيبُ
 فَقَالَتْ: حَرَامٌ أَنْ تُرَى بَعْدَ هَذِهِ
 جَمِيعَيْنِ إِلَّا أَنْ يُلَمَّ غَرِيبُ
 أَجَارَتَنَا صَبْرًا فَيَا رَبَّ هَالِكِ
 تَقَطَّعُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ قُلُوبُ

ونعيت له فلم يصدق حتى أتاه رجل من بني رحل يقال له «عمار»
 فنعاه له، فقال:

حَتَّى^(١)

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ صَدَّقُوا
 حَتَّى نَعَاهَا لِي الرَّحْلِيُّ عَمَّارُ
 وقال يرثيها:

تَمَنَّيْتُ^(٢)

خَلْتُ شُعْبَ الْمَمْدُورِ لَسْتُ بِوَاجِدِ
 بِهِ غَيْرَ بَالٍ مِنْ عِضَائِهِ وَحَرَمَلِ^(٣)

(١) «ديوانه» ص ١٢٨ و«الأغاني» الجزء الثاني ص ١٩٠.

(٢) «ديوانه» ص ٢١٢ و«الأغاني» الجزء الثاني ص ١٩٠.

(٣) الممدور: مفعول من المدر وهو حجارة من الطين: موضع في ديار غطفان
 كما جاء في «معجم البلدان»

تَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَى بِهِ «أُمَّ جَحْدَرٍ»
وَمَاذَا تَمَنَّى مِنْ صَدَى تَحْتَ جَنْدَلٍ؟
فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ
وَلَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ عَنَاءٍ مُطَوَّلٍ

بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ يَرِثُنِي حَبِيبَتُهُ «حَمْدَةُ»

(٩٥ - ١٦٧ هـ = ٧١٤ - ٧٨٤ م)

كان بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ يعشق امرأةً اسمُها «حَمْدَةُ» وتكنى «أُمُّ مُحَمَّدٍ» وله فيها قصائد غزل وفراق منها قوله:

لَعَمْرُكَ مَا تَرَكُ الصَّلَاةَ بِمُنْكَرٍ
وَلَا الصَّوْمَ إِنْ زَارَتْكَ أُمُّ مُحَمَّدٍ
وكانت تسكن العراق قبل أن تنتقل إلى الشام بعد أن تزوجت من رجل شامي:

نَزَلْتُ عَلَى «بَرْدَى» وَأَنْتَ مُجَاوِرٌ
حَفَرَ الْبُصَيْرَةَ كَالْغَرِيبِ الْعَاتِبِ
وقد ماتت فرثاها بهذا القصيدة:

فِي الْيَوْمِ جَارُكَ أَوْ غَدٍ^(١)
هَجَرَ الْوَسَادَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ
وَأَذَابَهُ وَرَدُّ الْجِمَامِ الْمُورِدِ
شَرَعَ الْمَكَارَةَ مَنْ تَوَجَّهَ غَادِيَاً
يَا لِلرِّجَالِ لِمَا يَرُوحُ وَيَعْتَدِي

(١) ديوان «بشار بن برد» شرح محمد الطاهر ابن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧ الجزء الثالث ص ١١٦.

وَبَيَاضِ يَوْمٍ قَدْ سَحَبْتُ وَلَيْلَةٍ
قَدْ بَثُّهَا غَرَضَ الْهُمُومِ الْعُودِ
وَكَانَ هَمِّي وَالظَّلَامَ تَوَاعِدًا
عِنْدِي فَكُلُّ قَدْ وَفَا بِالْمَوْعِدِ
جَاشَتْ جُنُودُهُمَا عَلَيَّ فَلَمْ أَنْمِ
وَبَدَا وَقَدْ بَلَغْتَ بِغَيْرِ تَبَدُّدٍ
إِنَّ الَّتِي سَبَعْتَ عِدْوَهُ أَضْبَحَتْ
عَمَّا لَقِيتَ كَغَائِبٍ لَمْ يَشْهَدْ
مَلَأَتْ حَشَاكَ وَرُبَّمَا مَلَأَ الْحَشَا
وَجَدُ «بِحَمْدَةٍ» مِثْلُهُ لَمْ يُوجَدْ
إِذْ أَنْتَ مُشْتَغِلُ الْفُؤَادِ بِذِكْرِهَا
صَبٌّ وَإِذْ هِيَ مِنْ بَنَاتِ الْمَسْجِدِ
لَوْ أَنَّ أَرَمَدَ لَا يُجَلِّي نَظْرَةَ
تَبْدُو لَهُ كَأَنَّهُ شِفَاءُ الْأَرَمَدِ
أَيَّامَ يَحْسُدُهَا الثَّنَا جَارَاتُهَا
وَسَطَ النِّسَاءِ وَمِثْلُهَا فَلْيُحْسَدِ

.....

لَا تَبْعَدَنَّ وَأَيْنَ مَنْ فَارَقْتُهُ
أَمْسَى بِمِثْلِ سَبِيلِهَا لَمْ يَبْعَدِ
إِنَّ الَّتِي كَانَتْ هَوَاكَ فَأَضْبَحَتْ
تَحْتَ السَّفَائِفِ فِي الثَّرَى الْمُتَلَبِّدِ

لَيْسَتْ بِسَامِعَةٍ وَإِنْ نَادَيْتَهَا
مِنْكَ السَّلَامَ كَذَلِكَ الْمَيْتُ الرَّدِي
أَحْمِيدُ، إِنْ تَرِدِي الْمُصَابَ فَإِنَّا
رَهْنُ النُّفُوسِ بِمِثْلِ ذَاكَ الْمَوْرِدِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى
عَنقُ تَتَابَعِ كُلُّهُمْ فِي مَقْوَدِ
أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ كَالْمُصَابِ جَنَاحُهُ
يَبْكِي لِجَانِبِهِ إِذَا لَمْ يَسْعَدِ
حَرَّانَ فَارَقَ إِلْفَهُ وَنَأَى بِهِ
دَهْرٌ يَعُودُ عَلَى سَوَادِ الْمَوْجِدِ
مِمَّا يُعْزِي الْقَلْبَ بَعْدَكَ أَنِّي
فِي الْيَوْمِ جَارُكَ يَا «حُمَيْدَةُ» أَوْ غَدِ
نِفْدَ الزَّمَانِ وَمِنْ «حُمَيْدَةَ» لَوْعَةً
بَيْنَ الْجَوَانِحِ حَرُّهَا لَمْ يَنْفَدِ
يُبْدِي الضَّمِيرَ إِذَا عَرَفْتَ لَهُ بِهِ
لَوْنًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
بَيْضَاءُ لَبَسَهَا الْحَيَاءُ عَفَافُهُ
فَضَلَ الْقِنَاعَ إِذَا خَلَتْ لَمْ تُوصَدِ
فَأَتَتْكَ فِي جَدَثِ الضَّرِيحَةِ خُلَّةٌ
يَا خُلَّةُ لَكَ فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ

فَالآنَ أَغْدُو مَا يَكُونُ بِغَيْرِهِ
غَلَبْتُ وَطُولُ صَبَابَةٍ وَتَبَلُّدِ
قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُ مِنْ «حَمِيدَةَ» بَصَّةً
وَأَعْفُ عَنْ شَغَبِ اللِّسَانِ وَفِي الْيَدِ
وَأَرَى حَرَامًا أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا
مِنِّْي إِمْرُؤُ بِصَدَاقَةٍ وَتَوَدُّدِ
وَلَقَدْ أَقُولُ غَدَاةً يَنَائِي نَعْشُهَا:
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ أُمَّ مُحَمَّدٍ
فَلَقَدْ تَرَكْتُ كَبِيرَةً مَخْزُونَةً
وَأَخَا إِخَاءِ عَيْنُهُ لَمْ تَجْمُدِ
بَرَدَتْ عَلَى كَيْدِ الْمُصَابِ وَأَضْبَحَتْ
مِنِّْي نَوَافِدُ حَرِّهَا لَمْ تَبْرُدِ

أَبُو نُؤَاسٍ

(١٤٥ - ١٩٨ هـ = ٧٦٤ - ٨١٤ م)

جاء في «العقد الفريد»^(١) وُجِدَ على قَبْرِ جارية إلى جَنْبِ قَبْرِ أَبِي
نُؤَاسٍ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ، فَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نُؤَاسٍ وَهِيَ:

صَاحِبَةُ الْقَبْرِ

أَقُولُ لِقَبْرِ زُرْتُهُ مُتَلْتَمِماً
سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْرِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ
لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرَ الدُّجَى
وَشَمْسَ الضُّحَى بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالْعَفْرِ^(٢)
عَجِبْتُ لِعَيْنِ بَعْدَهَا مَلَّتِ الْبُكَاءَ
وَقَلْبِ عَلَيْهَا يَرْتَجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ

(١) «العقد الفريد» ص ٢٠٦ الجزء الثالث.

(٢) الْعَفْرُ: التراب.

شَاعِرٌ مِنَ الْيَمَامَةِ «مَاتَ عَلَى قَبْرِ حَبِيبَتِهِ»

مِمَّا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ جَبْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: أَقْبَلْتُ مِنْ مَكَّةَ أَرِيدُ «الْيَمَامَةَ» فَتَزَلْتُ بِحَيٍّ مِنْ عَامِرٍ، فَأَكْرَمُوا مَثْوَايَ، فَإِذَا فَتًى حَسَنُ الْهِئَةِ قَدْ جَاءَنِي، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، فَقَالَ: أَيْنَ يَرِيدُ الرَّكَّابُ؟ قُلْتُ: الْيَمَامَةُ. قَالَ: وَمَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ مَكَّةَ. فَجَلَسَ إِلَيَّ، فَحَادَّثَنِي أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ لِي: أَتَأْذُنُ فِي صَحْبَتِكَ إِلَى الْيَمَامَةِ؟ قُلْتُ: أَجِبْ خَيْرَ مَصْحُوبٍ، فَقَامَ، فَمَا لَبَثَ أَنْ جَاءَ بِنَاقَةٍ كَأَنَّهَا قَلْعَةٌ بِيضَاءَ، وَعَلَيْهَا أَدَاةٌ حَسَنَةٌ، فَأَنَاخَهَا قَرِيباً مِنْ مَبِيتِي، وَتَوَسَّدَ ذِرَاعَهَا، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ أَبْقَضْتُهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَائِماً، فَقَامَ فَأَصْلَحَ رَحْلَهُ فَرَكَبَ وَرَكِبْتُ، فَقَصَّرَ عَلَيَّ يَوْمِي بِصَحْبَتِهِ، وَسَهَلْتُ عَلَيَّ وَعَوْتُ سَفْرِي، فَلَمَّا رَأَيْنَا بِيَاضَ قُصُورِ الْيَمَامَةِ تَمَثَّلَ:

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضْلِيَتَيْنَا^(١).

وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يَنْشُدُنِي إِلَّا بَيْتاً مُعْجَباً فِي الْهَوَى، فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنَ الْيَمَامَةِ مَالَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى آيَاتٍ قَرِيبَةٍ مِنَّا، فَقُلْتُ لَهُ: لَعَلَّكَ تَحَاوَلَ حَاجَةً فِي هَذِهِ الْآيَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ! قُلْتُ: انْطَلِقْ رَاشِداً. فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مَوْفٍ حَقَّ الصَّحْبَةِ؟ قُلْتُ: أَفْعَلْ. قَالَ: مَلْ مَعِيَ! فَمَلْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ الصُّرَمِ^(٢) ابْتَدَرُوهُ، وَإِذَا فَتْيَانٌ لَهُمْ شَارَةٌ، فَأَنَاخُوا بِنَا وَعَقَلُوا

(١) البيت لعمر بن كلثوم من معلقته:

أَلَا مُبْنِي بِصَخْرِكَ فَأَصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

(٢) الصرم: الحي، أو مجموعة البيوت.

ناقطينا، وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم أشدَّ شيء له تعظيماً،
ثم قال: قوموا إن شئتم، فقام، وقمتُ لقيامه، حتى إذا صرنا إلى قبر
حديث التطيين ألقى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

فَلَنْ يَمْنَعُونِي

لَنْ مَنَعُونِي فِي حَيَاتِي زِيَارَةً
أَحَامِي بِهَا نَفْسًا تَمَلَّكَهَا الْحُبُّ.
فَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجَاوِرَ لَحْدَهَا
فَيَجْمَعَ جِسْمَيْنَا التَّجَاوُرُ وَالتُّرْبُ.

ثمَّ أَنَّ أَنَاتٍ، فمات. فأقمتُ مع الفتيان حتى احتفروا له ودفنناه.
فسألتُ عنه، فقالوا: ابن سيد هذا الحي، وهذه ابنة عمِّه، وهي إحدى
نساء قومه، وكان بها مُغرماً، فماتت منذ ثلاث، فأقبل إليها وقد رأيت
ما آل إليه أمره. فركبتُ وكأني والله قد ثكلتُ حَمِيماً^(١).

(١) «معارع المشاق» الجزء الأول ص ١٢٩.

مَجْهُولٌ وَحَبِيبَتُهُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ

عن ابن المنبّه قال: سمعتُ أبا الخطاب الأخفش يقول: خرجتُ
في سفر فنزلنا على ماءٍ لطيفٍ فبصرتُ بخيمةً من بعيدٍ فقصدتُ نحوها
فإذا فيها شابٌّ على فراشٍ كأنَّهُ الخيالُ، فأنشأ يقول:

أَلَا مَا لِلْحَبِيبَةِ لَا تَعُودُ،
أُبْخِلُ بِالْحَبِيبَةِ أَمْ صُدُودُ
مَرِضْتُ فَعَادَنِي عَوَادُ قَوْمِي،
فَمَا لَكَ لَمْ تُرَيَّ فِي مَنْ يَعُودُ
فَلَوْ كُنْتُ الْمَرِيضَ، وَلَا تَكُونِي،
لَعُدْتُكُمْ، وَلَوْ كَثُرَ الْوَعِيدُ
وَلَا اسْتَبْطَأْتُ غَيْرَكَ، فَأَعْلَمِيهِ،
وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَجَمِي عَدِيدُ

قال: ثم أغمي عليه، فمات. فوقعت الصبيحة في الحي، فخرج من
آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر، فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه
فقبلته، وأنشأت تقول:

عَذَابِي أَنْ أَعُودَكَ، يَا حَبِيبِي،
مَعَاشِرُ فَبِهِمُ الْوَاشِي الْحَسُودُ.
أَدَاغُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ الدَّوَاهِي
وَعَابُونَا وَمَا فِيهِمْ رَشِيدُ

فَأَمَّا إِذْ حَلَلْتَ بِبَطْنِ أَرْضٍ
وَقَضَرُ النَّاسِ كُلِّهِمُ اللَّحُودُ
فَلَا بَقِيَتْ لِي الدُّنْيَا فَوَاقًا،
وَلَا لَهُمْ، وَلَا أَثَرِي، عَدِيدُ.

قال: ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها، فخرج من بعض الأخبية
شيخ فوقف عليهما، فترحم عليهما، وقال: والله لئن كنت لم أجمع
بينكما حين لأجمعن بينكما ميتين! فدفنهما في قبر واحد احتفراه لهما،
فسأله، فقال: هذه ابنتي وهذا ابن أخي^(١).

(١) «مصارع العشاق» الجزء الأول ص ١١١.

ابن الرومي يرثي «بستان» المغنية

رثى ابن الرومي زوجته، بمقطوعات وقصائد كما تقدم، كما رثى أمه وابنه «محمد» لكن مرثيته لهذه الجارية التي أحبها على ما يبدو، لها نكهة مختلفة، وتشبي بلوعة مبنوثة بجمالية عالية، على مدى أبيات هذه القصيدة التي بلغت في ديوانه «١٦٥»^(١) ولا تضاهيها إلا مرثيته لأمه. هنا مقطع منتقى من مرثيته «لبستان»

لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ

مَا أَوْلَعَ الدَّهْرَ فِي تَصَرُّفِهِ	بِكُلِّ زَيْنٍ لَهُ وَمُفْتَخَرٍ
يَعْدُو عَلَى نَفْسِهِ فَيَسْلُبُهَا	إِلَّا عَتَادَ الْمُعَدِّ ذِي النِّمْرِ
كَمْ مَلْبَسٍ لَا يُعَابَ هَتَكُهُ	عَنْ جِلْدَةٍ مِنْهُ شَتْنَةُ الْوَبَرِ ^(٢)
أَوْدَى «بُبُسْتَان» وَهِيَ حُلَّتُهُ	فَقَدْ غَدَا عَارِيًّا مِنَ الْحَبَرِ
أَطَارَ قُمْرِيَّةَ الْغِنَاءِ عَنِ الْأَرْضِ	فَأَيُّ الْقُلُوبِ لَمْ تَطِرْ
لِلَّهِ مَا ضُمْنَتْ حَفِيرَتُهَا	مِنْ حُسْنِ مَرَأَى وَظَهْرِ مُخْتَبَرِ
أَضَحَّتْ مِنَ السَّاكِنِي حَفَائِرُهُمْ	سَكَنَى الْغَوَالِي مَدَاهُنَ السَّرَرِ
مُطَيَّبِي كُلِّ تُرْبَةٍ خُبُثَتْ	وَمُؤْنِسِيهَا بِشَرِّ مُجْتَوَرِ ^(٣)

(١) «ديوانه» الجزء الثالث ص ٩١٤.

(٢) شتنة: غليظة.

(٣) مجتور: مجاور.

يَا حَرَّ صَدْرِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْوَاءٍ هُرَيْقَتْ فِي التُّرْبِ وَالْمَدْرِ^(١)
مَاءِي شَبَابٍ وَنِعْمَةٍ مُزَجًّا بِمَاءِ ذَاكَ الْحَبَاءِ وَالْحَقْرِ
لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ مَنْ أُتِيحَ لَهُ لَانْحَفَرَ الْقَبْرُ غَيْرَ مُحْتَفِرٍ
أَوْ لِأَبَاهَا فَصَانٌ حِينَئِذٍ عَنْ رَمْسِهِ دُرَّةٌ مِنَ الدَّرَرِ
إِنَّ ثَرَى ضَمِّهَا لِأَفْضَلُ مَحْجُوجٍ لِيَصَبَّ وَخَيْرٌ مُغْتَمِرٍ
أَقْسَمْتُ بِالْغُنْجِ مِنْ مَلَا حِظَّهَا وَسِحْرِ ذَاكَ السُّجُوجِ وَالْفَتْرِ^(٢)
لَوْ عُقِرَتْ حَوْلَ قَبْرِهَا بَقَرُ الْإِنْسِ مَكَانَ الْقِلَاصِ وَالْمُهَرِّ
وَالدَّرُّ نَظْمٌ عَلَى التَّرَائِبِ مِنْهُنَّ وَأَشْكَالُهُ مِنَ الْعِثْرِ^(٣)
وَانْتَحَرَتْ فِي فَنَائِهِ بِهِمُ الْحَرْبِ وَصَيْدُ الْمُلُوكِ مِنْ مُضَرٍ
ثُمَّ سَقَيْتُ الدَّمَاءَ تُرْبَتَهَا لَمْ أَشْفِ مَا فِي الْفَوَادِ مِنْ وَحَرٍ^(٤)
نَفْسِكَ يَا نَفْسُ فَاَنْحَرِي أَسْفًا فَإِنَّ هَذَا أَوَانُ مُنْتَحَرٍ
مَا حَسَنُ أَنْ تَذُوبَ مُهَجَّتُهَا وَمُهَجَّتِي لَمْ تُرَقْ وَلَمْ تُمَرِّ
لَا يُنْكِرُ الدَّهْرُ بَعْدَ مَهْلِكِهَا هَلْكَ ذَوَاتِ الْجَلَالِ وَالْخَطَرِ
كَوَرَّ شَمْسِ النَّهَارِ فَاَنْكَدَرَتْ كَوَاكِبُ اللَّيْلِ كُلُّ مُنْكَدَرٍ
«بُسْتَانُ» يَا حَسْرَتَا عَلَى زَهْرٍ فَيْكِ مِنَ اللَّهِوِ بَلْ عَلَى ثَمَرٍ

(١) الْمَدْر: الطين.

(٢) السجوج: الهدوء، والفتن: الارتخاء واللين.

(٣) الترائب: عظم الصدر، وهو المكان الذي توضع فيه القلادة، والعترة: القلادة.

(٤) الوح: الغيظ.

«بُسْتَانُ» لَهْفِي لِحُسْنِ وَجْهِكَ وَالْإِحْسَانِ صَارًا مَعًا إِلَى الْعَفْرِ^(١)
 «بُسْتَانُ» أَضْحَى الْفُؤَادَ مِنْ وَلَوْ يَا نُزْهَةً السَّنْعِ مِنْهُ وَالْبَصْرِ
 «بُسْتَانُ» مَا مِنْكَ لَامَرِي عَوْضُ مِنْ الْبَسَاتِينِ لَا وَلَا الْبَشْرِ
 «بُسْتَانُ» أُسْقِيتَ مِنْ مَدَامِينَا الدَّمْعَ وَأَغْقَبْتَ عُقْبَةَ الْمَطَرِ
 بَلْ حَقُّ سُقْيَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّهْبَاءِ صَهْبَاءِ «حِمَص» أَوْ جَدَرٍ^(٢)
 بَلْ مِنْ رَجِيْقِ الْجَنَانِ يُقْطَبُ بِالْمِسْكِ سُلَاقَاتِهِ بِلَا عَكْرِ
 بَلْ مِنْ نَجِيعِ الْقُلُوبِ يُمَزَّجُ بِالْعَطْفِ وَصَفْوِ الْوِدَادِ لَا الْكَدْرِ
 «بُسْتَانُ» لَمْ يُسْتَعَرْ لِكَ اسْمِكَ يَا بُسْتَانُ لَذَاتِنَا وَلَمْ يُعَرِّ
 كُنَّا إِذَا اللَّهُو قُلْ مَا نَرْنَاهُ مِنْهُ وَجَدْنَاكَ مَعْدِنُ الْمِيرِ^(٣)
 مَا كُلُّ لَهْوٍ أَرَاهُ بَعْدَكُمْ عِنْدِي سِوَى سُخْرَةٍ مِنَ السُّخْرِ
 لَسْتُ إِلَيَّ نَعْمَةً بِذِي أَذِنٍ وَلَا إِلَى صُورَةٍ بِذِي صَوَرٍ^(٤)
 كُنْتُ وَكَانَتْ قَرِينَةً لَكَ عَيْنَيْنِ لِهَوَى فِشَيْنِ بِالْعَوْرِ
 وَكُنْتُ يُمْنَاهُمَا فَفَاتَ بِكَ الدَّهْرُ وَهَلْ يَضْطَفِي سِوَى الْخَبْرِ

(١) العفر: التراب.

(٢) الصهباء: الخمر، وجدَر: قرية بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر. قال الأخطل:

كَأَنِّي شَارِبٌ، يَوْمَ اسْتُيِدَّ بِهِمْ
 مِنْ قَرْقَفٍ ضَمَّنَتْهَا «حِمَص» أَوْ «جَدَرُ»

(٣) المير: الطعام.

(٤) الصُّور: الميل، أي لا تطرب أذني إلى اغنية ولا تلتفت عيني إلى صورة
 بعدك.

يَا مَشْرَبًا كَانَ لِي بِلَا كَدَرٍ يَا سَمَرًا كَانَ لِي بِلَا سَهَرٍ
مَا كُنْتُ أَذْرِي أَطْعَمُ عَافِيَتِي أَغْذِبُ أَمْ طَعَمُ ذَلِكَ السَّمَرِ
يَا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي بَرِيَّتِهِ أَضْبَحْتَ إِخْدَى فَوَاقِرِ الْفَقْرِ^(١)
يَا غَضَّةَ السِّنِّ يَا صَغِيرَتَهَا أَمْسَيْتَ إِخْدَى الْمَصَائِبِ الْكَبَرِ
أَنِّي اخْتَصَرْتُ الطَّرِيقَ يَا سَكِينِي إِلَيَّ لِقَاءِ الْأَكْفَانِ وَالْحُفَرِ
أَلَمْ تَكُونِي غَرِيرَةً فُنُقًا لَا يَهْتَدِي مِثْلَهَا لِمُخْتَصَرِ^(٢)
أَنِّي تَجَشَّمْتُ فِي الْحَدَاثَةِ مَا جُشِّمْتُ مِنْ كُرْهِ ذَلِكَ السَّفَرِ
أَنِّي وَلَمْ تَلْحَقِي ذَوِي حُنْكَ السِّنِّ وَلَا امَّزْتُ مِنْ ذَوِي الْغَرَرِ لا يَنْتَهِي وَرْدُهُ إِلَى صَدْرِ
يَا شَمْسَ زُهِرِ الشُّمُوسِ يَا قَمَرَ الْأَقْمَارِ حُسْنًا يَا زَهْرَةَ الزُّهَرِ
أَبْعَدَ مَا كُنْتُ بَابَ مُبْتَهَجٍ لِلنَّفْسِ أَضْبَحْتَ بَابَ مُعْتَبَرِ
أَضْبَحْتَ كَالْتُّرْبِ غَيْرَ رَاجِحَةٍ بِهِ وَقَدْ تَرَجَّحِينَ بِالْبَدْرِ^(٣)
أَصَابَنَا الدَّهْرُ فِيكَ أَكْمَلَ مَا كُنْتُ فَمَا رُزُّونَا بِمُجْتَبَرِ
لَمْ تَقْتَحِمِكِ الْعُيُونُ مِنْ صَغِيرٍ وَلَا قَلَشَكَ النُّفُوسُ مِنْ كِبَرِ
فَكَيْفَ نَسْلَاكِ وَالْأَسَى أَبَدًا فِي كِبَرٍ وَالسُّلُو فِي صَغِيرِ
كُلُّ ذَنْوِبِ الزَّمَانِ مُغْتَفَرٌ وَذَنْبُهُ فِيكَ غَيْرُ مُغْتَفَرِ

(١) الفواقِر: الدواهي، والفقَر: جمع فقرة، وهي فقرات الظهر.

(٢) الفنق: النعمة، وجارية فنق: منعمة.

(٣) البدر: جمع بدرة وهي كمية من المال.

عَاشِقٌ مَسِيحِيٌّ يَرْتِي تِمْنَالَ حَبِيبَتِهِ

هذه الأبيات يرويها الأتليدي نقلاً عن رواية الأصمعي.. وهي لا تخلو من بنية أسطورية كشأن العديد من روايات الأتليدي^(١).
حكى الأصمعي: خرجتُ في طلبِ الأعاجيب من الأحاديث،
فلاحت لي بلدة بيضاء كأنها الغمامة، فدخلتها فإذا هي خرابٌ وليس
فيها ديارٌ ولا أنيسٌ، فبينما أنا أدور في نواحيها إذ سمعتُ كلاماً فطار
قلبي، فأنصتُ، فإذا به كلامٌ موحشٌ، فسلفتُ سيفي ودخلتُ ذلك
المكان، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ، وبين يديه صنمٌ وفي يده قضيبٌ، وهو
يبكي وينكتُ به الأرض ويقول:

وَمَسِيحُ اللَّهِ

أَمَّا وَمَسِيحُ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا
لَمِثْتُ كَمَا مَاتَتْ، وَقَدْ ضَمَّنِي لَحْدِي
وَكَمْ أَسَلْتُ بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
وَبِالْعَبْرَاتِ السَّائِلَاتِ عَلَى خَدِّي
وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِنِي الْمَوْتُ سُرْعَةً
لَأُمْسِي عَلَى جَهْدٍ وَأُضْحِي عَلَى جَهْدٍ

(١) «أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس» محمد دياب الأتليدي توفي بعد ١١٠٠ هـ دار صادر ١٩٩٠ ص ٤٣٧.

فلما سمعتُ ذلك منه هجمت عليه ، فلم يشعر بي إلا أن قلتُ له :
السلام عليك ، فرفع رأسه وقال : وعليك السلام ، من أين أنت ومن
جاء بك إلى هذا المكان؟ فقلت : الله جاء بي . قال : صدقت وهو الذي
أفردني في هذا المكان . فقلت له : ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذي
بين يديك . فقال لي : إن حديثي عجيب وأمري غريب .

فقلت له : حدثني به ولا تُخفِ منه شيئاً . فقال لي : اعلم أننا كنّا
قوماً من بني تميم وكنّا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجاباً ، وكانت
هذه الصنمة ابنة عمي وكنت أنا وإياها . فلما كبرت حَجَبَهَا عَمِّي عَنِّي ،
فكنت أحبُّها سرّاً . فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمي يَدُقُّ
الباب ، فأدخلتني سرداباً وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال
لها : أين عبد المسيح؟ فقالت : إني لم أره . فقال لها : إني سمعت
كلامه عندك . فقالت : لم تسمع شيئاً وإنما خيّل لك . فقال لها : والله
إن لم تصدقيني ، وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسحك الله
حجراً . فقالت له : إذا كنت كاذبةً . فرفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم
يا ربَّ الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتي هذه كاذبةٌ في قولها
فامسحها حجراً ، فمسحها الله حجراً ، ولي أربعون سنة في هذا
المكان ، وأنا أتقوّت من نبت الأرض وأشربُ من هذه الأنهار وأتسلّى
بالنظر إلى هذه الصنمة إلى أن يحكمَ الله بالموتِ ثمَّ بَكَى وأنشد :

إِنَّ الْفَتَى بَعْدَ التَّفَرُّقِ لَا يَبْقَى

وَحَقُّ الَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي

أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَا

لَيْنُ قُلْتُ : إِنَّ الْحُبَّ قَدْ يَقْتُلُ الْفَتَى

وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ التَّفَرُّقِ لَا يَبْقَى ..

لَقَدْ قُلْتُ حَقًّا وَاسْأَلِ الْعَبْرَةَ الَّتِي
تَسِيلُ وَسِيلُ الدَّمْعِ مِنِّي لَا يَرْقَا

قال الأصمعي: ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك
الجدر، ونزع المسوح التي كانت عليه ولم يبق عليه إلا ما يوارى سواته
فتأملته، فإذا عيناه تدور في أم رأسه فقلت في نفسي: هذا أراد أن
يطلعني على نحول جسده ثم أقبل عليّ، وهو عريان وقال لي: يا فتى
إنني قائل ثلاث أبيات، وكان مني ما كان، فإذا أنا ميت فكفني أنا
وإياها في هذه الحجة وادفنا في هذا الجون وضمنا بالتراب واكتب على
قبرنا هذه الأبيات:

فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ مَضْجَعِي

مَنْ لَمْ يُكُنْ يَحْسَبُ أَنَّ الْهَوَى يَقْتُلُ، فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ مَضْجَعِي
لَمْ يَبْقَ لِي حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا خَيَالُ الشَّمْسِ فِي مَوْضِعِي
أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ جَهْدَ الْبَلَا إِشَارَةً بِالْظَّرْفِ وَالْإِضْبَعِ

قال الأصمعي: هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شعره وأتعجب منه ومن
أمر الصنمة. وإذا به وقع على الأرض مستلقياً على قفاه وشهق شهقةً
فأرقت روحه جسده. فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجون، وكتبت على
قبرهما تلك الأبيات وتركتهما.

مَجْهُولٌ يَزْنِي وَعُشَاقٌ يُشْطَرُونَ!

مَحَاسِنُ لَا تَزُولُ

يَا قَبْرُ! هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا

وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّصِيرُ؟

مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ، لَا رَوْضُ، وَلَا فَلَكَ

فَكَيْفَ جُمَعَ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ؟

هذان البيتان أوردهما القرشي في حماسته، في باب المراثي^(١)، وهما من أشعار «ألف ليلة وليلة»^(٢)، وقد جرى تداولهما عبر العصور، من قبل شعراء آخرين تشطيروا وتخميساً، سواء في رثاء زوجاتهم وأحبّتهم، أو ربّما لمجرد إعجاب بالبيتين، والبيتان هما في الواقع من مرثية لأمرأة. كما يقول «أحمد فارس الشدياق»^(٣) وكتبت على شواهد

(١) «حماسة القرشي» ص ٢٤٥.

(٢) ورد البيتان في «ألف ليلة وليلة» الجزء الأول الليلة ٢٤ ص ٧٩ بتذكير المخاطب محاسنه. وباختلاف صدر البيت الثاني «يَا قَبْرُ لَا أَنْتَ بُسْتَانٌ وَلَا فَلَكَ» كما يتكرر البيتان في الصفحة ٣٠٧ الليلة ٦٥ باختلاف ألفاظ في البيت الثاني صدرأً وعجزاً:

يَا قَبْرُ لَا أَنْتَ بُسْتَانٌ وَلَا فَلَكَ

فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الْبَدْرُ وَالزَّهَرُ

(٣) «الساق على الساق في ما هو الفارياق» لأحمد فارس الشدياق ١٢١٩ -

١٣٠٤ هـ طبعة باريس ص ٣٩٣.

العديد من القبور في أكثر من مكان في البلاد العربية . فكأنما كانت هذه
الإستمرارية والعبور الدائم للبيتين وعيشهما في أزمنة مختلفة نوعاً من
التعبير عن المحاسن التي لا تزول، والتي لخص فيها هذا الشاعر
المغمور مرثيته لمن يحب.

وممن قام بتشطيرها اسماعيل الطهوري المصري

هَلْ زَالَتْ؟^(١)

يَاللَّهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ
أَمْ كَيْفَ رَوْنَقُهُ وَالْحُسْنُ وَالْحَوْرُ؟
وَحُسْنُ طَرَّتِهِ مَا شَأْنُ حَالَتِهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِيرُ؟
يَا قَبْرُ لَا أَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا فَلَكَ
يَسْؤُقُنَا مِنْكَ مَا نَرْجُو وَنَنْتَظِرُ
وَلَسْتَ فِي الْحُسْنِ مَعْشُوقاً إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى تَجْمَعَ فِيكَ الْغُضُنُ وَالْقَمَرُ

وقيل إن الشيخ «محمد رضا» وجد هذين البيتين على بلاطة ولم
يعرف قائلهما فعرضهما على السيد مهدي الطباطبائي فامر بتشطيرهما
فشطرها^(٢)

(١) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» الجزء الأول ص ٣١٧.
(٢) شاعر عراقي نجفي توفي ١٢٢٦ هـ = ١٨١١ م، أعيان الشيعة لمحسن الأمين
العاملي المجلد التاسع ص ٢٩٩ / طبعة دار المعارف/ بيروت ١٩٨٣.

عِنْدَكَ لَهَا خَبْرُ
 بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
 فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُونِي لَهَا خَبْرُ
 فَاشْرَحْ لِي الْحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُهَا
 وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّصِيرُ
 مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لَا رَوْضُ وَلَا فَلَكَ
 وَلَا كِنَاسٌ بِهِ الْآرَامُ تَبْتَدِرُ^(١)
 فَكَيْفَ أُودِعَ فِيكَ الرَّيْمَ مُلْتَفِتًا
 وَكَيْفَ غُيِّبَ فِيكَ الْغُضْنَ وَالْقَمَرُ
 ثُمَّ امْرَأَةٌ بِتَشْطِيرِ الْجَمِيعِ فَشَطَرَهَا فَقَالَ:

اشْرَحْ لِي الْحَالَ
 بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
 وَغَيَّرَتْ حُسْنَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْغَيْرُ
 كَانَتْ وَأَخْبَارُهَا عِنْدِي مُفْصَّلَةً
 فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُونِي لَهَا خَبْرُ
 فَاشْرَحْ لِي الْحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُهَا
 وَحَالَ، لَا حَالَ، ذَاكَ الْمَبْسَمُ الْعَطْرُ؟
 وَهَلْ دَوَى قَدُّهَا أَوْ جَفَّ نَاضِرُهَا
 وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّصِيرُ

(١) الكِنَاسُ: بيت الظباء، والآرامُ: الظباء.

مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لَا رَوْضُ وَلَا فَلَكَ
 كَلَّا وَلَا صُدْفَةٌ تُجَلِّي بِهِ الدُّرُ
 كَلَّا وَلَا جَنَّةٌ لِلْحُورِ قَدْ خُلِقَتْ
 وَلَا كِنَاسٌ بِهِ الْآرَامُ تَبْتَدِرُ
 فَكَيْفَ أَوْدِعَ فِيكَ الرِّيمُ مُلْتَفِتاً
 وَكَيْفَ خُلِدَ فِيكَ الْحُورُ وَالْحَجَرُ
 وَأَوْدِعَ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ قَعْرَكَ ذَا
 وَكَيْفَ جُمِعَ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

وكذلك قام الشاعر «علي الزيني»^(١) بتشطير القصيدة في صيغتها
 الجديدة بأسلوب «التضمين» بإعادتها إلى صيغة التانيث من جديد هذه
 المرة:

كَيْفَ أَضْبَحْتَ
 بِاللَّوِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
 وَهَلْ بَدَا لِلْيَلَى فِي حُسْنِهَا أَثَرُ؟
 فَادْكُرْ لِمُذْنَفِهَا عَنْ خَبَرِهَا خَبَرًا
 فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُونِي لَهَا خَبَرُ
 فَاشْرَحْ لِي الْحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُهَا
 وَغَيَّرَتْ حُسْنَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْغَيْرُ

(١) «شاعر عراقي من القرن الثامن عشر»

أَوْ هَلْ مَحَا حَاجَةُ الْإِيَّامِ نُضْرَتَهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِيرُ
مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لَا رَوْضُ وَلَا فَلَكُ
كَلَّا وَلَا بَيْعَةٌ تُجَلَّى بِهَا الصُّورُ^(١)
وَلَسْتُ بِالْخِذْرِ تَكْتَنُ النِّسَاءُ بِهِ
وَلَا كِنَاسُ بِهِ الْآرَامُ تَبْتَدِرُ
فَكَيْفَ أُودِعَ فِيكَ الرَّيْمُ مُلْتَفِتًا
وَالْكَاعِبُ الْخُودَ تَجَلَّى زَانَهَا الْخُصْرُ
وَكَيْفَ أَضْبَحْتَ فِيهَا بَيْعَةً لِدُمْنِ
وَكَيْفَ جُمِعَ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ^(٢)

(١) الْبَيْعَةُ: المَعْبَدُ، وَقِيلَ هُوَ الْكَنِيسَةُ تَحْدِيدًا.

(٢) الدُّمْنَى: جَمْعُ دُمِيَّةٍ وَهِيَ التَّمَائِيلُ.

الشَّريْفُ البَيَّاضِي يَرِثُنِي حَبِيبَتُهُ

(٠٠٠ - ٤٦٨ هـ = ٠٠٠ - ١٠٧٦ م)

الشريف أبو جعفر مسعود البياضي، وقيل هو هاشمي عباسي، وهو من الشعراء المتأخرين المجيدين، وشعره في غاية الرقة. وينطوي على عناية فائقة بالصورة كقوله:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا،
وَقَدْ رَكَدَتْ فِي بَحْرِ حَنْدَسِهَا غَرْقَى:
أَرَى ثَوْبَ هَذَا اللَّيْلِ لَا يَعْرِفُ الْبَلَى!
فَهَلْ أَرَيْنَ لِلصَّبْحِ فِي ذَيْلِهِ فَتْقًا؟
وقوله:

اللَّيْلُ مِنْ سَهْرِي عَلَيَّ نَهَارُ
يَزْدَادُ طُولًا وَالْجُمْوُنُ قِصَارُ
أَرْعَى نُجُومًا لَا تَغِيبُ كَأَنَّمَا
أَفْلَاكُهَا وَقَفَتْ فَلَيْسَ تُدَارُ

توفي ببغداد، ودفن بمقبرة باب أبرز. ولُقِّبَ بالبَيَّاضِي لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين، وكانوا قد لبسوا سواداً، ما عداه، فإنه كان قد لبس بياضاً فقال الخليفة: من ذلك البياضي؟ فثبت الاسم عليه واشتهر به^(١).

(١) ترجمته في «وفيات الأعيان» الجزء الخامس ص ١٩٧.

وكان البيّاضي عشقَ جارية لبنت فخر الملك فأحبّها حبّاً عظيماً
وتطاوَلَ أمرُهُ حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض
أيضاً هو، فلما توفيت طاش عقله وبقي شهراً فما دون ثم لحق بها وله
فيها أشعار كثيرة منها:

لَا آوِي إِلَى وَطَنٍ^(١)
دَعِ الْوُقُوفَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْذَّمَنِ
فَلَيْسَ يَنْفَعُ مَسْكُونٌ بِلَا سَكَنِ
أَمَّا تَرَانِي لَا أَثْنِي عَلَى ظَلَلِ
بَعْدَ الْفِرَاقِ وَلَا آوِي إِلَى وَطَنِ
وَكَيْفَ يَأْنِسُ قَلْبِي بِالذِّيَارِ وَقَدْ
أَصَابَ فِيهَا الرَّدَى مَنْ كَانَ يُؤْنِسُنِي
إِنَّ الَّذِينَ أَذَاقُونِي فِرَاقَهُمْ
أَفْنَيْتُ بَعْدَهُمْ دَمْعِي مِنَ الْحَزَنِ
لِلَّهِ مَنْ لَعِبَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ بِهِ
ضَنْناً بِمَا فِيهِ أَنْ يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ
جَعَلْتُ رُوحِي لَهُ مِنْ رُوحِهِ عَوْضاً
مُقِيمَةً مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ

(١) «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق» لداود الأنطاكي توفي ١٠٠٨ هـ
وبهامشه «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي بكر
الشمساني ٧٢٥ - ٧٧٦ هـ طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة ص ١٤٧.

فَصَارَ كَالْحَيِّ إِذْ رُوحِي تُحِيطُ بِهِ
وَصِرْتُ كَالْمَيِّتِ إِذْ لَا رُوحَ فِي بَدَنِي
وَكَيْفَ تَضْحَبُ رُوحِي بَعْدَهُ جَسَدِي
وَكَانَ إِنْ غَابَ، تَأْبَى أَنْ تُصَاحِبَنِي

عُمر أبُو ريشة

(١٣٢٨ - ١٤١٠ هـ = ١٩١٠ - ١٩٩٠ م)

عمر أبو ريشة أحد أبرز شعراء سوريا في القرن العشرين، وُلِدَ من أبٍ سوريٍّ وأمٍّ فلسطينية في عكا بفلسطين فنشأ بين عكا وحلب^(١). سافر الى انكلترا لدراسة «الكيمياء وأصباغ النسيج»، لأن والده أراد إبعاده عن طريق الشُّعر الشاق. وهناك نشأت قصة حبه التراجيدية التي جسدها بقصيدته هذه.

عمل أبو ريشة في السلك الدبلوماسي السوري منذ سنة ١٩٤٩، وتنقَّل في عملة الدبلوماسية بين البرازيل والأرجنتين وتشيلي والهند والولايات المتحدة. إلى أن استقال سنة ١٩٧٠ وسكن في بيروت. توفي في الرياض بالمملكة العربية السعودية ودفن في «منبج» بسوريا.

عاش عمر أبو ريشة في مطلع شبابه تجربة عاطفية رومانسية

(١) هناك التباس في مكان ولادته، فهو مسجَّل من مواليد «منبج» شمال حلب، إلا أن محمد اسماعيل دندي في كتابه عن عمر أبي ريشة، أكد أن أبا ريشة نفسه أخبره أنه وُلِدَ في عكا بفلسطين، خلال زيارة والدته لأهلها هناك، ولما عادت أمُّه إلى سوريا سجَّله أبوه في مواليد منبج. راجع كتاب محمد اسماعيل دندي «عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته، دار المعرفة / دمشق ١٩٨٨. وأنظر كذلك «من أعلام الأدب المعاصر» الدكتور جمال الدين الرمادي/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ دون تاريخ/ ص ٣١٢.

انعكست على تجربته الشعرية وألقت بظلالها عليها بشدة، فخلا وجوده في أنكلترا، تعرف على فتاة انكليزية تدعى «نورما» وخلال تلك العلاقة أصيب أبو ريشة، بمرض التيفوئيد، فاضطرَّ إلى ملازمة الفراش، بينما لازمته «نورما» لتعتني به في مرضه وغربته، حتى شفي من مرضه، فقرَّر العودة إلى مدينته «حلب» لإخبار أهله بقراره الزواج من «نورما» ونيل موافقتهم على الزَّواج من هذه الفتاة، وما أن عاد إلى فتاته من جديد ليقترب منها، حتى فوجئ بموتها بالمرض نفسه، بعد إصابتها بالعدوى منه، لكنها لم تنجُ كما نجا هو. فكتب قصيدته «خاتمة الحب» عام ١٩٣٢، مصوِّراً فيها تلك التجربة التراجيدية، وبعد موت «نورما» ورغم أن «أبو ريشة» تزوج مرَّتين، إلا أنه ظل يبحث عن صورتها في وجوه النساء طيلة حياته، بل أن زواجه الثاني كان بسبب اعتقائه أن روح «نورما» تناسخت في جسد امرأة أخرى» إذا قال لزوجته الثانية «سعد مكربل» إن روح «نورما» تقمصت فيك» ذلك أنَّه اكتشف أن يوم ولادة «سعاد» يصادف نفس يوم وفاة حبيبته الأولى «نورما»^(١)

طَوَّقِيْنِي بِسَاعِدَيْكَ

مقاطع من قصيدة «خاتمة الحب»^(٢)

سَطَّرَ الْحُبُّ لِلْوَرَى مِنْ دَمِي آيَةَ الْعِبَرِ
آيَةَ صُورَتِ عَلَيَّ لَوَجْهِهَا أَخْزَانُ الصُّوَرِ

(١) كتاب «أبكي على زمني خلا من شاعر مثل عمر...» سعد مكربل «زوجته الثانية» بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٧.

(٢) القصيدة في تسع صفحات من ديوان عمر أبو ريشة/ المجلد الثاني: دار العودة بيروت ١٩٨٨ م

شَمْسُ حُزْنِي قَدْ اسْتَوَتْ وَعَجِيبُ أَنْ أَرَانِي أَعِيشُ فِي غَيْرِ ظِلِّ
أُبْصِرُ الدَّهْرَ نَاشِراً سِفْرَ عُمْرِي وَلِسَانُ الْآلَامِ يَفْرَأُ وَيُمْلِي
طَغْنَةُ إِثَرِ طَغْنَةٍ إِثَرِ أُخْرَى نَشَرَتْ هَذِهِ الْحُشَّاشَةُ حَوْلِي
فَتَأَمَّلْتُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي مَا كُنْتُ أَبْنِي عَلَى الْخَيَالِ وَأَعْلِي
فَإِذَا مَوْرِدُ النَّعِيمِ سَرَابٌ وَإِذَا حَائِطُ الْمُنَى فَوْقَ رَمَلِ

حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ أَجْنِحَةُ الْحُبِّ وَلَمْ أَبَالِ بِالْأَهْوَالِ
كُلَّمَا لَاحَ لِي السَّبِيلُ كَثُوداً هَوَّنْتَ صَغْبَهُ بُرُوقَ الْوِصَالِ
عَفَّةَ الْبُرْدِ مَا عَهِدْتُ بِكَ الصَّمْتَ قُبَيْلَ الْإِلْقَاءِ فِي كُلِّ حَالِ
طَوَّقَيْنِي بِسَاعِدَيْكَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْنَا مِنْ أَعْيُنِ الْعَدَّالِ
مَا أَرَى الْمَوْتَ مُظْفِئاً شُعْلَةَ الْحُسْنِ وَلَا بِالْمُزِيلِ سَحَرَ الْجَمَالِ
جَفْنُكَ الْيَوْمَ مِثْلُ جَفْنِكَ بِالْأَمْسِ كَسَاهُ الْفُتُورُ يَنْتَمِ الْمِثَالِ
فَكَأَنَّ الْإِغْمَاصَ فِيهِ نُعَاسٌ أَوْ حَيَاءٌ أَوْ نَشْوَةٌ مِنْ دَلَالِ
زَادَكَ الْمَوْتُ فَوْقَ حُسْنِكَ حُسْناً وَكَسَاكَ بِبُرْدَةٍ مِنْ جَلَالِ
مِثْلُ وَرْدٍ يَرِفُ بَعْدَ قَطَافِ وَشِهَابٍ يَشِيعُ إِثَرَ زَوَالِ

إِيهَ يَا نَفْسُ فَاضْبِرِي يَرْحُمُ اللَّهُ مَنْ صَبَرَ
مَا أَرَى الْبَيْتَ مَاجِياً أَسْطُراً خَطَّهَا الْقَدَرُ
أَيُّهَا النَّادِبُ اتَّيِدْ وَارْسِلِ الْبَيْتَ فِي حَذَرِ
لَا يَقُولُنْ جَاهِلٌ: شَاعِرُ الْبُؤْسِ قَدْ كَفَرَ..

أَمْ تَمَثَّلْتَ هُوَّةَ الرَّمَسِ دَيْرًا وَدُمَى الظَّهْرِ سَجْدًا حَوْلَ رَأْسِكَ؟
وَرَأَيْتِ الْعُشَّاقَ شَمْعَةً إِثْمَ تَتَلَاشَى عَلَى مَذَابِجِ قُدْسِكَ
وَتَصَوَّرْتَ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا وَقَفَا يَفْرَآنِ صَفْحَةَ أَمْسِكَ
فَتَغْنَيْتِ فِي ضَمِيرِكَ جَذْلَى وَحَسَرْتَ الشِّفَاةَ عَنْ سِنِّ أُنْسِكَ
أَهْمِسِي رَدَّكَ الْوَجِيزَ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ مُضْغِيًا لِرَنَّةِ هَمْسِكَ
أَيْهَا الْبَائِسُ الَّذِي شَفُّهُ الْيَأْسُ وَالضَّجَرُ
صَبِّرِ النَّفْسَ وَاخْتَرِمِ حِكْمَةَ اللّهِ فِي الْبَشَرِ

الْبُودَاعَ الْوَدَاعَ يَا زَهْرَةَ الْعُمْرِ وَنَبْعَ الْأَمَالِ وَالْأَحْلَامِ
الْوَدَاعَ الْوَدَاعَ يَا شُغْلَةَ اللَّطْفِ وَنُورَ الْإِنِّهَاءِ وَالْإِلْهَامِ
حِكْمَةُ اللّهِ أَنْ تَزُولِي وَأَبْقَى هَائِمًا فِي الشَّقَاءِ أَيَّ هَيَامِ
حِكْمَةُ اللّهِ أَنْ أَظِلَّ حَزِينًا أَتَلَاشَى عَلَى ضَرْبِ غَرَامِي
حِكْمَةُ اللّهِ أَنْ أَقْطَعَ أَوْتَارَ نَشِيدِي بِأَحْزَنِ الْأَنْعَامِ
حِكْمَةُ اللّهِ أَنْ أَجُرَّ عَلَى صُبْحِ نَعِيمِي غَشَاوَةً مِنْ ظَلَامِ

قصيدة الطيف ١٩٦٢^(١)

عَلَى شَفَتَيْنَا نَارَ طَيْفِكَ وَارْتَمَى
فَأَبْعَدَ وَهَجَ الشُّوقِ وَالْعِظْرِ عَنْهُمَا

(١) «ديوانه» المجلد الأول ص ٢٥٠ .

وَتَسْأَلُنِي مَا بِي... فَأَخْبِقُ زُفْرَتِي
وَأَزْنُو إِلَيْهَا مُوَجَعًا، مُتَبَسِّمًا
وَأَرْجِعُ عَنْهَا حَامِلًا مِنْكَ وَخَشِيئِي
وَفِي خَافِقِي جُوعٌ وَفِي مُقْلَتِي ظَمًا
وَأَغْرِقُ فِي كَأْسِي عُهُودَكَ كُلَّهَا
فَمَا أَغْرِفُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا تَوَهُّمًا
حَنَانِكَ ، أَبْقِي لِي بَقِيَّةَ سَلْوَةٍ
أَلَوْكَ بِهَا الشَّهَدَ الَّذِي كَانَ عُلْقَمًا
فَكُلُّ جَمَالٍ صَاحٍ بِي مِنْهُ هَاتِفٌ
إِلَيْكَ تَنَاهَى أَوْ إِلَى سِحْرِكَ انْتَمَى
وَلِي خَطَوَاتٌ بَعْدُ فِي دَرْبِ غُرْبَتِي
سَاقَطُهَا وَثَبًا وَأَخْضِبُهَا دَمًا
وَأَلْفَاكِ بِالْحُبِّ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
وَلَنْ تَسْأَلَنِي عَنْهُ .. وَلَنْ أَتَكَلَّمَ

المصادر والمراجع

«القرآن الكريم»

- «أبكى على زمنٍ خلا من شاعرٍ مثل عمر..» سعد مكربل «زوجته الثانية» بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.
- «أحمد زكي أبو شادي» الأعمال الشعرية الكاملة دار العودة / بيروت ٢٠٠٥م قصيدة «رثاء زوجتي»
- «أحمد محمد الشامي» الأعمال الشعرية الكاملة الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة / جدة ١٩٩٢م.
- «أخبار النساء» لابن الجوزي شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٨٢م.
- «أدب الرثاء في بلاد الرافدين» حكمت بشير الأسود/ دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق ٢٠٠٨م.
- «أساطير إغريقية» أحمد عبد المعطي حجازي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢م.
- «أسس الشعر العربي الكلاسيكي» أيفالد فاجنر ترجمة د سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٨م.
- «أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث» مير بصري دار الوراق لندن ١٩٩٧م.
- «أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس» محمد دياب الأتليدي توفي بعد ١١٠٠ هـ دار صادر ١٩٩٠م.

«أعيان الشيعة» السيد محسن الأمين العاملي ١٢٨٢ - ١٣٧١ هـ / دار
التعارف للمطبوعات / بيروت / ١٩٨٣ م.

«أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،
تحقيق الدكاترة: علي أبو زيد - نبيل أبو عمشة - محمد موعد - محمود
سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد
الله بن سعد السلماني ٧١٣ - ٧٧٦ هـ حققه محمد عبد الله عنان / مكتبة
الخانجي مصر/ الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.

«الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» إبراهيم الفوزان/
القاهرة/ مكتبة الخانجي/ ١٩٨١ م.

«الأدب العصري في العراق العربي» القسم الأول/ المنظوم/ رفائيل
بطي المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ م.

«الأدب في العصر الفاطمي» محمد زغلول سلام منشأة المعارف
الأسكندرية.

«الأساطير اليونانية والرومانية» أمين سلامة القاهرة.

«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» أبو عمر يوسف بن عبد الله بن
محمد بن عبد البر ٣٦٨ - ٤٦٣ تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل/
بيروت ١٩٩٢ م

«الأنباء والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين»
للخالدين: أبي بكر محمد توفي ٣٨٠ وأبي عثمان سعيد توفي ٣٩٠ ابني
هاشم. حَقَّقَهُ وعلَّق عليه السيد محمد يوسف / مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٦٥ م.

«الأعلام» للزركلي «خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن
فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى ١٣٩٦ هـ» دار العلم للملايين الطبعة
الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد
الأموي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / طبعة دار صادر / تحقيق الدكتور إحسان عباس
وإبراهيم سعايفن وبكر عباس / الطبعة الثالثة / بيروت ٢٠٠٨ م.

«الأوراق» لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي توفي ٢٣٥ هـ نشره ج
هيورث دن مطبعة الصاوي مصر ١٩٣٦ م.

«الإيناس في علم الأنساب، ومختلف القبائل ومؤتلفها» للوزير
المغربي الحسين بن علي بن الحسين ٣٧٠ - ٤١٨، ومحمد بن حبيب
البغدادي (٣٤٥) تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة / الرياض / الطبعة
الأولى / ١٩٨٠ م.

«البداية والنهاية» لابن كثير تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن
التركي دار هجر القاهرة ١٩٩٧ م.

«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني محمد بن علي
بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ حقه وعلق عليه محمد
حسن حلاق منشورات دار ابن كثير / دمشق / بيروت الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م.

«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس
توفي ٤١٤ هـ تحقيق الدكتورة وداد القاضي / دار صادر بيروت ١٩٨٨ م.

«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون / محمد بن الحسن بن محمد بن
علي ٤٩٥ - ٥٦٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس دار صادر
الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.

«التذكرة الفخرية» للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي «توفي ٦٩٢»
تحقيق حاتم الضامن دار البشائر دمشق ٢٠٠٤ م.

«التعازي والمراثي» للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٦ هـ
وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية / بيروت الطبعة الأولى
١٩٩٦ م.

«الجلس الصالح» لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ٣٠٣ - ٣٩٠ هـ / دراسة وتحقيق محمد مرسي الخولي عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.

«الجواهري في العيون من أشعاره» دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الرابعة ١٩٩٨ م.

«الجواهري وسيمفونية الرحيل» للدكتورة خيال محمد مهدي الجواهري منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٩ م.

«الجواهري... الليالي والكتب» صباح المندلاوي بغداد ٢٠٠٩ م.
«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» للبرّي محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبرّي المتوفى بعد ٦٤٥ هـ نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي الرياض ١٩٨٣ م.

«الحماسة البصرية» للبصري صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ تحقيق عادل سليمان جمال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث القاهرة ١٩٨٧ م.

«الديارات» للشابشتي أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي توفي ٣٨٨ هـ تحقيق كوركيس عواد دار الرائد العربي/ بيروت ١٩٨٦ م.

«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام «أبي الحسن بن بسام الشنتريني المتوفى ٥٤٢» تحقيق إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٩٧ م

«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني توفي ٥٤٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة ١٩٩٧ م.

«الرّثاء» الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة/ الطبعة الرابعة ١٩٨٧ م.

«الرؤى الباسم والعرف الناسم» لصلاح الدين الصفدي دار الآفاق
العربية ٢٠٠٥ م.

«الساق على الساق في ما هو الفارياب» لأحمد فارس الشدياق ١٢١٩
- ١٣٠٤ هـ طبعة باريس.

«السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم» صموئيل نوح كريم
ترجمة: د. فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣ م.

«الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم تحقيق احمد
محمد شاكر / دار المعارف مصر / ١٩٨٢ م.

«العقد الفريد» لابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
٢٤٦ - ٣٢٨ / تحقيق عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية / بيروت
١٩٨٣ م.

«العمدة في محاسن الشجر وآداب ونقده» لابن رشيق القيرواني محمد
بن سعيد بن أحمد ٣٩٠ - ٤٥٦ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
/ دار الجيل / الطبعة الخامسة ١٩٨١ م.

«ألف ليلة وليلة» طبعة الخصوصي القاهرة منقحة عن طبعة بولاق
١٢٨٩ هـ.

«القسطاس في علم العروض» للزمخشري، محمود بن عمر بن محمد
الخوارزمي جار الله الزمخشري ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / تحقيق فخر الدين
قباوة / مكتبة المعارف / بيروت ١٩٨٩ م.

«الكامل في اللغة والأدب» للمبرّد محمد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ
تحقيق محمد أحمد الدالي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٩٢ م.

«الكتاب المقدس»

«الكتاب» لسيبويه «أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر» ١٤٨ - ١٨٠ هـ
شرح وتحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة،
١٩٨٨ م.

«المازني شاعر النفس والحياة» الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد الدار
المصرية / اللبنانية ١٩٩٨ م.

«المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» لابن جني «أبي الفتح
عثمان بن جني توفي ٣٩٢» تقديم وتحقيق الدكتور حسن الهنداوي دار
القلم دمشق / دار المنارة/ بيروت ١٩٨٧ م.

«المحاسن والأضداد» للجاحظ عمر بن بحر بن محبوب ١٦٣ - ٢٥٥
هـ. دار ومكتبة الهلال/ بيروت ١٤٢٣ هـ.

«المحاسن والمساوي» للبيهقي إبراهيم بن محمد البيهقي توفي ٣٢٠ هـ
طبعة دار صادر ١٩٧٠ م.

«المرثاة الغزلية في الشجر العربي» الدكتور عناد غزوان اسماعيل/
بغداد مطبعة الزهراء ١٩٧٤ م.

«المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيبي محمد بن أحمد بن
منصور ٧٩٠ - ٨٥٢ هـ تحقيق ابراهيم صالح/ دار صادر ١٩٩٩ م.

«المعارف» لابن قتيبة. تحقيق: د. ثروة عكاشة دار المعارف القاهرة
الطبعة الرابعة ١٩٨١ م.

«المعاني الكبير في أبيات المعاني» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن
قتيبة الدينوري/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٨٤ م.

«المغرب في حلي المغرب» لابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن
موسى بن محمد ٦١٠ - ٦٨٥ تحقيق: الدكتور شوقي ضيف الطبعة الرابعة
دار المعارف ١٩٩٣ م.

«المقفى الكبير للمقرئزي» أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين
المقرئزي ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ تحقيق محمد البعلاوي دار الغرب الإسلامي
١٩٩١ م.

«الملحق التابع للبدر الطالع» لمحمد بن محمد بن يحيى زيارة
الحسني اليمني الصنعاني «المتوفى: ١٣٨١ هـ» طبعة مطبعة السعادة بمصر
١٩٢٩ م.

«الممنوع في صنعة الشعر» لعبد الكريم النهشلي القيرواني تحقيق د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية.

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٢ م.
«المنثور والمنظوم» القصائد المفردات التي لا مثل لها، لطيفور أحمد بن أبي طاهر / ٢٠٤ - ٢٨٠ هـ تحقيق: الدكتور محسن غياض / دار تراث عوידات/ بيروت/ باريس ١٩٧٧ م.

«المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم» لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى توفي ٣٧٠ هـ صححه وعلّق عليه: الدكتور «ف كرنكو» دار الجيل/ بيروت ١٩٩١ م.
«الموشى أو الظرف والظرفاء» للشوآء أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الشوآء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق: كمال مصطفى مكتبة الخانجي للطباعة والنشر مطبعة الاعتماد بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٣ م.

«النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» لعمارة اليميني اعتنى بتصحيحه هرتويغ دورنبرغ طبعة مكتبة المثنى بغداد عن طبعة مطبعة مرسو، في مدينة شالون على نهر سون سنة ١٨٩٧ م.

«الوافي بالوفيات» لصلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ الطبعة الثانية باعتناء عدد من الباحثين: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية ١٩٧٤ م.

«إلى روح أم سهيل - عاد الربيع بكل لاهثة العبير ولم تعودى» حامد حسن/ صدرت في كراس منفرد عن مطبعة عكرمة بدمشق بدون تاريخ.
«أنات حائرة» عزيز أباطة تقديم الدكتور طه حسين الطبعة الأولى دار المعارف ١٩٤٣ م.

«أوراق» جمال عبد الجبار علوش منشورات إتحاد الكتاب العرب
بدمشق / ١٩٩٨ م.

«بحار الأنوار» محمد باقر المجلسي توفي ١١١١ هـ / مؤسسة الوفاء/
بيروت طبعة ثانية ١٩٨٣ م.

«تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف
محمد خطيب / سلسلة التراث العربي - الكويت ٢٠٠١ م.

«تاريخ الآداب اللغة العربية» ١٨٠٠ - ١٩٢٥، لويس شيخو ١٢٥٣ -
١٣٣٥ دار المشرق بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩١ م.

«تاريخ الخلفاء» للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين
السيوطي «المتوفى: ٩١١ هـ» تحقيق: حمدي الدمرداش مكتبة نزار مصطفى
الباز / ٢٠٠٤ م.

«تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من جلّه امن الأماثل أو اجتاز
بنواحيها من وراديه وأهلها» لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن
الشافعي ٤٩٩ - ٥٧١ هـ تحقيق محب الدين العمروي / دار الفكر/
١٩٩٥ م.

«تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق» لداوود الأنطاكي توفي
١٠٠٨ هـ وبهامشه «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي
بكر التلمساني ٧٢٥ - ٧٧٦ هـ طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة.

«تعليق من أمالي ابن دريد» أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي
«المتوفى: ٣٢١ هـ» تحقيق السيد مصطفى السنوسي / المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب بالكويت / ١٩٨٤ م.

«جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» للقرشي أبي زيد محمد
بن أبي الخطاب القرشي / تحقيق: د. محمد علي الهاشمي / جامعة الإمام
محمد بن سعود. ١٩٨١ م.

«حذام» عبد الكريم كاصد قصائد في مرثية زوجته الراحلة، نسخة مخطوطة.

«حصاد الدمع» محمد رجب اليومي مطبعة دار العالم العربي مصر ١٩٧٩م.

«حصاد الهشيم» إبراهيم عبد القادر المازني / الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة مكتبة الأسرة.

«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ / دار صادر / حققه ونسقه وعلّق عليه: حفيده محمد بهجة البيطار / الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

«حماسة القرشي» عباس بن محمد القرشي النجفي ١٢٩٩ هـ تحقيق خير الدين محمود قبلاوي وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٥م.

«خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني عماد الدين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين ٥١٩ - ٥٩٧ هـ

شعراء المغرب والأندلس تحقيق: اذرتاش اذرنوش نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي الطبعة الثانية الدار التونسية للنشر ١٩٨٦.

«خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ، تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

«خواطر الحياة» محمد الخضر حسن ضمن موسوعة الأعمال الكاملة دار النوادر دمشق / بيروت / الكويت ٢٠١٠.

«ديوان ابن الرومي» تحقيق حسين نصار / دار الكتب المصرية ٢٠٠٣م.

«ديوان ابن الزقاق البلنسي» تحقيق عفيفة الديراني / دار الثقافة بيروت ١٩٦٤م.

«ديوان ابن حمديس» تحقيق ستيونو سكياباريللي / طبعة رومية الكبرى ١٨٩٧م.

«ديوان ابن سناء الملك» تصحيح محمد عبد الحق طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية حيدر آباد ١٩٥٨.

«ديوان ابن ميادة» حققه: حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م.

«ديوان ابن نباتة المصري» مطبعة التمدن بعابدين مصر ١٩٠٥م.

«ديوان أبو إسحاق الألييري الأندلسي المتوفى نحو ٤٦٠ هجرية حققه وشرحه واستدرك فائقه: محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩١م.

«ديوان أبي حيان الأندلسي» تحقيق د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي مطبعة العاني/ بغداد ١٩٦٩م.

«ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي» شرح التبريزي / تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف القاهرة.

«ديوان اسماعيل صبري» - أبو أمية» تحقيق الدكتور محمد القصاص وعامر محمد بحيري والدكتور أحمد كمال زكي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان.

«ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته» أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة / تحقيق الدكتور إحسان عباس / دار الثقافة بيروت ١٩٨٩م.

«ديوان الإمام علي» اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة ٢٠٠٥م.

«ديوان الإمام علي» جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ١٩٨٨م.

«ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد» تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، محمد بن العباس القبايج، سعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني. إصدار جامعة محمد الخامس / المغرب. ١٩٧٤م.

- «ديوان الجواهري» وزارة الاعلام العراقية/ مديرية الثقافة العامة- مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٣م.
- «ديوان الشريف الرضي» شرح الدكتور محمود مصطفى حلاوي شركة الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت/ لبنان ١٩٩٩م.
- «ديوان الشريف المرتضى» تحقيق رشيد الصفار - مراجعة الدكتور مصطفى جواد/ طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨م.
- «ديوان الشيخ محمد آل حيدر» جمع وتحقيق الدكتور سعد الحداد مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- «ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري» تحقيق الدكتور عمر موسى باشا مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٨م.
- «ديوان الطغرائي» مطبعة الجوائب قسطنطينية ١٣٠٠هـ.
- «ديوان العباس بن الأحنف» تحقيق: الدكتورة عائكة الخزرجي طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٢م.
- «ديوان الفرزدق» شرح ايليا الحاوي / دار الكتاب اللبناني / بيروت ١٩٨٣م.
- «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» دراسة وتحليل محمد بن أحمد عيسى العقيلي دار الكتاب العربي بمصر / الطبعة الأولى ١٩٦١م.
- «ديوان اللواح» أبو حمزة سالم بن غسان بن راشد بن محمد البخروصي حَقَّقَه: محمد علي الصليبي/ وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان سنة ١٩٨٩م.
- «ديوان الواواء الدمشقي» أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، جمعه: أغناطيوس كراتشوفسكي مطبعة بريل / ليدن ١٩١٣م وكذلك ديوانه بتحقيق سامي الدهان نشر دار صادر/ بيروت ١٩٩٣م.
- «ديوان الوائلي» شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض مؤسسة البلاغ/ دار سلوني ٢٠٠٧. وكذلك «ديوانه» / الناشر ميشم الخرسان.

- «ديوان الوليد بن يزيد» طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧م
جمعه: المستشرق ج جبريالي وقّده خليل مردم.
- «ديوان بشار بن برد» شرح محمد الطاهر ابن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧م.
- «ديوان بن تميم بن المعز لدين الله الفاطمي» تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، محمد كامل حسين طبعة دار الكتب مصر ١٩٥٧م.
- «ديوان جرير» بشرح محمد ابن حبيب تحقيق نعمان محمد أمين طه/ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
- «ديوان ديك الجن» جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق ٢٠٠٤م.
- «ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي» شرح: علي عبد المقصود دار الجيل ١٩٩٥م وكذلك في «ديوان البارودي» تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف طبعة دار العودة/ بيروت ١٩٩٨م.
- «ديوان صالح مجدي» طبعة بولاق ١٣١١ هـ
- «ديوان صريع الغواني/ مسلم بن وليد الأنصاري» تحقيق سامي الدهان دار المعارف مصر الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .
- «ديوان علي الشرقي» الجمهورية العراقية /وزارة الثقافة والفنون/ دار الرشيد للنشر/ جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ١٩٧٩م.
- «ديوان عمر أبو ريشة» دار العودة بيروت ١٩٨٨م.
- ١ «ديوان قيس بن الملوّح - مجنون ليلى» برواية أبي بكر الوابي/ دراسة وتعليق: بسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٩م.
- «ديوان كُثَيَّر عَزَّة» جمعه وشرحه إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧١م.

«ديوان محمد بن عبد الملك الزيات/ سيرته، أدبه» تحقيق يحيى الجبوري/ الطبعة الأولى/ دار البشير / عمان/ الأردن ٢٠٠٢م.

«ديوان محمود الوراق» جمع ودراسة وتحقيق الدكتور وليد القصاب مؤسسة الفنون عجمان ١٩٩١م.

«ذكرياتي» محمد مهدي الجواهري دار الرافدين/ دمشق ١٩٨٨م.

«راهب الليل» دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

«رايات المبرزين وغايات المميزين» لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن ٦١٠ - ٦٨٥ هـ تحقيق: محمد رضوان الداية / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق ١٩٨٧م.

«راينر ماريا ريلكه الآثار الشعرية» ترجمة كاظم جهاد «منشورات الجمل» الكلمة ٢٠٠٩م.

«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري/ تحقيق عبد الأمير منها مؤسسة العلمي/ بيروت ١٩٩٢م.

«رحيل» عصام العطار الدار الإسلامية للإعلام/ بون، ١٩٨٥م.

«رسالة الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

«ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي القاهرة / الطبعة الأولى ١٩٨١م.

«زهر الآداب وثمر الألباب» للقيرواني أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري شرحه الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل الطبعة الرابعة.

«زهر الأكم في الأمثال والحكم» لليوسي الحسن بن مسعود بن محمد ١٠٤٠ - ١١٠٢ هـ حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر

دار الثقافة/ المغرب ١٩٨١م.

«زوجة أبي امرأة من الزمن الجميل» عفاف أباطة دار المعارف القاهرة
٢٠٠٥ م.

«سحر عدن وفخر اليمن» تحقيق: د محمد أبو بكر حميد / مكتبة
كنوز المعرفة، جدة، ٢٠٠٨ م.

«سياف الزهور» محمد الماغوط دار المدى للثقافة والنشر - دمشق.
الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

«سيد العشاق» وجيه البارودي تقديم وليد قنباذ / طبع ١٩٩٤ م.
«سير أعلام النبلاء» للذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد ٦٧٣ -
٧٤٨ هـ

الذهبي/ مؤسسة الرسالة/ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب
الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي/ الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٦ م.

«شرح ديوان الحماسة» اختاره: أبو تمام حبيب بن أوس توفي ٢٣١ هـ
بشرح أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين
وعبد السلام هارون دار الجيل/ بيروت ١٩٩١ م.

«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي يحيى بن علي بن محمد الشيباني
التبريزي، أبو زكريا «المتوفى: ٥٠٢ هـ» دار القلم/ بيروت.

«شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان» جلال الدين السيوطي.
«شعر السراج البغدادي» جمع ودراسة: عادل كتاب نصيف العزاوي
مراجعة وتقديم: الدكتور علي جابر المنصوري مطبعة العاني بغداد / طبعة
أولى ١٩٩٠ م.

«شعراء معاصرون» إسماعيل أدهم / دار المعارف القاهرة الطبعة
الثانية ١٩٨٥ م.

«صحيح مسلم» أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
المتوفى ٢٦١ هـ مجموعة من المحققين دار الجيل - بيروت / مصورة من
الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ

«صدى الأشجان»: حسن محمد حسن الزهراني «النادي الأدبي»
بالباحة ١٩٩٨ م.

«طبقات الشعراء» لابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز بالله بن
المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ تحقيق عبد
الستار أحمد فراج دار المعارف مصر ١٩٧٦ م.

«عبد الرحمن الخميسي الكلمة والموقف» مجموعة من الكتاب /
مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة/ بيروت ١٩٧٥ م.

«عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين» مع قصيدتي «بهيرة»
و«رود» محمد غازي التدمري دار الإرشاد للنشر/ حمص/ سوريا
٢٠٠٧ م.

«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي
١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم/
مطبعة دار الكتب المصرية عن / طبعة بولاق/ القاهرة ١٩٩٧ م.

«علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده» للدكتور عبد الحكيم
الزيدي/ سلسلة كتاب الرافد/ دار الثقافة والإعلام/ الشارقة ٢٠١٠ م.
«عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته» محمد أسماعيل دندي،
دار المعرفة / دمشق ١٩٨٨ م.

«عيون الأخبار» لابن قتيبة تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية/ دار
الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٩٦ م.

«فن الشعر» أرسطوطاليس ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٣ م.

«قصائد/ يوسف الصائغ المجموعة الشعرية الكاملة، دار الشؤون
الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢ م.

«قصص الأنبياء» لابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ٧٠١ -
٧٧٤ هـ تحقيق عبد الحي الفرماوي دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة
الطبعة الخامسة ١٩٩٧ م.

«قصيدة بلقيس» نزار قباني منشورات نزار قباني/ بيروت / لبنان/
الطبعة السادسة ١٩٩٨م.

«قلائد العقيان في محاسن الأعيان» لأبي نصر الفتح بن محمد بن
عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان ٤٨٠ - ٥٢٨ هـ تحقيق:
حسين يوسف خريوش مكتبة المنار الأردن ١٩٨٩م.

«قوس قزح» مصطفى أحمد الزرقا الناشر/ عبد المقصود خوجه/
جدة. الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

«كانك الخيط في الثوب» ياسين رفاعية / دار نلسن، الطبعة الأولى
٢٠٠٨م.

«كتاب التشبيهات» لابن أبي عون إبراهيم بن محمد «ابن المنجم»
توفي ٣٢٢ هـ عني بتصحيحه: محمد عبد المعين خان/ طبعة كمبردج
١٩٥٠م.

«كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل» للوشاء أبي الطيب محمد بن
إسحاق بن يحيى الوشاء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق الدكتور يحيى الجبوري دار
الغرب الإسلامي ١٩٩١م.

«كتاب فاطمة» محمد مظلوم الطبعة الأولى/ دار التكوين دمشق
٢٠١٠م.

«لسان العرب» لابن منظور ٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م
طبعة دار المعارف القاهرة.

«لمح السحر من روح الشجر وروح الشجر» مختصر كتاب «روح
الشجر» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الجلاب / اختصار أبي عثمان
سعيد بن ليون التجيبي الأندلسي ٦٨١ - ٧٥٠ هـ تحقيق وتعليق: سعيد بن
الأحرش/ أبوظبي منشورات المجمع الثقافي.

«مختارات البارودي» حققها وشرحها مجموعة من الباحثين بإشراف
الدكتور محمد مصطفى هدارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

«مختارات من الشُّعر العربي في القرن العشرين» إصدار مؤسسة عبد العزيز البابطين ٢٠٠١ م.

«مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» للياضي عبد الله بن أسعد بن علي الياضي ٦٩٨ - ٧٦٨ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٧ م.

«مرآة النساء فيما حَسُنَ مِنْهُنَّ وساء» للشيخ محمد كمال الدين الأدهمي دار التوفيق / بيروت ٢٠٠٤ م.

«مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» فريد عبد الخالق/ دار النشر للجامعات القاهرة ٢٠٠٩ م.

«مروج الذهب للمسعودي» أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ تحقيق يوسف البقاعي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

«مسخ الكائنات» أوفيد ترجمة ثروت عكاشة/ الهيئة المصرية للكتاب/ الطبعة الثالثة/ ١٩٩٢ م.

«مصارع العشاق» للسراج القارئ جعفر بن أحمد بن الحسين ٤١٨ - ٥٠٠ هـ دار صادر بيروت.

«معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين/ الكويت ٢٠٠٨ م.

«معجم البلدان» لياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ دار صادر/ بيروت ١٩٧٧ م.

«معجم الشعراء» للمرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ٢٩٧ - ٣٨٤ هـ تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي دار الكتب العلمية/ بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٢ م.

«من أعلام الأدب المعاصر» الدكتور جمال الدين الرمادي/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ دون تاريخ.

- «من وحي المرأة» عبد الرحمن صدقي دار المعارف القاهرة.
- «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون محمد بن مبارك بن ميمون توفي ٥٨٩ هـ تحقيق الدكتور محمد نبيل الطريفي / دار صادر بيروت ١٩٩٩ م.
- «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لأبي الحسن حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة / دار الغرب الإسلامي / بيروت ١٩٨٦ .
- «نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان» لأبي الوليد اسماعيل بن الاحمر، توفي ٨٠٧ هـ تحقيق محمد رضوان الداية / بيروت / عالم الكتب، ١٩٨٦ م.
- «نساء الخلفاء» لابن الساعي علي بن أنجب بن عثمان ٥٩٣ - ٦٧٤ هـ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق مصطفى جواد.
- «نفاسة الجراب في علالة الاغتراب» للسان الدين بن الخطيب تحقيق: الدكتور أحمد مختار العبادي مراجعة: الدكتور عبد العزيز الاهواني / دار الشؤون الثقافية بغداد.
- «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني، ٩٩٢ - ١٠٤١ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر / بيروت ١٩٨٨ م.
- «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى ٧٣٣ هـ تحقيق: يحيى الشامي / دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٤ م.
- «نور القبس» للمرزباني اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليعموري - تحقيق رودلف زلهام - دار «فرانتس شتاينر يفسبادن» ١٩٦٤ م (النشرات الإسلامية - ٢٣).
- «همام في بلاد الأحقاف» علي أحمد باكثير مسرحية طبعة مكتبة مصر القاهرة.

«وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان» لابن خلكان «أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨ - ٦٨١ هجرية تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر/ بيروت.

«يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى ٤٢٩ شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية ١٩٨٣ م.

«يوميات السكاكيني» خليل السكاكيني تحرير: أكرم مسلم مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية الطبعة: الأولى ٢٠٠٩ م.

الصحف والمجلات والدوريات:

«مجلة الرسالة» أحمد حسن الزيات

«مجلة المورد»

«مجلة الموسم» العدد السابع

«مجلة الواحة»

«مجلة نزوى»

«رابطة أدباء الشام لندن»

«جريدة الإقتصادية» السعودية

«جريدة الدستور» الأردنية

هذا الكتاب

حتى عصر النهضة في الثقافة العربية، كان ثمة من يرى أنَّ رثاء المرأة يعدُّ خروجاً على نمط الشَّعر القديم، أو في أحسن الأحوال لا يجد فيه أكثر من تعزية ومواساة وليس كما سيتضح، من خلال نصوص هذا الكتاب، بأنها تجربةٌ مغايرةٌ بأسئلتها العميقة، تنحو بالشعر العربي نحو ضفاف أخرى.

ومما نحاول إثباته هنا أنَّ رثاء المرأة في ثقافتنا قديم قدم الشَّعر، من خلال نماذج تبدأ من الشعر السومري مروراً بالشعر العربي في عصوره المختلفة، وصولاً إلى الشعر العربي الحديث وقصيدة النثر.

رثاء الزوجات في هذا الكتاب مدائح حزينة في غياب الممدوح، وغزل بلا غايات تحضر فيه جماليات الغائب بكثافة دون حضوره الجسدي. وتُصوِّر اللحظات الأخيرة بين شخصين عاشا معاً، ومن هنا فإنها تنطوي كذلك على رثاء للروح التي بقيت مفردة بعد شريك يومياتها إذ يخلو السرير من الشريك الميت، فيغدو العالم كله مهجوراً.

